

# الجنان

مجلة علمية محكمة - فصلية



## حقوق الطبع محفوظة 2012

طرابلس - لبنان

جامعة الجنان

ص.ب.: 818

هاتف: 909 447 6 - 961+

فاكس: 900 447 6 - 961+

e-mail: aljinan.mag@jnan.edu.lb

jnan@jnan.edu.lb

website: www.jnan.edu.lb

صَدَرَ فِي لَبْنَانَ عَنْ  
دار المنى للطباعة والنشر  
70/711442

تصميم وطباعة: وليد محمود شكشك  
03/217643

# الجنان

مجلة علمية محكمة - فصلية

تصدر عن مركز البحث العلمي في الجامعة

العدد الثالث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# الجنان

مجلة علمية محكمة – فصلية

تصدر عن مركز البحث العلمي في جامعة الجنان

المشرف العام : أ.د. منى حداد يكن / رئيسة الجامعة

نائب المشرف العام : أ.د. علي لاغا / نائب الرئيس لشؤون البحث العلمي

المدير : د. هدى حداد

## هيئة التحرير:

أستاذ مساعد د. رياض عثمان رئيس التحرير

د. كلوديا شحادة اللغة الفرنسية

أ. لينا الجراح مساعداً للغة الفرنسية والإنكليزية

أ. مالك خليل مساعداً للغة العربية

أ. الحبيب عبد الغني مساعداً للغة العربية

أمين سر التحرير : أ. عايدة كبارة

## المستشارون:

أ.د. عاطف عطية: علم الاجتماع

أ.د. عبد الغني عماد: علم اجتماع تربوي

أ.د. مهى خير بك: لغة عربية

أ.د. محمود عبود: فقه وأصوله

أ.د. سعدي ضناوي: لغة عربية

أ.د. انطوان ديري: هندسة

أ.د. جوزيف فاضل: علوم سياسية

أ.د. عمر عبد السلام تدمري: تاريخ

أ.د. أحمد سفر: إقتصاد إسلامي

أ.د. منذر حمزة: مايكروبيولوجي

أ.د. خالد حسين: فيزياء وإعجاز علمي في القرآن الكريم

أ.د. بشار الحسن: هندسة

أ.د. أسامة كبارة: صحافة وإعلام

أ.د. حسن الرفاعي: إقتصاد إسلامي

أ.م.د. ماجد الدرويش: علوم الحديث

د. فواز حلاب: طبيب نسائي

أ.م.د. محمد خالد: صحة عامة

د. عمار يكن: هندسة وإدارة أعمال

د. ثائر علوان: صيدلة

د. حسام سباط: أصول الفقه وحضارة

د. ربي شعراني: تربية

د. غادة صبيح: لغة فرنسية

د. ريما بركة: لغة فرنسية

## قواعد النشر

«الجنان» مجلة علمية محكمة ، تصدر عن مركز البحث العلمي – جامعة الجنان، غايتها نشر الأبحاث الجدية والمحكمة في مختلف العلوم، وتشر باللغات العربية والإنكليزية والفرنسية، تُفضّل الأبحاث التي تعالج مشاكل تحتاج إلى حل أو تطرح نظريات افتراضية.

## هدف المجلة

إن هدف المجلة في الأساس هو المساهمة في إضافة جديدة للعلوم الإنسانية أو العلمية، فالماضي هو هذا الحاضر، وبما أن العلم تراكمي فإن علينا واجب القيام بهذا الدور، لذلك فإن سياسة المجلة هي على الوجه التالي :

١. تخصيص محور واحد لكل عدد من أعدادها إذا أمكن، وإلا تنوّعت أبحاث العدد.
٢. يُطرح الموضوع العام والمحاوّر التي يمكن للباحثين الكتابة فيها، مع حرية التنوع، فالعناوين المطروحة هي لاستدراار الأفكار وإثارة الحشيرة العلمية .
٣. لا تُنشر الأبحاث إلا بعد خضوعها للتحكيم، وإدارة المركز غير ملزمة بإعادة الأبحاث التي لم تقبل وذلك دون تعليل لسبب عدم نجاحها.

## شروط أساسية :

١. الجدة في البحث، والتوثيق في الهامش وفق قواعد البحث العلمي (يرفق دليل الباحث).
٢. ألا تزيد عدد صفحات البحث على ٣٠ صفحة.
٣. التعهد بالأ يكون البحث قد نُشر من قبل ولن ينشر إلا بعد تصريح من هيئة المجلة.
٤. إرسال البحث على عنوان المجلة الإلكتروني وعند عدم تسلّم إشعار بالاستلام فلا بد من إرساله مرّة أخرى.

٥. تزويد إدارة المجلة بالسيرة الذاتية مع صورة للكاتب.

٦. مقدمة تبين: الحقل الذي يعالجه البحث مع تحديد للمشكلة والأهداف المفترضة.

٧. المنهجية المتبعة في البحث مع ذكر لكل الوسائل المستعملة والمراحل المتبعة، وقائمة بالمراجع في آخر البحث.

٨. على الباحث مراعاة سلامة اللغة والتدقيق قبل الإرسال

### **خطوات التحكيم:**

يحول البحث المقبول شكلاً إلى أستاذين متخصصين في المادة التي حوتها الدراسة، وتؤخذ النتيجة من حاصل مجموع علامتي الأستاذين مقسومة على إثنين .

### **ملاحظات شكلية :**

١. يتم التوثيق في الهامش.

٢. يذكر إسم المؤلف أولاً ، الكتاب، الناشر، مكانه، الطبعة، السنة، الصفحة (عند ذكر المرجع للمرة الأولى).

٣. وعند تكرار استعمال المرجع يكتب: إسم المؤلف، الكتاب، م. س. ص.

### **وفي النهاية :**

إن مجلة الجنان جاءت للإسهام بجديد وتشق الطريق أمام الباحثين الجادين، أملة التوصل إلى بحث علمي نموذجي يستخدم الطاقات المحلية ويكون رافداً للثروة الوطنية، من منطلق المنافسة والسعي إلى الأفضل إن شاء الله تعالى.

# الافتتاحية

## الإنسانية وجدلية الحضارة

أ.د. منى حداد

رئيسة جامعة الجنان

في كل يوم تشرق فيه الشمس ويتعاقب فيه الليل والنهار، يشهد العالم إنجازاً جديداً على مستوى البشرية جمعاء صحياً وثقافياً ومعرفياً. فبمقدار ما يزداد التواصل بين الناس تتلاقح الثقافات كنتاج جديد لفكر تعاقبت عليه أجيال وحضارات .

ورغم هذا التطور المتسارع إلا أن القيمة الحقيقية تبقى للإنسان، فهو مناط التطور وحجر الزاوية ومحور الرقي في ميدان سباق مفتوح.

ولكن، نقولها بألم وحسرة لم تقترن صناعة الإنسان وصناعة مستقبله ورفاهيته بما يحفظ للإنسان كرامته، فقد أدى التطور التكنولوجي إلى تصدع كبير في البنية الأساسية، بما تمثل من إرادة وحرية وتحليل عقلي وقدرة على رسم الهدف، حيث أن البيئة المحيطة باتت أسيرة لمفاهيم غريبة عن العقل والجوهر، كالكذب والخداع والباطل والظلم .

إن مهمتنا اليوم صعبة وخطيرة حيث تكمن الصعوبة في إيجاد البيئة الحاضنة التي تحترم القيم في هذا الإنسان، وتحترم إنسانيته وتعزز مفاهيم البناء الصحيح التي تترسم خطى الإنسانية الجامعة بخيرها ونمائها وازدهارها واطمئنانها وحياتها، إذ ليست القيمة للثروة المادية أو النزعة إلى الظلم والقهر واستنزاف ثروات الشعوب وتاريخها ومقدساتها على ما نراه في كثير مما استجلبته حضارة اليوم.

من هنا فإننا، في جامعة الجنان، شأننا شأن الكثيرين من الذين يحاولون بث روح الإنسان

الفاضل رغم كل المحاذير والمعوقات، ورغم خطورة المهمة لجهة السير عكس تيار متسارع وجارف. فالإنسان ليس عدداً أو رقماً أو حتى مجرد حضور غير فاعل، وإنما هو قيمة بحد ذاته، قيمة بفكره، قيمة بثقافته، قيمة بحضارته وأخلاقه ومداد حبره وإعمال عقله (ولقد كرّمنا بني آدم) وهنا كان مناط التكريم.

إن البحث العلمي ونتاجه لهو أكبر حافز لنا على المضي قدماً في الطريق الشاق الذي اخترنا، لقناعتنا أنه الطريق الحق، وتقديرنا لذواتنا كبشر. فما الإنسان إلا مجموعة القلب والجسد والعاطفة والوجدان، إذا لم يحفظها ويرعاها فقد فرط في مسار لن يمنحه إياه سواه، وإنها لأمانة وأي أمانة.

إن جامعة الجنان من خلال حراكها في بيئتها ومجتمعها ومحيطها الإقليمي هي نقطة الوصل والالتقاء بين مشارب وأعراق مختلفة، وهي إذ تعزز هذا الوصل بالبحث العلمي، تجد نفسها معنية ببناء حضارة متجددة تحمل روح العصر، وروحه الشابة تحمل ملامح إنسانية فيها الخير والنماء، تحترم متطلبات القلب والعاطفة والوجدان.

حقيقة إن البشرية هي في أشد الحاجة إلى هذا، فأين هم شركاؤنا.

## مقدمة

أ.د. علي لاغا

نائب رئيس جامعة الجنان لشؤون البحث العلمي

وإن متأخراً، يصدر العدد الثالث من مجلة الجنان حاملاً في طياته صفحاته باقية من الموضوعات المختلفة، وقد تناولت عالمية الزكاة وأزمة الحكم والجمال في الإسلام، كما أنها حوت أبحاثاً في تنوع إدارة المعرفة من خلال تنوع المواقع الوظيفية، إضافة إلى دراسة ميدانية عن الجودة في قطاع التأمين في الجزائر، ومحددات الحوكمة ومعاييرها، ودراسة قيمة نحو تطوير السياسات الزكوية من الإستهلاك إلى الإنتاج.

كما أن هذا العدد حوى أبحاثاً في العلاج النفسي من منظور إسلامي، ودراسة عن الضغوط النفسية للاعب كرة السلة في فلسطين، والسعادة في مساعدة الغير وأخيراً صياغة المصطلح العلمي بين التورث والتحديث، إحياء اللغة أم اضطراب المفاهيم.

إن إدارة المجلة تعذر عن نشر أبحاث مطولة، لكنها تعدّ بأنها المرة الأخيرة، ولن يُنشر بعدها أي بحث تجاوز الثلاثين صفحة وفق شروط الطباعة المعلن عنها.

إن القائمين على التحكيم وقبول الأبحاث يعلمون أن المعرفة السائدة والمستعملة هي موجة تكسرت على الشاطئ وألقت حمولتها، ولم تعد كافية ليوم غد، إن ثروة جيل غير كافية لجيل آخر، بل على الأول زرع البذور وترك قطاف ثمارها لمن بعده.

حبذا لو تكرم من لديه القدرة على تزويد البحث العلمي بدراسة مستقبلية، تتوقع، تخطط، تقترض الحلول، فالخطأ هنا محمود على حد قول أديسون من أنه فشل عشرة آلاف مرة في إضاءة المصباح لكنه كان يتعلم عند فشل كل تجربة أنها ليست الطريق السليم للوصول إلى الهدف المنشود.

إن الأخطاء التي يقع فيها الباحث أثناء عمله الممنهج هي المعالم على طريق اكتشاف جديد.

لقد تأخر الباحثون في عالمنا عن ركوب المخاطر، فاللألى تحتاج إلى غواصين لا يفكرون بما سيتعرضون له من مخاطر، وكذا المتوغلون في سبر أغوار الفكر واستخدام المادة لاستخراج ما فيها مما تحتاجه البشرية المتزايدة، أعدادها المضطردة حاجاتها باستمرار. وعلى أمل استقبال أبحاث افتراضية نستودعكم الله تعالى وإلى العدد الرابع إن شاء الله.

الدكتور محمود إسماعيل  
أستاذ الفقه المقارن في جامعة الجنان

## التأصيل الشرعي لعالمية الزكاة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، والصلاة والسلام على من أرسله ربه رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد :

فإنه لما كان الدين الإسلامي هو الدين العالمي لأنه خاتم الرسالات، ولما كان رسول الله ﷺ هو المبعوث رحمة وهداية للناس كافة، فلا بد أن تكون أركان دينه وتعاليمه مشتملة على خصائص العالمية، وإذا كانت الزكاة في الإسلام تمثل الركن الثالث من أركانه الخمسة، فلا بد أن يكون هذا الركن (الزكاة) مشتملاً على هذا المعنى وهذه المزية، لأن ركن الشيء يحمل مزاياه وخصائصه.

وعندما نريد الكلام عن عالمية الزكاة فإنه لا بد من التأصيل الشرعي لعالمية هذا الركن العظيم، وفيما يلي عرضٌ لعناصر ومفردات البحث في ذلك:

### أولاً: عالمية الدين الإسلامي:

أ- اعتراف الأمم السابقة وأنبياءهم بذلك.

ب- عموم النصوص الدالة على عالمية رسالة الإسلام.

ج- تعميم الكتب التي أرسلها ﷺ إلى ملوك وحكام زمانه.

## ثانياً: التشريع والنصوص الخاصة بالزكاة:

أ- النصوص الأمرة بالزكاة ودلالاتها.

ب- مصارف الزكاة ودلالاتها.

١- مصرف الفقراء والمساكين.

٢- مصرف العاملين عليها.

٣- مصرف المؤلفة قلوبهم.

٤- مصرف الغارمين.

٥- مصرف ابن السبيل.

٦- نقل الزكاة .

## ثالثاً: التطبيق العملي لفريضة الزكاة:

أ- التطبيق في حياته ﷺ.

ب- التطبيق في حياة الخلفاء الراشدين.

## الفصل الأول : عالمية الدين الإسلامي

أ- اعتراف الأمم السابقة وأنبيأؤهم بعموم رسالة الإسلام والنبى ﷺ  
في السفر الأول من التوراة : إن ولد إسماعيل تكون يده على كل الأمم ، وكل الأمم تحت يده ، وبجميع مساكن إخوته يسكن<sup>(١)</sup> .

وهذا تصريح بأن ولد إسماعيل يده على كل الأمم وكل الأمم تحت يده ، ومعلوم أنه لا يوجد نبي من ولد إسماعيل إلا النبي ﷺ . وإذا كانت كل الأمم تحت يده ويده على كل الأمم ، فهذا معنى العالمية في رسالته ﷺ وأنها عامة وشاملة لكل الأمم والشعوب .

وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>

قال ابن إسحاق وقد كان فيما بلغني مما كان وضع عيسى بن مريم فيما جاءه من الله في الإنجيل لأهل الإنجيل من صفة رسول الله ﷺ مما أثبت يُحَنَّى الحواري لهم ، حين نسخ لهم الإنجيل عن عهد عيسى بن مريم عليه السلام في رسول الله ﷺ أنه قال : من أبغضني فقد أبغض الرب ... إنهم أبغضوني مجاناً ، فلو قد جاء المُنْحَمَّنَا هذا الذي يرسله الله إليكم من عند الرب وروح القدس ، هذا الذي من عند الرب خرج فهو شهيد عليّ وأنتم أيضاً<sup>(٣)</sup> .

والمُنْحَمَّنَا بالسريانية تعني محمد ﷺ وهو نص أنه مرسل من عند الرب إليهم وهم النصراني الذين أرسل فيهم عيسى عليه السلام ، وصدق الله إذ يقول ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ۗ إِنَّمَا يَنْذَرُكُمْ وَلَوْ أَلَّابِئِ ۗ ﴾<sup>(٤)</sup> الَّذِينَ يُؤْفُونَ بَعْدَ اللَّهِ وَلَا يُقْضُونَ الْمِيعَتِ ﴿٣٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ ۗ ﴿٤﴾ .

ويجبني هنا ما قاله (جلدزهر) و (ارنولد) و (ولدكه) : إن محمداً عليه السلام أراد بدينه منذ أوائل الدعوة أن يكون ديناً عالمياً ولم يرب به مجرد عقيدة محلية ، ونقول إنه لو كان ثبت أنه

١- التوراة: سفر التكوين: ١٦: ١٢

٢- (الأعراف الآية ١٥٧)

٣- السيرة النبوية لابن هشام.

٤- (الصف الآية ٦)

كتب إلى هرقل وملك الفرس وغيرهما من الملوك يدعوهم إلى الإسلام لانتمى الشك بالواقع<sup>(١)</sup>.

ومما تقدم يتبين أن الأنبياء السابقين من أصحاب الرسالات قد دعوا أقوامهم إلى اتباع ما سيأتي به النبي الأمي صلى الله عليه وسلم من شريعة وتعاليم، وهذا اعتراف منهم بعموم رسالة النبي ﷺ، وهذا ما أخذ الله تعالى به العهد على الأنبياء وأتباعهم في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾<sup>(٢)</sup>

وأخذ العهد على الأنبياء أخذ للعهد بذلك على أممهم .

ب- النصوص الدالة على عالمية هذا الدين وعموم رسالته إلى كل البشر

أولاً: من الكتاب:

أ- قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾<sup>(٣)</sup>.

ب- قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرَكُمْ بِهِءَ وَمَنْ بَلَغَ...﴾<sup>(٤)</sup>.

ج- قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَّخِذُهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾<sup>(٥)</sup>.

د- قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِءَ وَيَلْعَلُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾<sup>(٦)</sup>.

هـ- قوله تعالى: ﴿ وَقرءَ أَنَا فرقتَه لِقرءَهٗ عَلٰى النَّاسِ عَلٰى مَكِّثٍ وَنَزَلنَهٗ نَزِيلاً﴾<sup>(٧)</sup>.

و- قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعٰلَمِينَ﴾<sup>(٨)</sup>.

ز- قوله تعالى: ﴿ تَبٰرَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلٰى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾<sup>(٩)</sup>.

١- الإسلام دعوة عالمية: عباس محمود العقاد ص ١٢٩.

٢- (آل عمران الآية ٨١)

٣- (النساء الآية ٧٩)

٤- (الأنعام الآية ١٩)

٥- (الأعراف الآية ١٥٨)

٦- (إبراهيم الآية ٥٢)

٧- (الإسراء الآية ١٠٦)

٨- (الأنبياء الآية ١٠٧)

٩- (الفرقان الآية ١)

ح- قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١٠).

ط- قوله تعالى: ﴿...إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (١١).

ي- قوله تعالى: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١٢).

من خلال ما تقدم من العموم الذي نطقت به هذه الآيات الكريمة يتبين بما لا يدع مجالاً للشك أن القرآن الكريم نزل لهداية العالمين جميعاً وأن الرسول ﷺ أرسل رحمة وهداية وبشيراً ونذيراً للناس كافة، وأن رسالته رسالة عالمية لجميع الناس الكافر منهم والمؤمن على حد سواء.

### ثانياً: من السنة:

أ- جاء في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي أو نصراني ولا يؤمن بي إلا دخل النار» (١٣).

ب- روى البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قال: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الأسود والأحمر قبل العرب» وفي رواية «وبعثت إلى الناس كافة» (١٤).

### ثالثاً: من الأثر:

أ- قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن الله تعالى فضل محمداً ﷺ على أهل السماء وعلى الأنبياء، قالوا: يا ابن عباس فيما فضله على الأنبياء؟ قال: إن الله تعالى قال: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبيِّن لهم﴾ وقال للنبي ﷺ: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس﴾ فأرسله إلى الجن والإنس (١٥).

ب- ما قاله ربعي بن عامر رضي الله عنه في مجلس يزيد جرد: إن الله ابتعثنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيف الدنيا إلى سعتها، ومن جور الحكام

١٠- (سبأ الآية ٢٨)

١١- (يس الآيتان ٦٩-٧٠)

١٢- (التكوير الآية ٢٧)

١٣- صحيح مسلم: الحديث برقم ٢٤٠.

١٤- صحيح البخاري مع الفتح ٦/٦٦٢ - صحيح مسلم باب المساجد الحديث برقم ٢٨٨٩.

١٥- تفسير ابن كثير ٥/٥٥٣.

إلى عدل الإسلام. فكان الخطاب لرجل من فارس والعباد هم أهل فارس وغيرهم.  
ج- وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ أرسل الله تعالى  
محمد ﷺ إلى العرب والعجم فأكرمهم على الله أطوعهم لله عز وجل<sup>(١)</sup>.

نخلص مما تقدم من هذه النصوص أن الإسلام بما فيه من رحمة وتعاليم وفكر وسمولم  
يأت ليكون مقتصرأ على جنس معين أو شعب أو عرق وإنما أراد العليم الحكيم أن يكون للناس كافة  
ولم يخص العرب وحدهم به بل جاء لشعوب العالم كله دون تمييز بين أبيض وأسود بل للأسود  
والأحمر قبل العرب.

ومن هنا تتبدى لنا عالمية الإسلام بمعناه الشامل وهذا ما تدلنا عليه وتثبتته جغرافية العالم  
الإسلامي وشعوبه المختلفة، فإننا نجد عبر التاريخ الإسلامي الطويل أن الإسلام قد انضوت تحت  
لوائه وتحت ظلاله كثير من الشعوب والأجناس والأعراق، وكانت نموذجاً أمثل في كل النواحي  
التي وجدوا فيها، فحملوا الإسلام بصدق منقطع النظير، وقدموا للإسلام أنفسهم وأموالهم  
وعقولهم وأنجوا فيه إنتاجاً حضارياً على مستوى مساحة العالم الإسلامي، فهذه جغرافية العالم  
الإسلامي تبدأ بأقصى أفريقيا ومجآهلها لتمر بآسيا وتصل إلى أقصى شرقها وأقصى شمالها  
عند الأندونيسيين وعند الأفغان والباكستانيين والروس والخزر والشيشان والأترك الذين ساسوا  
أمة الإسلام حيناً من الدهر وساعدهم الألبان ليصل الإسلام إلى أوروبا من جهة الشمال والشرق  
ويلاقيه الزحف الإسلامي من جهة الجنوب الشرقي من هذه القارة، هذا هو الإسلام الذي حملته  
هذه الشعوب بكل إخلاص وتقان وقدمت له وفي سبيله كل ما بوسعها .

إن عالمية الإسلام تجاوزت بما لا يقاس به غيره كل وجميع المبادئ والأديان الأخرى التي  
يحملها شعب واحد أو جنس واحد وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعث إلى الناس كافة.  
وهنا يدرك كل ناظر في عالمية الإسلام هذه إلى أي مدى تمكن الإسلام من نفوس أبنائه  
ومعتقيه ومن إلغاء الفوارق بين جميع هؤلاء الإخوة في الدين الواحد .

ج- تعميم الكتب التي أرسلها رسول الله ﷺ إلى ملوك وحكام زمانه  
بعد صلح الحديبية الذي أجراه الرسول ﷺ مع قريش وحصول أمن الطريق بهذا الصلح بدأ  
رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكاتبة ملوك وحكام الأرض يدعوهم إلى الإسلام وإلى الإيمان  
بالله تعالى وبأنه ﷺ رسول الله أرسله إلى الناس كافة، واتخذ ﷺ خاتماً من فضة يختم به كتاباته  
وكان نقشه (محمد رسول الله).

١- صحيح البخاري ٥/٥٥٣.

فوجه ﷺ دحية الكلبي بكتاب إلى قيصر ملك الروم، وأمر أن يدفعه إلى عظيم بصرى ليوصله إلى الملك.

وكان الكتاب... «بسم الله الرحمن الرحيم؛ من محمد بن عبد الله إلى هرقل عظيم الروم: سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرًا مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم الأريثيين...»<sup>(١)</sup>

كما وجه ﷺ الحارث بن عمير الأزدي بكتاب إلى أمير بصرى. ووجه عليه الصلاة والسلام شجاع بن وهب بكتاب إلى أمير دمشق الحارث بن أبي شمر.

وأرسل حاطب بن أبي بلتعة بكتاب إلى المقوقس أمير مصر وكان فيه «بسم الله الرحمن الرحيم؛ من محمد رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط: سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرًا مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم القبط، ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء...»

كما وجه ﷺ كتاباً مع عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك الحبشة يقول فيه: (بسم الله الرحمن الرحيم؛ من محمد رسول الله إلى النجاشي عظيم الحبشة: سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو..... وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتبني وتوقن بالذي جاءني، فإني رسول الله وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل، وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى)<sup>(٢)</sup>.

وأما كسرى ملك الفرس فإنه ﷺ وجه إليه عبد الله بن حذافة السهمي بكتاب يقول فيه: (بسم الله الرحمن الرحيم؛ من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس: سلام على من اتبع الهدى وأمن بالله ورسوله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، أدعوك بدعاية الله، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة، لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، أسلم تسلم فإن توليت فإنما عليك إثم المجوس)<sup>(٣)</sup>

ووجه ﷺ العلاء بن الخضرمي بكتاب إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين يدعوه فيه إلى الإسلام.

كما وجه عمرو بن العاص رضي الله عنه بكتاب إلى جيفر وعبد ابني الجلنري ملكي عمان يدعوهما فيه إلى الإسلام.

١- نور اليقين في سيرة سيد المرسلين لمحمد الخضري ص ١٩٢ وما بعدها سيرة سيد الأنعام ١١٧/٤.

٢- نور اليقين في سيرة سيد المرسلين لمحمد الخضري ص ١٩٢ وما بعدها سيرة سيد الأنعام ١١٧/٤.

ووجه عليه الصلاة والسلام سلبط بن عمرو العامري بكتاب إلى هوزة بن علي ملك التمامة يدعوه فيه إلى الإسلام.

وكتب ﷺ كتاباً ليوحنا صاحب أيلة آمنه فيه هو وأهل أيلة. كما كتب لأهل أذرح وجرباء كتاب عهد وأمان وأنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد النبي صلى الله عليه وسلم .

هذه بعض كتبه ﷺ إلى ملوك وحكام العالم في زمانه ﷺ وقد جاءت شاملة ملوك الفرس والروم واليهود والنصارى من الحبشة إلى مصر إلى بلاد الشام مروراً بفارس وحكام جزيرة العرب ممن لم يكن آمن بعد، كل ذلك يدعوهم إلى الإيمان بالله وبرسوله وأن يدينوا بالإسلام وأن لهم الأجر مرتين إن هم استجابوا لله ولرسوله ﷺ.

وقد أوصل كتاب السيرة عدد الكتب التي أرسلها ﷺ إلى الحكام والملوك إلى خمسين كتاباً لم يترك أحداً من الحكام المعروفين في زمانه ﷺ إلا ووجه إليه كتاباً من هذه الكتب.

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أنه عليه الصلاة والسلام أراد أن يبلغ هذا الدين إلى كل قبائل وشعوب الأرض لأنه ﷺ بعث إلى الناس كافة وليس إلى العرب وحدهم، كيف لا وهو صلى الله عليه وسلم القائل : (وبعثت إلى الناس كافة) ، وإذا كان ﷺ قد خاطب كل هذه الأمم والشعوب ودعاهم إلى الإسلام فليس أدل من ذلك على عالمية ما بعث به ﷺ وشمول رسالته وتعاليمه .

## الفصل الثاني تشريع الزكاة والنصوص الخاصة بها

### أ- النصوص الآمرة بالزكاة ودلالاتها

إن النصوص الشريفة التي جاء الأمر بها من الله سبحانه وتعالى بفريضة الزكاة إلى عباده جاءت بألفاظ عامة لتدل على أن المخاطب بهذه النصوص إنما هو عموم الناس وليست مقتصرة على إنسان دون آخر.

فبعد تتبع واستقراء الآيات الآمرة بإيتاء الزكاة وجدت ثلاثين آية جاء فيها الأمر والخطاب بألفاظ تفيد العموم إن من جهة المأمورين بدفعها وإن من حيث المدفوعة إليهم وإن من حيث أنواع المال المملوك، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفُصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>

وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>. وكذلك قوله سبحانه: ﴿حُذِّمْنَ أَمْوَالُهُمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا...﴾<sup>(٣)</sup>. وإذا ما انتقلنا إلى السنة المشرفة فإننا نجد مجموعة كبيرة من النصوص التي جاءت لألفاظ فيها عامة شاملة لكل أفراد الناس الذين ملكوا النصاب الذي يوجب عليهم دفع الزكاة، وشاملة لكل أنواع الأموال المملوكة وشاملة لكل من يستحق أن تدفع إليه هذه الفريضة على حد سواء من غير تمييز بين فرد وآخر ممن تحققت فيهم أهلية الزكاة. وإليك طائفة من هذه النصوص:

١- روى البخاري ومالك وأحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثل له ماله يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان يأخذن بلهزمتيه يوم القيامة ثم يقول: أنا مالك أنا كنزك» ثم تلا: ﴿وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾<sup>(٤)</sup>

٢- روى الشيخان أن النبي ﷺ قال: «وفي الركاز الخمس»<sup>(٥)</sup>.

٣- روى الجماعة إلا مسلماً أنه ﷺ قال: «فيما سقت السماء والعيون أو كان عثرياً العشر،

١- (التوبة الآية ١١)

٢- (النور الآية ٥٦)

٣- (التوبة الآية ١٠٣)

٤- صحيح البخاري كتاب الزكاة ٣ برقم ١٤٠٣

٥- البخاري كتاب الزكاة ٦٦ برقم ١٤٩٩

وفيما سقي بالنضح نصف العشر»<sup>(١)</sup>.

٤- عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لما بعث معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن قال: «إنك تأتي قوماً أهل كتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد إلى فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك فأياك وكرائم أموالهم...»<sup>(٢)</sup>

٥- عن حارثة بن وهب الخزاعي قال سمعت النبي ﷺ يقول «تصدقوا فإنه يأتي عليكم زمان يمشي الرجل بصدقته فلا يجد أحداً يقبلها، يقول الرجل لو جئت بها بالأمس لقبلتها، فأما اليوم فلا حاجة لي بها»<sup>(٣)</sup>

٦- وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم بقدر الذي يسع فقراءهم، ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا وعروا إلا بما صنع أغنيائهم ألا وإن الله يحاسبهم حساباً شديداً ويعذبهم عذاباً أليماً»<sup>(٤)</sup>

- وبعد عرض هذه النصوص الكريمة نجد أن الإسلام أمر الأغنياء بدفع الزكاة بغض النظر عن عرقهم أو نسبهم أو بلدهم وأوجبها لمستحقيها من غير تفرقة بين مستحق وآخر إلى أي دولة أو قطر أو لون أو جنس انتمى هذا المستحق ما دام قد توفرت فيه الصفة التي لأجلها صار مستحقاً لدفع الزكاة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على عالمية هذا الدين العظيم وعموم رسالته وسمو تشريعاته وأنه دين رب العالمين لسائر البشر .

## ب- مصارف الزكاة :

لما كان من أهداف الإسلام ومقاصده إغناء الفقير الذي وجه إليه ﷺ بقوله: «أغنوهم في هذا اليوم»<sup>(٥)</sup>، ووجه إليه الحديث القدسي الذي جاء فيه «الفقراء عيالي والأغنياء وكلائي فإذا بخل وكلائي على عيالي أخذتهم ولا أبالي»<sup>(٦)</sup>.

هذا الإغناء للفقراء أينما وجدوا وإلى أي دولة أو عرق انتموا إنما يعتبر العامل الأكبر في

١- رواه الجماعة إلا مسلماً - البخاري كتاب الزكاة ٥٥ برقم ١٤٨٢

٢- رواه الجماعة - البخاري كتاب الزكاة ٤١ برقم ١٤٥٨

٣- صحيح البخاري مع فتح الباري ٢٨١/٣.

٤- أخرجه الطبراني في الصغير والأوسط وقال: تفرد به ثابت بن محمد الزاهد، وهو من رجال الصحيح، وبقية رجاله وثقوا وفيهم كلام مجمع الزوائد ٧٢/٣.

٥- رواه أحمد في مسنده ٢٦٨/٤

٦- رواه البخاري كتاب المظالم ٥ برقم ٢٤٤٤

تحقيقه هو فريضة الزكاة بحكمة مشروعيته وسمو أهدافها، فإذا طبقت على الوجه المشروع والمرسوم لها فهي التي تحقق هذا المقصد، فترفع حاجة الفقير وتؤلف بين قلوب الفقراء والأغنياء في المجتمع وفي العالم وتجعلهم أمة متحابية متماسكة.

روى أبو عبيد أن معاذ بن جبل لم يزل بالجند (موضع باليمن) إذ بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن حتى مات النبي ﷺ وأبو بكر، ثم قدم على عمر، فردده على ما كان عليه فبعث إليه معاذ: قبلت صدقة الناس، فأنكر ذلك عمر وقال: لم أبعثك جايياً ولا آخذ جزية، ولكن بعثتك لتأخذ من أغنياء الناس فترد على فقرائهم، فقال معاذ: ما بعثت إليك شيئاً وأنا أجد من يأخذه مني، فلما كان العام الثاني بعث إليه معاذ شطر الصدقة فتراجعا بمثل ذلك، فلما كان العام الثالث بعث إليه بها كلها، فراجع عمر بمثل ما راجعه به قبل ذلك، فقال معاذ: ما وجدت أحداً يأخذ مني شيئاً<sup>(١)</sup>.

إن النبي ﷺ أمر معاذاً أن يأخذ الزكاة من أغنياء الناس ويردها على فقرائهم، وطبق معاذ ذلك واستمر الأمر على ذلك في زمن أبي بكر رضي الله عنه حتى وصل الأمر إلى خلافة عمر، وبقي هذا الأمر يطبق وفق ما رسمه له صلى الله عليه وسلم حتى وصل الفقراء إلى مرحلة استغنوا فيها ولم يعودوا بحاجة إلى المال ووصل الأمر بمعاذ أن لا يجد من يقبل هذه الصدقة منه.

إن المقدار المفروض في أموال الأغنياء هو المقدار الذي يسع الفقراء في كل عصر وينتشلهم من براثن الفقر والعوز، وهذا هو الأصل الذي شرعت الزكاة لتحقيقه على مستوى العالم الإسلامي الكبير فكانت تشريعاً رائداً ونظاماً فذاً يشعر فيه المسلم في أي بلد وفي أي قطر من العالم أنه ليس جزءاً مستقلاً عن أمة الإسلام، لكنه وأينما وجد على ظهر المعمورة يعتبر جزءاً مرتبطاً بالأمة وبسائر المسلمين ارتباطاً بالكل وارتباطاً بالعضو بالجسد والفرد بأسرته، طبقاً لما رسمه وأمر بتنظيمه رسول الإنسانية ﷺ عندما قال: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»<sup>(٢)</sup>.

إن للزكاة أهدافها الإنسانية والاجتماعية والإقتصادية التي تتوخى تحقيقها في المجتمع لتقضي على مشكلة الفقر والعوز والتسول والفوارق بين الناس وتواجه الكوارث والتشرد وتدرأ الخصومات بين الناس وتحقق الأمن لهم على دمائهم وأموالهم، ولذلك جاءت خمسة من مصارف الزكاة تتمثل في ذوي الحاجات الأصلية والطارئة من الفقراء والمساكين وفي الرقاب والغارمين وابن السبيل، ومصرف سادس لخدمة هذه المصارف وهو الجهاز الإداري المخصص لجمع الزكاة وتوزيعها، أما المصرفان الباقيان فعلاقتهما بسياسة الدولة ورسالتها في العالم

١- كتاب الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام ص ٥٦٩.

٢- رواه الجماعة البخاري كتاب الزكاة ٤١ برقم ١٤٥٨

ومهمتها في داخل المجتمع وخارجه، واسمع إلى التوجيه الرباني في كتابه الكريم:

فإذا أمعنا النظر في هذا الركن المبني على هذا الحكم من أركان الإسلام وجدنا أن الدين الإسلامي وتعاليمه وتشريعاته ديناً على المستوى العالمي من حيث رعاية مصالح الناس ووضع الحلول للمشاكل الاجتماعية قبل وجودها بين الناس ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾<sup>(١)</sup>.

## ١ - مصرف الفقراء والمساكين

إن المصرف الأول بين مصارف الزكاة التي بينها الله سبحانه في كتابه في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا...﴾: هو مصرف الفقراء والمساكين، والفقراء والمساكين سواء قلنا إن الفقراء من لهم أدنى شئٍ والمساكين من لا شئٍ لهم من الأموال، كما هو مذهب الحنفية والمالكية رحمهم الله أو قلنا بعكس ذلك أي إن الفقراء من لا شئٍ لهم والمساكين من لهم أدنى شئٍ كما هو مذهب السادة الشافعية والحنابلة: إلا أن هذين النوعين من الناس هم من أهل الحاجة التي كثرت العناية بهما في الشريعة الإسلامية وبنيت كثير من الأحكام على ما فيه مصلحتهم ورجحت على غيرها، ولقد وجد أن أحد الأركان الخمسة من أركان الإسلام وهو الزكاة كان من حكمة تشريعه رعاية جانب الفقراء والمساكين للأخذ بأيديهم إلى شاطئ الغنى والبعد بهم عن مستنقع الفقر، ومن هنا ندرك حكمة حصر مصارف الزكاة في هذه الأصناف الثمانية وأولها الفقراء والمساكين، كما ندرك اهتمامه بهم في توجيهه لعامله معاذ بن جبل رضي الله عنه عندما بعثه إلى اليمن وأوصاه بهم قائلاً: «إنك تأتي قوماً أهل كتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله.... فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم...».

أخرج الطبري أن عثمان بن عفان رضي الله عنه كتب إلى عماله كتاباً جاء فيه: «... ألا وإن أعدل السيرة أن تنظروا في أمور المسلمين وفيما عليهم فتعطوهم ما لهم وتأخذوا ما عليهم ثم تتنوا بأهل الذمة فتعطوهم الذي لهم وتأخذوا بالذي عليهم»<sup>(٢)</sup>.

وإذا كان الإسلام قد اهتم بالفقراء والمساكين وجعلهم أول مصرف من مصارف الزكاة، فمن هم هؤلاء المساكين وأين يسكنون، هل هم مساكين المدينة المنورة أم هم الذين يسكنون مكة والحجاز؟ أم أن المقصود بهم كل فقير وكل مسكين من المسلمين بل ومن أهل

١- (الفرقان الآية ٢٣)

٢- تاريخ الطبري ٧/٢٧٦-٢٨٠/٣

الذمة أحياناً أينما وجد على ظهر المعمورة وفي أي زمان عاش ما دام مستحقاً للزكاة متصفاً بصفات مصارفها.

إن الآية الكريمة ذكرت الفقراء والمساكين بلفظ العموم ولم تحدد أو تميز أو تقصد فقيراً دون آخر ولم تشر إلى مسكين دون مسكين وإنما جاء النص عاماً ليشمل كل فقير وكل مسكين في العالم مهما بعدت بلاده ومهما نأى مسكنه ما دام الأمر فيه متسع وما دام هو الأولى من غيره بفقره ومسكنته، لأن الأصل في اللفظ العام أن يبقى على عمومته فيشمل جميع مندرجاته ما لم يرد ما يخصه ولم يرد المخصص هنا.

وهذا ما فهمه كل من عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما وأمرًا بتطبيقه. ذكر الطبري في تاريخه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه وقف عام الرمادة ليقول للناس: «والله الذي لا إله إلا هو ما أحد إلا وله في هذا المال أعطيه أو أمنعه، وما أحد أحق به من أحد، وما أنا فيه إلا كأحدكم ولكننا على منازلنا من كتاب الله عز وجل، وقسمنا من رسول الله ﷺ، فالرجل وبلاؤه في الإسلام والرجل وقدمه في الإسلام والرجل وغناؤه في الإسلام، والرجل وحاجته، والله لأن يقين لياتين الراعي بجبل صنعاء حظه من هذا المال وهو يرضى مكانه»<sup>(١)</sup>.

وأما فقراء أهل الكتاب ومساكينهم فإن العلماء مختلفون في إعطائهم هل يكون من الصدقة (غير الزكاة) ومن الزكاة أيضاً أم هل يقتصر عطاؤهم على الصدقة دون الزكاة؟

إن مذهب عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما ومذهب الزهري وعمر بن عبد العزيز وابن سيرين وعكرمة وجابر بن زيد جواز إعطائهم من الزكاة عند فقرهم وحاجتهم، وهو ما رجحه الشيخ القرضاوي حفظه الله، فيما إذا كان في أموالها سعة ولم يكن إعطاؤهم إضرار بفقراء المسلمين مستدلاً بعموم الآية، وفعل عمر وعثمان رضي الله عنهما وأقوال من ذكر من الفقهاء، ومرجعاً بمقصد التسامح الذي جاء به الإسلام والذي لم يرق إليه دين من قبل.

وهنا يشار إلى أن الزكاة لم تكن مجرد معونة وقتية لسد حاجة عاجلة للفقير وتخفيف شيء من بؤسه ثم تركه بعد ذلك يواجه الفقر والفاقة، بل هدفها القضاء على الفقر وإغناء الفقير إغناءً كاملاً، لأنها فريضة دورية منظمة، محدودة المقدار منظمة المصارف دائمة التحصيل عند وجود نصابها.

وإذا كانت الزكاة لا يختص بها فقير أو مسكين دون غيره من مساكين العالم وفقرائه المستحقين، فلا شك أن هذه الفريضة عالمية كأصلها التي هي ركن منه وهو الإسلام.

١- تاريخ الطبري ٧/٢٧٦-٢٨٠/٢

## ٢ - مصرف العاملين عليها

إن ذكر (العاملين عليها) من بين مصارف الزكاة الثمانية في الآية الكريمة يؤكد حتمية الإستمرار في الأداء الجماعي لفريضة الزكاة وأنه يجب أن تكون هناك فرقة مكلفة بجمع الزكاة وإعادة توزيعها على مستحقيها لأن طريقة إخراجها فردياً قصرت بالزكاة عن غاياتها وغيرت في أسلوبها الذي فرضه الله تعالى، ولأن ذلك من شأنه أن يسقط مصرفاً من مصارف الزكاة التي جاء النص عليها وهو (العاملين عليها) وهو إسقاط غير جائز، وهذا يحتم على المسلمين أن يتكيفوا مع الواقع الذي يعيشون فيه فيحافظوا على هذا المصرف من خلال إنشاء مؤسسة عالمية تعنى بأمر الزكاة على مستوى بلاد المسلمين وأقلياتهم في العالم، فتتشر أحكام الزكاة وتعرف الناس بهذا الركن من أركان الإسلام، وتطلعهم على حكمه وفوائده وتقيم الندوات والمؤتمرات، وتصدر الكتب والدراسات عن الزكاة وأحكامها، لتحدث نقلة جديدة لفقهاء الزكاة بطرق وأساليب معاصرة، بما يتناسب مع تطورات العصر وروح الإسلام ورغبته في إعفاف الناس عن السؤال تسويق العمل والإرتقاء به إلى أعلى الدرجات المتناسبة مع الزمن الحاضر، ولعل في انبثاق هكذا مؤسسة على مستوى العالم أن تكون نواة توحيد لأمة الإسلام وأهله من هذا الجانب.

ولعل سائلاً يقول كيف يكون مصرف العاملين عليها دليلاً على صفة العالمية في تشريع الزكاة ؟

وهنا يكون الجواب : بأن العاملين عليها لا بد أن يكون لهم من خلال عملهم مجموعة من الوظائف والأعمال المتشعبة المتصلة بتنظيم أمر الزكاة : من إحصاء من تجب الزكاة عليهم، وإحصاء المال الذي تجب فيه الزكاة، ونوع هذا المال، ومقدار ما تجب فيه، ومعرفة من يستحق هذه الزكاة، ومبلغ حاجاتهم وقدر كفايتهم، إلى غير ذلك من الشؤون التي تحتاج إلى جهاز كامل من أهل الخبرة والإختصاص في سائر هذه المجالات.

وإذا أردنا التعامل مع هذا الإحصاء ومع الجهاز الإداري الذي يقوم عليه ندرك أن هذا الإحصاء لا بد أن يجري على جميع المستحقين وأموالهم وأحوالهم على مستوى العالم الذي ينتشر فيه هؤلاء المستحقون، ثم لا بد أن يكون هذا الجهاز الإداري ممن يحسن التعامل مع هؤلاء المستحقين فيكلمهم بلغاتهم ويجيد التعامل معهم، وهذا الأمر إن دلّ على شيء فإنما يدل على أن التشريع المتعلق بأمر الزكاة تشريع عالمي ضرورة إذا ما أردنا أن نتعامل مع تطبيق هذا الركن الإسلامي تطبيقاً صحيحاً وعلمياً يؤدي دوره والأهداف التي شرع من أجلها.

يضاف إلى هذه الدلالة العالمية ورود لفظ (العاملين عليها) في الآية الكريمة بلفظ العموم الذي لم يستثن منه أي إنسان تحققت فيه صفة التكليف للقيام بهذا العمل.

### ٣- مصرف المؤلفة قلوبهم

المؤلفة قلوبهم : أي المستمالة قلوبهم بالإحسان والمودة، يعطون من الزكاة كسباً لودهم وشراءً لإخلاصهم لحاجة الإسلام إليهم<sup>(١)</sup> وهم سادة مطاعون في قومهم وعشائريهم<sup>(٢)</sup>.

وهم قسمان كفار ومسلمون :

أما الكفار فهم صنفان : صنف يرجى خيره، وصنف يخاف شره. وأما المسلمون فهم أربعة أصناف :

- (١) صنف ضعيف النية في الإسلام يعطون ليقوى إسلامهم .
  - (٢) وصنف شرفاء في أقوامهم يتوقع بإعطائهم إسلام نظرائهم .
  - (٣) وصنف يقيم في ثغر من الثغور المجاورة للكفار فيعطى ليكفينا شر من يليه من الكفار .
  - (٤) والصنف الرابع من يجبي الصدقات من قوم يتعذر إرسال جاب إليهم وإن لم يمنعوها<sup>(٣)</sup>
- وقد اختلف العلماء رحمهم الله في إعطاء المؤلفة قلوبهم من الزكاة بناءً على بقاء سهمهم بعد وفاة النبي ﷺ هل هو باق أم منسوخ :

فذهب الحنيفة والشافعية ومالك إلى أن سهم المؤلفة قلوبهم قد سقط لانتشار الإسلام وغلبته ولأن الله تعالى قد أغنى الإسلام عنهم بعزه وانتشاره، وذلك بموافقة الصحابة على ما قاله عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : «إنا لا نعطي على الإسلام شيئاً فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر»<sup>(٤)</sup>.

وذهب الحنابلة وعموم المالكية إلى أن سهم المؤلفة قلوبهم باق لما لم ينسخ فيعطون عند الحاجة إليهم وهو رأي الحسن والزهري وأبو جعفر والزيدية، وحملوا عدم إعطاء عمر وعثمان رضي الله عنهما للمؤلفة قلوبهم على عدم حاجة الإسلام إليهم، وليس لسقوط سهمهم<sup>(٥)</sup>.

واستدلوا: بأن النبي ﷺ أعطى قوماً من الكفار يتألف قلوبهم ليسلموا، ففي صحيح مسلم أنه ﷺ أعطى أبا سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعيينة بن حصن والأقرع بن حابس وعباس بن مرداس، كل إنسان منهم مئة من الإبل، وأعطى علقمة بن علاثة من غنائم حنين<sup>(٦)</sup>.

وروى مسلم والترمذي أن صفوان بن أمية قال : والله لقد أعطاني النبي محمد ﷺ وإنه

١- فقه الزكاة للقرضاوي ١٨٦/٢

٢- القاموس الفقهي سعدي أبو جيب ص ٢١ معجم لغة الفقهاء محمد رواس قلعه جي ٣٦٧

٣- المغني ٦٥٥/٢

٤- القاموس الفقهي سعدي أبو جيب ص ٢١ - نيل الأوطار ١٦٦/٤

٥- نيل الأوطار ١٦٦/٤

٦- المغني ٦٥٥/٢ - ٦٦٦ - شرح الأزهاري ٥١٢/١

لأبغض الناس إليّ، فما زال يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليّ<sup>(١)</sup>.

وأعطى رسول الله ﷺ الزبرقان بن بدر وعدي بن حاتم لشرفهما في قومهما.

وقد مال القرطبي والقرضاوي إلى أن سهم المؤلفة قلوبهم باق ولم ينسخ لأن الله تعالى سمي المؤلفة قلوبهم بين الأصناف الذين سمي لهم الصدقة، ولقول النبي ﷺ: إن الله تعالى حكم فيها فجزأها ثمانية أجزاء وكان يعطي المؤلفة قلوبهم كثيراً في أخباره المشهورة ولم يزل كذلك حتى مات، ولا يجوز ترك كتاب الله وسنة رسوله إلا بنسخ.

ثم إن ما سقط حكمه لسبب خاص إذا عاد السبب عاد الحكم. ولا عجب أن يعطى كافر من صدقات المسلمين تأليفاً لقلبه على الإسلام أو تمكيناً له في صدره، فإن هذا ضرب من الجهاد<sup>(٢)</sup>.

أما الاستدلال بمصرف المؤلفة قلوبهم على عالمية الإسلام وعالمية فريضة الزكاة فإن ذلك يأتي من جهتين:

الجهة الأولى: العموم الوارد في الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ ...﴾<sup>(٣)</sup>، فإن هذا العموم في لفظ (المؤلفة قلوبهم) يجب أن يبقى على عمومته دون أن يقيد بزمن معين أو شعب أو قوم أو بلاد دون غيرها لأن الأصل في العام أن يبقى على عمومته حتى يرد الدليل المقيد، ولم يوجد هنا هذا الدليل.

وأما الجهة الثانية: فهي أنه إذا كان سهم المؤلفة قلوبهم باقياً ولم ينسخ، وإذا كان عاماً يشمل كل من اتصف بهذه الصفة فهذا يعني أن المؤلفة قلوبهم قد لا يخلو منهم زمان عبر التاريخ ولا مكان في العالم، ولا شعب من الشعوب، وبالتالي فإن انتشارهم ووجودهم سيكون على مدار الزمن، وعلى مساحة العالم وعلى مدى انتشار الناس في الأرض، وإذا كانت الزكاة تعطى لهؤلاء على مدى هذا العالم فأى عالمية أكبر من عالمية حكم يشمل كل هؤلاء الناس ..

#### ٤- مصرف الغارمين

إن من الأهداف والحكم التي أراد الإسلام تحقيقها في المجتمع المسلم هو انتشار الغارمين من مستنقع الغرم الذي سقطوا فيه ولا يكادون يستطيعون الخروج منه بمفردهم وقدراتهم الذاتية ويبقون يرزحون تحت نيره حتى تمد لهم يد العون للتخلص والخروج منه دون أن يزداد عليهم الغرم بالاستدانة بالربا أو بيع أصول حوائجهم وممتلكاتهم للتسديد.

١- نيل الأوطار ٤/١٦٦

٢- تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/٢٦٥

٣- (التوبة الآية ٦٠)

ومن هنا نجد أن الإسلام قد وضع نظاماً فذاً فريداً لم يسبق إليه أي دين أو قانون، تكفل بحل مشاكل المجتمع المستعصية ومن ضمن هذه المشاكل مشكلة الغارمين.

من هم الغارمون : الغارمون هم من لزمهم دين ولا يملكون نصاباً فاضلاً عن ديونهم، كما يقول الحنفية رحمهم الله، أو كما يقول المالكية هم المدينون في غير سفه ولا فساد.

فهذا المدين عاجز عن أداء دينه، فهل يترك يواجه عجزه ودينه أم لا بد من الأخذ بيده ليتخطى ذلك ويعود إلى الحياة السوية؟

إن تعاليم الرسول ﷺ جاءت بأن : «المسلمين كالجسد الواحد» وأن «المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً»<sup>(١)</sup>.

روى أبو عبيد أن قبيصة بن المخارق تحمل حمالة فجاء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يسأله الإعانة فيها فقال له رسول الله ﷺ : «أقم حتى تأتينا الصدقة فإما أن نعينك وإما أن نعلمها عنك»<sup>(٢)</sup>.

وروى أبو داود وابن ماجه أنه ﷺ قال: «لا تحل الصدقة إلا لخمسة : لغاز في سبيل الله أو لعامل عليها أو لغارم...»<sup>(٣)</sup>.

أخرج أبو عبيد وابن عبد الحكم أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى واليه على العراق عبد الحميد بن عبد الرحمن : «أن أخرج للناس أعطياتهم فكتب إليه الوالي : إني قد أخرجت للناس أعطياتهم وقد بقي في بيت المال مال كثير، فكتب إليه : أنظر كل من ادان في غير سفه ولا سرف فاقض عنه...»<sup>(٤)</sup>.

وإذا كان من مقاصد الإسلام جلب المصلحة للناس ودرء المضار والمفاسد عنهم فأى منفعة أكبر من تخليص الدائن من دينه وأي مفسدة أكبر من بقاءه في تعاسة تحمله لهذا الدين والغرامة .

وإذا كانت الآية الكريمة ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَفَةِ فُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ...﴾<sup>(٥)</sup>، قد جعلت هذا المصرف (الغارمين) أحد المصارف الثمانية التي أوجبت على المسلمين دفع الزكاة إليهم فإن في ذلك مزيداً من الإهتمام والعناية

١- رواه البخاري كتاب المظالم ٥ برقم ٢٤٤٤

٢- الأموال لأبي عبيد ص ٦٠٠

٣- رواه أبو داود وابن ماجه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

٤- الأموال لأبي عبيد ص ٢٦٥ - سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم

٥- (التوبة الآية ٦٠)

بشأن هؤلاء الغارمين وإرادة تقديم العون والمساعدة لهم لينتقلوا من هذا العوز وهذه النفاقة إلى الحياة الكريمة التي يطمع بها الإسلام لكل فرد من أفراد الأمة في العالم .

ثم تأتي النظرة الثانية وهي هل يختص لفظ ( الغارمين ) وتشريع عطاء الزكاة لهم بأناس معينين منهم أم إن هذا التشريع يشمل بعمومه كل غارم من المسلمين بغض النظر عن أي ناحية من جنسه أو لونه أو عرقه أو بلده ودولته، ما دام يعتبر مصرفاً صالحاً لأخذ الزكاة وقبولها ؟ إن الإسلام بعدله وحكمته يأبى إلا أن يكون ديناً عالمياً وتشريعاً يتساوى فيه كل أفراد في الحقوق والواجبات .

### ٥- مصرف ابن السبيل

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبَهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَدَرِ مِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ ﴾<sup>(١)</sup> .  
إن ابن السبيل هو المسافر الذي يجتاز من بلد إلى بلد، غنياً كان أو فقيراً إذا أصيبت نفقته أو فقدت أو أصابها شيء ولم يكن معه شيء<sup>(٢)</sup> .

وذهب الحنفية رحمهم الله إلى أبعد من ذلك فقالوا : هو كل من له مال لا معه، ومنه ما لو كان ماله مؤجلاً أو على غائب أو معسر أو جاحد<sup>(٣)</sup> .

إن أي مسلم في أي بقعة من بقاع الأرض ليس جزءاً مستقلاً عن أمته أو أخوته وإنما هو جزء مرتبط بأمته ارتباط الفرد بأسرته والعضو بجسده ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾<sup>(٤)</sup> .

من أجل ذلك نرى أن الإسلام قد اعتنى بالمسافرين الغرباء والمنقطعين عناية فائقة تمثل تكافلاً اجتماعياً فريداً لم يسبق إليه ودون نظر أو اعتبار في لاختلاف دار أو بعد مزار فجاء التوجيه الإلهي بأن يجعل ابن السبيل أحد المصارف الثمانية التي تؤلف مصارف الزكاة، وزيادة على ذلك أن القرآن الكريم ذكر ابن السبيل في سبعة مواضع أمر فيها بالإحسان وتقديم العون إليه.

ولقد كان من أخص أوصافه ﷺ ما وصفته به السيدة خديجة رضي الله عنها « إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق »<sup>(٥)</sup> .

١- (التوبة الآية ٦٠)

٢- عمدة القاري ١٢٥/١٦ تفسير القرطبي ١٧٥/٨

٣- حاشية ابن عابدين ٨٦/٦ بتحقيق د. حسام الزفرور

٤- (الأنبياء الآية ٩٢)

٥- نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ص ٢١

وروى ابن سعد أن عمر بن الخطاب اتخذ داراً خاصةً في عهده أطلق عليها «دار الدقيق» وذلك أنه جعل فيها الدقيق والسويق والتمر والزبيب وما يحتاج إليه، يعين به المنقطع والضيف الذي ينزل بعمر، ووضع في طريق السبيل ما بين مكة والمدينة (حين يكثر منقطع الحجاج) ما يصلح من ينقطع به السبيل، ويحمل من ماء إلى ماء<sup>(١)</sup>.

وكتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إلى الإمام الزهري أن يكتب له السنة في مواضع الصدقة فكان مما جاء في كتابه: «... وسهم ابن السبيل يقسم لكل طريق على قدر من يسلكها ويمر بها من الناس لكل رجل راحل من ابن السبيل ليس له مأوى، ولا أهل يأوي إليهم فيطعم حتى يجد منزلاً، أو يقضي حاجته، ويجعل في منازل معلومة على أيدي أمناء لا يمر بهم ابن سبيل له حاجة إلا آووه وأطعموه وعلفوا دابته حتى ينفذ ما بأيديهم إن شاء الله»<sup>(٢)</sup>.

وهنا يشار أيضاً إلى أنه بالإضافة إلى العموم الموجود في لفظ (ابن السبيل) الوارد في الآية الكريمة والذي يجب إبقاؤه والتعامل معه على عمومه: فإن ابن السبيل لا يكون ابن السبيل إلا إذا كان غريباً - أو عادماً للمال على رأي الحنفية - عن البلد الذي انقطع فيه، وإذا كان من غير هذا البلد فقد يكون من بلد يصل إلى مسافة القصر أو أقرب فهذا يعطى من الزكاة وهو مصرف من مصارفها بالإتفاق، فإذا كان من بلد أبعد من ذلك فهو أولى بأن تدفع إليه الزكاة لأنه أولى وأحق وأشد حاجة من سابقه، وقد تحقق فيه الوصف أكثر، فكلما ازداد بعد داره كان أكثر أولوية ممن قربت داره وبلده: وهذا بذاته معنى العالمية في عبادة الزكاة.

## ٦- نقل الزكاة

أ- إتفق الفقهاء رحمهم الله على أن الأصل في الزكاة أن توزع زكاة الأغنياء في كل قوم على فقرائهم وزكاة كل بلد على أهلها الأقرب فالأقرب

ومستند هذا الإتفاق ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لما بعث معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن قال: «إنك تأتي قوماً أهل كتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله...، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد إلى فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك فأياك وكرائم أموالهم...»<sup>(٣)</sup>.

وما رواه أبو جحيفة قال «قدم علينا مصدق رسول الله ﷺ فأخذ الصدقة من أغنيائنا فجعلها

١- طبقات ابن سعد ٢/٢٨٢

٢- الأموال لأبي عبيد ص ٥٨٠

٣- البخاري كتاب الزكاة ٤١-١٤٥٨

في فقرائنا، فكنتم غلاماً يتيماً فأعطاني منها قلوفاً (ناقة) (1).

وما رواه عمرو بن شعيب «أن معاذ بن جبل لم يزل بالجند إذ بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن حتى مات النبي ﷺ وأبو بكر، ثم قدم على عمر، فرده عمر إلى ما كان عليه، فبعثت إليه معاذ بثلاث الصدقة، فأنكر ذلك عمر وقال: لم أبعثك جايياً ولا آخذ جزية، ولكن بعثتك لتأخذ من أغنياء الناس فتردها على فقرائهم، فقال معاذ: ما بعثت إليك شيئاً وأنا أجد من يأخذه مني، فلما كان العام الثاني بعث إليه معاذ شطر الصدقة فتراجعا بمثل ذلك، فلما كان العام الثالث بعث إليه بها كلها، فراجعه عمر بمثل ما راجعه به قبل ذلك، فقال معاذ: ما وجدت أحداً يأخذ مني شيئاً.

ب- واختلفوا في جواز نقل الزكاة إذا كان في بلد المال من يحتاج إليها:

فذهب الحنفية إلى كراهة ذلك، وذهب المالكية إلى عدم جوازه وهو مذهب الشافعية إن وجد مصرف له في بلده، وقول الحنابلة في نقلها إلى مسافة قصر فأكثر.

واستدلوا للكرهة ولعدم الجواز ما يلي:

١- ما تقدم من أن النبي ﷺ أمر معاذ بن جبل أن يأخذ الزكاة من أغنياء اليمن ويردها إلى فقرائها.

٢- بحديث أبي جحيفة: فأخذ الصدقة من أغنيائنا فجعلها في فقرائنا.

٣- ما تقدم من مراجعة عمر لمعاذ وإنكاره عليه عندما بعث إليه من الصدقة.

٤- أن المقصود بالزكاة إغناء الفقراء بها فإذا أبعنا نقلها مع حاجتهم إليها أفضى ذلك إلى بقاء فقراء ذلك البلد محتاجين فلم يحصل الإغناء، وبالتالي لم تتحقق الحكمة.

٥- إن الفقراء في كل بلد تتعلق أنظارهم وقلوبهم بهذه الأموال فيكون حقهم فيه مقدم على غيرهم إذ الأقربون أولى بالمعروف من غيرهم.

ج- أن يكون في بلد المال فقراء محتاجون، ولكن هناك في بلد آخر من هو أشد حاجة منهم ممن نزلت به مصيبة أو حلت به كارثة، أو لم يجد في بلد الصدقة مصرفاً لها، أو وجد مصرفاً وفاض المال عنه.

ففي هذه الحالات وما شابهها اتفق الجمهور من الفقهاء على جواز نقلها بدون كراهة بل إن المالكية رحمهم الله أوجبوا النقل حيثئذ.

ومما استدلوا به على هذا الجواز أو الوجوب:

١- رواه الترمذي وقال حديث حسن كتاب الزكاة ٣ / ٤٠ برقم ٦٤٩

١- ما جاء في خطبة معاذ بن جبل رضي الله عنه لأهل اليمن «أتوني بخميس أو لبيس (ملايس من صنعهم) آخذ منكم مكان الذرة والشعير فإنه أهون عليكم وأنفع للمهاجرين بالمدينة»<sup>(١)</sup>.

٢- ما نقله في المدونة عن الإمام مالك رحمه الله تعالى أن عمر بن الخطاب كتب إلى عمرو بن العاص عام الرمادة: يا غوثاه يا غوثاه للعرب، جهز إلي عيراً أولها عندي وآخرها عندك، تحمل الدقيق في العباء، فكان عمر يقسم ذلك بينهم على ما يرى، ويوكل على ذلك رجلاً ويأمرهم بحضور نحر الإبل ويقول: أن العرب تحب الإبل - فخاف أن يستحيوها - فلينحروها وليتأدموا بلحومها وليلبسوا العباء الذي أتى فيها الدقيق<sup>(٢)</sup>.

٣- ما رواه أبو عبيد أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عماله: «أن ضعوا شطر الصدقة - أي في مواضعها - وابعثوا إلي بشطرها»، ثم كتب في العام المقبل: أن ضعوها كلها (أي في مواضعها)<sup>(٣)</sup>.

٤- أنه لو كان في البلد أكثر من مصرف للزكاة فإن دفع الزكاة إلى أحد هذه المصارف والتخير بينهم يأخذ حكم المباح، وعندما يكون هناك إنسان مضطر أو صاحب حاجة كحدوث كارثة أو حصول مجاعة فإن إعطاءه لسد حاجته ورفع اضطراره يدور بين السنة المؤكدة والوجوب، وإذا تعارض الواجب أو السنة مع المباح وجب تقديم العمل بالواجب على المباح وكذلك تقديم السنة على المباح أيضاً، أضف إلى ذلك كثرة الضرر الذي يلحق بالمضطر وذي الحاجة الأكثر ضرراً من ذي الحاجة والضرر الأخف، وعندما يتعارض ضرران يقدم العمل بأخف الضررين ويُدراً الضرر الأكبر بتحمل الضرر الأصغر.

د- إتفقت كلمة الفقهاء رحمهم الله تعالى على أن من نقل الزكاة إلى بلد غير البلد الذي يوجد فيه المال فإن ذلك يجزئه عن الزكاة وتسقط فريضتها عنه حتى وإن كان في بلد المال فقراء ومحتاجون، وحتى مع وجود الكراهة والنهي عن ذلك، وذلك لانفكاك الجهة بين النهي والإجزاء، حيث إن النهي لغيره لا لذاته.

أن تشريع فريضة الزكاة ومشروعية نقلها ثابت بالسنة وعمل الخلفاء الراشدين، لأن الزكاة تعتبر أساساً للتكافل الاجتماعي في البلاد الإسلامية كلها، وأي تكافل أكثر من نقل الزكاة إلى أهل

١- السنن الكبرى للبيهقي ١١٣/٤

٢- المدونة ٢٤٦/١ - المستدرک للحاکم ٤٠٥/١-٤٠٦ وقال صحيح على شرط مسلم وأقره الذهبي

٣- الأموال لأبي عبيد ص ٥٩٤

المجاعة أو من حلت بهم الكوارث أو من كانوا من أهل العوز الشديد فإن من المصلحة المقدمة على غيرها أن يبدأ بهؤلاء ويقدموا على غيرهم، وهو مقصد من مقاصد الشريعة التي هدفت إلى تحقيقه بين البشر .

هذا بالإضافة إلى أن نقلها إلى مثل هؤلاء يعتبر تحقيقاً لمبدأ المساواة بين أفراد الأمة الواحدة ويتوافق مع روح النصوص ومقاصدها .

أضف إلى ذلك أن بعض مصارف الزكاة بطبيعته قد يكون خارج بلد المال كمصرف الجهاد في سبيل الله وكالإنفاق على الدعوة إلى الإسلام وفكك الأسرى (الذي قد يحل محل (وفي الرقاب) .

وإذا نظرنا إلى البلد الذي غالباً ما يفيض فيه المال نجد أنه بلد الأمن والرخاء وقلة الفقراء، وإذا نظرنا إلى البلد الذي يقل فيه المال غالباً نجد أنه بلد الكوارث والفقر والإضطراب والمجاعة: وفي هذه الحالة يكون من العبث والروعة والجهل بدين الله ومقاصد شرعه توزيع الزكاة في بلد يفيض فيه وينعم أهله بالغنى والأمن والسلامة والرخاء، بينما يحرم أصحاب العوز والفقر والجوع والكوارث منها بحجة أنهم ليسوا من بلد أصحاب الأموال من الأغنياء، مع ما يقتزن بذلك من مفسدة تأبى شريعة الإسلام أن تقر بمثلها وهي: زيادة أهل الغنى غنى إلى غناهم، وزيادة أهل الفقر فقراً إلى فقرهم .

ثم إذا نظرنا إلى عمل السعاة (والعاملين عليها) نجد أن جزءاً من أساس مهمتهم: نقل المال الزائد، وما يحتاجه الناس منه: من أصحاب الأموال إلى بيت المال، الذي كان يتولى تنظيمه وإدارة شؤونه وتوزيع الأموال منه رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدون من بعده على مرأى من الصحابة الكرام ومسمعهم لتصبح فريضة دورية منظمة دائمة التحصيل، مع وجود نصابها، وليصبح بيت المال مؤسسة منظمة دائمة العطاء ترعى مصالح الأمة وتواكب اهتماماتها وتعمل على حل مشكلاتها الاجتماعية والنفسية والفكرية والإقتصادية، وليست مجرد حفنة من الدراهم والقروش، أو عدة صيعان من الحبوب يتفضل بها رجل غني على فقير معدم يسد بها جوعته عدة أيام قليلة كانت أم كثيرة، كما تتخيل بعض الأفهام القاصرة عن إدراك حكمة الله في تشريعه وأحكامه .

فله در الزكاة من ركن عظيم، ونظام عالمي محكم، ولله در الإسلام من دين رائد وسابق بالخير على مدار الأرض وممر العصور لكل بني البشر.

## الفصل الثالث

### التطبيق العملي لفريضة الزكاة

#### أ- التطبيق العملي للزكاة في حياة الرسول ﷺ

لقد بدأ الرسول حياته في زمن القبيلة ونظامها الذي يقضي بتقوقع أفرادها بعضهم على بعض مع شيخ القبيلة، فتقدم مصلحة القبيلة وأفرادها على كل مصلحة، ويضن كل فرد منها بماله سوى ما يدفع لشيخ القبيلة لضرورة ما.

ولم تكن باقي الأمم والشعوب بأحسن حالاً ولا بأكثر ترابطاً وتماسكاً إن من الناحية الاجتماعية أو من الناحية الدينية أو الأخلاقية أو غيرها.

وبعث رسول الإنسانية صلى الله عليه وسلم ونزل عليه وحي السماء ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، فكان من ضمن شرعه وتعاليمه أن جاء بنظام رائد في التكافل الاجتماعي، ووضع أحكاماً لأمة وتشريعات كفيلة بتضامن المجتمع الإسلامي بكل فئاته وأفراده وشعوبه، فحقق الرخاء والعيش الكريم لأفراد المجتمع كله وانتشل أهل الفقر والضييق من ضنك معيشتهم، فجعل الزكاة ثمانية من المصارف: خمسة منها تتمثل في ذوي الحاجات من الفقر والعوز والنوازل، والسادس منها يتمثل في جهاز إداري لخدمة هذه المصارف، أما المصرفان الباقيان فكانا لخدمة سياسة الدولة ورسالة الإسلام داخل المجتمع وخارجه.

ولقد أشرف على هذا التنظيم لبيت المال وعلى جهازه رسول الله ﷺ بنفسه، فكان يتولى جمع الزكاة وتوزيعها، وكان يرسل عماله وسعاته إلى الأقاليم والقبائل والمناطق يجمعون الزكاة من المالكين ويوزعونها بأمره وتعاليمه على مستحقيها ومصارفها في أماكن جمعها بالرفق واللين والتيسير مع عدم التهاون في حق الله تعالى، وما فضل عن حاجتهم أرسلوا به إليه صلى الله عليه وسلم ليجعله حيث يرى من المستحقين.

روى الترمذي عن أبي جحيفة قال: «قدم علينا مصدق رسول الله ﷺ فأخذ الصدقة من أغنيائنا فجعلها في فقرائنا، فكنت غلاماً يتيماً فأعطاني منها قلوصاً (أي ناقة)»<sup>(١)</sup>.

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث أمراءه وعماله على الصدقات إلى كل ما أوطأ الإسلام من البلدان فبعث:

(١) المهاجر بن أبي أمية بن المغيرة إلى صنعاء فخرج عليه العنسي وهو بها.

١- رواه الترمذي وقال حديث حسن كتاب الزكاة ٢ / ٤٠ برقم ٦٤٩

- ٢) وبعث زياد بن لبيد أخا بني بياضة الأنصاري إلى حضرموت وعلى صدقاتها.
- ٣) وبعث عدي بن حاتم على طيء وصدقاتها وعلى بني أسد.
- ٤) وبعث مالك بن نويرة على صدقات بني حنظلة.
- ٥) وفرق صدقات بني سعد على رجلين منهم :
- أ- فبعث الزبرقان بن بدر على ناحية منها.
- ب- وقيس بن حاتم على ناحية.
- ٦) وقد بعث العلاء بن الحضرمي على البحرين.
- ٧) وبعث علي بن أبي طالب على نجران ليجمع صدقاتهم، ويقدم عليه بجزييتهم<sup>(١)</sup>.
- ٨) وروى مسلم في صحيحه أنه بعث عمر بن الخطاب على الصدقة<sup>(٢)</sup>.
- ٩) وبعث معاذ بن جبل إلى اليمن وأمره بأخذ الصدقة من أغنيائهم وردها إلى فقرائهم<sup>(٣)</sup>.
- وذكر ابن سعد في طبقاته أنه صلى الله عليه وسلم بعث المصدقين إلى العرب في هلال المحرم سنة تسع :

- ١٠) فبعث عيينة بن حصن إلى بني تميم يصدقهم.
- ١١) وبعث بريدة بن الحصيبي إلى أسلم وغفار يصدقهم، ويقال كعب بن مالك.
- ١٢) وبعث عباد بن بشر الأشهلي إلى سليم ومزينة.
- ١٣) وبعث رافع بن مكيث إلى جهينة.
- ١٤) وبعث عمرو بن العاص إلى بني فزارة.
- ١٥) وبعث الضحال بن سفيان الكلابي إلى بني كلاب.
- ١٦) وبعث بسر بن سفيان الكعبي إلى بني كعب.
- وبعث ابن اللثبية الأزدي إلى بني ذبيان (وهو الذي جاء فقال هذا لكم وهذا أهدي إليّ...) الحديث<sup>(٤)</sup>.

واستقصى الشيخ القرضاوي حفظه الله في كتابه فقه الزكاة أسماء المصدقين الذين

١- السيرة النبوية لابن هشام ٦٠٠/٢

٢- صحيح مسلم كتاب الزكاة ١١

٣- البخاري كتاب الزكاة ٤١-١٤٥٨

٤- طبقات ابن سعد ١٦٠/٢

بعثهم رسول الله ﷺ وقال : وبهذا يكون النبي ﷺ قد غطى الجزيرة تقريباً بسعاته ومصدقيه ليتولوا هذه الفريضة من أهلها ويوزعوها على مستحقيها<sup>(١)</sup> .

فقد حرص ﷺ على أن يبعث لكل قبيلة ولكل قوم يدخلون في الإسلام مصداً يجمع صدقاتهم من أغنيائهم ويصرفها على فقرائهم ومستحقيها منهم .

لقد وضع رسول الله ﷺ هذا النظام لتطبيق هذا الركن العظيم من أركان الإسلام وأشرف عليه وعلى تطبيقه بنفسه، وعهد به إلى جهاز إداري وتنفيذي قام بحق هذه الفريضة خير قيام جباية وصرفاً تحت سمعه وبصره ﷺ، وكان يصدر لهم من التعليمات والتوجيهات ما يسد كل خلل ويحقق كل مصلحة .

روى أبو عبيد عن ابن سيرين قال : كانت الصدقة تدفع إلى النبي ﷺ أو من أمر به، وإلى أبي بكر أو من أمر به، وإلى عمر أو من أمر به، وإلى عثمان أو من أمر به، فلما قتل عثمان اختلفوا فكان منهم من يدفعها إليهم ومنهم من يقسمها وكان ممن يدفعها إليهم ابن عمر...<sup>(٢)</sup>

وعليه : فإن الرسول ﷺ يكون قد تعامل مع قضايا عصره بما يتناسب معها، صحيح أن المجتمع المسلم كان محصوراً في عهده ﷺ في نطاق جزيرة العرب، إلا أن الجزيرة كانت تحوي العديد من الشعوب والقبائل والأديان، وقد جاءت تعاليمه ﷺ ومنها الزكاة لتتعامل مع الجميع وتغطي كل ذلك .

وبذلك يكون رسول الله ﷺ بوضعه نظام بيت المال والزكاة : قد وضع وأنشأ أول هيئة عالمية في التاريخ (بحسب زمانه) تعنى بأمر الزكاة وتوزيعها لتؤدي دورها في التكافل الاجتماعي على مستوى العالم الإسلامي، وليبني على هذه الأسس والتشريعات من يأت بعده من أمة الإسلام وحكامها .

## ب- التطبيق العملي في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم

### أولاً : عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه

ولما تولى أبو بكر الصديق رضي الله عنه كانت الزكاة وأحكامها وتنظيماتها استمراراً لما كان في عهد النبي ﷺ وكل رجل من السعاة والعمال والمصدقين بقي على ما كان عليه في إقليمه الذي بعث إليه وفي مهمته ، إلا أن عهده رضي الله عنه شهد ردة في بعض الأقاليم وامتاعاً عن دفع الزكاة التي كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ ، فاتخذ أبو بكر رضي الله عنه قراره الجريئ

١- فقه الزكاة للقرضاوي ٢/٢٢٢ وما بعدها

٢- الأموال لأبي عبيد ص ٧٥١

بحربهم وسير الجيوش لردهم الى ما كانوا عليه وعودة الأمور الى نصابها الذي كانت عليه في عهد النبي ﷺ ، وقال قولته المشهورة: «والله لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقاً - أو عقالاً - كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها»<sup>(١)</sup>.

واستمر في سياسته هذه حتى استتب الأمر وعادت الأمور الى نصابها وعادت القبائل المرتدة الى صوابها، فجدّد بعث السعاة على تلك القبائل والأقاليم، وتوافدت الزكاة إلى بيت المال من جديد ليعيد بيت المال توزيعها على مصارفها من جديد.

وكان أبو بكر رضي الله عنه يعطي أصحاب الفرائض فرائضهم، وما بقي في بيت المال ينفق في تجهيز الجيوش للجهاد<sup>(٢)</sup>.

ومن هنا نجد أن أبا بكر رضي الله عنه لم يرض بأن تستقل كل قبيلة بأموالها وتمنع زكاتها فينحرف نظام التكافل ويقصر عن غايته بل أراد عود الزكاة لتؤدي دورها الريادي الذي رسمه رسول الله ﷺ وأراد نظاماً شاملاً لجميع أفراد أمة الإسلام.

### ثانياً: عهد الفاروق رضي الله عنه

ولما تولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة كان الأمن قد استتب واستجابت القبائل إلى أداء الزكاة، فكان العاملون عليها يجمعون زكاة الأموال الظاهرة والباطنة من أغنياء الناس، ثم يوزعونها على مستحقيها في تلك المجتمعات. روى سعيد ابن المسيب أن عمر بعث معاذاً - رضي الله عنهما - ساعياً على بني كلاب أو على سعد بن ذبيان، فقسم فيهم حتى لم يدع شيئاً، حتى جاء يجر حلسه الذي خرج به على رقبته.

وأما ما زاد على حاجاتهم أرسلوا به إلى بيت المال في دار الخلافة، كل ذلك تعزيزاً لميزانية التكافل، وتقوية لبيت المال.

ومع اتساع رقعة الدولة الإسلامية اضطر عمر رضي الله عنه إلى إعادة تنظيم شؤون الدولة المالية من جديد ، فدون الدواوين وطور نظام التكافل الإجتماعي حتى إنه فرض لكل مولود في المجتمع الإسلامي راتباً، وحتى إنه شمل بنظام التكافل هذا أهل الذمة مع المسلمين .

لقد وقف الفاروق رضي الله عنه في عام الرمادة (عام المجاعة) ليقول للناس: «والله الذي لا إله إلا هو، ما أحد إلا وله في هذا المال حق أعطيه أو منعه، وما أحد أحق به من أحد، وما أنا فيه إلا كأحدكم، ولكننا على منازلنا من كتاب الله عز وجل، وقسمنا من رسول الله ﷺ، فالرجل وبلاؤه

١- نيل الأوطار للشوكاني ٤/١١٩- ط. العثمانية

٢- العدالة الاجتماعية في الإسلام سيد قطب ص ٢٠٧

في الإسلام، والرجل وقدمه في الإسلام، والرجل وغناؤه في الإسلام، والرجل حاجته، والله لإِن بقيت لياتين الراعي بجبل صنعاء حظه من هذا المال وهو يرضى مكانه»<sup>(١)</sup>.

وروى أبو عبيد «أن معاذ بن جبل قدم على عمر من اليمن، فردد عمر -ساعياً- على ما كان عليه، فبعث إليه معاذ بثلاث صدقة الناس فأنكر ذلك عمر وقال: لم أبعثك جابياً ولا أخذ جزية، ولكن بعثتك لتأخذ من أغنياء الناس فتد على فقرائهم. فقال معاذ: ما بعثت إليك شيئاً وأنا أجد أحداً يأخذه مني. فلما كان العام الثاني بعث إليه شطر الصدقة، فتراجعا بمثل ذلك، فلما كان العام الثالث بعث إليه بها كلها فراجع عمر بمثل ما راجعه قبل ذلك، فقال معاذ: ما وجدت أحداً يأخذ مني شيئاً»<sup>(٢)</sup>.

وهو رضي الله عنه الذي كتب عام الرمادة إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه وهو بمصر يقول: «يا غوثاه، يا غوثاه للعرب جهز إليّ عيراً يكون أولها عندي وآخرها عندك تحمل الدقيق في العباء، فكان عمر يقسم ذلك بينهم على ما يرى ويوكل على ذلك رجلاً، ويأمرهم بحضور نحر الإبل ويقول: إن العرب تحب الإبل - فخاف أن يستحيوها - فلينحروها وليتأدوا بلحومها، وليلبسوا العباء الذي أتى فيها الدقيق»<sup>(٣)</sup>.

هذا هو عمر رضي الله عنه، وهذه هي سياسته في إدارة شؤون الزكاة وتطوير بيت المال حتى غدا مؤسسة عامة ترعى شؤون الفقراء أينما كانوا، وتسهر على مصالح الأمة التي من أجلها شرعت هذه العبادة المحكمة.

### ثالثاً: عهد ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه

أما عهد عثمان رضي الله عنه فكانت الزكاة فيه استمراراً لما كان عليه الأمر في زمن الفاروق رضي الله عنه ولم تتغير سياسته في أحكام الزكاة وجبايتها وتوزيعها ولا فيما يختص بنظام بيت المال.

روى أبو عبيد عن ابن سيرين قال: كانت الصدقة تدفع إلى النبي ﷺ أو من أمر به، وإلى أبي بكر أو من أمر به، وإلى عمر أو من أمر به، وإلى عثمان أو من أمر به، فلما قتل عثمان اختلفوا فكان منهم من يدفعها إليهم، ومنهم من يقسمها وكان ممن يدفعها إليهم ابن عمر...<sup>(٤)</sup>.

قال الطبري: وثبت أن عثمان رضي الله عنه كان يجبي الزكاة حتى لم يبق أحد من الناس في

١- تاريخ الطبري ٢/٢٨٩

٢- الأموال لأبي عبيد ص ٥٩٦

٣- المدونة ١/٢٤٦ - المستدرک للحاکم ١/٤٠٥ - ٤٠٦ وقال صحيح عل شرط مسلم وأقره الذهبي.

٤- الأموال لأبي عبيد ص ٧٥١

عوز، وكان أول كتاب كتبه إلى ولاته: «أما بعد : فإن الله أمر الأئمة أن يكونوا رعاة ولم يتقدم إليهم بأمر أن يكونوا جباة ... ألا وإن أعدل السيرة أن تنظروا في أمور المسلمين وفيما عليهم، فتعطوهم ما لهم وتأخذوا بما عليهم، ثم تنثوا بأهل الذمة فتعطوهم الذي لهم، وتأخذوا بالذي عليهم»<sup>(١)</sup>.

فعثمان رضي الله عنه استمر في انتهاج سياسة أن تبقى الزكاة فريضة اجتماعية عامة تؤدي دورها المنظم في استفادة المستحقين وأهل العوز منها على مساحة أرض الإسلام ومجتمعات أبنائه.

### رابعاً : عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه

مع تضعف الوضع السياسي في عهد علي رضي الله عنه ، تضعف معه انتظام دفع الزكاة الى بيت المال فصار بعض الناس يؤدون زكاة أموالهم إلى مستحقيها بأنفسهم ، ويظهر أن ذلك كان في بداية عهده رضي الله عنه . وهذا ما نلمحه من حديث ابن سيرين المتقدم عند قوله: «... فلما قتل عثمان اختلفوا : فكان منهم من يدفعها إليهم ، ومنهم من يقسمها - أي بنفسه - وكان ممن يدفعها إليهم ابن عمر»<sup>(٢)</sup>

إلا أن سياسة علي رضي الله عنه في إدارة بيت المال وفي جمع الزكاة وصرفها على مستحقيها ومصارفها لم تتغير عما كانت عليه في زمن الخلفاء قبله من عموم شمولها لكل المستحقين والفقراء في كافة الأقاليم التي كانت تخضع لسلطة الدولة في عهده وتأتّم بأمره من المسلمين.

أخرج أبو نعيم في الحلية عن ربيعة الوالبي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : جاءه ابن النباح فقال يا أمير المؤمنين، امتلأ بيت مال المسلمين من صفراء وبيضاء ، فقال الله أكبر فقام يتوكأ على ابن النباح حتى قام على بيت مال المسلمين فقال :

هذا جناي وخياره فيه وكل جان يده إلى فيه

يا ابن النباح عليّ بأشياء الكوفة ، قال فتودي في الناس فأعطى جميع ما في بيت مال المسلمين وهو يقول : «يا صفراء ويا بيضاء غرّي غيري ، ها وها ، حتى ما بقي منه دينار ولا درهم، ثم أمر بنضحه وصى فيه ركعتين»<sup>(٣)</sup>

### خامساً : عهد خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

تشدد عمر بن عبد العزيز في جمع أموال الزكاة باعتبارها فريضة فرضها الله عز وجل على

١- تاريخ الطبري ٢٨٠/٣

٢- الأموال لأبي عبيد ص ٧٥١

٣- حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني ٨١/١ - حياة الصحابة ٤٢٨/٢.

المسلمين وأنها حق للسائلين والمحرومين والمنقطعين فلا يجوز التهاون فيها ، كما اهتم بتوزيعها على مستحقيها في كل ناحية من نواحي الدولة باحثاً عنهم في كل مكان ، وموزعاً الجبابة في كل الأقاليم ، وفي الحالات التي لم يكن هؤلاء الجبابة يجدون الفقراء كانوا يشترون بهذه الأموال رقاب المستعبدين ويعتقونها<sup>(١)</sup> .

فقد كتب رضي الله عنه إلى عامله على اليمن رسالة جاء فيها : «... فإذا جاءك كتابي هذا فخذهم بما ترى عليهم من الحق ، ثم أقسم ذلك على فقرائهم ... فوالله لو لم يأتي من قبلك إلا كفُّ لرأيتَه من الله قَسماً عظيماً»<sup>(٢)</sup> .

وكتب إلى واليه على العراق عبد الحميد بن عبد الرحمن : « أن أخرج للناس أعطياتهم ، فكتب إليه الوالي إني قد أخرجت للناس أعطياتهم وبقي بيت المال مالٌ كثير . فكتب إليه أن انظر كل من أدان في غير سفه ولا سرف فاقض عنعه . فكتب إليه : إني قد قضيت عنهم وبقي في بيت المال مالٌ كثير ، فكتب إليه : أن انظر كل بكر ليس له مال فشاء أن تزوجه فزوجه وأصدق عنه - أي ادفع له المهر - فكتب إليه أني قد زوجت كل من وجدت ، وقد بقي في بيت مال المسلمين مالٌ كثير ، فكتب إليه : أن انظر من كانت عليه جزية - خراج - فضعف عن أرضه فأسلفه ما يقوى به على عمل أرضه ، فإننا لا نريد لهم لعام ولا عامين»<sup>(٣)</sup> .

وروى يحيى بن سعيد قال : «بعثني عمر بن عبد العزيز على صدقات أفريقيا فاقضيتها ، وطلبت فقراء نعطيها لهم فلم نجد بها فقيراً ، ولم نجد من يأخذها مني فقد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس ، فاشترت بها رقياً فأعتقتهم ، وولأوهم للمسلمين»<sup>(٤)</sup> .

وروى أبو عبيد : أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عامله على البصرة كتاباً جاء فيه : «... وانظر إلى من قبلك من أهل الذمة قد كبرت سنه وضعفت قوته وولت عنه المكاسب فأجر عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه» أي إجعل له شيئاً جارياً وراتباً دورياً<sup>(٥)</sup>

ظهرت نتائج إصلاحات عمر بن عبد العزيز واهتمامه بفريضة الزكاة في المجتمع الإسلامي الكبير ، فتحقق مجتمع الكفاية والعدل والرفاهية ، واختفت مظاهر الفقر والعوز ، واطمأن الناس في كل رقعة من رقع هذه الدولة الواسعة المترامية الأطراف ، حتى عزَّ وجود من يسيتحق الزكاة

١- سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ٩٥-٩٦-٩٧-١٢٤-١٢٥ .

٢- سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ٩٥-٩٦-٩٧-١٢٤-١٢٥ .

٣- عمدة القاري ١٦/١٣٥ - الأموال لأبي عبيد ص ٢٥٦ .

٤- سيرة عمر بن عبد العزيز لأبي عبد الحكم ص ٦٩ .

٥- الأموال لأبي عبيد ص ٤٦ .

ويقبلها، وأصبحت هذه المشكلة للأغنياء وأصحاب الأموال تتطلب حلاً سريعاً<sup>(١)</sup>.

وهذا عمر بن عبد العزيز لم يدع أهل الذمة حتى يطلبوا المعونة بأنفسهم، بل طلب هو من واليه أن يبادر فينظر في حالاتهم ومطالبهم فيسدها من بيت مال المسلمين.

وهنا تحقق ما أخبر به ﷺ كما في البخاري عندما قال: تصدقوا فإنه يأتي عليكم زمان يمشي الرجل بصدقته فلا يجد من يقبلها، يقول الرجل لو جئت بها بالأمس لقبلتها فأما اليوم فلا حاجة لي بها<sup>(٢)</sup>.

## نتائج وتوصيات

بعد ما تقدم في هذا البحث من التفصيلات، نخلص إلى النتائج والتوصيات التالية:

- ١- أن الإسلام دين عالي بشهادة التوراة والإنجيل ونصوص القرآن والسنة.
- ٢- أن الزكاة فريضة عالمية لأنها ركن من أركان الإسلام حيث أن ركن الشئى يحمل خصائصه ومزاياه.
- ٣- أن الأصل في الزكاة أن تكون فريضة عالمية وأن من يدعي غير ذلك فعليه بالدليل، وأنى له ذلك.
- ٤- أن الإسلام جاء بنظام تكافل إجتماعي رائد سابق على غيره لم تصل إليه كثير من الشعوب إلا بعد وقت طويل.
- ٥- أن نظام التكافل الإجتماعي المنبثق عن فريضة الزكاة عام يشمل جميع أفراد المجتمع المسلم وجميع أفراد المسلمين أينما كانوا على مساحة العالم كله.
- ٦- أن الرسول ﷺ هو أول من أنشأ هيئة ومؤسسة عالمية تعنى بجميع أفراد المجتمع من أهل الفقر والعوز والنوازل وحاجات الدولة (تلك هي بيت مال المسلمين).
- ٧- أن فريضة الزكاة عندما طبقت كما أرادها الله تعالى ورسم لها رسوله ﷺ، إختفت مظاهر الفقر والحاجة وحلت في المجتمع مظاهر الغنى والرفاهية.
- ٨- أن التعامل مع الزكاة جباية و صرفاً الأصل فيه أن يكون عن طريق بيت مال المسلمين وجهازه المنظم المتخصص الذي ترعاه الدولة ويعمل تحت إشرافها.
- ٩- أنه مع عدم وجود بيت مال المسلمين في مثل هذه الأيام فإنه لا بد من إيجاد مؤسسة

١- ملامح الإنقلاب في سيرة عمر بن عبد العزيز لعماد الدين خليل ص ١٤٠.

٢- البخاري كتاب الصدقة ٩/ برقم ١٤١١ - ومسلم كتاب الزكاة باب كل نوع من المعروف صدقه / شرح مسلم بصحيح النووي

عالمية تحل محل بيت المال، يقوم عليها أهل العلم والخبرة من المسلمين، ترعى شؤون أهل الفقر والعوز وتساعد في حل مشكلات الناس كافة على مساحة العالم كله عند الكوارث والحروب وتشريد الأمنيين واللقطاء وأبناء السبيل، مع الأخذ بعين الإعتبار الشروط المطلوبة شرعاً فيمن تدفع لهم أموال الزكاة .

والحمد لله رب العالمين

الباحث: د. رمضان الصيفي  
(دراسة قرآنية)

## أزمة الحكم والحكام قديماً وحديثاً

يشهد الوطن العربي الحبيب في هذه الأيام العديد من الثورات السلمية، التي تدعوا إلى إصلاح أنظمة الحكم فيها، أو إسقاطها لتغييرها، بسبب حالة اليأس والإحباط التي تعيشها الشعوب العربية، من إمكانية التغيير الديمقراطي أو الذاتي لتلك الأنظمة، وانبرى عدد من المحللين السياسيين والاجتماعيين وحتى النفسيين، لتحليل هذه الظاهرة الجديدة على الوطن العربي، ليدلّى كل بدلوه، عن أسباب تلك الثورات، ودوافع الشعوب لها، فذكروا منها العديد من الأسباب الحقيقية والموضوعية، لكن في المقابل لم يتطرق منهم أحد للأبعاد الإسلامية الحتمية لسقوط أي نظام في العالم، مهما كان قوياً ومنيعاً، طالما أنه قام على قواعد النظام الظالم، ولم يقيم على القواعد القوية العادلة، فجاء هذا البحث ليتناول أزمة الحكم والحكام من منظور قرآني، مبيّناً قواعد نظام الحكم في الإسلام، الذي استمر عدة قرون يحكم جزءاً كبيراً من المعمورة، كما تناول قواعد التدمير الإلهي لأنظمة الحكم المستبدة، (السنن الكونية في هلاك الأمم)، إضافة إلى مظاهر التمكين في الأرض التي صورها القرآن الكريم، ليكشف زيف أي نظام يدّعي الإسلام، أو أن قوانينه مصدرها الشريعة الإسلامية، ثم خلاص البحث إلى بيان أن القوة التي شكلتها أنظمة الحكم المنهارة لم ولن تتجح في استمراريتها، رغم ظلمها وبطشها المستمر، ورغم ضعف شعوبها المقهورة، لأن سنة الله غالبية، قال تعالى: ﴿... وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>، وقال: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾<sup>(٢)</sup>.

١- (يوسف: ٢١)

٢- (الأحزاب: ٦٢)

## The Crisis of Rule and Rulers - Past and Present: A Quranic Study

### Abstract

The Arab World has been witnessing many peaceful revolutions that call for changing or toppling their regimes as a result of despair and frustration from any possible internal and democratic change. Many political, sociological and psychological analysts addressed this new phenomenon in the Arab World, pointing out different causes of such revolutions. However, no one has mentioned the religious dimension according to which any regime built on non-religious bases - however strong it is - is inevitably going to collapse. Thus, this study tackles the topic from a Quranic perspective, pointing out the fundamentals of the Islamic rule that for centuries controlled a large part of the world. The study also tackles the principles upon which Allah destroyed these despotic regimes in spite of being strongly established in the land, as portrayed in the Quran, and thus, uncovering their pretence as being Islamic or based on Share'a. The study concludes that the power the toppled regimes gained did not help in giving large control to them in spite of their continuous tyranny and despotism, and their weak and submissive people. This is true in the light of Allah's Sunna And Allah has full power and control over His affairs, but most of men know not (Surat Yusuf, 21).

### أولاً: أسباب اختيار البحث

سرعة انهيار عدد من الأنظمة العربية القوية، مما شكل مفاجأة للجميع، وشجع باقي الشعوب للاقتداء بمن أسقطت أنظمة الحكم فيها.

غياب البعد الديني في عملية تحليل تلك الظاهرة، لدى معظم المحللين الذين تناولوا الحديث عن انهيار الأنظمة.

بيان سنن الله في القرآن، لتغيير أنظمة الحكم، أو انهيارها واستبدالها.

بيان قواعد تدمير الملك كما صورها القرآن الكريم.

إبراز أهم مظاهر التمكين للحكم الإسلامي كما صورها القرآن الكريم.

### ثانياً: أهمية البحث

تبرز أهمية البحث لأنه يتناول سقوط أنظمة الحكم قديماً وحديثاً، من منظور قرآني، وبذلك فإنه يقدم رؤية جديدة، غير التي قدمها المحللون السياسيون.

البحث يطمئن الشعوب المسلمة المستضعفة، والمقهورة من قبل حكامها، بحتمية سقوط أنظمتها، وهلاكها عاجلاً أم آجلاً.

تضمن البحث العديد من الرسائل لأنظمة الحكم الظالمة والمستبدة، بضرورة الاستجابة لمطالب شعوبها الشرعية والإنسانية، وألاً فالتغيير قادم لكونه سنة إلهية. يكشف البحث زيف الأنظمة التي تدعي الإسلام، لأن مظاهر حكمها تتنافى مع مظاهر الحكم الإسلامي.

### **ثالثاً: منهج الباحث:**

قام الباحث بهذه الدراسة من منظور قرآني بحث، بعيداً عن آراء السياسيين وغيرهم من المحللين.

استخدم الباحث العديد من المناهج العلمية، منها: المنهج الاستقرائي الناقص، والتحليلي، والوصفي، إضافة إلى منهج الاسترداد التاريخي.

رجع الباحث إلى أقوال كبار المفسرين القدامى في تفسير الآيات القرآنية، كالتطبري والقرطبي وابن كثير، والرازي وغيرهم، إضافة إلى المفسرين المحدثين كابن عاشور وسيد قطب.

مهد الباحث بمقدمة لكل مبحث ومطلب، ووضع العناوين المناسبة لها، كما ترجم الباحث للأعلام المغمورين للتعريف بهم.

قام الباحث بتخريج الأحاديث وعزوها إلى مظانها، والحكم عليها من خلال أقوال علماء التخريج.

### **رابعاً: خطة البحث:**

اشتملت خطة البحث على تمهيد، ومبحثين وخاتمة، جاءت على النحو التالي:

التمهيد وفيه:

الأزمة لغة واصطلاحاً.

خصائص الأزمة.

### **المبحث الأول: قواعد نظام الحكم في الإسلام:**

وفيه: مدخل وأربعة مطالب:

المدخل: القاعدة لغة واصطلاحاً.

المطلب الأول: القاعدة الأولى الحاكمة لله وحده.

المطلب الثاني: القاعدة الثانية العدل والمساواة بين الجميع.

المطلب الثالث: القاعدة الثالثة الشورى.

المطلب الرابع: القاعدة الرابعة طاعة الأمير واجبة في غير معصية.

**المبحث الثاني: الحكم والحكام بين قواعد التدمير ومظاهر التمكين:**

وفيه: مطلبان:

المطلب الأول: قواعد التدمير كما يصورها القرآن الكريم.

المطلب الثاني: مظاهر التمكين كما يصورها القرآن الكريم.

التمهيد وفيه :

أولاً : الأزمة لغة واصطلاحاً :

١ . الأزمة لغة :

قال ابن فارس: «أَزَمَ: وأما الهمزة والزاء والميم، فأصل واحد، وهو الضيق وتداني الشيء من الشيء بشدة والتفاف، وقال الخليل: أَزَمْتُ، وأنا أَزَمُ، والأَزَمُّ: شِدَّةُ العَضِّ، والفرس يَأْزِمُ على فأس اللجام . قلت يَعِضُّ . ويقال أَزَمَ الرجل على صاحبه: أي لزمه، وأزمني كذا: أَلْزَمَنِيهِ، والسِنَّةُ أَزَمَةٌ للشدة التي فيها، والمأزَمُ مضيق الوادي ذي الحزونة<sup>(١)</sup>، والمأزمان مضيق بالحرم<sup>(٢)</sup> .

قال الرازي: «الأزمة: الشدة، والقحط، وأَزَمَ عن الشيء: أمسك عنه، وكل طريق ضيق بين جبلين، مأزِم، وموضوع الحرب أيضا مأزِم، .قلت: بسبب الحالة الصعبة والشديدة التي تكون أثناء القتال، خصوصا عند التقاء الجمعان وجها لوجه .ومنه الموضع الذي بين المشعر وبين عرفة سمي مأزمان»<sup>(٣)</sup> .

وعلى ضوء ما سبق فإن الباحث يرى أن الأزمة في اللغة، لها عدة معاني متقاربة تدل على الشدة والتعب والضييق والألم، وعدم الاستقرار والوضوح، وهذه الحالة تحتاج إلى اتخاذ قرار سريع للخروج منها، بأمن وسلام، لأنها لو استمرت فإنها تهدد بالخطر حياة من نزلت به، ويمكن الإشارة لهذه الحالة بقوله تعالى: ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿٤﴾ .

٢ . الأزمة اصطلاحاً :

اختلف العلماء عند تعريفهم للأزمة في الاصطلاح، اختلافاً شكلياً، وإن كانوا قد اتفقوا على المضامين الرئيسية والأساسية لها، ولعل ذلك يعود لتنوع التخصصات لديهم، ولقد أشار إلى هذا التباين في التعريفات الدكتور العماري بقوله: « طالما كانت الأزمة مرحلة من مراحل الصراع، أو درجة من درجاته، أو طوراً من أطواره، فإنها تعز كذلك عن الحصر والتحديد، ولعل

١- الحزونة: الخشونة في الأرض، أو التي تصيب بالحزن. ابن الأثير (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ) النهاية في غريب الحديث والأثر، طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية بيروت، بدون طبعة (٢٨٠/١) .

٢- ابن فارس، ( ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م) معجم مقاييس اللغة، حققه شهاب الدين أبي عمرو، دار الفكر للنشر والتوزيع، ط لوان الثانية، (٧٣) .

٣- الرازي، زين الدين، مختار الصحاح، عني بترتيبه محمود خاطر، دار الفكر بيروت بدون طبعة (١٥) .

٤- (الأحزاب: ١٠- ١١) .

كلمات تشارلز ماكيلاند التي يعبر فيها عن مدى تعذر وضع تعريف شمولي لمعنى الأزمة، تأتي قاطعة الدلالة في هذا الصدد، عندما يقول: إن كمأ هائلاً من الدراسات التي نشرت خلال الأعوام الخمسة عشر الماضية حول مدلول الأزمة، والتي حاولت معالجة هذا المدلول، من مختلف زواياه، قد زادت من صعوبة الوقوف على حقيقة مبنى ومعنى هذا المدلول»<sup>(١)</sup>.

ورغم هذه الإشكالية لدى الباحثين في عدم تحديد معنى شامل للأزمة، إلا أن كلاً منهم اجتهد ووضع تعريفاً لها، وفيما يلي يذكر الباحث بعض التعريفات:

يقول الدكتور الهدمي، خبير الدراسات الإستراتيجية: «هي لحظة حرجة وحاسمة، ينبغي أن يفهم أنها تتعلق بمصير الكيان الإداري الذي أصابته، وتشكل بذلك صعوبة حادة، أمام متخذ القرار، تجعله في حيرة بالغة»<sup>(٢)</sup>.

ويقول الحملاوي: «هي عبارة عن خلل يؤثر تأثيراً مادياً على النظام كله، كما أنه يهدد الافتراضات الرئيسية، التي يقوم عليها هذا النظام»<sup>(٣)</sup>.

أما الخضير فيرى أنها «تعبّر عن موقف وحالة يواجهها متخذ القرار، في أحد الكيانات الإدارية ( دولة، مؤسسة، مشروع، أسرة) تتلاحق فيها الأحداث وتتشابك معها الأسباب بالنتائج، ويفقد معها متخذ القرار قدرته على السيطرة عليها، أو على اتجاهاتها المستقبلية»<sup>(٤)</sup>.

وبناءً على ما سبق فإن الأزمة هي: فترة مصحوبة بالألم والشدة والضيّق، تهدد كيان من تصيبه، وتوقعه في حالة من القلق والذعر والهلع، بسبب نقص المعلومات، تتطلب اتخاذ قرار حكيم وسريع للخروج منها، إما للأفضل أو بأقل خسارة.

### ثانياً: خصائص الأزمة:

السيد عليوة: يرى أن أهم خصائص الأزمة تتمثل في النقاط التالية:

هي نقطة تحول، تتزايد فيها الحاجة إلى الفعل المتزايد ورد الفعل المتزايد لمواجهة الظروف الطارئة.

تتميز بدرجة عالية من الشك في القرارات المطروحة.

يصعب خلالها التحكم في الأحداث.

---

١- العماري ( ١٤١٤ هـ ، ١٩٩٣ م ) إدارة الأزمات في عالم متغير، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ط الأولى (١٦).  
٢- الهدمي، ماجد سلام، مبادئ إدارة الأزمات، دار زهران للنشر والتوزيع، بدون طبعة (٨).  
٣- الحملاوي (١٩٩٨م) محمد رشيد، إدارة الأزمات تجارب محلية وعالمية، ط الثانية، (٢٩).  
٤- الخضير، د محسن أحمد، إدارة الأزمات منهج اقتصادي إداري لحل الأزمات على مستوى الاقتصاد القومي والوحدة الاقتصادية، مكتبة مدبولي، ط الثانية، (٥٣).

تسود فيها ظروف من عدم التأكد من صحة المعلومات بسبب نقصها، والعمل فيها في جو غامض.

ضغط الوقت والحاجة إلى اتخاذ قرارات صائبة وسريعة، مع عدم وجود احتمال للخطأ، لضيق الوقت.

التهديد الشديد للمصالح والأهداف.

المفاجأة والسرعة في وقوعها.

سيادة حالة من الخوف والهلع ربما تصل إلى الرعب وتقيد التفكير<sup>(١)</sup>.

ويرى الباحث أن خصائص الأزمة تؤخذ من خلال معانيها اللغوية السابقة، التي جاءت على النحو التالي:

نقطة تحول إما إلى السلب، إذا تركت دون علاج، وإما إلى الإيجاب إذا تم التعامل معها بحكمة وحسن إدارة، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۗ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۗ﴾<sup>(٢)</sup>، قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ﴾<sup>(٣)</sup>

الفجائية أحياناً، وفي الغالب يكون لها مقدمات على شكل إنذارات، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمَ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ۗ﴾<sup>(٤)</sup>، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءَ وَالسَّرَّاءَ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۗ﴾<sup>(٥)</sup>.

إحداث حالة من الخوف والإرباك والقلق الشديد والحيرة، لدى متخذ القرار قال تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۗ﴾<sup>(٦)</sup>.

ضيق الوقت، بسبب انفجارها، والخوف من أضرارها، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿١٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۗ﴾<sup>(٧)</sup>.

١- عليوة، السيد (١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م)، إدارة الوقت والأزمة والإدارة بالأزمات، القاهرة، دار الأمين للنشر والتوزيع، (٧٥) بتصرف.

٢- (الشرح: ٦٠٥)

٣- (البقرة: ٢١٦)

٤- (الأنعام: ٤٤)

٥- (الأعراف: ٩٥)

٦- (البقرة: ١٤٤)

٧- (المؤمنون: ٩٩، ١٠٠)

ومن خصائصها أنها تهدد حياة من تصيبه، سواء كان إنسان أو كيان، قال تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِشَرِّهِ فَأَصْبَحَ يَقْلِبُ كَفَيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿جَاءَهَا رِيحٌ عاصِفٌ وجاءهمُ المَوجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُوا أَنَّهُمُ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِن أُنجِيتَنَا مِن هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

الغموض وعدم وضوح الرؤية، إما بسبب مفاجأتها للكيان الإداري، أو لعدم الاستعداد المطلوب لمواجهتها، أو لنقص المعلومات حول وقت انفجارها، قال تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرُهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

سرعة الانتشار إذا لم تجد من يتصدى لها، بسبب التحول السريع الذي يطراً على المؤسسة أو الكيان، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَنَجْدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمٍ الْمُخْتَطِرِ﴾<sup>(٤)</sup>.  
أنها تفرض على متخذ القرار، ضرورة اتخاذ قرار سريع وحاسم وحكيم.  
عن أنس بن مالك س قال: قال رسول الله ﷺ: «إن قامت على أحدكم القيامة، وفي يده فضيلة<sup>(٥)</sup> فليغرسها»<sup>(٦)</sup>.

## المبحث الأول

### قواعد نظام الحكم في الإسلام

يتناول المبحث الحديث عن القواعد التي يقوم ويرتكز عليها الحكم والحكام في الدولة المسلمة، عند وضعهم للقوانين والتشريعات التي تضبط سياستهم في إدارة الدولة، وهذه القواعد مصدرها من الله لا ورسوله ﷺ، لأنهما المصدران الرئيسيان لقوانين التشريع في الإسلام، إضافة

١- (الكهف: ٤٢)

٢- (يونس: ٢٢)

٣- (النور: ٤٠)

٤- (القمر: ٢١)

٥- الفسيل صغار النخل وهي الودي والجمع فسلان. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. الحموي، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي، (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت، بدون طبعة، (٤٧٣/٢).

٦- الإمام أحمد، (١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١ هـ) مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط الأولى (٢٠/٢٥١ حديث رقم ١٢٩٠٢). قال شعيب: إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير حماد بن سلمة، فمن رجال مسلم هشام: هو ابن زيد بن أنس بن مالك.

إلى مصادر التشريع الأخرى كالإجماع والقياس، والأنظمة التي تتجاهل تلك القواعد ولا تعتبرها مرتكزاً لحكمها وسياستها، فإنها ستخضع لسنة الله في زوالها، مهما كانت قوية!!.

## المدخل وفيه:

### أولاً: القاعدة لغة واصطلاحاً:

القاعدة لغة: قال الراغب: «قعد القُعودُ يقابل به القيام، والقَعْدَةُ للمرّة، والقَعْدَةُ للحال التي يكون عليها القاعد، والقُعودُ قد يكون جمع قاعد، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ...﴾<sup>(١)</sup>، والقاعدة: لمن قعدت عن الحيض والتزوج، والقواعدُ جمعها، وقواعد البناء أساسه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ رَفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (البقرة: ١٢٧)<sup>(٢)</sup>.

قال ابن منظور: «والقاعدة: أصل الأساس، والقواعد: الأساس، وقواعد البيت أساسه، قال الزجاج: القواعد أساطين البناء التي تعمد، وقواعد الهودج: خشبات أربع معترضة في أسفله تركب عيدان الهودج فيها، قال أبو عبيد: قواعد السحاب أصولها المعترضة في آفاق السماء شبهت بقواعد البناء»<sup>(٣)</sup>.

## ٢. القاعدة اصطلاحاً

قال الكفوي: «كل قاعدة فهي أصل للتي فوقها»<sup>(٤)</sup>.

قال السبكي<sup>(٥)</sup>: «القاعدة: الأمر الكلي الذي ينطبق عليه جزئيات كثيرة يفهم أحكامها منها»<sup>(٦)</sup>.

١- (آل عمران: ١٩١)

٢- الراغب (١٤١٢هـ) أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ) المفردات في غريب القرآن، تحقيق عدنان النحوي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، الطبعة الأولى (٦٧٧، ٦٧٨).

٣- ابن منظور، (١٤١٤هـ) محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ) لسان العرب، دار صادر، بيروت، بدون طبعة (٣٦١/٣).

٤- الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريني الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، الكليات، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت بدون طبعة (٧٠٢).

٥- قاضي القضاة تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي الشافعي. المتوفى سنة «٧٧١هـ» كان إماماً بارعاً مفتناً في سائر العلوم، وله تصانيف شتى. الذهبي (١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، دار الحديث، القاهرة، بدون طبعة (٢٨/١).

٦- السبكي (١٤١١هـ- ١٩٩١م) تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ) الأشباه والنظائر، دار الكتب العلمية، ط الأولى (١١).

ويرى الباحث أن القاعدة هي الأساس أو الأصل الضابط، الذي تقوم به باقي الأجزاء الأخرى وتستند إليه.

قال الخياط: «والقاعدة مهمة، لأنها تضبط الفروع وتقيد شوارد الجزئيات، فالجزئيات تتنامي، ولا يستطيع أن يحيط بها الإنسان طول عمره، ولكن ضُبطُ الفقه بالقواعد يستغنى به عن حفظ أكثر الجزئيات، لاندراجها في الكليات»<sup>(١)</sup>.

### المطلب الأول: قاعدة الحاكمية لله

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ ۚ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِّلِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ...﴾<sup>(٣)</sup>، وقال سبحانه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾<sup>(٤)</sup>.

تحدث هذه الآيات وغيرها أن الحكم ووضع التشريع لله وحده، ولا يجوز ذلك لغيره، مهما عظم قدره وعلا شأنه، لأنه سبحانه أعلم بما يصلح خلقه، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾<sup>(٥)</sup>.

قال قطب: «وليس لأحد من خلق الله أن يشرع غير ما شرعه الله، وأذن به كائنًا من كان، فالله وحده هو الذي يشرع لعباده، لأنه مبدع هذا الكون كله، ومدبره بالنواميس الكلية الكبرى التي اختارها له، والحياة البشرية إن هي إلا ترس صغير في عجلة هذا الكون الكبير، فينبغي أن يحكمها تشريع يتمشى مع تلك النواميس، ولا يتحقق هذا إلا حين يشرع لها المحيط بتلك النواميس، وكل من عدا الله قاصر عن تلك الإحاطة بلا جدال»<sup>(٦)</sup>.

يرى أبو فارس: أن الحاكمية لا تكون إلا لله وحده، وهي من أولى خصائص الإلهية، وقد انفرد بها سبحانه تعالى، وليس لأحد من البشر أن يديعها، فالمشروع والمحلل والمحرم هو الله وحده، فما أحله الله فهو الحلال، وما حرمه الله فهو الحرام، وأضاف قائلاً: وهذا يعني أن ما

١- الخياط، (١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م) عبد العزيز عزت، النظام الأساسي في الإسلام، دار السلام، الطبري الثانية (١١٦).

٢- (الأنعام: ٥٧)

٣- (الشورى: ١٣)

٤- (النساء: ١٠٥)

٥- (الملك: ١٤)

٦- قطب، (١٤١٢هـ) سيد، قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ) الظلال، دار الشروق، بيروت القاهرة، ط السابعة عشر (٢١٥٢/٥).

يصدر عن الطواغيت من قوانين وتشريعات يشرعونها للناس ويحكمون الناس بها تعتبر باطلة من أساسها، غير ملزمة لأحد<sup>(١)</sup>.

لأن السيادة في النظم الوضعية تكون للبشر يبيحون ويفرضون ويمنعون حسب أهوائهم ومصالحهم وأمزجتهم، أو يكون جزءاً منها من الإسلام لتحقيق مصلحة ما والآخر من غيره.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٢﴾.

تناول هذه الآيات صنفاً من الناس الذين يرفضون حكم الله ابتداءً، لكنهم يأتون إليه مسرعين خاضعين مطيعين منقادين لحكمه، أي: إذا كان الحق لهم على غيرهم أسرعوا إلى حكمه، لثقتهم بأنه كما يحكم عليهم بالحق، فإنه يحكم لهم بالحق<sup>(٢)</sup>.

قال ابن عجيبة<sup>(٤)</sup>: وإن يكن لهم الحق على غيرهم يأتوا إلى الرسول مذعنين مسرعين في الطاعة، طلباً لحقهم، لا رضاً بحكم رسولهم، لمعرفة أنهم أنك لا تحكم إلا بالحق والمر والعدل المحض، يمتنعون من المحاكمة إليك، إذا ركبهم الحق، لئلا تنزعه منهم بقضائك عليهم لخصومهم، وإن ثبت لهم حق على خصم أسرعوا إليك، ولم يرضوا إلا بحكمك، لتأخذ لهم ما وجب لهم على خصمهم<sup>(٥)</sup>.

### المطلب الثاني: القاعدة الثانية العدل بين الجميع

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٦١﴾. وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٧٧﴾.

١- أبو فارس، النظام السياسي في الإسلام، (٢١، ٢٧) بتصرف، مرجع سابق.

٢- (النور: ٤٨ - ٤٩)

٣- انظر البيهقي (١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م) أبو محمد الحسين بن مسعود البيهقي (المتوفى: ٥١٠ هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط الرابعة (٥٦/٦).

٤- ابن عجيبة (١١٦٠ - ١٢٢٤ هـ = ١٧٤٧ - ١٨٠٩ م)، أحمد بن محمد بن المهدي، ابن عجيبة، الحسني الأنجري: مفسر صوفي مشارك، من أهل المغرب. دفن ببلدة أنجرة (بين طنجة وتطوان) له كتب كثيرة، منها (البحر المديد في تفسير القرآن المجيد. الزركلي (٢٠٠٢ م) خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٢٩٦ هـ)، الأعلام، دار الملايين، ط الخامسة عشر (٢٤٥/١).

٥- انظر ابن عجيبة (١٤١٩ هـ) أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤ هـ) البحر المديد، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي القاهرة، بدون طبعة (٥٥/٤).

٦- (النحل: ٩٠)

٧- (النساء: ٥٨)

هذه الآيات تأمر المؤمنين بالعدل سواء كانوا حكاماً أو محكومين، أما الحكام فلأن العدل أساس الملك، وأما المحكومين، فلكي يسود الحب فيما بينهم، كذلك أمرهم بالعدل حتى مع من يكرهون، قال: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَيْكُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

قال القرشي: «إن بسط العدل من أهم المبادئ الأساسية في الإسلام، لأن الإسلام أهم ما ينشده من الأهداف تحقيق العدل، والقضاء على الظلم والجور، وقد ارتبطت جميع مناحي التشريع الإسلامي بالعدل فلا يوجد ثمة حكم إلا مرتبطاً به»<sup>(٢)</sup>.

يقول أبو عبيد: «إن إقامة العدل في الدولة الإسلامية ليست من الأمور التطوعيّة التي تترك لرأي الحاكم، بل تعد من أقدس الواجبات وأهمها، دل على ذلك قول الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾<sup>(٣)</sup>، وقد أوجب الإسلام على الحكام أن يقيموا العدل بين الناس دون النظر إلى لغاتهم، أو أوطانهم، أو أحوالهم وحتى عقيدتهم، فالحاكم يعدل بين المتخاصمين ويحكم بالحق»<sup>(٤)</sup>، وهذا ما حدث مع الصحابة عندما أرادوا منع المشركين من الطواف حول الكعبة فنزل قول الله لأ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَيْكُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾<sup>(٥)</sup>.

قال الزمخشري: والمعنى: لا يحملنكم بغضكم للمشركين على أن تتركوا العدل فتعتدوا عليهم، بارتكاب ما لا يحل لكم من مُتَلَّة، أو قذف أو قتل أولاد أو نساء، أو نقض عهد أو ما أشبه ذلك، واعدلوا لأن العدل أقرب إلى التقوى، وفيه تنبيه عظيم على أن وجوب العدل مع الكفار الذين هم أعداء الله<sup>(٦)</sup>.

يقول عليان: العدل ميزان الاجتماع في الإسلام، فعليه يقوم بناء المجتمع، إذ به تستقيم الأمور وتسير في مسارها الصحيح، وبه تطمئن النفوس إلى نيل حقوقها، وكل نظام لا يقوم على

١- (المائدة:٨)

٢- القرشي (١٤٠٨هـ-١٩٧٨م) باقر شريف، النظام السياسي في الإسلام، دار التعارف للمطبوعات، الطبعة الرابعة (٥٧).

٣- (النساء:٥٨)

٤- أبو عبيد (١٤١٦هـ-١٩٩٦م) عارف خليل، نظام الحكم في الإسلام، دار النفائس، ط الأولى (٢٧٢).

٥- (المائدة:٨)

٦- الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٢٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الثالثة (١/٦١٣) مختصراً.

العدل سرعان ما ينهار، مهما كانت القوة التي تحميه، لأن العدل هو الدعامه القوية التي يقوم عليها الحكم، وقد قيل قديماً إن العدل أساس الملك<sup>(١)</sup>.

### المطلب الثالث: القاعدة الثالثة الشورى:

قال تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

لقد أخذ بالشورى عدد من الملوك والحكام قبل الإسلام، لأهميتها ومكانتها وأثرها في الوصول إلى أصوب القرارات، فهذه بلقيس تقول لقومها: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾<sup>(٤)</sup>، وهؤلاء إخوة يوسف يجتمعون للتشاور في شأن أخيهم يوسف عليه السلام، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَ الذَّهَبِ وَالذَّهَبُ أَسْوَءُ بِلَدُنَّا وَأَخُوهُ يَسْرِى﴾<sup>(٥)</sup>، والعرب في الجاهلية كان لهم مكان يتشاورون فيه يسمى دار الندوة بناه قصي بن كلاب<sup>(٦)</sup>، وكذلك في سقيفة بني ساعدة.

أما في الإسلام فإن الشورى ليست مجرد قاعدة للحكم فحسب، بل هي سورة نزلت من عند الله لا نتعبه بتلاوتها، وليبيان أهمية الشورى في اتخاذ القرارات الحكيمة، كذلك فإن الرسول عليه السلام كان كثير المشاورة لأصحابه، في السلم والحرب، والحل والترحال، وفي العديد من المواقف الدقيقة والخطيرة، التي يترتب عليها مصير الأمة فتجده طلب المشورة من أصحابه بقوله: أشيروا علي أيها الناس، وكان أحياناً يأخذ بالمبادرات الفردية، وهي على شكل مشورة من بعض أصحابه، كسلمان الفارس في حفر الخندق، والحباب بن المنذر<sup>(٧)</sup> في غزوة بدر، وأم سلمة

١- عليان (١٤٢٠هـ-١٩٩٩م) شوكت محمد، النظام السياسي في الإسلام، الرياض مكتبة الملك فهد الوطنية، ط الأولى (٢٩).

٢- (الشورى: ٢٨)

٣- (آل عمران: ١٥٩)

٤- (النمل: ٢٢)

٥- (يوسف: ٨)

٦- قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي، سيد قريش في عصره رئيسهم، أول من كان له ملك بني كنانة، وهو الأب الخامس في سلسلة النسب النبوي، مات أبوه وهو طفل صغير، سمي قصياً لبعده عن دار قومه، رحل مع أمه للشام، ولما كبر عاد للحجاز، كان موصوفاً بالدهاء، ولي البيت الحرام فهدم الكعبة وأعاد بناءها، كانت له الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء، كانت قريش تقيم برأيه، ولا تبرم أمراً إلا في داره. الزركلي، (٢٠٠٢م) خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٢٩٦هـ) الأعلام، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة، (١٩٨/٥).

٧- حباب بن المنذر بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري الخزرجي السلمي يكنى أبا عمر وقيل أبا عمرو وشهد بدرًا، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، هكذا قال الواقدي، وغيره. ابن الأثير، (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م) أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٢٠هـ)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط الأولى (٦٦٥/١).

في صلح الحديبية، وغير ذلك.

وجاء الخلفاء الراشدون من بعده أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، واستمروا على هذا المنهج الأصيل، كل ذلك لتحقيق مصلحة الأمة والوصول إلى أשוב الآراء<sup>(١)</sup>.

كذلك فالشورى ليست مقصورة في أمر دون أمر، أو ميدان دون ميدان، بل هي في كل الأمور التي ليس فيها نص شرعي، والتشاور بين المختصين في فهم النصوص، قال الزحيلي: «التشاور في القضايا الدينية والدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتنظيمية، أي فيما لم يرد به نص تشريعي واضح الدلالة، لأن الأمر القرآني بالمشاورة غير مخصوص بأمر الدين»<sup>(٢)</sup>.

## أولاً: المدخل وفيه: الشورى لغة واصطلاحاً

### ١. الشورى لغة:

قال ابن فارس: «الشين والواو والراء أصلان مطردان، الأول منهما إبداء شيء وإظهاره وعرضه، والآخر أخذ شيء».

الأول قولهم: شرت الدابة شوراً، إذا عرضتها.

والباب الآخر قولهم: شرت العسل أشوره وهو مشتق من شور العسل، فكأن المستشار يأخذ الرأي من غيره»<sup>(٣)</sup>.

قال ابن منظور: «شار العسل يشوره شوراً وشياراً وشياراً ومشاراً ومشاراً:

استخرجه من الوقبة واجتباها»<sup>(٤)</sup>، والشورة والشارة، والشور والشيار والشوار: الحسن والجمال»<sup>(٥)</sup>.

وبناء على ما سبق فإن الشورى في اللغة لها عدة منها:

١- انظر بن كثير، (١٤١٩هـ) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ط الأولى، (١٣١/٢)، وانظر أبو فارس، (١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م) محمد عبد القادر، النظام السياسي في الإسلام، دار الفرقان، عمان الأردن، ط الثانية (٨١-٨٢).

٢- الزحيلي، وهبة الزحيلي، أستاذ ورئيس قسم الفقه الإسلامي وأصوله بجامعة دمشق، كلية الشريعة الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر، سورية، دمشق، ط الرابعة، (٦٢٠٢/٨).

٣- ابن فارس، مقاييس اللغة (٥٤١) مختصراً، مرجع سابق.

٤- ابن منظور، لسان العرب (٣/٢٧٩، ٣٩٠) مرجع سابق.

٥- الفيروزي (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م) مجد الدين أبوطاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ) أبادي، القاموس المحيط، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط الثامنة، (٣٧٩).

العمل على إبداء الشيء وإظهاره.

عرض الأمر على الآخرين لأخذ رأيهم.

الوصول إلى أحسن شيء ممكن.

## ٢. الشورى اصطلاحاً:

قال الأنصاري: «هي استطلاع رأي الأمة أو من ينوب عنها في الأمور العامة بها»<sup>(١)</sup>.

بينما الشورى من وجهة نظر نعمان هي: «عرض لوجهات النظر المختلفة لإظهار الآراء المخبوءة عند أصحابها، وتقليب لها بالدراسة والتحليل، وبذلك الجهد في استخراج أصحابها وأصلحها، ثم جنى أحسنها وأوجهها وأولاها بالأخذ»<sup>(٢)</sup>.

أما أبو فارس فيري أنها: «تقليب الآراء المختلفة، ووجهات النظر المطروحة في قضية من القضايا، واختبارها من أصحاب العقول والأفهام حتى يتوصل إلى الصواب منها أو أصوبها وأحسنها ليعمل به حتى تتحقق أحسن المصالح»<sup>(٣)</sup>.

وبناء على كل ما سبق فإن تعريف أبو فارس أفضل التعريفات، إلا أن الباحث يرى أنها: عرض مسألة لم يرد فيها نص شرعي، على أهل الرأي والمشورة، لتقليبها ودراستها، من أجل استخراج الرأي الأفضل لتحقيق مصلحة الأمة.

يقول عليان: «يعتبر الإسلام الشورى أساس الحكم، ودعامة قوية له، لأنها توصل الناس إلى الإدراك الصحيح، في عامة الأمور، وليس أدل على ذلك من أن الله تعالى قد أمر رسوله بها، حيث يقول: ﴿..... وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾<sup>(٤) (٥)</sup>.

## ثانياً: أهمية الشورى في الإسلام

لقد ذكر العلماء أهمية الشورى في الإسلام، وفيما يلي بيان ذلك:

قال ابن عطية: «الشورى من قواعد الشريعة، وعزائم الأحكام، ومن لا يستشعر أهل العلم فعزله واجب هذا ما لا خلاف له»<sup>(٦)</sup>.

١- د. الأنصاري (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م) عبد الحميد إسماعيل، الشورى وأثرها في الديمقراطية، دراسة مقارنة، دار الفكر العربي، بدون طبعة (٤).

٢- نعمان (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م) صادق شايف، الخلافة الإسلامية، دار السلام للطباعة، ط الأولى (٧٦).

٣- أبو فارس النظام السياسي في الإسلام، (٧٩) مرجع سابق.

٤- (آل عمران: ١٥٩)

٥- عليان، النظام السياسي في الإسلام (٣٥) مرجع سابق.

٦- ابن عطية، المحرر الوجيز (٥٢٤/١) مرجع سابق.

تستخدم الشورى من أجل الوصول إلى الرأي الأصوب الذي يحقق مصلحة الأمة.  
تستخدم لاستشعار الجميع روح المسؤولية والأمانة أثناء الملمات والأزمات.  
تستخدم تأليفاً للقلوب وتطبيياً للنفوس<sup>(١)</sup>.  
كي لا ينفرد أي قائد أو مسؤول في تحديد مصير الأمة، أو الكيان الإداري.  
تستخدم الشورى ليستشعر الجميع العمل ضمن الروح الجماعية، فالجماعة فيها الرحمة  
والبركة ويد الله مع الجماعة<sup>(٢)</sup>.  
الشورى فيها اتباع لرسول الله ﷺ والذي كان أكثر الناس مشورة لأصحابه.  
الشورى فيها طاعة لله واستجابة لأمره.  
العمل على تطمين الأمة ضد الإشاعة الكاذبة، بأن قيادتها واحدة ورأيها واحد وأمرها  
شورى بينها.  
الشورى فيها عزة الأمة ورفعتها، لقول الرسول ﷺ: «وأمركم شورى بينكم فظهر الأرض خير  
لكم من بطنها»<sup>(٣)</sup>.

وخلاصة القول إن الشورى كما قال الغزالي رحمه الله: «إنها فضيلة تطابق الفعل والنقل على  
حدها، وصدقت الأيام عظم جدواها، وحسن عقباها، وقد عرفنا أن رسول الله ﷺ كان يستشير  
وينزل عن رأيه إلى رأي أصحابه، ما دام الصواب ظهر إلى جانبهم»<sup>(٤)</sup>.

#### المطلب الرابع: طاعة الأمير واجبة في غير معصية:

يتحدث هذا المطلب عن قاعدة مهمة من قواعد الحكم، لأنها نابعة من قوة الثقة بالحاكم،  
والتي يترتب عليها استقرار الدولة المسلمة، وتماسكها وتعاونها بين الحاكم والمحكوم، وتفاني كل  
منهما لتحقيق المصلحة العليا للمسلمين.

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَوَدُّهُ  
إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾<sup>(٥)</sup>.

١- انظر المارودي، النكت والعيون (٤٣٢/١) مرجع سابق.

٢- حديث يد الله مع الجماعة رواه الترمذي، عن ابن عباس كتاب الفتن عن رسول الله باب ما جاء في لزوم الجماعة (٤٦٦/٤)  
حديث رقم (٢١٦٦) صححه الألباني كتاب صحيح وضعيف سنن الترمذي (١٦٦/٥) جزء من حديث ورواه الهيثمي في الزوائد  
٢٢١/٥ حديث رقم (٩١٢٣) رواه الطبراني ورجاله ثقات.

٣- الترمذي كتاب الفتن عن رسول الله باب ما جاء في النهي عن سب الريح (٥٢٩/٤) حديث رقم (٢٢٦٦) جزء من حديث، قال  
الترمذي هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث صالح المزي، وضعفه الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة (١٠٩٨/١٤) حديث  
رقم (٦٩٩٩) دار المفارق، الرياض المملكة العربية السعودية، ط الأولى (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).

٤- الغزالي (١٩٩٧م) محمد، الإسلام والاستبداد السياسي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ط الأولى (٥٨).

٥- (النساء: ٥٩)

قال الواحدي: «وهم العلماء والفقهاء وقيل: الأمراء والسلاطين، وتجب طاعتهم فيما وافق الحق»<sup>(١)</sup>.

قال ابن عطية: «أولو الأمر: طاعة الأمراء على قول الجمهور: أبي هريرة وابن عباس وابن زيد وغيرهم»<sup>(٢)</sup>.

قال ابن عاشور: «لما أمر الله الأمة بالحكم بالعدل عقب ذلك بخطابهم بالأمر بطاعة الحكام ولاة أمورهم، لأن الطاعة لهم هي مظهر نفوذ العدل الذي يحكم به حكاهم، فطاعة الرسول تشتمل على احترام العدل المشرع لهم وعلى تنفيذه، وطاعة ولاة الأمور تنفيذ للعدل، وأشار بهذا التعقيب إلى أن الطاعة المأمور بها هي الطاعة في المعروف، ولهذا قال علي: حق على الإمام أن يحكم بالعدل ويؤدي الأمانة، فإذا فعل ذلك فحق على الرعية أن يسمعوا ويطيعوا»<sup>(٣)</sup>.

قال عليان: الطاعة تعني أمرين:

الأمر الأول: أن تكون مقيدة بأوامر الله سبحانه وتعالى فلا طاعة للدولة في أمر فيه مخالفة لصريح ما نهى الله عنه، قال تعالى: ﴿...وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ وَلَا فِي مَعْصِيَةٍ...﴾<sup>(٤)</sup>، ففيها دلالة على ضرورة الطاعة في المعروف، وعدم الطاعة في المعصية.

الأمر الآخر: أن تكون الطاعة صادرة عن اعتقاد وإيمان، بأن الدولة لها حق الطاعة في المنشط والمكروه، فهي طاعة اختيارية يأثم المسلم في مخالفتها، ولو لم توافق رأيه وهوى نفسه، لأن طاعة الدولة من طاعة الله، فعليه أن ينفذ أوامرها ويطيع قوانينها»<sup>(٥)</sup>.

يقول أبو فارس: «والإسلام حين أوجب على الرعية أن تطيع ولاة الأمور فيها، لم يجعل هذه الطاعة مطلقة من كل قيد، ذلك لأن الطاعة المطلقة تؤدي إلى الحكم الفردي الدكتاتوري المستبد، ومن ثم تمسح شخصية الأمة وتتلاشى، وهذا ما ياباه الإسلام ويرفضه رفضاً مطلقاً»<sup>(٦)</sup>.

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن يعصني فقد عصى

١- الواحدي (١٤١٥هـ) أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دار الشامية، دمشق، بيروت، ط الأولى (٢٧١/١).

٢- انظر ابن عطية (١٤٢٢هـ) أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت ط الأولى (٧٠/٢).

٣- ابن عاشور (١٩٨٤هـ) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٢٩٢هـ) التحرير والتنوير، دار التونسية للنشر، تونس، بدون طبعة (٩٦/٥).

٤- (الممتحنة: ١٢).

٥- عليان، النظام السياسي في الإسلام (١٠٩، ١١٠) مختصراً، مرجع سابق.

٦- أبو فارس، النظام السياسي في الإسلام (٧١) مرجع سابق.

اللَّهُ، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني»<sup>(١)</sup>.

ومن النماذج القرآنية التي عرضها القرآن الكريم في تطبيق هذه القواعد أو معظمها، قصة ذي القرنين:

### القاعدة الأولى: الحاكمية لله

قال تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيًّا﴾<sup>(٢)</sup>.

يمكن استنباط هذه القاعدة من قول الله في ضمائر العظمة (نا) ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيًّا﴾<sup>(٣)</sup>، إضافة إلى اعتراف ذي القرنين بفضل الله عليه في قوله: ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾<sup>(٤)</sup>، فظاهر النص القرآني أنه لا يمكن أن يمكن الله لعبد، ويؤتيه من كل شيء ويحكمه في الأرض، إلا إذا كان مؤمناً به، قال الخازن: «والأصح الذي عليه الأكثرون أنه كان ملكاً صالحاً عادلاً، يدعو إلى الله تعالى، سائراً في الخلق بالمعونة التامة والسلطان المؤيد المنصور من الله، وأنه بلغ أقصى المغرب والمشرق والشمال والجنوب»<sup>(٥)</sup>.

كذلك فإن نصرته للقوم المستضعفين ضد قبيلتي يأجوج ومأجوج، تدل على ذلك، قال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾<sup>(٦)</sup>.

### القاعدة الثانية: العدل في الحكم

قال تعالى: ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ، ثُمَّ نُرَدُّهُ إِلَىٰ رَبِّهِ، فَيُعَذِّبُهُ، عَذَابًا نُكْرًا﴾<sup>(٧)</sup> وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحَسَنَىٰ وَسَنُقُولُ لَهُ، مِنْ أَمْرٍ يُسْرًا﴾<sup>(٧)</sup>.

والشاهد أن الله خير ذي القرنين بين تعذيب القوم الذين فتح بلادهم، وبين العفو عنهم،

١- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية (٢/١٤٦٦) حديث رقم (١٨٢٥)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون طبعة.

٢- (الكهف: ٨٤)

٣- (الكهف: ٨٤)

٤- (الكهف: ٩٨)

٥- الخازن (١٤١٥هـ) علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيجي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)، لباب التأويل في معاني التنزيل، تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبري الأولى (٢/١٧٥)، وانظر بن عجيبة (١٤١٩هـ) أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسن الأندلسي الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة، الطبري الأولى، ٣/٣٠٠).

٦- (الكهف: ٩٥)

٧- (الكهف: ٨٧-٨٨)

فأجاب بقاعدة العدل في الحكم عليهم، قال أبو السعود: «كان ذلك الخطاب بواسطة نبي في ذلك العصر، أو كان ذلك إلهاماً لا وحياً، بعد أن كان ذلك التخييراً موافقاً لشريعة ذلك النبي»<sup>(١)</sup>، قال الرازي: «كانوا كفاراً فخير الله ذا القرنين فيهم، بين التعذيب لهم إن أقاموا على كفرهم، وبين المن عليهم والعفو عنهم، وهذا التخيير على معنى الاجتهاد في أصلح الأمرين كما خير نبيه ﷺ بين المن على المشركين وبين قتلهم»<sup>(٢)</sup>.

### القاعدة الثالثة: الشورى

برزت هذه القاعدة على شكل الحوار الذي دار بين ذي القرنين وبين القوم الذين لا يكادون يفقهون قولاً، عندما عرضوا عليه معاناتهم من قبيلتي يأجوج ومأجوج، قال تعالى: ﴿قَالُوا يٰذَا الْقَرْنَيْنِ اِنَّ يٰاَجُوْجَ وَمَآجُوْجَ مُفْسِدُوْنَ فِى الْاَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلٰٓى اَنْ نَّجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًاۗۙ﴾<sup>(٣)</sup>، فرد عليهم قائلاً: ﴿قَالَ مَا مَكْنٰى فِىْهِ رَبِّىْ خَيْرٌۭ فَاَعِزُّوْنِىْ بِقُوَّةِۙ اَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًاۗۙ﴾<sup>(٤)</sup> (الكهف: ٩٥).

لقد عرض القوم على ذي القرنين بناء سد ليحول بينهم وبين إفساد يأجوج ومأجوج، وهو عرض عليهم بناء ردم ليحقق هذا الهدف، وهم بذلك يتشاورون في كيفية الخلاص من القوم المفسدين، وعرض كل منهم رأيه ثم خلصوا إلى الرأي الأصوب، واتفقوا على رأي ذي القرنين، وبدأ تنفيذ الخطة بقوله: ﴿ءَاتُوْنِىْ زُبْرًاۙ﴾<sup>(٥)</sup> الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال آتوْنِىْ اَفْرِغْ عَلَيْهِ قَطْرًاۙ﴾<sup>(٦)</sup>، فكانت النتيجة الباهرة وتحقق الهدف، ﴿فَمَا اسْطَعُوْا اَنْ يَّظْهَرُوْهُ وَمَا اسْتَطَعُوْا لَهُۥ نَقَبًاۙ﴾<sup>(٧)</sup>.

### القاعدة الرابعة: الطاعة الواجبة في غير معصية

الآيات السابقة تشتمل على هذه القاعدة، لأن ذي القرنين عندما أمرهم أن يأتوا بقطع الحديد، يقتضى السياق القرآني أن يقولوا فاستجابوا له وذهبوا وأحضرها ووضعوها بين يديه

١- أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون طبعة (٢٤٢/٥).

٢- الرازي، التفسير الكبير (٤٩٧/٢١) مرجع سابق.

٣- كل ما يُسَدُّ به فهو سد. القرطبي، (١٢٨٤هـ - ١٩٦٤م)، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) الجامع لأحكام القرآن الكريم، تحقيق أحمد البردوني، وإبراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، (٥٩/١١).

٤- (الكهف: ٩٤)

٥- الردم وضع الشيء على الشيء من حجارة أو تراب، أو نحوه حتى يقوم من ذلك حجاب منيع. المرجع السابق (٥٩/١١).

٦- أي قطع الحديد، وواحد الزبر زبرة، وهى القطعة العظيمة. الزجاج (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٢١١هـ) معاني القرآن وإعرابه (عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، (٣١١/٢).

٧- (الكهف: ٩٦)

٨- (الكهف: ٩٧)

ليسأوي بين الصدفين، وبدأ بتنفيذ الخطة ومنها قوله: ﴿..أَتُونِي أَفْرِغْ عَلَيْهِ قَطْرًا﴾<sup>(١)</sup>، فأطاعوه وأفرغ النحاس المذاب فوق قطع الحديد ليصنع الردم الذي وعدهم به.

قال الزجاج: «أعطوني قطراً وهو النحاس، فصب النحاس المذاب على الحديد الذي قد صار كالزيت، فاختلف ولصق بعضه ببعض، حتى صار جبلاً صلباً من حديد ونحاس»<sup>(٢)</sup>.

---

١- (الكهف: ٩٦)

٢- الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (١١ / ٩٥، ٩٦).

## المبحث الثاني

### الحكم والحكام وسنن التغيير

إن أي نظام حكم سليم في الأرض لا بد أن يقوم على العديد من القواعد السليمة التي تؤهله للاستمرارية والبقاء، وفي المقابل فإن هناك سنناً إلهية ثابتة لتدمير أي حكم ظالم في العالم، خرج عن القواعد السابقة لنظام الحكم في الإسلام، مهما بلغت قوته، وتعالى عظمته، ومكثت فترة حكمه، لأنها تعتبر سنن الله في خلقه، قال تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الذِّبْرِكَ خُلُوعًا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾<sup>(١)</sup>، وقال لا عن تدمير بعض الأمم السابقة: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

لذا فإن هذا المبحث سوف يتناول قواعد تدمير الملك في القرآن، كما سيتناول الحديث عن مظاهر التمكين الصالحة في الأرض، والتي يستحق أصحابها حكم المسلمين ويكونون أمناء على مقدراتهم ومقدساتهم، ويستحقون معية الله لهم، ثم وقوف الأمة معهم والتضحية لحمايتهم، والسمع والطاعة لهم.

### المطلب الأول: قواعد التدمير كما يصورها القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدْبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

تحدثت هذه الآيات عن ملك حكم بلاد مصر عشرات السنين الطويلة، وربما بعض المئات، فقد ذكر الطبري أنه حكمهم أربعمئة عام<sup>(٤)</sup>، واستطاع أن يسخر كل طاقات الأمة لمصلحته الشخصية وبقاء ملكه، فارتكب أشنع المجازر دون رحمة وشفقة، وأهمها قتل الأطفال أو ذبحهم، كما صور القرآن ذلك في الآيات السابقة، وفي آية أخرى ذكر القتل فقال: ﴿وَإِذْ أُنجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾<sup>(٥)</sup>.

ومن خلال دراسة الآيات السابقة يمكن استخلاص قواعد تدمير الملك لأي ملك من الملوك، لأن سياسة فرعون مع شعبه أوصلته إلى الدمار والهلاك، حتى جعله الله عبرة لأمثاله، قال تعالى:

١- (الأحزاب: ٦٢)

٢- (المنكوت: ٤٠)

٣- (التقصص: ٤)

٤- الطبري، (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) جامع البيان في تأويل القرآن، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط الأولى (٤٣/٢).

٥- (الأعراف: ١٤١)

﴿ فَأَلْيَوْمَ نُنَجِّكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَفُلُونَ ﴾<sup>(١)</sup>،  
فالحياة التي عاشها فرعون، وما آل إليه حاله، جديرة بالاعتبار من كل الحكام في هذا الزمان.

### القاعدة الأولى: العلو والاستكبار

إنها مفسدة نفسية عظيمة، يتولد منها مفسد جمة من احتقار الناس، والاستخفاف بحقوقهم، وسوء معاملتهم، وبتث عدوته فيهم والتفريط في حقوقهم، وإهدار كرامتهم، وتسخيرهم لمصالحه الشخصية، فنتيجة هذه القاعدة غضب الله لا الذي يؤدي للدمار، والاحتقار من الناس.  
عن أبي هريرة س قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله لا: «الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما، قذفته في النار»<sup>(٢)</sup>.  
وفي رواية عنه قال: «قَطَمْتَهُ<sup>(٣)</sup> أَلْقَيْتَهُ فِي النَّارِ»<sup>(٤)</sup>.

لقد اعتدى فرعون على حق من حقوق الله لا، عندما ادعى الإلوهية، وجعل من نفسه مشرعاً لمملكته فتحدى موسى وأعلن حربه على الله لا، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَأْتِيهَا الْمَلَائِكَةُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُنْ عَلَى الطَّيْنِ فَأَجْعَلَ لِي صَرَحًا لَعَلِّي اطَّلِعُ إِلَى إِلَهٍ مُّوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ مِنْ الْكَاذِبِينَ ﴾<sup>(٥)</sup>، وقال تعالى على لسان فرعون: ﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾<sup>(٦)</sup>، فكانت النتيجة الحتمية له ﴿ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴾ (النَّازِعَات: ٢٥).

### القاعدة الثانية: قاعدة فرق تسد

لقد جعل فرعون أهل مملكته شيعاً وفرقاً، وفرق بينهم في المعاملة، فجعل منهم مقربين إليه، وجعل بعضهم ضد بعض، ليشير بينهم التحاسد والتباغض، فأصبحت كل فرقة تتقرب إليه،

١- (يونس: ٩٢)

٢- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) كتاب اللباس باب ما جاء في الكبر (٤/ ٥٩ حديث رقم ٤٠٩٠) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، بدون طبعة. صححه الألباني.

٣- القضم: أكل بأطراف الأضراس، وقيل: هو أكل الشيء اليابس. المرسي (١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م) أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ) المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هندواي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى (١٨٤/٦). القضم: القضم: الأكل بأطراف الأسنان. ابن الأثير (١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م) مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ) النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، بدون طبعة (٧٧/٤).

٤- مسند إسحق بن راهويه، (١٤١٢ - ١٩٩١) أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم الحنظلي المروزي المعروف بـ ابن راهويه (المتوفى: ٢٣٨هـ)، باب الكوفيين (١/ ٣٠٥ حديث رقم ٢٨٥) تحقيق: د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، ط الأولى.

٥- (القصص: ٢٨)

٦- (النَّازِعَات: ٢٤)

وتتربص الدوائر بالأخرى، حتى ينشغلوا ببعض، ولا يتفقوا على الخلاص منه.

قال الطبري: «وجعل أهلها شيعاً: أي فرقا يذبح طائفة منهم، ويستحيي طائفة، ويعذب طائفة، ويستعبد طائفة»<sup>(١)</sup>، ليسهل عليه حكمهم والسيطرة عليهم.

وقال السعدي: «أي: طوائف متفرقة، يتصرف فيهم بشهوته، وينفذ فيهم ما أراد من قهره، وسطوته»<sup>(٢)</sup>.

قال ابن عاشور: «جعل أهل بلاد القبط فرقا ذات نزعات تتشيع كل فرقة إليه وتعادي الفرقة الأخرى، لئتم لهم ضرب بعضهم ببعض، وقد أغرى بينهم العداوة ليأمن تألبهم عليه، كما يقال فرق تحكّم، وهي سياسة لا تليق إلا بالمكر بالصد والعدو، ولا تليق بسياسة ولي أمر الأمة الواحدة»<sup>(٣)</sup>.

### القاعدة الثالثة: الاستضعاف والاستعباد

كان ذلك من خلال استضعاف طائفة من أهل مملكته، فيجعلها حقيرة مهضوم حقها، لا يساويها مع غيرها، وبالتالي تعيش مستضعفة مقهورة ذليلة، تأكل لقمة عيشها مغمسة بالذل والإهانة.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُم سُوءَ الْعَذَابِ يَذَّبُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup>.

قال الراغب: «سام: السوم أصله الذهاب في ابتغاء الشيء، فهو لفظ لمعنى مركب من الذهاب والابتغاء، وأجرى مجرى الذهاب في قولهم: سامت الإبل، فهي سائمة، ومجرى الابتغاء في قولهم، سمت كذا، قال تعالى: ﴿يَسُومُونَكُم سُوءَ الْعَذَابِ﴾<sup>(٥) (٦)</sup>.

الجمال في التعبير القرآني: هذا التعبير يصور لنا مشاهد عميقة مؤثرة، فيها العديد من اللقطات المفزعة والمخيفة التي تعبر عن استفزاز فرعون وجنوده، وهو يطارد بني إسرائيل ويتفنن في تعذيبهم، وفي المقابل يصور لنا مشاهد متعددة لهم، وهم يرتجفون خوفا ورعباً،

١- الطبري، جامع البيان، (١٩/٥١٦) مرجع سابق.

٢- السعدي، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م) عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، مؤسسة الرسالة، ط الأولى (٦١١).

٣- ابن عاشور، التحرير والتنوير (٦٧/٢٠) مرجع سابق.

٤- البقرة: ٤٩)

٥- البقرة من الآية ٤٩)

٦- الراغب (١٤١٢هـ)، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ) المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، ط الأولى (٤٣٨).

لأنهم يعلمون إصرار فرعون على ذلك، فأين سيذهبون وهو الملك الذي يحكم البلاد؟!، وجنوده ينتظرون في الطرقات يتخطفون العباد، عيونهم ترصد بني إسرائيل، وأيديهم على سيوفهم، وإذا حاول أحدهم الهرب تسابقوا لذبحه، أو تسليمه لفرعون، فأى حياة هذه التي عاشوها طيلة فترة السُّوم؟، وأي مستقبل ينتظرهم في ظلها؟، أليس الموت للأحرار أرحم منها؟!، كذلك فإن شدة العذاب النفسية والبدنية ظهر على ملامح وجوههم، وأصبح علامة بارزة يدل عليهم<sup>(١)</sup>.

### القاعدة الرابعة : الاستئصال

جاءت هذه القاعدة من خلال ذبح الذكور الذين هم أصل النسل كيلا يكون لبني إسرائيل قوة من رجالهم، حتى يبقى النفوذ في الأرض لقومه خاصة.

ولقد ذكر الإمام الرازي رحمه الله، أضرار ذبح الذكور دون الإناث، يلخصها الباحث في النقاط التالية:

إن ذبح الأبناء يترتب عليه فناء النسل البشري كله، لأن النساء عندما يكبرن، لا قيمة لهن بدون الرجال، وبالتالي تنقطع الذرية من أصلها.

إن من أخطر الأضرار التي تتبع ذبح الأطفال، التدمير النفسي للمرأة التي مكثت شهوراً وهي تعاني آلام الحمل ومعاناته، ترجو أن تقر عينها بغلام، وفجأة في لحظة تفقده وقد مكثت ربما سنوات تنتظر قدمه، فأى عذاب أكثر من ذلك، وصدق الله عندما قال: ﴿وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

إن ذبح الأطفال، يعني أن تبقى النساء محل طمع الأعداء، ودون حماية، وبالتالي يتم استباحة أعضائهم وكشف أستارهن واسترقاقهن<sup>(٣)</sup>.

ويبدو أن ذبح الأطفال، فتح الباب على مصراعيه أمام الفساد والإباحية، وانتشار الجرائم الجنسية، وخصوصاً السحاق، لأن الجنس أمر فطري تحتاج إليه النفس البشرية، ليتحقق لها الأمن والسكينة، وخصوصاً السحاق، لأن الجنس أمر فطري تحتاج إليه النفس البشرية، ليتحقق لها الأمن والسكينة، قال تعالى: ﴿ وَمِن آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾<sup>(٤)</sup>.

١- الباحث (١٤٣٠هـ. ٢٠٠٩م) رسالة ماجستير بعنوان: منهج القرآن الكريم في التعامل مع جرائم اليهود. دراسة تطبيقية بين الماضي والحاضر، (٤٣، ٤٤).

٢- البقرة / ٤٩)

٣- الرازي (١٤٢٠هـ) أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الثالثة، (٢/٥٠٥، ٥٠٦) بتصرف.

٤- (الروم/ ٢١)

## القاعدة الخامسة إذلال النساء

عندما كان يبيقهن أحياء بلا ذكور، فلا مستقبل لهن ولا زواج وإنما الإهانة والاحتقار، واستغلالهن خادمت لدى قومه، أو للتمتع بهن جنسياً، إضافة لما يمكن أن ينتشر بينهن السفاح وغيره، لعدم وجود الرجال الأزواج<sup>(١)</sup>.

وقال ابن عاشور: «أي يستبقي حياة الإناث من الأطفال، فأطلق عليهم اسم النساء باعتبار المال، إيماءً إلى أنه يستحيين ليصرن نساء، فتصلحن لما تصلح له النساء وهو أن يصرن بغايا إذ ليس لهن أزواج، وإذ كان احتقارهن بصد قومه عن التزوج بهن، فلم يبق لهن حظ من رجال القوم إلا قضاء الشهوة، وباعتبار هذا المقصد انقلب الاستحياء مفسدة بمنزلة تذييع الأبناء، إذ كل ذلك اعتداء على الحق»<sup>(٢)</sup>.

هذه القواعد الفاسدة والمفسدة كانت كضيلة أن تجعل فرعون مؤهلاً لتدمير ملكه، وضياعه، لأنه لم يسخره لمصلحة شعبه، وقضايا أمته، لكنه استغله لمصلحته الشخصية، هو والملا من حوله، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾<sup>(٣)</sup>. وقال تعالى: ﴿ فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِزَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ﴾<sup>(٤)</sup>، وقال تعالى: ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ، فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾<sup>(٥)</sup>.

ومن الأمثلة القرآنية على قواعد تدمير الملك، نظام الحكم لقوم عاد، قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾<sup>(٦)</sup>، فكانت النتيجة أن دمر الله ملكهم وأزال مملكتهم وجعلهم عبرة لمن خلفهم، قال تعالى: ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴾<sup>(٧)</sup> (٤١) مَا نَذُرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ<sup>(٨)</sup> (٩) وقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا عَادُ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ وَآمَّا عَادُ فَاهْلِكُوا

١- انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (٢٠ / ٦٩) مختصراً، مرجع سابق.

٢- ابن عاشور، التحرير والتنوير، (٢٠ / ٦٩، ٧٠) مرجع سابق.

٣- (الزخرف: ٥٥)

٤- (الإسراء: ١٠٣)

٥- (القصص: ٤٠)

٦- (فصلت: ١٥)

٧- العقيم التي لا يكون معها لرح، أي لا تأتي بمطر، وإنما هي ريح الإهلاك. الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (٥٦/٥) مرجع سابق.

٨- الرميم الورق الجاف المتحطم، مثل الهشيم، كما قال: (كهشيم المحتظر). المرجع السابق (٥٧/٥).

٩- (الذاريات: ٤١، ٤٢)،

بَرِيحٍ صَرَصَرَ عَاتِيَةً ﴿٦﴾<sup>(١)</sup> سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَمْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةً أَيَّامٍ حُسُومًا<sup>(٢)</sup> فَفَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ حَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿٣﴾.

### المطلب الثاني: سنة التمكين كما يصورها القرآن الكريم

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَعَاتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عِزَّةُ الْأُمُورِ﴾<sup>(٤)</sup>، وقال تعالى: ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا ثَكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحَسَنُ ۗ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾<sup>(٥)</sup>.

تتناول هذه الآيات خمس مظاهر للتمكين، الصلاة وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة العدل بين الرعية، من خلال تطبيق النظام على الجميع دون محاباة لأحد، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۗ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾<sup>(٦)</sup>.

إن هذه المظاهر وغيرها تمثل عنواناً للحكم الإسلامي، وعوداً للحاكم في حكمه، وتوفيراً لكثير من جهود الأمة، مادياً ومعنوياً، وتحمي الأمة من أشباح الأجهزة الأمنية التي تنشر الخوف والرعب بين المواطنين، لأن هذه الصفات تعين على نشر الفضيلة ومحاربة الرذيلة.

### المدخل وفيه: التمكين لغة واصطلاحاً:

#### التمكين لغة:

تفعيل مصدر للفعل الرباعي (أمكن أو مَكَّنَ) يقال: (أمكنه) من الشيء جعل له عليه سلطاناً وقدرة<sup>(٧)</sup>.

ومكنته من الشيء تمكيناً: جعلت له عليه سلطاناً وقدرة، فتمكن منه، واستمكن قدر عليه، وله مكنة أي قوة وشدة، وأمكنته منه بالألف مثل مكنته، وأمكنني الأمر سهل وتيسر<sup>(٨)</sup>.

١- أي بريح شديدة البرد جدا، والصرصر شدة البرد، وصرصر متكرر فيها البرد. المرجع السابق (٢١٤/٥).  
 ٢- أرسل عليهم الريح سبع أيام متتالية حتى أفتنهم ولم يبق منهم شيء، فكانوا كأنهم جذوع النخل الفارغة. المرجع السابق (٢١٤/٥) بتصرف.  
 ٣- (الحاقة: ٦، ٨).  
 ٤- (الحج: ٤١).  
 ٥- (الكهف: ٨٧، ٨٨).  
 ٦- (النساء: ٥٨).  
 ٧- انظر مصطفى وآخرون، إبراهيم، مجمع اللغة، المعجم الوسيط، دار الدعوة، بدون طبعة (٨٨١/٢).  
 ٨- أبو العباس الحموي (أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٥٧٠هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت، بدون طبعة (٥٧٧/٢).

مكن فلان عند الناس مكانة: عظم عندهم فهو مكين، وفي التنزيل ﴿... قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدِينَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾<sup>(١)</sup>، (أمكنه) من الشيء جعل له عليه سلطاناً وقدرة، والأمر فلاناً سهل عليه وتيسر له، ويُقال فلان لا يُمكنه النهوض لا يقدر عليه<sup>(٢)</sup>.

وبناء على ما سبق فإن معنى التمكين: السلطان والقوة والقدرة على الشيء، والمكانة العالية عند الناس، ويأتي بمعنى الثبات والاستقرار، قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

### التمكين اصطلاحاً:

قال السعدي: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ...﴾<sup>(٤)</sup>، أي: ملكناهم إياها، وجعلناهم المتسلطين عليها، من غير منازع ينازعهم، ولا معارض<sup>(٥)</sup>.

قال الرازي: «والمراد من هذا التمكين السلطنة ونفاذ القول على الخلق، لأن المتبادر إلى الفهم من قوله: ملكناهم في الأرض ليس إلا هذا»<sup>(٦)</sup>.

وعلى ضوء ما سبق فإن التمكين اصطلاحاً هو: السلطان والحكم الثابت المستقر، القادر على حكم الأمة المسلمة، والقيام على شؤونها ورعاية مصالحها وفق المنهج الإسلامي.

### المظهر الأول: إقامة الصلاة:

قال تعالى: ﴿... أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾<sup>(٧)</sup>.

يعد هذا المظهر أصلاً أساسياً لأي حاكم من الحكام وأنظمتهم، لأنه يمثل الجانب الروحي له من خلال إقامة الصلاة والقيام بها، على أكمل وجه، ولأنه الرابط القوي والمتين بين العبد وربّه، والغذاء الروحي للحاكم والمحكوم على حد سواء، والذي يضبط سلوكهم، ويقوي العلاقة بين أبناء المجتمع المسلم، وفيما يلي بيان حقيقة هذه المظهر وأثره على الاستقرار العام في الدولة.

١- (يوسف: ٥٤)

٢- انظر مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط (٨٨١/٢) مرجع سابق.

٣- (المؤمنون: ١٣)

٤- (الحج: ٤١)

٥- السعدي (١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م) عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويح، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة، ط الأولى (٥٣٩).

٦- الرازي (١٤٢٠) أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الثانية (٢٣٠/٢٢).

٧- (الحج: ٤١)

قال الراغب الأصفهاني: «الإقامة في المكان: الثبات، وإقامة الشيء: توفية حقه، ولم يأمر الله تعالى بالصلاة حينما أمر، ولا مدح بها حينما مدح، إلا بلفظ الإقامة تنبيهاً أن المقصود منها توفية شرائطها لا الإتيان بهيئاتها».

قال الصاعدي: ومن هنا ندرك أن إقامة الصلاة في القرآن أمر زائد على مجرد فعل الصلاة، لأنها حركة الأجساد الخاصة، من قيام وقعود وركوع وسجود، ودعاء وتسبيح وتكبير وتحميد ونحو ذلك، وبها يعتد في أحكام الدنيا، أما تمامها الذي يحصل به الثواب فهو إقامتها بحضور القلب فيها، ومن هنا يحصل التفاوت بين المصلين، مع أن الحركات الظاهرة واحدة شكلاً وزماناً، لكنها تختلف وتتباين في حضور القلب والخشوع، فليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها وحضر قلبه فيها، وهذا ما يؤكد أن حضور القلب في الصلاة هو روحها ولبها، وبقدر حضور القلب فيها تكون إقامتها، فإذا تجردت من حضور القلب لم تقترن في القرآن الكريم بلفظ الإقامة<sup>(١)</sup>.

ويرى الباحث أن إقامة الصلاة له أثر كبير في سلوك المؤمنين يترجم على أرض الواقع في حياتهم، جهاداً ومعاملة، وقوانيناً تضبط حياتهم، كما قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمَاءٌ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ...﴾<sup>(٢)</sup>.

ولقد عبر القرآن الكريم عن أحوال الصحابة ن بالجملة الفعلية المتجددة، في قوله تعالى: ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ لبيان أثر الصلاة في مجمل حياتهم، المدنية والعسكرية، والخلقية، وكأن الناظر إليهم ويتعامل معهم يرى أثر الصلاة في معاملتهم كلما تعامل معهم، قال تعالى: ﴿...وَأَقْرَبُ الصَّكَاةِ إِلَى الصَّكَاةِ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

### المظهر الثاني: إيتاء الزكاة:

قال تعالى: ﴿...وَأَتُوا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَ لِلَّهِ عِزَّةُ الْأُمُورِ﴾<sup>(٤)</sup>.

هذه المظهر ليس ركناً من أركان الإسلام فحسب، لكنه في الوقت نفسه يمثل ركناً اقتصادياً

١- الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، (١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م) العدد المائة وعشرة، السنة الثانية والثلاثون، مقال بعنوان: دعائم التمكين للمملكة العربية السعودية، حمدي بن حمدي الصاعدي، (٦٨).

٢- (الفتح: ٢٩)

٣- (المنكوت: ٤٥)

٤- (الحج: ٤١)

أساسياً ورابطاً اجتماعياً قوياً، بين أبناء المجتمع المسلم، ليكونوا وحدة واحدة متماسكة في وجه أعدائها، كما أنه يطهر القلوب من الحقد والحسد، ليملاًها محبة وشفاءً وألفة للأغنياء الذين يبحثون عن فقراء المسلمين ليأدوا لهم حقهم في الزكاة، ولسان حالهم يقول: لن أتمتع بالطعام والشراب حتى تأخذ حقي يا أخي!!، كما أنه جزء من وقاية الأمة من جرائم السرقة واللصوص، ومحاولات الإحتراق الأمني من عدوها الذي يحاول استغلال فقر البعض من أبنائها ليجندهم جواسيس وعملاء له.

قال عفانة وهو يبين أهمية الزكاة في الإسلام: «فهي الركن المالي من أركان الإسلام ودعائمه الخمس، ولا شك أن تطبيق نظام الزكاة وفق الأسس والقواعد المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ كفيل بحل مشكلة الفقر لدى المسلمين، ومن المعروف أن لجان الزكاة في فلسطين لها دور بارز في إحياء فريضة الزكاة وتفعيلها في المجتمع المحلي»<sup>(١)</sup>.

لذلك فإن رحمة الله تنزل على المجتمع الذي تؤدي فيه الزكاة، قال تعالى: ﴿... وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُمِبَهَا لِلَّذِينَ يَنْقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، كما أن غضبه وانتقامه ينزل بالمجتمع الذي لا يؤديها، وهذا ما أكد عليه الرسول ﷺ بقوله: «..... ولم يمنعوا الزكاة إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا»<sup>(٣)</sup>.

### المظهر الثالث: الأمر بالمعروف

قال تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، وقال: ﴿يَبْتَئِي أَقِيمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾<sup>(٥)</sup>.

يعد هذا المظهر الثالث من مظاهر تمكين الحكم في أي مجتمع من المجتمعات، بمثابة الفضيلة التي ينبغي أن تسود فيه، لتكون عوناً للحاكم على تطبيق القوانين التي تدعو للخير، والحفاظ على أمنها الداخلي، بدل الأجهزة الأمنية القمعية التي تشر الرعب والخوف وتقوم ببطش المواطنين، وتعادي على حرمتهم وحرمة بيوتهم، إضافة إلى ملايين الدولارات التي تنفق

١- عفانة (١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م) حسام الدين بن موسى محمد، يسألونك عن الزكاة، لجنة زكاة القدس، فلسطين، ط الأولى (٦).

٢- (الأعراف: ١٥٦)

٣- الحاكم (١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م) أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥ هـ) المستدرک على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى (٥٨٢/٤) جزء من حديث. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠ هـ) صحيح الترغيب والترهيب (١/١٨٧) ط الخامسة.

٤- (آل عمران: ١٠٤)

٥- (لقمان: ١٧)

عليهم، ولا يعني هذا الاستغناء عن أجهزة الأمن، لملاحقة المجرمين واللصوص، أو الذين يعبثون بأمن الوطن والمواطنين.

قال قطب: «جاء هذا المنهج يوم جاء لخير البشرية، يدعو الدعاة لتحكيم هذا المنهج اليوم وغداً، بل الأمر اليوم ألزم، والبشرية بمجموعها تعاني من النظم والمناهج التي انتهت إليها ما تعاني، وليس هناك منقذ إلا هذا المنهج الإلهي، الذي يجب أن يحتفظ بكل خصائصه كي يؤدي دوره للبشرية وينقذها مرة أخرى»<sup>(١)</sup>.

لذا فقد صدق الرسول ﷺ عندما حذر المسلمين عامة والحكام خاصة من عدم الأمر بالمعروف وخطورة ذلك.

عن حذيفة بن اليمان، س عن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم»<sup>(٢)</sup>.

عن سالم بن عبد الله<sup>(٣)</sup>، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس، مروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، قبل أن تدعوا الله فلا يستجيب لكم، وقبل أن تستغفروه فلا يغفر لكم، إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يدفع رزقا، ولا يقرب أجلا، وإن الأخبار من اليهود، والرهبان من النصارى لما تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لعنهم الله على لسان أنبيائهم، ثم عموا بالبلاء»<sup>(٤)</sup>.

#### المظهر الرابع: النهي عن المنكر

﴿...وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُؤْمِرِينَ﴾<sup>(٥)</sup>، ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>(٦)</sup>.

١- قطب، الظلال، (٤٤٠/١) مرجع سابق.

٢- الترمذي (١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م) محمد بن عيسى بن سَورَة بن موسى بن الضحاک، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩ هـ)، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، كتاب الفتن باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط الثانية (٤/٦٨٨ حديث رقم ٢١٦٩) حسنه المحققون.

٣- سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، القرشي العدوي: (١٠٠٠ - ١٠٦ هـ = ٧٢٥ - ٠٠٠ م) أحد فقهاء المدينة السبعة، ومن سادات التابعين وعلماهم وثقاتهم، دخل على سليمان بن عبد الملك فما زال سليمان يرحب به ويرفعه حتى أقعده معه على سريره، توفي في المدينة. الزركلي، الأعلام (٣/٧١) مرجع سابق.

٤- ابن أبي الدنيا (١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م) أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١ هـ)، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تحقيق: صلاح بن عايض الشلاحي، مكتبة الغرباء الأثرية، السعودية، ط الأولى (٨٨ حديث رقم ٤٤).

٥- (الحج: ٤١)

٦- (آل عمران: ١٠٤)

يعد هذا المظهر الرابع من مظاهر تمكين الحكم في أي مجتمع من المجتمعات، بمثابة الوقاية من أي انحراف في المجتمع لأنه متى وجد من يقوم به، فإنه حصن المجتمع من أي رذيلة يمكن أن تصيبه، وهذا المظهر كسابقه فيه عون للحكام على تطبيق القوانين الرادعة التي يضعونها، كما أنه يعمل على ردع المجرم قبل إجرامه، وبه يعم الأمن والأمان لعامة المواطنين في أي دولة من الدول، لذا على الحكام أن يسهلوا بدورهم مهام من يقومون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ففي ذلك كل الخير لهم ولمجتمعاتهم.

وقد وضع الزحيلي عدداً من القواعد الأساسية للقائمين على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيما يلي بيانها مختصراً:

القاعدة الأولى: الشرع هو الأصل في تقرير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

القاعدة الثانية: العلم والبصيرة بحقيقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

القاعدة الثالثة: معرفة شروط إنكار المنكر، وأهمها:

التحقق من كونه منكراً.

أن يكون المنكر موجوباً في الحال، وله ثلاث حالات، ولكل حالة ما يناسبها.

أن يكون ظاهراً من غير تجسس ما لم يكن مجاهراً.

أن يكون الإنكار في الأمور التي لا خلاف فيها.

القاعدة الرابعة: معرفة إنكار المنكر، وجاءت كما يلي:

المرتبة الأولى: الإنكار باليد وشروطه.

المرتبة الثانية: الإنكار باللسان وضوابطه.

المرتبة الثالثة: الإنكار بالقلب.

القاعدة الخامسة: تقديم الأهم على المهم.

القاعدة السادسة: اعتبار تحصيل المصالح وتكميلها، ودرء المفاسد وتعطيلها أو تقليلها.

القاعدة السابعة: التثبت في الأمور وعدم العجلة<sup>(١)</sup>.

لذا فقد عاقب الله بني إسرائيل أشد العقاب، لأنهم كانوا لا يتناهون عن المنكر فيما بينهم، قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾<sup>(٢)</sup>

١- انظر الزحيلي، حمود بن أحمد، قواعد مهمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ضوء الكتاب والسنة، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات، بدون طبعة (١).

٢- (المائدة: ٧٨، ٧٩)

فماذا ينتظر بعض الحكام الذين يحاربون الأميرين بالمعروف والناهيين عن المنكر، ويطردونهم من بلادهم بغير حق، ليعيشوا مشردين غرباء عنها، في بلاد الغرب، وفي المقابل يقربون المنافقين والمفسدين واللصوص لينهبوا مقدرات الأمة ويعبثون بها ١٩٩.

### المظهر الخامس: العدل وحفظ الأمانة<sup>(١)</sup>

أما حفظ الأمانة فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾<sup>(٢)</sup>

قال الرازي: «أمر المؤمنين في هذه الآية بأداء الأمانات في جميع الأمور، سواء كانت تلك الأمور من باب المذاهب والديانات، أو من باب الدنيا والمعاملات»<sup>(٣)</sup>، لأن الأصل في ثبات الحكم ووجود الثقة بين الجميع، العدل بين الناس.

قال قطب: والأمانات تبدأ من الأمانة الكبرى، الأمانة التي ناط الله بها فطرة الإنسان، والتي أبت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن منها، وحملها الإنسان، أمانة الهداية والمعرفة والإيمان بالله عن قصد وإرادة وجهد واتجاه، فهذه أمانة الفطرة الإنسانية خاصة، وكذلك أمانة الشهادة لهذا الدين، بمحاولة إقراره في الأرض منهجاً للجماعة المؤمنة، ومنهجاً للبشرية جمعياً بكل ما يملك الفرد من وسيلة، وبكل ما تملك الجماعة من وسيلة، وأمانة التعامل مع الناس ورد أماناتهم إليهم، أمانة المعاملات والودائع المادية، وأمانة النصيحة للرعي وللرعية، وغير ذلك من حماية الثغور والمقدسات ليكون الدين كله لله<sup>(٤)</sup>.

١- انظر القاعدة الثانية من قواعد الحكم في الإسلام من البحث (١١).

٢- (النساء: ٥٨)

٣- الرازي، التفسير الكبير، (١٠٨/١٠) مرجع سابق.

٤- انظر قطب، الظلال (٦٦٧/٢، ٦٦٩) مختصراً، مرجع سابق.

## الخاتمة وفيها :

### النتائج :

تبين أن القرآن الكريم احتوى على العديد من قواعد تدمير الملك، وهي سنن ربانية، لا تتغير ولا تتبدل، عادلة في حكمها، لا تحابي أحداً، ولا تعبأ به.

اتضح أن الإيمان بالله والعمل بأحكامه طريق التمكين في الأرض، والكفر والفساد وعدم الحكم بما أنزل الله طريق التدمير والهلاك، وضياع الملك.

تبين أن سقوط أنظمة الحكم قديماً وحديثاً، كان ضمن هذه السنن الإلهية، بما فيها أنظمة الحكم العربية.

اتضح أن مظاهر أنظمة الحكم التي سقطت، بعيدة عن مظاهر الحكم في الإسلام.

لقد اتضحت حتمية سقوط الأنظمة المستبدة، مهما أحاطت نفسها وحصنتها بالقوة المستبدة، لتطابقها مع قواعد تدمير الحكم والحكام في القرآن.

يمكن اعتبار سقوط الأنظمة الظالمة لشعوبها المسلمة، تمهيد لاستعادة حضارتها الإسلامية.

### التوصيات :

يوصي الباحث الشعوب العربية والإسلامية بالصبر والثبات، واللجوء لله لأ، لأن في ذلك سعادتهم في الدنيا والآخرة.

يوصي الباحث أنظمة الحكم العربية بتقوى الله، والعمل على تحقيق العدالة الاجتماعية، والاقتصادية بين الناس.

يوصي الباحث الحكام والشعوب بضرورة الحوار، والحفاظ على المصالح العامة للأمة، من خلال القواسم المشتركة بين الجميع.

يوصي الباحث الأمة المسلمة حكماً وشعباً بالرجوع لمصادر الحضارة الإسلامية، وعدم الخضوع للضغوطات الأمريكية والغربية، التي لا تعمل إلا لمصالحها ومصالح العدو الصهيوني.

## الجمال في الإسلام

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

المنظر الجميل يوحي بالفكر الجميل، وكل ما خلق الله تعالى ينم عن الجمال، وقد أحسن الله كل شيء خلقه، وهو مليء بالجمال، ودال على خالقه، والإنسان يرى الجمال ويفهمه ويدركه بمساحة تفكيره ومحيطه، في صور الأشياء والكائنات أجمعها، وفي طبيعتها منفردة ومجمعة، وفي أحوالها وحركاتها وهيئاتها كلها، فالجمال يدب إلى النفس من أوسع المنافذ فتجذب له، وتأنس به، وتهش له من غير استئذان واختيار، وكأن الإنسان زود بجهاز في داخله لا يعرفه يحكم على هذا بالجمال وعلى ذلك أنه خاوم من الجمال.

وقد حفل القرآن الكريم بالآيات التي تدعو الإنسان أن يفتح بصره وبصيرته على آيات الله في كونه، ليستشعر من ورائها القدرة المبدعة في أسلوب أخاذ يأخذ بمجامع النفس، ليحدث فيها أعجب الأثر بالإيمان بالله تعالى ومحبته، فأبي قارئ للقرآن -مهما كانت ثقافته- يدرك على الفور دعوته العامة لاستطلاع الجمال المعروف والمتقن في هذا الكون لتذوق روائعه، وتلمس العبرة منه، فحيثما اتجه النظر أو القلب، أو الذهن فإنه يجد رصيماً ضخماً من ذخائر الحسن والجمال، وكأن الجمال ضرورة من ضرورات الحياة، ليشعر بالارتياح وليحس بالصلة القوية بين المصور وما صور، وبالخالق وما خلق، فيزيده شعوره بجمال ما يحس وما يرى، لأنه يرى من ورائه جمال الله تعالى وكماله، ويستشوق عبير جلاله في أسمائه الحسنى وصفاته، فأسماءه سبحانه دالة على أحسن المعاني وأشرفها، وكما ذكر القرطبي «سمى الله سبحانه أسماءه بالحسنى لأنها حسنة في الاسماع والقلوب، فإنها تدل على توحيده وكرمه وجوده ورحمته وإفضاله»<sup>(1)</sup> وهي توحى وتؤثر

١ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار احياء التراث العربي، ج٧، ص٢٢٦.

وتعمق الحسن والجمال في النفس لترى كل شيء جميلاً.

والقرآن الكريم كذلك يوقظ الوعي الجمالي، ويرقي الذوق الجمالي، فحين يخبرنا أن الله تعالى خلق سبع سماوات طباقاً يتبع ذلك بقوله: ﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾<sup>(١)</sup> ثم يدعونا لإعادة النظر والتأمل مرتين وحتى نتأكد من صدق الوصف وجماله ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾<sup>(٢)</sup> ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ<sup>(٣)</sup> وكأن جمالها لا ينتهي فما ينتهي النظر إليها، وقال سبحانه عن الأرض ﴿وَالْأَرْضُ مَدَدًا نَّهًا وَالْقَنَاطِثُ فِيهَا رَوَاسِي وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾<sup>(٤)</sup> فهناك جمال في نظام الكون وصورته لا تغيب عن أي مظهر من مظاهره يغذي به الإنسان وجدانه ويشبع به فطرته، ويشوقه إلى لقاء ربه، فالطبيعة تزخر بالجمال، والجمال عنصر من بنية العالم، والإنسان لشغفه به يسعى دائماً ليحاكيه، فما من شيء فيه صغر أو كبر إلا وتجد جمالاً متغلغلاً فيه فـ «الجمال لا تكتفي أن تكون جبلاً.. ولكنها تكون جميلة ورائعة مكسوة بالثلوج أو مكسوة بالغايات.

إن السحاب لا يكتفي بأن يكون سحاباً يحمل الماء، ولكنه كذلك يكون جميلاً بأشكاله وألوانه، ثم ينتشر عليه في بعض الأحيان طيف الشمس (قوس قزح) في منظر رائع جميل! إن النبات لا يكتفي بأن يكون نباتاً، ولكنه يورق ويزهر، ويستمتع منه الإنسان بزهره وشكله البهيج»<sup>(٥)</sup>

ومن الأمثلة اللافتة للنظر على ذلك الندف الثلجية الصغيرة الجميلة، والعجيبة «الجمال الذي تشيعه في النفس أصغر ندفة منه أو أصغر بلورة بين السماء والأرض لا يقل عن ذلك سحراً، وهو يلح علينا بإصرار لأنه لا يقتصر على أن يحرك فينا الإستجابة للرقّة والأناقة التي تجعل منا بشراً، ومصممو المنسوجات والفنانون يستوحون الأفكار من الندف الثلجية (المكبرة) ويستعرضون بمعرض الطبيعة الدائم للزخرفة وتصاميم الجواهر والحلي.. وقد قال أحدهم: «العالم يدرس الطبيعة لأنها جميلة، ولو لم تكن جميلة لما كانت جديدة بأن تعاش»<sup>(٥)</sup>

والجمال في النظرة الجديدة للعلم وسيلة من وسائل اكتشاف الحقيقة العلمية حيث «يجمع أبرز علماء الفيزياء في القرن العشرين على أن الجمال هو المقياس الأساسي للحقيقة العلمية»<sup>(٦)</sup> وفي عالم الحيوان: فإن القرآن يوجهنا إلى الغايات والمقاصد المتعلقة بخلق الانعام، فيذكر

١- (سورة الملك: ٣)

٢- (سورة الملك: ٣-٤)

٣- (سورة ق: ٧)

٤- منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، دار الشروق، ط٧، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ص ١٤٩.

٥- العلم في منظوره الجديد، أغروس باستانسو، ترجمة كمال خلايلي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، عدد ١٢٤، ص ٥١

٦- المرجع نفسه، ص ٤٦.

الجانب النفعي لها ويتوج ذلك بالغاية الجمالية بعد الوفاء بالغايات الأساسية فيعزز الجانب الغائي بالجانب الجمالي، مما يدل على عناية القرآن بالصورة الجمالية، قال تعالى: ﴿وَالأَنْعَدَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (١) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ (١) فلا يكتفي بذكر المنفعة المادية فحسب، فالجمال والزينة منفعة محققة، وهي تلبى حاسة الجمال الهامة في الشعور الوجداني، ويضاف إلى ذلك الجمال اللفظي في تقديم لفظ تريحون على تسرحون «لما كان إسراحها وهي خماص، وإراحتها وهي بطان، قدم الإراحة لأن الجمال بها حينئذ أفخر» (٢)

وعن الطير، قال سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَّيَتْ وَيَقِضْنَ ..﴾ (٣) إنه منظر جمالي للطير الصافات والقابضات في كبد السماء تبهج الناظرين، هذا بالإضافة إلى ريش الطيور الذي يغلب على تركيبها الخارجي الزينة والزخرفة والجمال، مع التناسق الدقيق الجذاب التي تزهبه ألوانها الملائمة لبيئتها، والذي يستفيد منه الإنسان ويحاكيه، وأكثر ما يدهشنا ويطربنا تغريدها وزقزقتها وهو صلاتها وتسيبها، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْخِجُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّيَتْ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ..﴾ (٤)

فالجمال بالغ الوفرة ومبثوث في هذا الكون، وهو ليس جمالاً سطحياً، بل هو متغلغل في الأعماق، وفي جميع الأشياء صغيرها وكبيرها، ظاهرها وباطنها، واشكالها وحقائقها، وفي كل مستوى، وهو يرى في قطرة ندى، أو ندفة ثلج، وفي النخل الباسقات والحب النضيد، والجنات المعروشات وغير المعروشات، والفاكهة المتشابهة وغير المتشابهة ..

والحدائق ذات البهجة، والازواج البهيجة، وفيما رأينا وفيما لم نر لورأينا، فهو ليس منحصر في عين الناظر وحسب، بل كلما أرجعت البصر لرأيت حسناً وجمالاً كثيراً، «والطباع السليمة قاضية باستلذاذ النظر إلى الانوار والازهار والاطيار المليحة الألوان، الحسنه النقش، المتناسبة الشكل حتى ان الإنسان لتتفرج عنه الغيوم والهموم، بالنظر اليها لا لطلب حظ وراء النظر فهذه، الأسباب ملذة، وكل لذيق محبوب وكل حسن وجمال فلا يخلو ادراكه عن لذة، ولا احد ينكر كون الجمال محبوبا عند من انكشف له جماله وجلاله، كما قال ﷺ: «إن الله جميل يحب الجمال» (٥)

ذلك الجمال، وتلك الزينة أنكر القرآن على من حرمها، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ

١- (سورة النحل: ٥-٦)

٢- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٩٨م، ج٢، ص٢٠٤.

٣- (سورة الملك: ١٩)

٤- (سورة النور: ٤١)

٥- احياء علوم الدين، الغزالي، دار احياء الكتب العربية، عيسى البايي الحلبي وشركاه، القاهرة، ج٤، ص٢٩٠.

أَلَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ»<sup>(١)</sup> وإضافة كلمة (زينة) إلى الله عز وجل في الآية، تجسد عنصر الجمال الذي احتوى الوجود كله، وهي تعطي شحنات نفسية عميقة، ترقى الحس الإنساني إلى تذوق الجمال، والتكيف معه، وهو مما اسبغ الله على عباده من نعمه، حيث فطر الانسلن على الاحساس بذلك الجمال، ليتفاعل معه في باطنه وظاهره ومحيطه، فيلحظه ويحفظه في امره كله، مما يرسخ فيه احساسا جماليا عظيما، اذ المحافظة عليه «محافظة على المرؤة وعلى التألف المطلوب، لأن الإنسان اذا بدا في الهيئة الجميلة كان ادعى لانبساط النفس اليه، فيقبل قوله، ويحمد رأيه، والعكس بالعكس»<sup>(٢)</sup>

### الإنسان أجمل المخلوقات؛

والإنسان أجمل المخلوقات وأحسنها، يبدو ذلك في تكوينه الجسدي والروحي، فهو أكمل الاحياء في الأرض وأرقاها، فليس لله تعالى خلق أجمل من الإنسان، قال سبحانه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾<sup>(٣)</sup> فالجمال سمة بارزة فيه، وقد دعا النبي ﷺ لبعض أصحابه «اللهم جمِّله وأدم جماله»<sup>(٤)</sup> وقد أجاب من سأله، أمن الكبر أن يكون ثوبي غسِيلاً وشراكي نعلي جديدا؟ فقال ﷺ: «لا، ذاك الجمال إن الله جميل يحب الجمال»<sup>(٥)</sup>

وقد راعى الإسلام الجمال في أعضاء الإنسان وجوارحه، فمن اعتدى على إنسان ففوت عليه منفعة جمالية تتعلق به، فأوجب في ذلك الدية تعظيما لحق الأدمي وجماله فـ «اذا فوت جنس المنفعة على الكمال وهو المقصود، وكذا لو قطع المارن أو الأرنبة»<sup>(٦)</sup>

«وفي اللحية إذا حلقت فلم تنبت الدية، لأنه يفوت به منفعة الجمال، وفي قرع الرأس اذا لم ينبت الشعر الدية، وفي شعر اللحية الدية اذا لم تنبت وفي الحاجبين الدية اذا لم تنبت.. وأهداب العين.. لأنه اذهب الجمال»<sup>(٧)</sup> وفي هذه الاحكام الفقهية الجميلة ما يؤكد على العناية بجمال الإنسان، فشدد العقوبة لمن فوت الجمال في عضو أو أخل به.

واعتنى الإسلام بمظهر الإنسان، فرغب باللباس الحسن الرفيع من الثياب، والتجمل بها وخاصة في الجمع والاعياد، وقد ذكر القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾<sup>(٨)</sup> «وليس كل ما تهواه النفس يذم، وليس كل ما يتزين به يكره، وانما ينهى عن ذلك

١- (سورة الأعراف: ٣٢)

٢- فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، ج ١٠، ص ٣٢٩.

٣- (سورة التين: ٤)

٤- مسند أحمد بن حنبل، دار صادر، ج ٥، ص ٧٧.

٥- مسند أحمد بن حنبل، ج ١، ص ٣٩٩.

٦- الهداية شرح بداية المبتدي، للمرخيني، مطبعة البابي الحلبي بمصر ج ٤ ص ٩٧١

٧- المغني، لابن قدامة المقدسي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٢ ج ٩ ص ٥٩٩

٨- (سورة الأعراف: ٣٢)

إذا كان الشرع قد نهى عنه، أو على وجه الرياء في باب الدين، فإن الإنسان يجب أن يرى جميلاً<sup>(١)</sup> والإحساس بالجمال يؤدي إلى شكر النعم لدوامها.

وحتى الأسماء دخلت دائرة الجمال، فالنبي ﷺ، يجب الأسماء الحسنة، ويتفاءل بها، قال ﷺ: «إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم»<sup>(٢)</sup> لذلك غير أسماء قبيلة إلى أسماء جميلة، وكناهم، ولقبهم بألقاب طيبة لتتفق وجمال الإسلام وجلاله وقيمه، فقد ورد أنه ﷺ «غير اسم عاصية قال أنت جميلة»<sup>(٣)</sup> وغير ﷺ اسم «أسود إلى أبيض»<sup>(٤)</sup> و«اسم معرض إلى مبارك»<sup>(٥)</sup>، لأنه يريد أن يرى أصحابه وأتباعه على صورة كاملة من حسن الأدب وكمال الخلق، وجمال الألفة، وعظمة المودة، فيجب أن يكونوا جميعاً في سمت حسن واسم جميل وصورة حسنة تتم عن مخبر أجمل، والاسم مفتاح شخصية المرء، والطريق إلى قلبه، فدعا إلى تحسين الاسماء، وتزيينها بالألقاب الطيبة، والكنى الحسنة، ولم يكتف بأسماء الناس بل غير أسماء بعض المدن والأماكن والبقاع، وفي مقدمة ذلك اسم (يثرب) التي كانت تعرف بها المدينة المنورة قبل الهجرة وسماها ﷺ «طيبة وطابة»<sup>(٦)</sup>، وكان ﷺ يصحح كل ما تقع عينه عليه أو تسمع أذنه، فقد غير أرضاً «تسمى عفرة سماها خضرة، وشعب الضلالة سماه شعب الهدى»<sup>(٧)</sup>

بل اتسعت دائرة الجمال في الإسلام لتشمل الشوارع والطرقات، واعتبر ذلك نوعاً من العبادة، فالإسلام لا يحصر العبادة في أماكن محددة أو منعزلة أو معتزلة، بل يوسع في معناها لتشمل المنظر الجميل لكل ما يحيط بك، أو تقع عليه عينيك، قال ﷺ: «عرضت عليّ أعمال أمتي، حسنها وسيئها، فوجدت في محاسن أعمالها الأذى يماط عن الطريق، ووجدت في مساوئ أعمالها النخاعة تكون في المسجد ولا تدفن»<sup>(٨)</sup>، فالمحيط المحيط بالمسلم الذي حرص الإسلام على ايجاده وإنشائه، والمحافظة عليه، من الجو النظيف، والبلد الطيب، والبيئة الجميلة، كلها موحيات جمالية توحى للمسلم أن تكون كلمته جميلة، وتفكيره جميلاً، وتصرفه جميلاً.

لذلك حذر الإسلام من تلوث البيئة، فدعا إلى حماية الهواء من أصوات منكرة، ومن تناول أي مطعوم أو مشروب يبعث رائحة كريهة، ورغب في الطيب، ودفن القبيح، وحفلت الشريعة بنصوص كثيرة تحث على حماية الأرض والماء من التلوث، فقال ﷺ: «اتقوا الملاعن الثلاث:

١- تفسير القرطبي، م، ج ٢، ص ١٧٩.

٢- رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب في تغيير الاسماء، ص ١٥٨٦.

٣- مسند أحمد بن حنبل، ج ٢، ص ١٨.

٤- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ج ١، ص ٢٠٢.

٥- المرجع نفسه، ج ٢، ص ٤٢٤.

٦- تفسير القرطبي، ج ١٤، ص ١٤٨.

٧- رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب في تغيير الاسم القبيح، حديث رقم (٤٩٥٦).

٨- رواه مسلم، كتاب المساجد، باب النهي عن البصاق في المسجد، حديث رقم (١٢٢٢).

البراز في الموارد، وقارعة الطريق، والظل»<sup>(١)</sup>، وقال أيضا «لا يبولن أحدكم في الماء الراكد ثم يغتسل فيه»<sup>(٢)</sup> فالإسلام دعا إلى حماية البيئة وعدم الاعتداء عليها، وعدم المس بها أو التعرض لها، في أي حال من الاحوال الا أن يكون مبررا شرعياً، لتبقى على طبيعتها الجميلة، وحيثما حول الإنسان وجهه رأى ما يذكره بآلاء الله وجلاله، فيذكره ويشكره سبحانه.

ولتبقى مظاهر الجمال في خيال المسلم وخاطره يحس بها ويتذوقها، فقد أورد السيوطي خبراً طريفاً فقال: «وأنت إذا تأملت السواد الذي في القمر وجدتها حروفا فأولها الجيم وثانيها الميم وثالثها الياء والسلام حرف آخر الكل مكتوب عليه جميلا، وقد شاهدت ذلك وقرأته مرات فسبحان من خلقه جميلا»<sup>(٣)</sup> فهذا السيوطي الذي يعتبر مجدد القرن التاسع يرى كلمة جميلا مرات في القمر، وأدنى ما يدل عليه ذلك، خيال العلماء الجميل في الإسلام، وقد وصف نظام الملك العلماء بقوله: «هؤلاء جمال الدنيا والآخرة»<sup>(٤)</sup>

فهناك ارتباط وتلازم بين الإسلام والجمال، الجمال بمعناه الواسع الذي لا يقف عند حدود، فمن جمال الإنسان إلى جمال الكون، إلى دنيا الجمال، واعتناء الإسلام بالجمال المعنوي أكثر من الجمال المادي «فهو يعرض الحياة من خلال المعايير الجمالية سواء بالسلب أو بالإيجاب، فهو حين يعرض للاختلالات الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية أو النفسية أو الخلقية، يعرضها على أنها (قبح) ينافي حقيقة الجمال التي ينبغي أن تكون راسخة في حياة البشر، لأنها راسخة في بنية الكون كله والحياة.

الظلم الاجتماعي قبح لأنه ينافي جمال العدل.

والحقد النفسي قبح لأنه ينافي جمال الحب.

والانحلال الخلقي قبح لأنه ينافي جمال التسامي والارتفاع.

وهكذا كل ما يعرض الحياة البشر من انحراف واختلال هو قبح لأنه خروج عن الجمال

الواجب الذي يتسق مع ارادة الله في خلقه الكون»<sup>(٥)</sup>

## جمال اللغة :

واللغة العربية بطبيعتها جميلة، فكان العرب يهتمون بثناء المعنى وبهاء المبنى ليزيد وهجا

في الكلمة وجمالها، لتبعث بالمعنى الجميل إلى الذهن، ولتقع الموقع الجميل الجميل في الاذن،

١ - رواه أبو داود، كتاب الطهارة ، حديث رقم (٢٦)

٢ - رواه أبو داود، كتاب الطهارة، باب النهي عن البول في الماء الراكد، حديث رقم (٦٥٦).

٣ - الحاوي للفتاوي، للسيوطي، دار الكتاب العربي، بيروت ، ج ٢ ص ٥٩٢ .

٤ - البداية والنهاية، لابن كثير ، دار صادر ، بيروت ج ١٢ ص ٢٢٧١.

٥ - منهج الفن الإسلامي ، محمد قطب ، دار الشروق ط ١٤٠١-١٩٨١، ص ١٣٥

وعلى سبيل المثال: من التحسينات اللفظية الاتباع: وهو أن تتبع الكلمة على وزنها توكيدا كي لا تستعمل الاولى منفردة، «وهو على وجهين:

أحدهما: أن يكون للثاني معنى، كما في قوله تعالى ﴿..هِنِيئًا مَرِيئًا﴾<sup>(١)</sup>

والثاني: أن لا يكون له معنى، بل ضم إلى الاول لتزيين الكلام وتقويته معنى، نحو قولك: حسن بسن»<sup>(٢)</sup>.

فالتوكيد اللفظي يؤدي إلى تكرار نغمة موسيقية تهدف إلى تقرير المعنى في النفس عن طريق موسيقا معينة لها تأثير واضح، واستمع إلى التكرار اللفظي المتماثل، وإلى ثراء معناه وجماله في قوله تعالى: ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾<sup>(٣)</sup>

ومن زاد محصوله وثروته من ألفاظ هذه اللغة وصيغتها قويت عباراته وأساليبه، وحسنت مفرداته، وللمعنى قيمته بقيمة اللفظ الذي يوصله، فهو بمثابة الثوب الذي يلبسه، واللفظ كما ذكر الهمداني «زينة المعنى، والمعنى عماد اللفظ، ولكن مما يحمى من التأليف والنظم أن يكون كما قلت: تزين معانيه ألفاظه، وألفاظه زائئات المعاني، فإذا كانت الالفاظ مشاكلة للمعاني في حسنها والمعاني موافقة للالفاظ في جمالها، وانضاف إلى ذلك قوة من الصواب وصفاء الطبع، ومادة من الأدب، وعلم بطرق البلاغات، ومعرفة برسوم الرسائل والمكاتبات كان الكمال»<sup>(٤)</sup>.

فجمال الكلمة في العربية يقتضي معرفة اللفظة بمستواها المختلف، لاستخدامه في سياقه ومقامه، وعلى حد تعبير الجاحظ «ولكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ، ولكل نوع من المعاني نوع من الأسماء..والافصاح في موضع الافصاح، والكناية في موضع الكناية، والاسترسال في موضع الاسترسال»<sup>(٥)</sup> بل إن التعبير يعتبر جميلاً وإن كان في الرثاء لأنه يعبر عن أعماقه عن بثه وحزنه.

فالجمال يرتبط بطريقة التعبير وليس في الموت نفسه، فالثروة اللفظية تظهر أهميتها في حسن استخدامها فيما تعبر عنه من اللفظ الملائم للمعنى المناسب النافع، فالكلمة الفاتنة عند الأعرابي خير من الدنيا وما فيها، وما ذلك إلا لسحرها وفصاحتها وبلاغتها وجمالها.

## الصلاة والجمال:

إذا كان الجمال منهجاً ثابتاً وأصيلاً في الحياة بأسرها، لاعطاء الحياة طابعاً جمالياً،

١- (سورة النساء: ٤)

٢- الكليات، للكفوي، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد وبيدمشق ط٢، ١٩٧٩، ج٢ ص٣٥

٣- (سورة الشرح: ٦-٥)

٤- الالفاظ الكتابية، للهمداني، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩، مقدمة المؤلف

٥- الحيوان، للجاحظ، المجمع العلمي العربي الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩ م، ج٢، ص٣٩.

فكيف بالصلاة وهي عماد الدين، وزينة العابدين، ومستروح المسلمين، فكل ما يتعلق بها -سماعاً وقراءة ورؤية- فقد وردت فيه ألفاظ الحسن والجمال والزينة. صورة ومعنى، أو شكلاً ومضموناً، وينبغي أن يشع حسناً وجمالاً، ويوحى بالراحة والسرور، فقد أورد البخاري في صحيحه: «الصلاة أحسن ما يعمل الناس»<sup>(١)</sup>

ولو نظرنا إلى حال النبي ﷺ حينما فرضت عليه الصلاة، كما جاء في حديث الإسراء عن وصف سدرة المنتهى «فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها»<sup>(٢)</sup> حيث وجد ﷺ في أجمل مكان يمكن أن يوجد فيه، فهو من شدة حسنه لا ينعت ولا يوصف و «ألوان لا أدري ما هي»<sup>(٣)</sup> ولحكمة ما أختار الله عز وجل ذلك المكان الجميل لتفرض عليه الصلاة.

وإذا كانت الصلاة ينادى لها بالأذان، فقد اختار النبي ﷺ من أصحابه الأجل صوتاً لينادى لها، ففي حديث الأذان، فلما جاء عبد الله بن زيد وقص عليه الخبر، فقال رسول الله ﷺ: «إن صاحبكم قد رأى رؤيا، فأخرج مع بلال إلى المسجد فألقها عليه، وليناد بلال فإنه أندى صوتاً منك»<sup>(٤)</sup>

وتبدأ جماليات الصلاة من العناية بطهور المسلم ونظافته، ثم العناية بزِينته لتألقه ورفع مستوى الخشوع وإثارته في نفسه، فالوضوء «من الوضوءة وهي الحسن»<sup>(٥)</sup> فجاء التوجيه النبوي بإسباغِه وتحسينه، فعن عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياهُ من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره»<sup>(٦)</sup>

وأضاف الخشوع والركوع في حديث آخر، فقال ﷺ: «ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة، فيحسن وضوؤها وخشوعها، وركوعها، إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب، ما لم يؤت كبيرة وذلك الدهر كله»<sup>(٧)</sup>

فإذا بدأ بالقراءة فقد أمرنا بتحسين الصوت، فقال ﷺ: «ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به»<sup>(٨)</sup>، وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: «سمعت النبي ﷺ قرأ في العشاء بالتين والزيتون فما سمعت أحداً أحسن صوتاً منه»<sup>(٩)</sup>، وقال ﷺ: «زينوا

١ - رواه البخاري، كتاب الأذان، حديث رقم ٦٩٥.

٢ - رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ وفرض الصلوات، ص ٨١

٣ - المرجع نفسه.

٤ - قال في النهاية: «أندى صوتاً» أي «أرفع وأعلى، وقيل أحسن وأعذب، وقيل أبعد» ج ٥، ص ٣٧.

٥ - النهاية، لب الأثير، مادة وضاً، ج ٥، ص ١٩٥.

٦ - رواه مسلم، كتاب الطهارة، فضل الوضوء، حديث رقم ٥٤٣.

٧ - رواه مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، حديث رقم (٥٤٣)

٨ - رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول النبي ﷺ: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة» رقم ٧٥٤٤

٩ - رواه البخاري، الكتاب نفسه حديث رقم ٧٥٤٣.

أصواتكم بالقرآن»<sup>(١)</sup>، فأحسن الحديث يزيد حسنا وزينة وجمالا بالصوت الحسن، وقال ﷺ عن صوت سالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنه «الحمد لله الذي جعل في أمي مثل هذا»<sup>(٢)</sup> وفي هذا حث وترغيب في تزيين الصوت وتحسينه بالقراءة ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

وفي صلاة الجماعة أمرنا بإتمام الصفوف وتسويتها والتراس فيها لتنمي الإحساس بالطاعة والجمال، قال ﷺ: «وأقيموا الصف في الصلاة فإن اقامة الصف من حسن الصلاة»<sup>(٣)</sup> وقال ﷺ أيضا «أحسنوا اقامة الصفوف في الصلاة»<sup>(٤)</sup>

فالمصلي يقيم صلاته، بأحسن هيئة وأجمل حال، بانتظام تام، فيبدأ بالوقوف بين يدي مولاه خاشعا مستسلما، مستشعرا هيئته، واضعا يده اليمنى على يده اليسرى مظهرا عجزه وضعفه، وبعد ركوعه، يزيد في الاستدناء فيسجد وهو في غاية التواضع والخضوع، فاذا بأحسن الخلائق خلقة يسجد لأحسن الخالقين لرب العالمين، وهو يرسم في ذلك صورة جمالية مطمئنة في أحواله كلها، وبهذا وصفت صلاته ﷺ، فلما سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها كيف كانت صلاة رسول الله ﷺ قالت: «.. يصلي أربعاً لا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن..»<sup>(٥)</sup> وأبطأ بلال عليه بالخروج يوما في صلاة الصبح، فقال ﷺ: «اني كنت ركعتي الفجر» فقال: يارسول الله، إنك أصبحت جداً، قال: «لو أصبحت أكثر مما أصبحت لركعتيها وأحسنتها وأجملتها»<sup>(٦)</sup> فإذا كانت صلاته النافلة بهذا الحسن والجمال والتمام، فكيف بالفريضة؟ وكان من هديه ﷺ إذا رأى من لا يطمئن في الصلاة أو يعتدل فيها، يأمره بالإعادة، وقد خاطبنا ﷺ، «يا معشر المسلمين لا صلاة لمن لا يقيم صلبه في الركوع والسجود»<sup>(٧)</sup> وذلك ادعى لحسنها وجمالها والخشوع فيها .

وفيما يتعلق بلباس المصلي، فينبغي اختيار الثوب الأجمل والأحسن للصلاة، قال تعالى: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ حُدُوْدًا زَيْنَتُمْ عِنْدَكُمْ مَسْجِدٍ﴾<sup>(٨)</sup> فالمأمور به في الآية التجميل باللباس، وهو من شروط صحة الصلاة، وقد بين النبي ﷺ ذلك، «من اغتسل يوم الجمعة فأحسن غسله، وتطهر فأحسن طهوره، ولبس من أحسن ثيابه..»<sup>(٩)</sup> فعلى المصلي أن يلبس من خير ثيابه وصالحها استعدادا

١- رواه ابن ماجه، كتاب اقامة الصلاة، باب في حسن الصوت بالقرآن حديث رقم ١٣٤٢ .

٢- رواه ابن ماجه، الكتاب نفسه حديث رقم (١٣٢٨)

٣- رواه البخاري، كتاب الاذان، باب اقامة الصلاة في الصف، حديث رقم (٧٢٢) ورواه مسلم رقم (٩٧٧)

٤- مسند أحمد بن حنبل ج ٢ ص ٤٨٥

٥- رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب صلاة الليل، حديث رقم (١٧٢٢) .

٦- رواه أبو داود، كتاب التطوع، باب ركعتي الفجر، حديث رقم (١٢٥٧) .

٧- رواه ابن ماجه، كتاب اقامة الصلاة، باب الركوع في الصلاة، حديث رقم (٨٧١)

٨- (سورة الاعراف: ٢١)

٩- رواه ابن ماجه، كتاب اقامة الصلاة، باب ما جاء في الزينة يوم الجمعة، حديث رقم ٩٧٩.

للقوف بين يدي ربه تعالى، «وروى عن الحسن السبط رضي الله عنه كان إذا قام إلى الصلاة لبس أجود ثيابه فقيل له يا ابن رسول الله ﷺ لم تلبس أجود ثيابك؟ فقال: إن الله جميل يحب الجمال فأتجمل لربي وهو يقول: «خذوا زينتكم عند كل مسجد» فأحب أن ألبس أجمل ثيابي.. وفهم من الآية في الجملة حسن التزين بلبس ما فيه حسن وجمال»<sup>(١)</sup> وذكر القرطبي في تفسيره: «فإن كان إماماً فلا يصلي إلا بردائه، لأنه من الزينة»<sup>(٢)</sup>، وعنون البخاري في كتاب الجمعة باب (يلبس أحسن ما يجد) وذكر في الفتح «بأنه كان معهوداً عندهم أن يلبس المرء أحسن ثيابه للجمعة»<sup>(٣)</sup>. ووصف ابن الخطيب أهل غرناطة «فتبصرهم في المساجد أيام الجمع كأنهم الأزهار المفتحة في البطاح تحت الأهوية المعتدلة»<sup>(٤)</sup>.

والمسجد الذي تؤدي فيه الصلاة، أجمل ما تقع عليه عين الانسان في المدينة الاسلامية، وقد أمرنا بطهارته ونظافته، فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «أمر رسول الله ﷺ ببناء المساجد في الدور وأن تنظف وتطيب»<sup>(٥)</sup>، فالمسجد مركز الإيمان وعنوانه، وهو بيت الله تعالى، وبيت المسلمين، وهو أفضل المنشآت في الأرض على الاطلاق، فينبغي أن يكون بيت الجمال فيما يسمع فيه ويرى، وكأنه مكان للروح خاصة، حيث يشعر من دخله بالأمن والسكينة، والراحة النفسية، والاحساس بالجمال، ومن لم يشعر بذلك فعينه عاجزة عن رؤية الجمال، كما ذكر في كتاب المساجد «فلو أن أحداً فتح عيونهم إلى هذه الحقائق لرأوا جمال المساجد وأحسوا بقدسية القرآن، ولعلموا أننا نزور المساجد للنجوى والهدوء والتأمل والتوبة، وكلها ضرور من الجمال النفسي يناسبها الجمال المعماري»<sup>(٦)</sup> ليتحسس المسلم الجمال كله.

ومما يذكر أن المماليك عندما بنوا المسجد المنصوري الكبير في مدينة طرابلس الشام، أنشأوا في جهته الشرقية سوق العطارين، وأحاطوا جهته الغربية بزراعة الزهور، فالداخل اليه والخارج منه لا يستنشق إلا رائحة العطور أو الزهور، «ففي الاسلام، كما قيل جميع الفنون تؤدي إلى المسجد، والمسجد يحمل على الصلاة»<sup>(٧)</sup>.

فالصلاة في المسجد جمال على جمال، فقد اختار النبي ﷺ للصلاة من الكلام أجمله وأحسنه، يوصي به، ويرشد إليه، فينادي لها بالصوت الجميل، ويمشي إليها المشي الجميل،

١ - روح المعاني، للألوسي ج ٨، ص ١٠٩

٢ - تفسير القرطبي: ج ٧ ص ١٩١ .

٣ - فتح الباري، لابن حجر الاسقلاني، ج ٢ ص ٢٧٤.

٤ - المساجد، حسين مؤنس، سلسلة عالم المعرفة، عدد (٢٧) ص ٤٥

٥ - رواه أبو داود، كتاب الصلاة، باب بناء المساجد، حديث رقم (٤٥٥)

٦ - المساجد، حسين مؤنس، ص ٦.

٧ - وعود الاسلام، روجيه غارودي، الوطن العربية، القاهرة، بيروت ١٩٨٤، ص ١٤٥ .

ويلبس لها الثوب الجميل، ويثني على الله الثناء الجميل، ويؤديها الأداء الجميل، فكل ما يتعلق بها ينتمي إلى حقل الجمال، وأكثر الناس يفتقدون ويفتقرون إلى هذه المعاني الجذابة والانفعالات اللطيفة المرتبطة بالصلاة، وإذا أمرنا بالعمل الأحسن ﴿.. لِبَلُوكُمْ عَلَيْكُمْ أَعْسَنُ عَمَلًا..﴾<sup>(١)</sup>.

فزينة العمل الأحسن الصلاة، هذه الزينة الظاهرة يسبقها زينة قلبية ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، فالإيمان زينة قلبية، والصلاة زينة بدنية، فحينئذ نشبع إحساسنا بالجمال، فلا جفاء بين الزينة والعبادة، فالمسلم يتقرب إلى ربه بحسن زينته، وبهاء طلعتة، وصالح ثيابه، وجمال هيئته، وزينته التشكيلية هذه تتحدث بنعمة ربه عليه وتحوله إلى طمأنينة وقرّة عين في الصلاة، وبذلك نخشع في صلاتنا ونصبح مؤهلين في الاقبال على الله تعالى، والشوق إلى لقاءه، وبهذا يزداد المؤمن زينة وجمالاً، وذا جمال يحبه الله ويرضاه.

فالإشارة إلى الجمال صفة ثابتة في المنهج الإسلامي ليستمتع به الانسان فيشبع روحه التواقة إلى الجمال بأنواعه وألوانه، ويرسخ القيم الجمالية في الفكر والواقع الى أبعد الحدود، حتى إذا قامت القيامة، ونسفت الجبال، فإن الله تعالى اختار كلمة (صنفا) في قوله تعالى: ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾<sup>(٣)</sup> والأصل صنفا ولكن لما توالفت ثلاث فاءات جعلوا الاوسط صاداً، وهو بمعنى المستوي من الأرض، فالكلمة ترسم معنى جماليا - لفظياً ومعنوياً- للمنظر الأخير للأرض، وقد باتت مستوية لا اعوجاج فيها، بعد وقوع الواقعة، وليس ثمة من يرى ذلك أو يصوره.

فالجمال بأنواعه يتدخل ويتداخل في جميع ظروف حياتنا، وهذا العالم وما فيه قد أحسن الله تعالى خلقه، فهو في غاية الجمال والاتقان، وكل شيء قدر فيه تقديراً، لا ينقص عن حد التناسق ولا يزيد، ولن تجد البشرية عالماً أحسن منه وأجمل، وكما خلق الله تعالى خلقه وحسنه، أنزل أحسن الحديث (القران) وضمنه أجمل الأحكام وأحسنها، ﴿... وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾<sup>(٤)</sup> ولن تجد البشرية أحسن من تلك الأحكام وأجمل، فما علينا إلا أن نفرس في أنفسنا وأجيالنا تذوق الجمال، ونجعلن للتربية الجمالية دورها ونصيبها من الإهتمام، لنقولن الأحسن، ولنعملن الأحسن، فننال الجزاء الأحسن في الدنيا والدين، ونستعد إلى لقاء الله ورؤيته، وذلك أجمل الجميل وأحسنه.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين،  
والحمد لله رب العالمين

١- (سورة الملك: ٢)

٢- (سورة الحجرات: ٧)

٣- (سورة طه: ١٠٥ - ١٠٧)

٤- (سورة المائدة: ٥٠)

***Ammar C. Yakan, PhD***

*Faculty of Business Administration, Dean*

Jinan University, Tripoli – Lebanon

## **Location-Based Knowledge Management Spectrum**

with an Updated Binney's Approach

### **1- Abstract**

Mapping Knowledge Management to organizational activities means satisfying organizational members with the right knowledge at the right time, place, and form. Organizational activities differ in type, complexity, and importance depending on their level of strategic involvement in accomplishing the organizational mission and goals.

Derek Binney has proposed a matrix like framework that assigns business functions to the corresponding knowledge cycle phase. Knox Haggie and John Kingston have revised Binney's spectrum to include an additional business function, that is Asset Improvement, in an attempt to foster intellectual asset management and operational excellence.

The current research covered a wider range of Knowledge Management cycles, presented by various contemporary authors, and incorporated them into Binney's spectrum.

The revised Binney's KM spectrum was significantly updated with new perspectives and methods and a totally new business Knowledge Management cycle is proposed from a Location-Based perspective. The Location-Based Knowledge Management Spectrum is a five stage cycle comprising the

following knowledge-based location levels within the organization:

*1- Operations*

*2- Group*

*3- Mind*

*4- Knowledge Base*

*5- Organization*

This paper's objective is three fold:

*1- To review the latest Knowledge Management cycles.*

*2- To update Binney's Knowledge Management spectrum.*

*3- To define a new approach to Knowledge Management: The Location-Based Knowledge Management Spectrum.*

## **2- Introduction**

Knowledge constitutes today's most valuable asset to knowledge based organizations. New strategies must be followed for effective and efficient use of this new intellectual asset. Kimiz Dalkir, in [1:2], stated some of the knowledge characteristics as follows:

1- Knowledge can be used more than once, so knowledge consumption does not render it obsolete.

2- Knowledge sharing and transfer don't deprive the sender from the knowledge value he/she owns.

3- Knowledge can be found everywhere but the problem is how to acquire it, use it, and apply it.

4- Knowledge is mostly tacit, residing in the heads of the employees, and organizations are urged to keep it by all means.

In the 21<sup>st</sup> century, knowledge is becoming the competitive factor in all organizations. The Information and Communication Technology (ICT) evolution has changed the way people live, think, and act. It has shifted organizational dynamics and processes and even changed the product shape, type, and use. Knowledge is changing the way we explain the existence of firms. [2]

The 21<sup>st</sup> Century is now a breakthrough to a new Age that we call the

*Knowledge Age* where organizations ought to “*learn, remember, and act on the best available information, knowledge, and know-how*” [1:2].

Knowledge Management is still considered a young discipline despite the large amount of academic and commercial research. The reason behind this is the various perspectives the word “knowledge” is approached: technological, cultural, societal, organizational, individual, and many others.

Kenneth et al., in [15], proposed that Knowledge and Knowledge Management have evolved through four stages:

1-Knowledge as the domain of philosophers and scientists (for more than two millennia).

2- Precursors to knowledge as a management issue (mid 20th century).

3- The emergence of Knowledge Management as a discipline and First Generation Knowledge Management (1990’s).

4- Next Generation Knowledge Management (early 2000’s).

Kenneth et al. argued that next generation of Knowledge Management focuses on the following themes:

1- Strategy Involvement

2- ICT Factors

3- Knowledge Modeling

4- Innovation & Creativity

5- Personal and Social Factors

6- Intellectual Asset

Andre Saito et al., [14], “argue that knowledge comprises three different aspects: it can be [...] a product, a process, or power”. They defined knowledge as a product when it takes a tangible form (e.g. manifest, model, theories), and as process when it is understood and developed through learning (e.g. explanations, descriptions of methods) and as power when it has a “capacity to cause change or action” (e.g. skills, abilities, goals).

The organizational structure adds further complexities to Knowledge Management for it considers knowledge to take more than one aspect at a given time and place. This paper’s objective is three fold:

1- To review the latest Knowledge Management cycles.

2- To update Binney’s Knowledge Management spectrum.

3- To define a new approach to *Knowledge Management: The Location-Based Knowledge Management Spectrum*.

### 3-Knowledge Management Cycles

Knowledge is produced, shared, and then used by people. The knowledge cycle is therefore about people both in terms of knowledge creation and knowledge content. Technology plays an enabling and supportive role when managing knowledge activities.

There is a three-core combination that constitutes the infrastructure of Knowledge Management [3] (see Figure 4-1):

1- People: they are the experts, specialists, customers, suppliers, and knowledge workers.

2- Content: it is the knowledge residing in the heads, documents, or created through sharing, meetings, team work, and so on.

3- Technology: refers to the information and communication technologies and to the technical human resources required to enable knowledge.

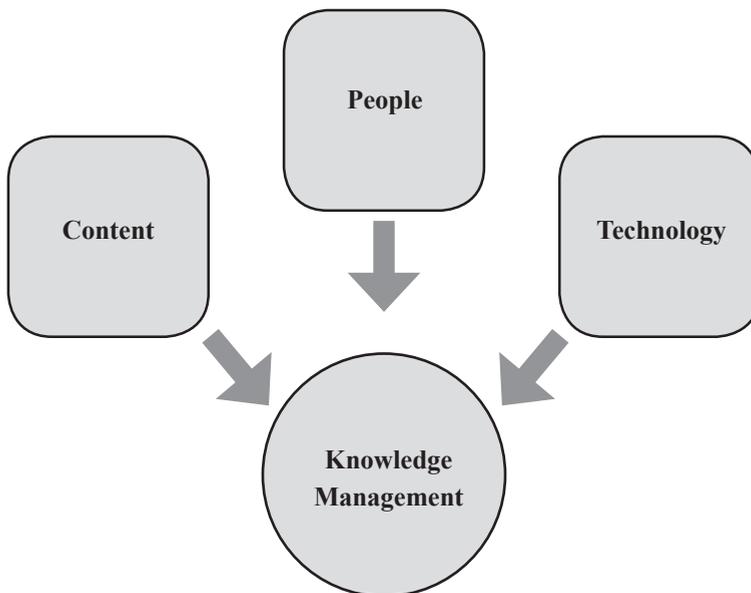


Figure 4-1: Knowledge Management Infrastructure

Many authors involved in Knowledge Management practices found it imperative to define a concrete Knowledge Management cycle for a proper implementation of a Knowledge Management project within organizations. The following sections describe some of those authors' prospects in this regard. A synthesized approach is then presented to merge various approaches

into a single classification spectrum initially prepared by Derek Binney and rationally modified by the author.

### 3.1 The Zack's Knowledge Management Cycle

Meyer and Zack (1996), [1:26], suggested that the production management model is the best example to describe the Knowledge Management cycle. The production involves necessary technologies, facilities, and processes. The research and knowledge involved in the production process would follow similar transformation paces and accumulate in a knowledge repository where further indexing, linking, and cross- referencing are applied to assure knowledge integrity throughout the organization as a whole. The Zack's Knowledge Management Cycle is as follows (see Figure 4-2):

1- Knowledge Acquisition: looks for the knowledge scope, breadth, depth, credibility, accuracy, timeliness, relevance, cost, control, and exclusivity.

2- Knowledge Refinement: performs necessary modification and enhancement for efficient knowledge use.

3- Knowledge Storage and Retrieval: physical or digital.

4- Knowledge Distribution: by selecting appropriate access medium, timing, frequency, form, and language.

5- Presentation and Use: finds the proper context or subject matter for user interactivity.

Zack's *Knowledge Management* cycle uses a structured knowledge repository that “forms the first kernel of an Organizational Memory or corporate memory”

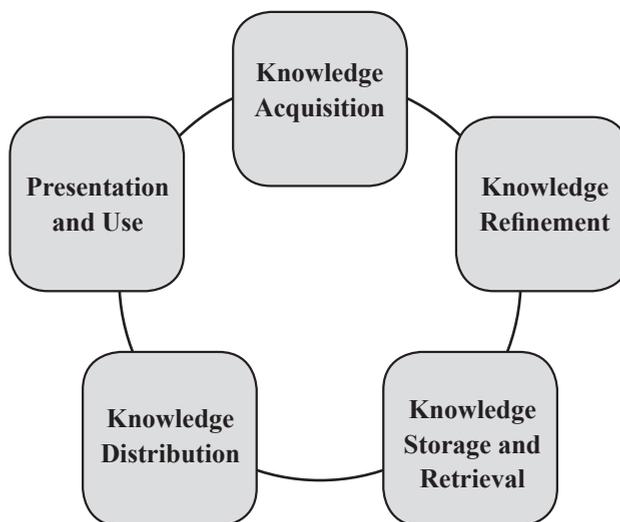


Figure 4-2: The Zack's Knowledge Management Cycle

### 3-2 The Bukowitz and Williams Knowledge Management Cycle

Bukowitz and Williams (2000) perspective of knowledge is a set of knowledge repositories, information and communication technologies, functional skills, environmental influences, human and organizational intelligence, and process know-how.

The Knowledge Management cycle consists of two stages: the first is tactical where knowledge is acquired and used on a day to day basis depending on the market and organizational demands and the second is strategic initiated by the external environment movements (see Figure 4-3):

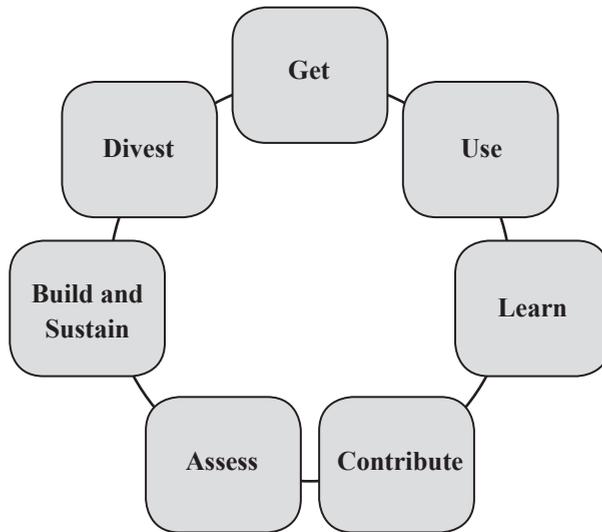
In the **tactical stage**, knowledge goes through four phases:

- 1- Get: where knowledge is assimilated from various sources.
- 2- Use: focuses on best combining information creatively to foster organizational innovation.
- 3- Learn: an Organizational Memory is created to promote organizational learning both on the individual and group levels. Organizational learning is essential for knowledge creation based on practices and lessons.
- 4- Contribute: it is the knowledge transfer from employees' heads to the Organizational Memory. It is at this phase where individual knowledge is disseminated and shared across the organization through a properly managed organizational memory that maintains knowledge attribution, authorization, and tracking.

**The strategic stage** reveals a group and organizational interference on the total individual contributions:

- 1- Assess: it is a general evaluation of the impact of knowledge assets on organizational performance. Knowledge is represented by four general forms of capitals: human capital (i.e. competencies, skills, and experiences), customer capital (i.e. relationships, support, and customizations), organizational capital (culture, values, processes, and technology), and intellectual capital (thinking methods, human thoughts, and personal relationships).
- 2- Build and Sustain: stresses a selective and stiff allocation of knowledge- to ensure a competitive and innovative organizational performance
- 3- Divest: is to eliminate obsolete knowledge in all forms whenever found of lesser value or not having a competitive use.

The Bukowitz and Williams Knowledge Management cycle brings about the learning organization.



*Figure 4-3: The Bukowitz and Williams Knowledge Management Cycle*

### **3-3 The McElroy Knowledge Management Cycle**

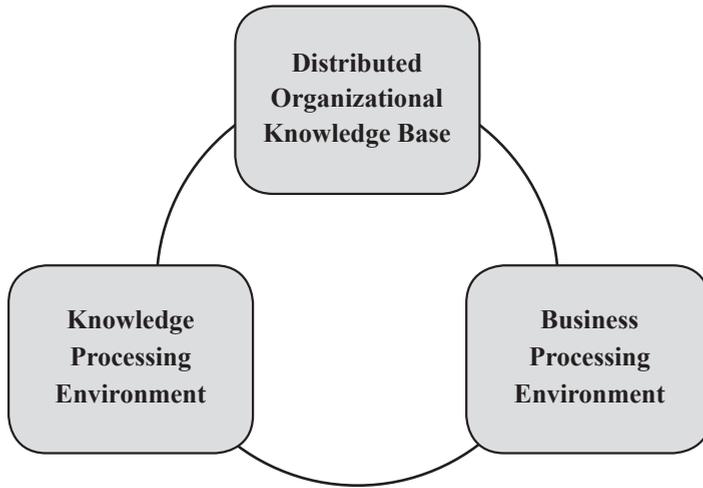
The McElroy (1999) Knowledge Management cycle considers organizational learning as the corner stone for building and maintaining the Organizational Memory. The cycle consists of three main stages (see Figure 4-4):

Distributed Organizational Knowledge Base: it is the Organizational Memory that holds organizational knowledge in all its forms (tacit and explicit).

1- Business-Processing Environment: using single-loop learning, it draws knowledge from the knowledge base, necessary for routine problem solving and decision making.

2- Knowledge Processing Environment: unmatched knowledge claims necessitate a double-loop learning that initiates the knowledge processing environment to produce and integrate new knowledge.

The fundamental strength that characterizes the McElroy cycle is the double-loop learning that introduces new knowledge claims into the Organizational Memory via knowledge integration that McElroy considered as the process of all knowledge broadcasting processes such as teaching, sharing, and communication.



*Figure 4-4: The McElroy Knowledge Management Cycle*

### 3-4 The Wiig Knowledge Management Cycle

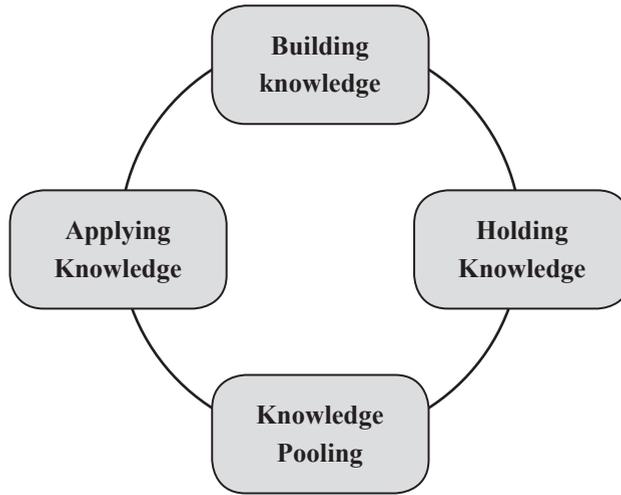
The Wiig (1993) Knowledge Management cycle consists of four major stages:

- 1- Building knowledge: it is the central knowledge creation phase where research, surveys, experimentation, reasoning, and observations are some activities that trigger the knowledge building process. Further sub-processes are as follows (see Figure 4-5):
  - a- Knowledge Analysis: starts with forming a model or a theory and identifying knowledge fragments which verify it and then explaining relations between them.
  - b- Knowledge Synthesis: this is a knowledge reconstruction process that generalizes analyzed knowledge into a broader hypothesis that explains observations.
  - c- Knowledge Modeling: by creating mental models that help represent the new knowledge in a coherent model either in our minds or in documents.
  - d- Knowledge Organization: using several methods that range from standardization, categorization, conceptual modeling (ontology), and classification rules (taxonomy).
- 2- Holding Knowledge: it is the knowledge capturing phase and consists of

the following:

- a- Remembering Knowledge: it is the internalizing of knowledge within the individual's own thoughts and mental models.
  - b- *Accumulating Knowledge*: storing the knowledge within the Organizational Memory system.
  - c- Embedding Knowledge: it is integrating knowledge with the organizational processes, policies, and procedures.
  - d- Archiving Knowledge: backing up knowledge after divesting irrelevant or out-of-date knowledge from the active repository.
- 3- Knowledge Pooling: entails retrieving and accessing activities as follows:
- a- Coordinating Knowledge: it builds a network of knowers that facilitate communication and collaboration to reach the right knowledge at the right time and in the right place.
  - b- *Assembling Knowledge*: background references of knowledge sources are then assembled for later access and retrieval.
  - c- *Accessing and Retrieving Knowledge*: this is the direct contact that can be established with knowledgeable people, experts, or the knowledge repository for discussion or decision making reasons.
- 4- Applying Knowledge: knowledge is now ready for direct use and application in any problem solving situation and to resolve activities such as situation description, handling, analyzing, synthesizing and evaluating alternative solutions, and deciding and implementing the potentially best alternative.

The characterizing factor of Wiig Knowledge Management Cycle is the detailed description of the creation, capturing, and use of knowledge within individuals, groups, and organizations. It illustrates with a high degree of accuracy, how an Organizational Memory can be managed and maintained while providing correct knowledge for use and application.



*Figure 4-5: The Wiig Knowledge Management Cycle*

#### **4-5 Koeing and Srikantaiah Knowledge Management Cycle**

Koeing and Srikantaiah proposed a different definition to data that comprise all types of content - published information, stories, meetings, and group discussions, best practices and so on - and thus narrowing the gap between data and knowledge concepts and considering information and knowledge identical.

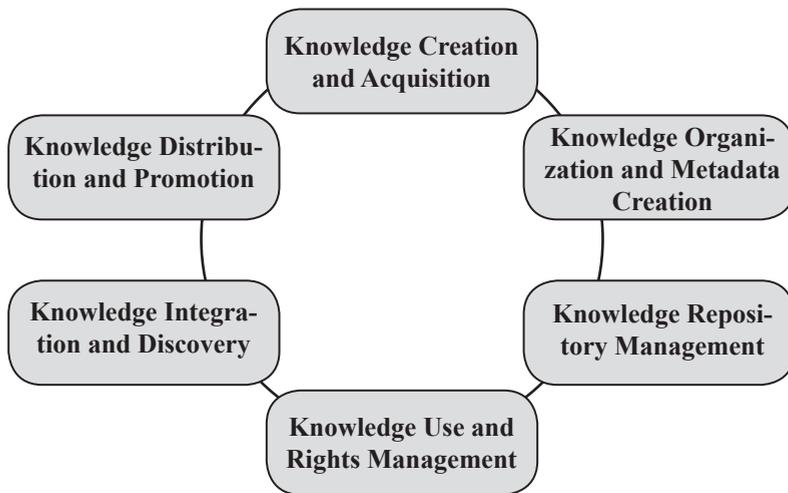
Also they proposed a six step Knowledge Management cycle that includes (see Figure 4-6):

- 1- Knowledge Creation and Acquisition: it consists of activities such as knowledge selection reviewing, editing, translating, transforming, and so on.
- 2- Knowledge Organization and Metadata Creation: this helps establish a definition structure for the knowledge content including indexing, abstracting, classification, and categorization.
- 3- Knowledge Repository Management: it deals with the Organizational Memory setup in terms of registration and storage of all kinds of knowledge, implicit and explicit.
- 4- Knowledge Use and Rights Management: comprise a set of security rules and policies that control knowledge use, copyright, disclosure, and other security parameters.

5- Knowledge Integration and Discovery: this requires an ontology model that provides an integrated semantic search and navigational structure.

6- Knowledge Distribution and Promotion: includes knowledge aggregation, sharing, communication, association, and so on.

Koeing and Srikantaiah, in [4:220], have attributed a four level taxonomic structure (flat, hierarchical, network, and faceted) for each of the Knowledge Management processes. This taxonomic consideration identifies the kind of knowledge and process and strongly contributes to the design of organizational Ontology and further organizational memory system management.



*Figure 4-6: Koeing and Srikantaiah Knowledge Management Cycle*

#### **4-6 Nonaka & Takeuchi’s Knowledge Spiral Model**

Nonaka & Takeuchi, in their paper ‘The Knowledge-Creating Company’ [5], considered that the differentiating factor of a knowledge creating company is not processing formal information, but instead relies primarily on tapping tacit knowledge, that is, personal insights, beliefs, and values.

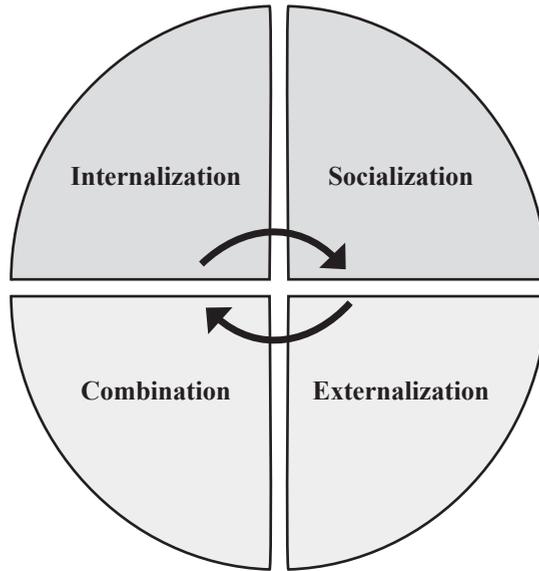
Nonaka and Takeuchi have introduced a new cognitive activity into management through building a conceptual link between work and mind. And this recommends a new culture for knowledge sharing, a higher commitment to the organizational mission, and an environment of trust and integrity between members.

The primary concern for a knowledge creating company is therefore making knowledge available through four major consecutive knowledge conversion

methods (see Figure 4-7):

- 1- Tacit to Tacit (**Socialization** = learning tacit from experts): it is an apprenticeship phase between the master and the learner of the same work domain through observation and practice. Therefore, knowledge creation is limited; the master's skills are only learned, observed, and familiarized through a social communication that cannot be leveraged into an explicit form available for the organization as a whole.
- 2- Tacit to Explicit (**Articulation, Externalization** = explaining, clarifying, and translating learned material into understandable figures): where personal knowledge is expressed using figurative language that can translate intuitions, beliefs, and insights into explicitly defined and understandable meanings. This begins with linking two different ideas, concepts, views, or thoughts by metaphor, then resolving differences by analogy, and finally crystallizing the created concepts and representing them into the knowledge model.
- 3- Explicit to Explicit (**Combination, Re-contextualization** = standardizing and integrating figures within knowledge repository): it is a simple repurposing activity for the explicit knowledge to take other explicit forms either synthetically or analytically. It is more or less combining, reorganizing, categorizing, and sorting different bodies of explicit knowledge to lead to new knowledge.
- 4- Explicit to Tacit (**Internalization** = transferring knowledge to new knowledge domains): this knowledge activity widens, expands, and restructures own tacit knowledge by converting explicitly represented knowledge into personal mental models to form the background knowledge for many on the job tools and resources.

Nonaka and Takeuchi pointed to the critical roles of the articulation and internalization phases of the Knowledge Management model because people are brought into “active involvement of the self commitment.” They argued that “Japanese firms are successful because they are innovative” [7]. The Knowledge Spiral Model represents a knowledge construction factory at the individual level where creativity and innovation are crystallized at the Internalization phase.



*Figure 4-7: Nonaka & Takeuchi's Knowledge Spiral Model*

#### **4-7 Boisot's I-Space Model**

Boisot, (1998), drew a Knowledge Management cycle similar to the Knowledge Spiral model of Nonaka and Takeuchi but he introduced a new dimension: Abstraction. Boisot's model, also called the I-Space model, sets the main course for a social learning cycle in six phases as follows [6] (see Figure 4-8):

Scanning: diffused data is learned conferring new insights to learners.

Problem-Solving: learners structure their insights into an explicit problem-solving framework.

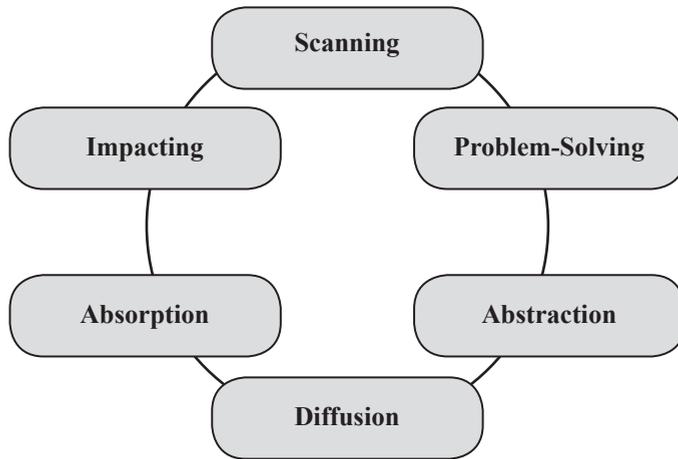
Abstraction: the framework is generalized to cover a broad range of situations.

Diffusion: the new knowledge is disseminated across the organization in both forms: codified and abstracted.

Absorption: applications of the new knowledge in various domains promote organizational learning and encourage creativity.

Impacting: generalized knowledge is now embedded in actual practices, artifacts, rules, or behavioral models.

The Boisot I-Space Knowledge Management cycle aims to maximize knowledge usefulness by pushing for highly abstracted, highly codified, and undiffused knowledge that would be available for diverse situations and thus create new tacit knowledge ready for a new knowledge cycle.



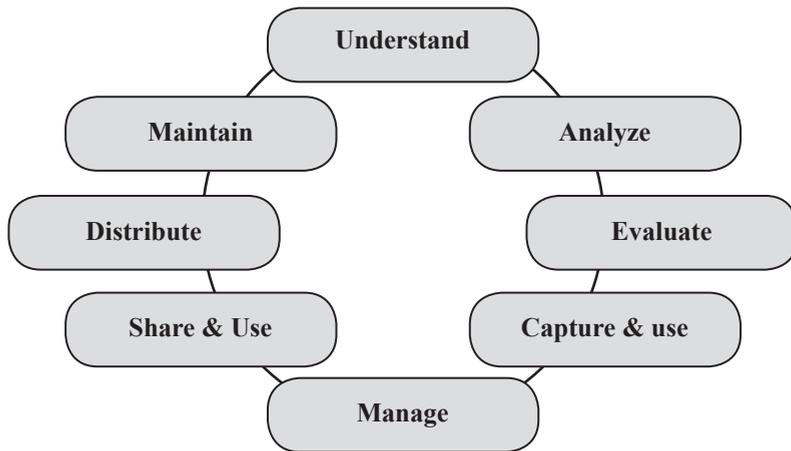
*Figure 4-8: Boisot's I-Space Model*

#### **4-8 Sallis and Jones Knowledge Management Model**

Sallis and Jones, in [8], proposed their own model framework for the management of knowledge. The model consists of eight phases as follows (see Figure 4-9):

- 1- Understand the knowledge available to the institution: knowledge assets, sources, use, and relevance.
- 2- Analyze the process of knowledge creation: what, who, where, how, and why.
- 3- Evaluation of the organization's knowledge base: value, value added, gaps.
- 4- Introduce new systems to capture and use knowledge: technology, validity, reliability, accessibility.
- 5- Establish effective management of new knowledge systems: teamwork, communication channels, expertise, training, development.

- 6- Develop the motivation to share and use knowledge: culture, working practices, obstacles, motivation, rewards.
- 7- Make new knowledge available and simple to use: communication structures, work talk, knowledge communities.
- 8- Maintain the currency of the organization's knowledge: criteria, review, clearing.



*Figure 4-9: Sallis and Jones Knowledge Management Model*

#### **4-9 Knowledge Value Chain Model**

Sandy Staples et al., in [9], have proposed a model for a Knowledge Management cycle based on considering knowledge from three broad perspectives (see Figure 4-10):

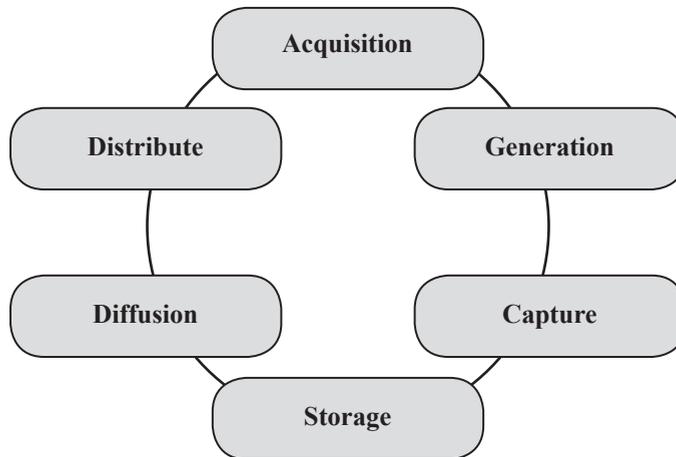
- 1- Orientation: toward the organizational learning concept where knowledge is continuously learned and experimented.
- 2- Actionability: that emphasizes knowledgeable workers possessing declarative, procedural, and conditional knowledge and acting upon it.
- 3- Social Construction: of knowledge through individuals own actions.

The Knowledge Value Chain model addresses six knowledge activities:

- 1- Acquisition and Generation: it is the exploration and exploitation phase of internal and external knowledge (codification and personalization).

2- Capture and Storage: they are at the heart of creating an Organizational Memory.

3- Diffusion and Transfer: at the departmental and organizational levels



*Figure 4-10: Knowledge Value Chain Model*

#### **4.10 Serban & Luan Knowledge Management Cycle**

To Serban and Luan, in [10:11], the Knowledge Management cycle is an iterative and interacting set of processes linking people to knowledge content that continuously renew the organizational functions to anticipate internal and external changes. They proposed a Knowledge Management framework that projects Knowledge Management processes to people processes. The framework includes the following major processes (see Figure 4-11):

1- *Knowledge Management Processes*

a- *Create*

b- *Capture*

c- *Organize*

d- *Access*

e- *Use*

## 2- People Processes

a- Collaborate

b- Find

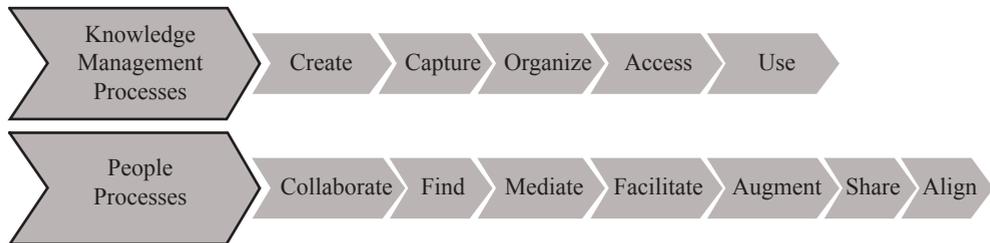
c- Mediate

d- Facilitate

e- Augment

f- Share

g- Align

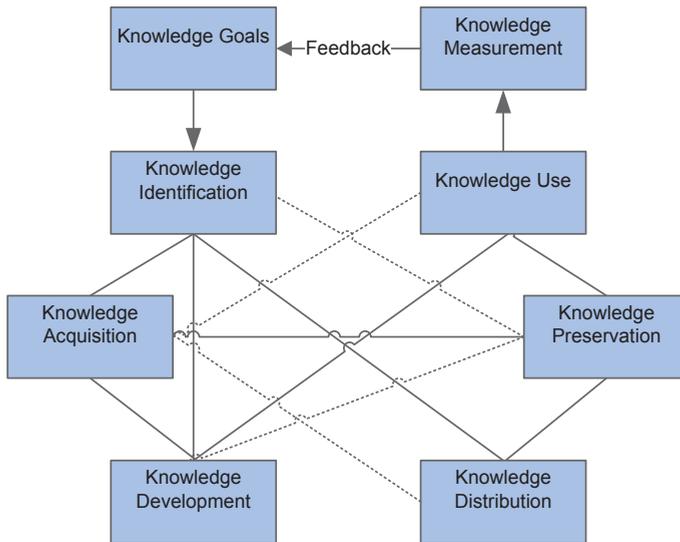


*Figure 4-11: Serban & Luan Knowledge Management Cycle*

### **4.11 Probst Knowledge Management Model**

Probst has defined a structure for Knowledge Management, called the ‘building blocks’ of Knowledge Management. The cycle is as follows (see Figure 4-12):

- 1- Knowledge Goals
- 2- Knowledge Identification
- 3- Knowledge Acquisition
- 4- Knowledge Development
- 5- Knowledge Distribution
- 6- Knowledge Preservation
- 7- Knowledge Use
- 8- Knowledge Measurement

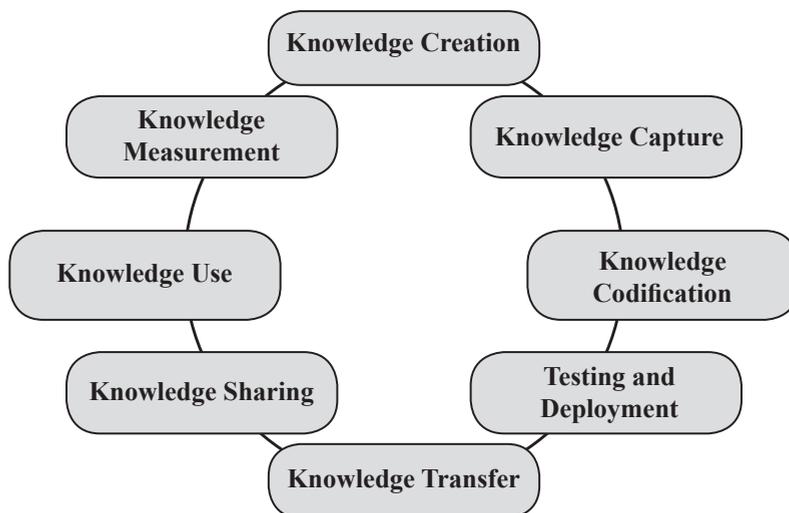


**Figure 4-12: Probst Knowledge Management Model**

SOURCE: [11] Ralf Kneuper (2001): Supporting Software Processes Using Knowledge Management, Handbook of Software Engineering and Knowledge Engineering, Vol. 2, World Scientific Publishing Company, Frankfurt, Germany.

### 4.12 Awad & Ghaziri Knowledge Management Model

Awad & Ghaziri, in [3], elaborated on dissecting the bits and cells of an ideal Knowledge Management cycle that would fit all organizational domains: industrial, academic, services, social, and so on. The cycle has six phases as follows (see Figure 4- 13):



**Figure 4-13: Awad & Ghaziri Knowledge Management Model**

#### 4.12.1 Knowledge Creation

Knowledge creation is an activity that updates people's knowledge through experiences in a particular area. There are several methods for creating knowledge:

1. Sharing knowledge which creates a learning culture (class education, conferences, seminars, discussion forums, research).
2. Teamwork where experiences are translated into knowledge (laboratory works, internship, multidisciplinary teams).

From an intellectual property perspective, the "Creator (inventor, author) is an individual or group of individuals who make, conceive, reduce to practice, author, or otherwise make a substantive intellectual contribution to the creation of intellectual *property*. [12]"

#### 4.12.2 Knowledge Capture

The second phase in the Knowledge Management cycle is capturing knowledge. "Knowledge capture is defined as the process by which the expert's thoughts and experiences are captured' [3:123]. Knowledge capture is the transfer of expert's knowledge and expertise to a knowledge repository. It is the process by which knowledge developer discover expert's skills, perceptions, insights, and other tacit knowledge required for a given task.

Capturing knowledge usually applies the following processes:

1. Interviewing the expert in a problem case.
2. Understanding the problem domain.
3. Interpreting the information.
4. Inferring the underlying knowledge and reasoning process.
5. Building procedural and conditional rules.
6. Modeling domain knowledge.
7. Representing captured knowledge using tools such as flowcharts, decisions trees, decision tables, and other graphical representations.

#### 4.12.3 Knowledge Codification

Codification is the process of converting tacit knowledge into explicit and

well-organized knowledge. Knowledge that resides in the head of experts, once codified, becomes visible and accessible to authorized personnel. Its use varies depending on the problem case. Some important areas where codified knowledge is essential:

1. Diagnosis: identifies symptoms of specific causal factors.
2. Instruction/Training: enables students to learn by exploration.
3. Interpretation: compares aspects of an operation to preset standards.
4. Planning/Scheduling: creates detailed lists of sequential tasks necessary to achieve specific goals.
5. Prediction: infers the likely outcome of a given situation.

Knowledge codification methods differ from one organization to another depending on many organizational factors such as goals to achieve, available existing knowledge, and knowledge readiness for codification. In general, most knowledge that is vital for codification is tacit because it is complex, personal, and more an art than a science.

Therefore, there is more than one tool or procedure to codify knowledge: encoding facts and relationships, categorizing, description, modeling, mapping, embedding, and so on.

Codification methods that are frequently used are as follows:

1. Knowledge Maps: knowledge maps use visual representations to guide people to the right expert or knowledge source.
2. Decision Tables: it is a codification scheme that represents knowledge using conditional knowledge type in a form of condition-conclusion statements.
3. Decision Trees: it is another form of decision tables that uses a graphical visualization of conditions-conclusions rules.
4. Frames: A Frame is a knowledge representation scheme that describes the world using entity-slot structure which allows codification of declarative and procedural (operational) knowledge. The Frame structure is composed of:
  - Entity Name: a unique name that refers to a real object of the world.
  - Entity Type: defines the nature of the object.
  - Entity Slots: are the features that characterize the entity, also called attri-

butes, values of which are called facets. Slots are governed by range and domain scopes and may have restricting rules for value attribution.

Instantiation is the process of creating a real-world entity with a name and attribute value. The frame-based problem solving technique builds on matching instances or finding their occurrences in the knowledge base. The hierarchical structure of the frames enables analogical reasoning and inferencing across entities relationships.

5. Production Rules: it is a tacit knowledge codification method that rules a specific action under certain conditions. It builds causal-effect relationship structures between elements where the antecedent is called premise (hypothesis, condition, or test) and the consequent is called action (effect or result). It is similar to the traditional if-then programming statements; however, it allows heuristical, experiential, subjective, and uncertain reasoning to occur.
6. Case-Based Reasoning: in some cases, production rules are difficult, if not impossible, to formulate for they must declare complex reasoning analogies embedded in historical experiences, stories, and past organizational events. Case- Based Reasoning (CBR) is an episodic knowledge codification scheme that is useful for the operational level where past cases are compared to present ones and conclusions are drawn when similarity search finds matches.

#### 4.12.4 Testing and Deployment

Knowledge codification is not the last phase in the Knowledge Management system. The most critical and challenging phase is the testing and deployment where the knowledge base system is put to work in a real environment, to deal with live cases, and support problem solving and decision making processes.

##### System Testing

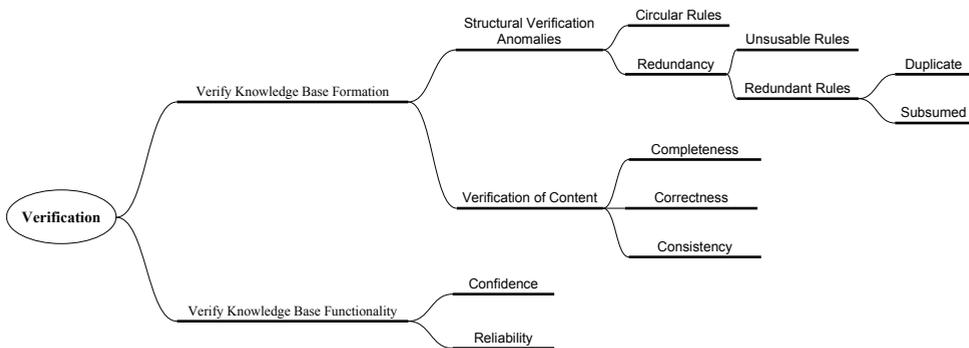
System testing is considered to “control performance, efficiency, and quality of the knowledge.” Two major approaches for knowledge system testing are proposed:

1. Logical Testing: specifies the goodness of the system intrinsic properties; that is, the structural aspects, principles, specifications, and sequences on which the system was developed (see Figure 4-14). Logical testing addresses two validation criteria:
  - a- Knowledge Base Formation: where knowledge anomalies such as circular rules and redundancies are verified. It also verifies for knowledge content,

completeness, consistency, and correctness.

b- Knowledge Base Functionality. Where confidence level and reliability degree are measured.

2. User Acceptance Testing: while logical testing focuses on the pieces of knowledge formation and functionality, the user acceptance testing considers the system behavior in a realistic environment. It focuses on the meanings of the results and it measures reliability, consistency, and correctness from an operational perspective. The knowledge system deals with subjective and tacit knowledge which renders user acceptance criteria a complex task for testing system accuracy, adaptability, adequacy, robustness, and so on.



*Figure 4-14: Approaches to Logical Testing*

## System Deployment

The physical transfer of the Knowledge Management system follows the system testing and verification. Successful system deployment reflects many factors:

1. Organizational acceptance and commitment to the new communication, sharing, and decision making processes suggested by the new system.
2. Technical integration and adjustment for the new technological side brought in by the knowledge-based expert system.
3. Procedural modification to the employees' tasks.
4. Behavioral adaptation for sharing employees' skills, uncovering their personal insights, and creating a trust atmosphere throughout the organization.
5. Economical feasibility for entering the arena of a highly competitive advantage, performance, and profitability.

#### 4.12.5 Knowledge Transfer

Now that the Knowledge Management system is successfully tested and deployed, the turn comes for the employees to prove functionality, not to the new system, but to the goals set behind it. The new system is an enabler for knowledge transfer and knowledge sharing between organizational members and not a target by itself.

Knowledge transfer has three major goals:

1. Transferring knowledge in the right format, at the right time, and to the right people makes knowledge actionable and innovative.
2. Knowledge in action constructs new knowledge and thus promotes individual and organizational learning.
3. Knowledge transfer builds an atmosphere of trust and thus encourages knowledge sharing.

Knowledge is transferred from a sender to a receiver through the appropriate media. The sender, or knowledge source could be knowledge repository, lessons learned, experts, documents, innovations, or else. The receiver is the apprentice, user, team, manager, or consultant. Finally, knowledge is transferred through group work, apprenticing, discussion, mentoring, and so on.

#### 4.12.6 Knowledge Sharing

Knowledge transfer is a prerequisite for knowledge sharing. People are not satisfied only with the fact that they receive knowledge properly. Knowledge sharing is an indicator of full knowledge absorption which narrows the gap between what people know and what they do. To make the employees devoted to share their knowledge “is one of the toughest nuts organizations have to crack (Bukowitz and Williams, 1999)” [10:12].

Knowledge sharing can only be realized when people are ready to:

1. Adapt to a new culture: share, trust, communicate, and exchange.
2. Modify their attitudes toward what they intellectually own and promote their personal learning to organizational learning.
3. Change their job characteristics to conform with the new organizational knowledge oriented strategies.

## 5- Synthesized Approach

### 5.1 Binney's Knowledge Management Spectrum

Derek Binney, (2001), has presented an unprecedented approach for classifying the Knowledge Management activities across several KM theories and strategies. Binney considers Knowledge Management as “the coordinated effort to create and leverage an organization’s know-how. [13]”

Originally, Binney’s Knowledge Management approach consisted of six distinct elements that map organization wide applications. Knox Haggie and John Kingston, however, have introduced one additional feature that contributes to the knowledge evaluation process. The framework, also called Binney’s KM Spectrum, identifies seven major Knowledge Management activities as follows [6] & [13]:

1. Transactional: focuses on the operational knowledge flow in and out of the organization on a daily basis. It is problem solving based procedural knowledge that carries out functions like case-based reasoning, help desk, customer service, order entry, and agent support.
2. Analytical: knowledge is scanned, abstracted, and analyzed in order to identify customer needs and realize customer intimacy. A new knowledge is then created. Supporting applications are: data warehousing, data mining, business intelligence, management information systems, decision support systems, and customer relationship management.
3. Asset Improvement: aims at reaching operational excellence through effective intellectual asset management: knowledge refinement, rights management, knowledge measurement, and knowledge evaluation.
4. Asset Management: at this stage, knowledge is codified, stored, and preserved in a knowledge repository where functions as intellectual property management, document management, knowledge repositories, and content management are achieved.
- 5- Process-based: domain knowledge is used and applied in various business functions: total quality management, benchmarking, best practices, business process re-engineering, process automation, lessons learned, methodology, and six sigma.
- 6- Developmental: focuses on promoting skills development, staff competencies, learning, teaching, and training.
- 7- Innovation/Creation: it fosters innovations and knowledge creation through communities of practices, collaboration, discussion forums,

networking, virtual teams, R&D, and multi-disciplined teams.

The Binney's Knowledge Management Spectrum is presented in Table 5-1. The original spectrum included five approaches for Knowledge Management. The author has appended to the list ten additional approaches which enhances the framework classification strength and emphasizes its completeness. Italicized and highlighted KM models have been incorporated by the author.

Another improvement, made by the author, to Binney's KM Spectrum is the addition of materials and applications that match the framework classifications. Table 5-2 presents some major materials used and applications that require a Knowledge Management approach.

Business Perspective	Transactional	Analytical	Asset Improvement	Asset Management	Process-Based	Developmental	Innovation and Creation
		Explicit		Implicit			Tacit
Knowledge Accessibility							
Knowledge Type	Procedural	Declarative	Procedural	Declarative	Procedural	Either	Either
Knowledge Spiral (Nonaka & Takeuchi)		Combination (explicit to explicit)		Externalization (tacit to explicit)		Internalization (explicit to tacit)	Socialization (tacit to tacit)
SLC	Problem Solving	Seamless / Abstraction		Impacting		Diffusion	Absorption
Value Disciplines (Boisot)	Operational Excellence	Customer Intimacy	Operational Excellence	Any	Operational Excellence	Any	Product Leadership
KM Strategies (Day)	Developing and Transferring Best Practices	Creating New Industry From Embedded Knowledge	Transferring Best Practices	Creating Standard By Releasing Proprietary Knowledge	Developing and Transferring Best Practices	Transferring Best Practices	Fostering and Commercialization Innovation
KM Strategies & KMC (Wieg)	Knowledge Transfer	Customer Focused Knowledge	Intellectual Asset Management	Intellectual Asset Management	Knowledge Transfer	Personal Knowledge Asset Responsibility	Knowledge Creation
Knowledge Strategy (Zack)	Building knowledge	Knowledge	Exploitation	Holding Knowledge	Applying Knowledge	Knowledge Pooling	Exploration
KMC (Koeing and Srikantaiah)	Knowledge Acquisition	Knowledge Organization and Metadata Creation	Knowledge Refinement	Knowledge Storage and Retrieval	Knowledge Integration and Discovery	Knowledge Distribution	Knowledge Distribution and Acquisition
KMC (Bukowitz and Williams)	Tactical Stage	Use	Divest	Strategic Phase	Assess	Tactical Stage	Learn
KMC (McElroy)	Business-Processing Environment	Use	Build & Sustain	Build & Sustain	Assess	Contribute	Learn
KMC (Awad & Ghaziri)	Knowledge Transfer	Knowledge Capture	Knowledge Codification and Storage	Distributed Organizational Knowledge Base	Knowledge Testing and Deployment	Knowledge Processing Environment	Knowledge Creation
KM Framework (Sallis and Jones)	Combining, Reorganizing, Categorizing, Sorting	Knowledge Analysis	Knowledge Evaluation	Explaining Via Analogies, Models, Metaphors	Knowledge Understanding	Knowledge Sharing Learning	Observation & Practice
KM cycle (Serban and Luan)	Knowledge Transfer	Knowledge Capture	Knowledge Evaluation	Effective Knowledge Management	Knowledge Understanding	Share and Use	Knowledge Creation
People	KM Access	Capture	Organize	Knowledge Maintenance	Use	Use	Create
KM Cycle (Probst)	Acquisition	Goals Identification	Measurement	Collaborate - Find - Mediate - Facilitate - Augment - Share - Align	Use	Distribution	Development
Knowledge Value Chain (Sandy Staples et al.)	Actionability	Actionability	Codification	Orientation	Transfer	Social Construction	Creation, Personalization, and Fusion

**Table 5-1: Revised and Modified Binney's Spectrum Mapped to Knowledge Management Classifications**

(modified by the author - highlighted and italicized)

Transactional	Analytical	Asset Improvement	Asset Management	Process-based	Developmental	Innovation/Creation
Case Based Reasoning	Data Warehousing	Timetabling	Intellectual Property	TQM	Skills Development	Communities
Help Desk Applications	Data Mining	Scheduling	Document Management	Benchmarking	Staff Competencies	Collaborative Learning
Customer Service Applications, E-Learning Applications	Business Intelligence	Configuring Layouts	Knowledge Valuation	Best Practices	Learning, Action Learning	Discussion Forums
Technical Papers, Plans, Charts, Lectures, Published Papers	Management Information Systems	Time & Motion Studies	Knowledge Repositories	Quality Management	Teaching	Networking
Manuals, Policies	Decision Support Systems	Supply Chain Management	Content Management	Business Process (Re) Engineering	CBT, Online Training	Virtual Teams
Reports, Course Catalogs, Online Textbooks	Customer Relationship Management	Allocation of Resources	Digitization, Documentation Extraction, Representation, Storage, Repository of Pedagogy & Assessment Techniques, Research Outcomes, Preformatted Proposals	Process Automation		Sharing Calendars, Collective Writing, Students Evaluation, Curriculum Revision
Cognitive Technologies	Competitive Intelligence, Strategic Planning, Trend Scans			Lessons Learned	Methodology	
Probability Networks	Neural Computing	Web Crawlers	Search Engines, Knowledge Maps, Library Systems	ISO, Six Sigma		Scientific Discovery, Discussions, Workshops, Conferences, Seminars, Social Learning, Informal Education Processes and Communication, Personal Experiences, Historical Understandings
Decision Trees				Workflow, Process Modeling Tools		, GroupWare, E-mail Chat Rooms, Video Conferencing, Search Engines

**Table 5-2: Knowledge Management Materials and Applications**

(modified by the author - italicized)

## 5.2 Location-Based Knowledge Management Spectrum

The Knowledge Management cycles, discussed previously, had many factors in common since they all tackle the same ingredient: Knowledge.

In an attempt to observe how actionable knowledge is processed organization wide, a Location-based Knowledge Management Spectrum is derived to map knowledge based activities across all organizational levels.

Table 5-3 shows Knowledge Management activities through a five stage cycle:

- 1- **Operations:** Explicit knowledge is generated at the Business Operations level. Knowledge processes, such as acquisition, identification, scanning, and many others, are used to perform different business daily tasks.
- 2- **Group:** Once knowledge is explicit, it is ready to be transferred, shared, diffused, and learned. It becomes tacit and stored in the memory of organizational groups.
- 3- **Mind:** At the individual level, the human mind starts to absorb diffused knowledge and personally develop new innovative and creative knowledge in different contexts depending on the individual domain knowledge. The knowledge is purely tacit and resides in the Minds of the organizational members.
- 4- **Knowledge Base:** It is at this stage where the knowledge engineer's job is primarily focused. Experts are contacted and interviewed. Meetings' sessions are recorded. Conferences, seminars, and discussions are evaluated. The outcome is a codified, modeled, and standardized purely explicit knowledge that is stored and maintained in a Knowledge Base or Knowledge Repository.
- 5- **Organization:** Explicit and preserved knowledge is now made available for all organizational members to understand, test, collaborate with, and use, preparing to start a new Knowledge Management Cycle.

## 5.3 The Knowledge Management Wheel

In an attempt to merge between Binney's and Location-Based spectrums, we identified common concepts that appear in the Knowledge Management cycle and adhere to the two spectrums. The result is an attractive combination that we called the Knowledge Management Wheel (see Figure 5-1) where knowledge states can now be precisely identified from many perspectives: organizational, functional, and human.

The Knowledge Management Wheel presents new perspectives for knowledge concentration in the technology applications, human behavior, and business operations.

Location Based <i>Knowledge Management Spectrum</i>					
Location	Operations	Group	Mind	Knowledge Base	Organization
KM Cycle Stage	<i>Stage 1</i>	<i>Stage 2</i>	<i>Stage 3</i>	<i>Stage 4</i>	<i>Stage 5</i>
Knowledge Type	Explicit	Tacit	Tacit	Explicit	Explicit
<b>KM Activities</b>	Combine	Internalize	Socialize	Hold	Externalize
	Build	Diffuse	Absorb	Manage	Apply
	Acquire	Transfer	Innovate	Refine	Present
	Use	Pool	Create	Store	Use
	Get	Distribute	Develop	Retrieve	Integrate
	Process	Promote	Personalize	Sustain	Assess
	Access	Contribute		Build	Test
	Identify	Process		Divest	Deploy
	Solve	Share		Codify	Understand
	Scan	Learn		Model	Align
	Abstract	Use		Capture	Collaborate
	Develop	Explore		Evaluate	Mediate
	Focus	Observe		Maintain	Facilitate
	Categorize	Measure		Preserve	Impact
	Organize			Organize	Practice
	Sort		Standardize		
			Assess		

Table 5-3: Location Based Knowledge Management Spectrum

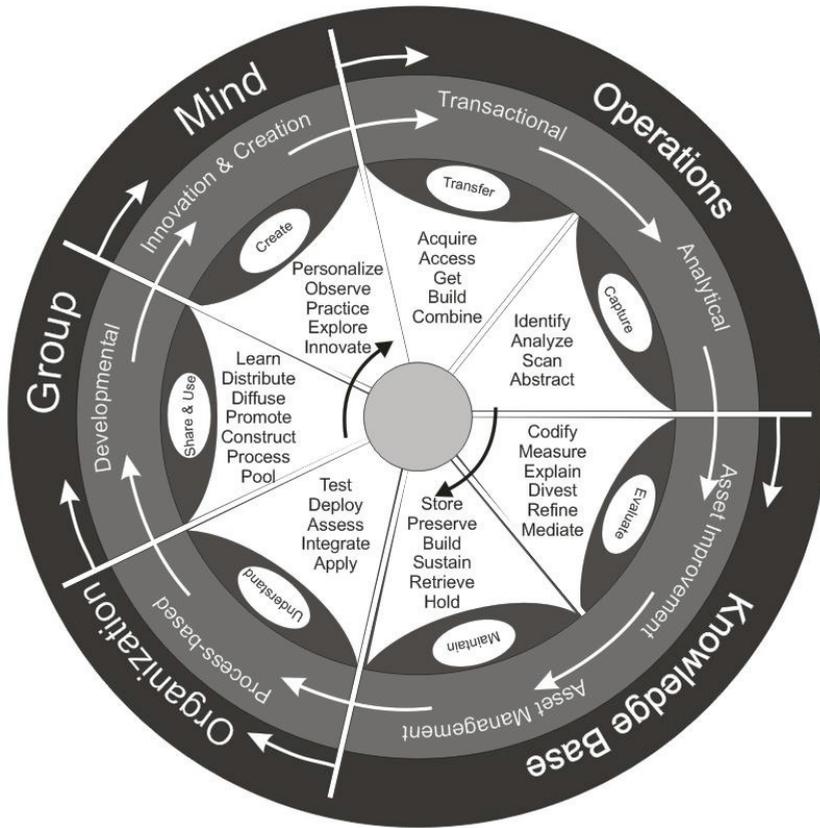


Figure 5-1: Knowledge Management Wheel

## 6. Discussion and Conclusion

In the previous sections, we have discussed some of the emerging Knowledge Management cycles. We then mapped these stages to the seven organizational elements presented by the revised Binney's Knowledge Management spectrum.

We found a general agreement on the concept of Knowledge Management and its applications in the organizational structure. This agreement has many implications on the theory of Knowledge Management:

1. Knowledge Management is a well established and agreed upon theory and it is taking its disciplinary act within all other disciplines as a necessary condition for multidisciplinary links and therefore sharing communities of practice.
2. Knowledge Management is getting acceptance organization wide (people, process, and product). What is still needed is a tighter integration

among organizational components.

3. Knowledge Management major functions are almost identical despite the discrepancies in:
  - a. Understanding the word knowledge: product, process, and power.
  - b. Domain disciplines: business, education, and industry.
  - c. Knowledge Management approach: social, cultural, technological, organizational, and structural.

Binney's approach presents an organizational map for Knowledge Management. It describes the various states of knowledge through a complete Knowledge Management cycle. The Location-Based Spectrum complements Binney's work. It suggests, for each knowledge state, the appropriate or expected knowledge location, and therefore the necessary material, tool, or behavior (human or technological) required for effective Knowledge Management.

## 7. References

- 1- **Kimiz Dalkir** (2005): *Knowledge Management in Theory and Practice*, Elsevier Inc., USA.
- 2- D. Sandy Staples, Kathleen Greenaway, and James D. McKeen (2001): Opportunities for research about managing the knowledge-based enterprise, *International Journal of Management, Reviews*, Volume 3 / Issue 1 / pp. 1-20, Blackwell Publishers Ltd, USA.
- 3- Elias M. Awad & Hassan M. Ghaziri (2004): *Knowledge Management*. International Edition, Pearson Education, Inc., ISBN: 0-13-122784-X, USA.
- 4- Michael E.D Koeing and T. Kanti Srikantaiah (2004): *Knowledge Management Lessons Learned, What Works and What Doesn't*, American Society for Information Science and Technology, Assist Monograph Series, Inc., ISBN: 1-57387-181-8, USA.
- 5- Peter F. Drucker, Ikujiro Nonaka, David A. Garvin, Chris Argyris, Dorothy Leonard & Suzan Straus, Art Kleiner & George Roth, John Seely Brown, James Brian Quinn & Philip Anderson & Sydney Finkelstein (1998): *Harvard Business Review on Knowledge Management*, Harvard Business School Press, ISBN: 0-87584-881-8, MA, USA.
- 6- Knox Haggie, John Kingston (2003): *Choosing Your Knowledge Management Strategy*, *Journal of Knowledge Management Practice*, June 2003.

- 7- Zuhair Iftikhar (2003): Developing an Instrument for Knowledge Management Project Evaluation, *Electronic Journal of Knowledge Management*, Volume 1, Issue 1, pp. 55-62.
- 8- Edward Sallis, Gary Jones (2002): *Knowledge Management in Education, Enhancing Learning & Education*, Kogan Page Limited, United Kingdom.
- 9- D. Sandy Staples, Kathleen Greenaway, and James D. McKeen (2001): Opportunities for research about managing the knowledge-based enterprise. *International Journal of Management, Reviews*, Volume 3 / Issue 1 / pp 1-20, Blackwell Publishers Ltd, USA.
- 10- Andreaa M Serban and Jing Luan (editors) (2002): *Knowledge Management: Building a Competitive Advantage in Higher Education*, Jossey-Bass, Wiley Periodicals Inc., California, USA.
- 11- Ralf Kneuper (2001): Supporting Software Processes Using Knowledge Management, *Handbook of Software Engineering and Knowledge Engineering*, Vol. 2, World Scientific Publishing Company, Frankfurt, Germany.
- 12- University of Illinois at Chicago (2004): *The General Rules Concerning University Organization and Procedure, Policies and Procedures Manual, Campus Administrative Manual*, USA.
- 13- Keen, Peter G.W. (2006). Knowledge mobilization: The challenge for information professionals. In C. Khoo, D. Singh & A.S. Chaudhry (Eds.), *Proceedings of the Asia-Pacific Conference on Library & Information Education & Practice 2006 (A-LIEP 2006)*, Singapore, 3-6 April 2006 (pp. 1-9). Singapore: School of Communication & Information, Nanyang Technological University.
- 14- Andre Saito & Katsuhiko Umemoto, Graduate School of Knowledge Science, Japan Advanced Institute of Science and Technology (2005): *Linking Knowledge Management Technologies To Strategy*, Annual Information Technology Congress, CAT1 2005, June 29th -July 1st, S3o Paulo, Brazil
- 15- Kenneth A. Grant and Candace T. Grant (2008): *Developing a Model of Next Generation Knowledge Management*, *Issues in Informing Science and Information Technology*, Volume 5, 2008.

أ. خطيب خالد

كلية العلوم الإقتصادية  
العلوم التجارية و علوم التسيير .  
جامعة وهران

## إمكانيات تطبيق معايير إدارة الجودة الشاملة في قطاع التأمين بالجزائر (دراسة ميدانية)

### تمهيد

يعد مدخل إدارة الجودة الشاملة في قطاع التأمين ، من خلال الشركات التي تنشط في سوق التأمين الجزائري، محاولة لتحسيس المسيرين بأهمية هذا المنهج كوسيلة فعالة، ترمي إلى تطبيق مبادئ لا غنى عنها لمواجهة تحديات المنافسة في سوق التأمين الحديث، وبالرغم من أن فكرة تطبيق إدارة الجودة الشاملة في قطاع التأمين، يمكن أن تكون جد شاقة وطويلة المدى، إلا أنه من خلال إتباع الشروط المنصوص عليها سالفًا ، يمكن أن تصبح مجرد عملية سهلة التنفيذ وبمبسطة للجميع ، من خلال إزالة الخوف، والتدريب والإشراف، والتحسين المستمر، وفهم العلاقة بين الموردين / العملاء، شريطة أن تكون عملية التغيير ناجحة في أذهان المنفذين لمبادئ هذا المنهج .

### ABSTRACT

Le but principal de cette étude, c'est de traiter ce thème et présenter un cadre théorique et pratique qui limite et décrit les définitions concernant la qualité

totale de management, comme introduction administrative récente dans le secteur des assurances, en outre Le cas met l'accent sur la nécessité de transmettre, les objectifs d'un tqm programme aux employés du secteur des assurances.

pour assurer son succès, il aborde diverses raisons pour la résistance des salariés au changement, et met en lumière le conflit qui surgit entre les employés, et la société d'assurance lorsque les employés ne sont pas convaincus des objectifs du programme tqm .

Ainsi L'affaire porte sur la manière dont le changement peut être géré de manière efficace, et aborde également le rôle d'un chef d'agence en assurance dans la mise en œuvre réussie de tqm, donc reste à comprendre la nécessité de la tqm dans le secteur des assurances, et le rôle d'un chef d'agence, faisant tqm un succès de tout le secteur.

وعليه يمكن اعتبار أن إدارة الجودة الشاملة هي أساس القدرة التنافسية، و مدخلاً يهدف إلى التحسين المستمر، وبالتالي اكتساب الكفاءة و المرونة بالنسبة لقطاع التأمين ككل.

بالطبع إن عملية تطبيق هذا المنهج تتطلب مراحل، ترتبط بتعريف العملية، وفهم الخدمات التأمينية وتعريف المنفذ والدور الذي تقوم به، من خلال إتباع خطوات التنفيذ و المتمثلة في تحديد الخدمة ( المدخلات و المخرجات )، و المورد والعمل بالنسبة لكل من الخدمة والمنتج التأميني على حد سواء، و بالتالي تحديد التغيرات التي يجب إدخالها في مدخلات أو مخرجات قطاع التأمين ككل، مع تقييم أسلوب أداء كل هذه العمليات، و ذلك حسب خطوات التنفيذ المتمثلة في مراجعة أولويات التطوير، و وضعها على أساس إرضاء وتلبية احتياجات الزبون وتخفيض التكلفة، بغية الوصول إلى تحسين القدرة التنافسية.

و يمكن أن نشير في هذا الجانب، إلى أن مراحل التطبيق تختلف من قطاع لآخر و من شركة إلى أخرى حسب النشاط والحجم والمقدرة المالية، و يروج معظم المستشارين لنماذج مختلفة لتطبيق الجودة الشاملة، و غالباً ما يكون لدى الخبراء آراء معينة خاصة بالفروق الرئيسية التي تميز كل طريقة عن غيرها.

وهكذا فإن تطبيق إدارة الجودة الشاملة يتطلب أرضية معينة في كافة البنى التنظيمية والإدارية والاجتماعية داخل قطاع التأمين وخارجه، بحيث توفر المناخ المناسب لإمكانيات التطبيق، فلا بد من توفر القناعة التامة لدى الإدارة العليا بأهمية هذا المفهوم، و جعل الجودة في مقدمة إستراتيجيات الإدارة العليا، و العمل على نشر هذه القناعة بوعي وإدراك.

و على العموم هناك مراحل ضرورية يمر بها تطبيق إدارة الجودة الشاملة في كل المؤسسات مهما كان نشاطها منها ، من المرحلة الصفرية (الإعداد) حيث يقرر فيها المديرون عزمهم على الاستفادة من مزايا هذا النظام ، و من خلالها يتلقى هؤلاء المديرون تدريبا يستهدف إكسابهم الثقة بالنفس، و عدم الخوف من التغيير و من الأفضل أن يتم التدريب خارج القطاع، ثم مرحلة التخطيط أي إختيار الخطة والتصديق عليها، و بالتالي وضع الخطط التفصيلية للتنفيذ، ثم تأتي مرحلة التقييم، من خلال المسح الميداني و التقييم و الإستقصاء و وضع إستبانه قابلة للتحكيم و التنفيذ، و أخيرا مرحلة التطبيق الفعلي بحيث تتلخص ملامحها في تحديد هيكل الإشراف الإداري على عملية التنفيذ، ثم تحديد نظام الحوافز و المكافآت للمشاركين في تطبيق إدارة الجودة الشاملة ، مع تكوين فرق التحسين و التدريب على مهارات فرق العمل و التطبيق على شركات التأمين ، و من خلال التحسين التجريبي ثم إستخدام نتائج التحسين حسب إعتقادنا كأفضل طريقة للتطبيق التدريجي و أخيرا التوسع في التطبيق على باقي الشركات ، ثم القطاع ككل، مع الحرص على مرحلة تبادل و نشر الخبرات<sup>(١)</sup>.

فأمام إفتقار سوق التأمين إلى الخدمات<sup>(٢)</sup> مابعد البيع من حيث صياغة العقود ، و تجديدها و نشر الوعي التأميني و غياب الشخص الكفيل الذي يستند إليه وقوع الخطر ، و عدم وجود كفاية التعويض بالشكل المطلوب ، فكل هذه الأمور تجعل الزبون لا يشعر بالرضى و لا يطمئن للتكاليف، التي هي غاية و هدف إدارة الجودة الشاملة في التطبيق و التي ينبغي معالجتها لتحسين القدرة التنافسية في قطاع التأمين<sup>(٣)</sup>.

و هكذا تعد هذه الدراسة الميدانية محاولة للإجابة على إشكالية البحث، التي تتمحور أساسا حول ما يمكن أن تقدمه إدارة الجودة الشاملة من فرص و إمكانيات تنافسية لشركات التأمين حسب طبيعتها وخصوصيات منتجاتها ، و عليه تم تسليط الضوء على قطاع التأمين من خلال الشركات العامة و الخاصة و تقييمها في هذا المجال.

و قد تم تقسيم الفصل الرابع التطبيقي ( الدراسة الميدانية ) إلى ثلاثة مباحث:

**المبحث الأول:** و يتضمن تحليل سوق التأمين في الجزائر من خلال تناول حجم مؤشرات سوق التأمين، أنواع شركات التأمين ، هيكل قطاع التأمين، و دور سوق التأمين في المؤشرات الإقتصادية .

١- مراحل تطبيق إدارة الجودة الشاملة محمد عوض الترتوري ٢٠٠٦

٢- المصدر - مصاريف و تأمين ميساء العلى - مؤسسة الوحدة للصحافة و النشر - دمشق - سورية ٢٠١٠.

٣- راجع المصدر - فريد عبد الفتاح زين الدين - تطبيق إدارة الجودة الشاملة بين فرص النجاح و مخاطر الفشل جامعة الزقازيق ٢٠٠٥ ص ١٠٢

**أما المبحث الثاني** فقد تم تخصيصه لاستعراض منهجية البحث الميداني، والجانب التحليلي للدراسة، تحليل البيانات، مع عرض النتائج، تحديد مجتمع الدراسة، واختيار العينة وأسلوب جمع البيانات، تحليل آراء عينة الدراسة حول فقرات الإستبانة.

**وأخيرا المبحث الثالث:** ويتناول المعالجة الإحصائية، من خلال أدوات التحليل الإحصائي باستخدام SPSS V17، وإختبار الفرضيات، وأخيرا عرض النتائج، وتقديم توصيات وإقتراحات.

## **المبحث الأول: تحليل سوق التأمين في الجزائر**

### **تمهيد:**

مند بداية التسعينيات حقق قطاع التأمين في الجزائر منعرجا هاما في تاريخه، حيث تمكنت شركات التأمين من الإكتفاء الكلي في مجال تأمين السيارات، ودخلت في المنافسة القوية مع شركات التأمين الأخرى، جراء العولمة التي اكتسحت كل الأسواق العالمية للتأمينات، مما خلق صعوبات تنافسية قوية، أضعف من مردودية أغلب الشركات الناشطة في سوق التأمين.

كما أدى ارتباط الأسواق بالتقريب الكلي لاحتياجات المستهلكين لمنتوج التأمين، إلى ظهور العديد من العمليات المرتبطة بالامتصاص والتكتلات، ما أرغم العديد من الدول إلى التفكير في إجراء عمليات إعادة الهيكلة لقطاع التأمين، تعدت مجالاتها عمليات السمسرة، ومن بين هذه الدول الجزائر.

### **١- خصائص سوق التأمين في الجزائر**

يمكن تناول هذا المبحث الحساس من خلال التطرق إلى ما يلي:

#### **١-١- على الصعيد المؤسسي**

تم إدارة وتسيير قطاع التأمين من خلال عدد من النصوص القانونية، التي تعالج مختلف الحالات المرتبطة بنظام التأمينات من التنظيم ومراقبة نشاط التأمين.

كما يعتبر إصدار القانون في ٢٥/٠١/١٩٩٥ المرسوم ٩٥-٠٧ الخاص بالتأمينات النص الأساسي للمظهر الحالي لقطاع التأمينات، بالرغم من قانون ٠٤-٠٦ بتاريخ ٢٠ فبراير ٢٠٠٦ الذي هوفي طور التطبيق، وهذا ما أسهم في وضع الشكل التنظيمي الحالي المكرس لانفتاح السوق، ونهاية تخصيص المؤسسات العمومية، والتكفل الأفضل بالمؤمن له<sup>(١)</sup>.

## ٢-١- على صعيد تنظيم شركات التأمين

لقد تم إثراء المحيط الإلتزامي الجزائري في مجال شركات التأمين، نتيجة فتح سوق المؤسسة والمخصصة من قبل المرسوم ٩٥-٠٧ للهيئات العمومية (CAAR-SAA-CAAT-) مع اعتماد مؤسسات، وتعاونيات عمومية، وخاصة مثل (CIAR- 2A-GAM-)، وينصبّ كل اتجاه هذه المؤسسات تجاه حرف التأمين، ويمكن الإشارة إلى أن المرسوم ٩٥-٠٧ سمح بظهور، وساطات التأمين (وكلاء عامون- و السماسرة).

أما فيما يتعلق بمنتجات التأمين المسوقة، فإن سوق التأمينات في الجزائر يبقى يستند خاصة على التأمينات الإجبارية، والتي يطلق عليها التأمينات لغير- الحياة بصفة خاصة، وهذا ما يفسر ضعف حصة قطاع التأمين، في تكوين المنتج الداخلي الخام للدولة (PIB) والذي يقدر بأقل من ١٪)، ومن جهة أخرى فقد عرفت شركات هذا القطاع نقص في التسيير، التكوين وفي شبكات أو قنوات التوزيع.

## ٣-١- إصلاحات و آفاق شركات التأمين.- تتمثل هذه الإصلاحات:

أ-في التسيير الجيد: المرتكز على المراقبة عمليات التقييم الشفافية في الأرقام المردودية لرؤوس الأموال الخاصة الزيادة في رقم الأعمال، ومعدلات التوغل في الأسواق، وتحصيل الأموال الدائنة، وهامش ضمان في السيولة، والتحكم في تكاليف التسيير، وزيادة على المراقبة المالية وتطبيق القوانين الداخلية، محاولة وضع وظيفة التخصص في شؤون التأمين ACTUARIAT موضع التطبيق من خلال تكوين متخصصين في شؤون التأمين في الجزائر.

ب-القيام بوضع مخططات إستراتيجية، وذلك من خلال إمداد الشركات التأمينية العمومية والخاصة، بإمكانيات تنافس وتصدُّ للجديد في عالم التأمين، من خلال الدخول في منظمة الإتحاد الأوروبي، ومنظمة التجارة العالمية (OMC<sup>(١)</sup>).

ت-تطبيق برنامج «MEDA» الذي يشرف عليه الاتحاد الأوروبي في الجزائر، ووضع الأدوات الضرورية لتنظيم عمليات التأمين من خلال:

- التناسق في ترقيم فروع التأمين .
- الإجراءات التطبيقية في مجال محاربة الغش.

• التتقيح التقريبي لدى الخبير جراء الحوادث.

ث- إحتضان المعاهدة المتعلقة بالتعويض المباشر للحوادث IDA ، لتسوية الحوادث المتعلقة بالمسؤولية المدنية « سيارات- اللوازم المادية ، من خلال تقليص مدة التعويض.

وفي الأخير تطمح شركات التأمين إلى الإئفتاح الفعلي لقطاع التأمينات على العالم الخارجي ، ويتجلى في إمضاء الإئتفاق مع الإئتحاد الأوروبي، وترقب الإئضمام إلى المنظمة العالمية للتجارة الذي يشترط إئحترام مقاييس دولية في مجال الشفافية المالية ، و القواعد التي تحكم، وتسير علاقات العمل، والمنافسة، و الإئفتاح على السوق.

## ٢ - حجم مؤشرات سوق التأمين في الجزائر

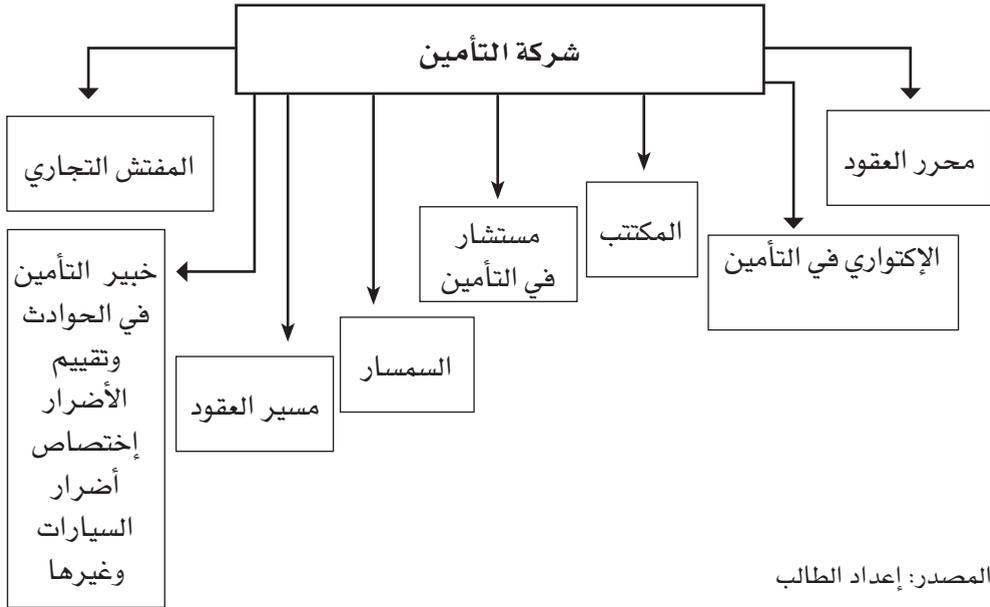
### ١-٢ - تعريف سوق التأمين

و يتمثل سوق التأمين في مجموع الشركات التي تقوم بعرض منتجات التأمين للمؤمن لهم، وعند جمع أقساط التأمين تقوم هذه الشركات بعمليات التعويض و لاستمرار نشاطها، توظف تراكم الأقساط على شكل أسهم ، و هي بذلك تشبه البنوك التجارية<sup>(١)</sup>.

و هناك تعريف آخر يعتبر سوق التأمين ، عبارة عن شركات في شكل منظمة اقتصادية تتميز بصفة مهنية تقوم بعمليات التأمين، التي من خلالها تنظم اتفاقات مع عدد من المؤمن لهم المعرضين لمخاطر محدودة، و تتعهد بتنفيذ عقود التأمين، أو بدفع التعويض في حالة وقوع الحادث<sup>(٢)</sup>. و تتخذ شركات التأمين في هذا السوق عدة أشكال في هياكلها و إداراتها ، و نشاطاتها . ويمكن تمثيل شركة التأمين على النحو التالي : هيكل شركة التأمين الشكل رقم ٤١

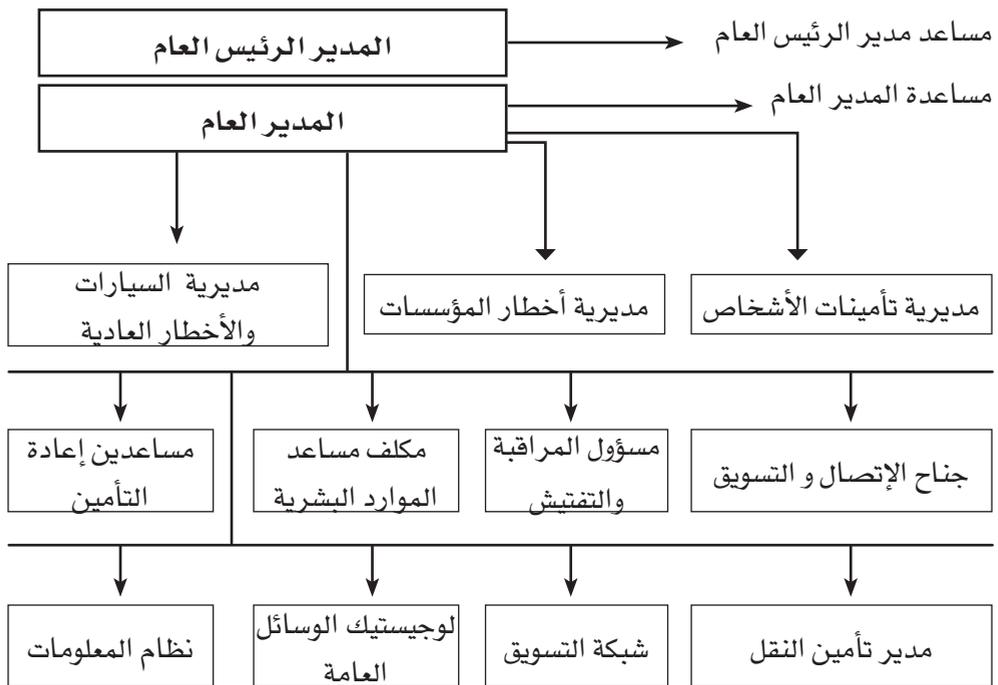
١- خطيب خالد أستاذ بكلية العلوم الإقتصادية وهران ٢٠١٠ محاضرات في إقتصاد التأمينات .

Gean brigot , droit des assurances , T1 , liban 2000p 34 -2



كما يمكن تمثيلها من ناحية الهيكل الخاص بها كما يلي : الشكل رقم ٤٢

نموذج la CAAR



المصدر - rapport annuel LA CAAR 2010

## ٢-٢- أنواع شركات التأمين

تقسم شركات التأمين إلى عدة أشكال تختلف باختلاف نوع التأمين، طرق الإدارة ورأس المال، وطريقة الإكتتاب، ومدى مسؤولية المؤمن له و المؤمن ومنها:

**أ- شركات التأمين المساهمة:** وتجمع عدد كبير من المساهمين، كما تقوم بمختلف أنواع التأمين مثل التأمين على الحياة، التأمين العام، أو يقتصر نشاطها على نوع أو أكثر حسب قانونها الأساسي، وتهدف إلى حماية المؤمن لهم و دفع التعويضات اللازمة عند وقوع الخطر المؤمن منه، كما تخضع لإشراف الدولة و رقابتها لحماية وثائق التأمين، لأن هدف هذه الشركات هو الربح.

**ب- صناديق التأمين الخاصة ( صناديق الإعانات ):** تنشأ مثل هذه الصناديق لأهداف إجتماعية بحتة، لا تهدف إلى تحقيق الربح، وتكمن وظيفتها الأساسية، في التغطية التأمينية على الوفاة، المرض، التقاعد، البطالة.

**ت- الجمعيات التعاونية للتأمين:** هي جمعيات رأسمالها غير محدد، و لكل عضو الحق في المساهمة في أكثر من سهم. و يمكن لغير حملة الأسهم التأمين لديها، و لكل عضو صوت واحد مهما كانت عدد أسهمه في الجمعية هدفها تحقيق التعاون بين الأعضاء من المساهمين، تقوم بتوزيع الأرباح، فتحصل الأسهم على نسبة من قيمتها، و توزع باقي الأرباح على حملة وثائق التأمين، وتتولى إدارة الجمعية الأعضاء حملة الأسهم.

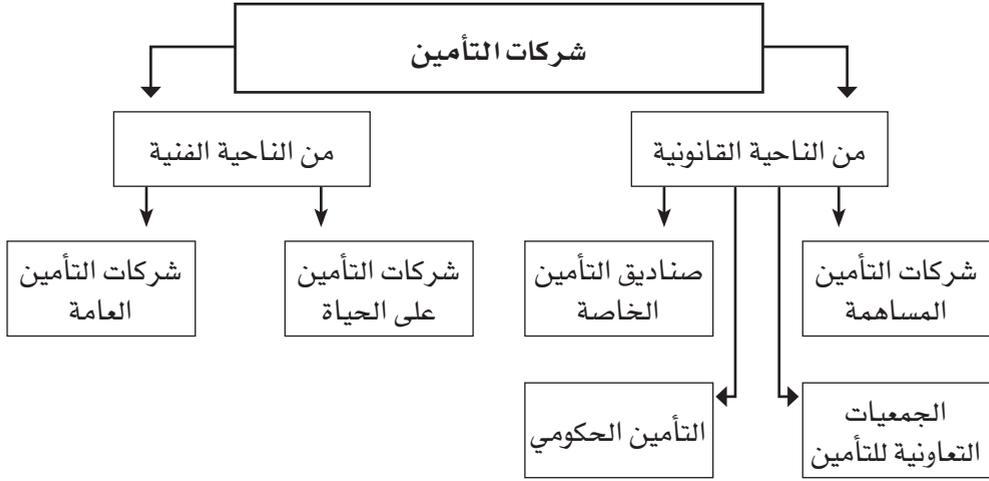
**ث- التأمين الحكومي:** ويتمثل في تغطية الدولة للمخاطر الطبيعية، و تتدخل غالباً في تغطية المخاطر ذات التعويضات الباهظة، هدفها الإصلاح الاجتماعي، و توزيع المداحيل بعدالة، و حماية الأفراد.

أما من الناحية الفنية، فيتم تقسيم شركات التأمين إلى<sup>(١)</sup>:

**١- شركات التأمين على الحياة:** تقوم بتجميع الأقساط من المؤمن لهم، و إقراض هذه المبالغ، إلى مؤسسات أخرى، كما أنها تقوم بإصدار وثائق للتأمين ضد الوفاة.

**٢- شركات التأمين العام:** يقصد بالتأمين العام، كافة أنواع التأمين عدا التأمين على الحياة، مثل تأمينات السيارات ( التأمين الشامل و الإجباري )، و تأمين المسؤولية المدنية، تأمينات النقل ( النقل البحري، الجوي، البري )، التأمين ضد الحريق، تأمين الحوادث العامة ( التأمينات الهندسية، خيانة الأمانة، السرقة). و الشكل الموالي يوضح ذلك

١- رسمية فريقيص، أسواق المال، الدار الجامعية، مطبعة الإشعاع، الإسكندرية ١٩٩٩ ص ١٦٨



المصدر: إعداد الطالب

### ٢-٣- وظائف شركات التأمين

تقوم شركات التأمين بمجموعة من الوظائف حسب طبيعتها . ومن بين هذه الوظائف نذكر ما يلي :

**وظيفة الاستثمار:** تقوم شركات التأمين بوظيفة الاستثمار، وذلك لزيادة حجم رأسمالها .  
**إدارة العمليات:** وتقوم الشركة بتقدير دقيق لقيمة الأقساط لتتمكن من تغطية تكاليف الخطر عند وقوعه، وتشمل هذه الوظيفة عملية الاكتتاب لإظهار الأرباح في دفاتر العمل التجاري، بغية تغطية الأخطار القابلة للتأمين<sup>(١)</sup>، كما تشمل هذه الوظيفة، على خفض التكاليف، والإسراع في تحصيل الأقساط.

**- إدارة النشاط التسويقي:** وتعني استخدام أحدث الوسائل التقنية للتسويق في مجال التأمينات.  
**تحديد الأقساط :** إذ يرتبط قسط التأمين ارتباطاً وثيقاً بعمل الخبير الإكتواري، الذي يتمثل في تقدير الاحتمالات لوقوع الأخطار التي يغطيها التأمين.

**إدارة الأصول والخصوم:** تمثل الخصوم المخصصات الجانب الأكبر من خصوم شركات التأمين بصفة عامة.

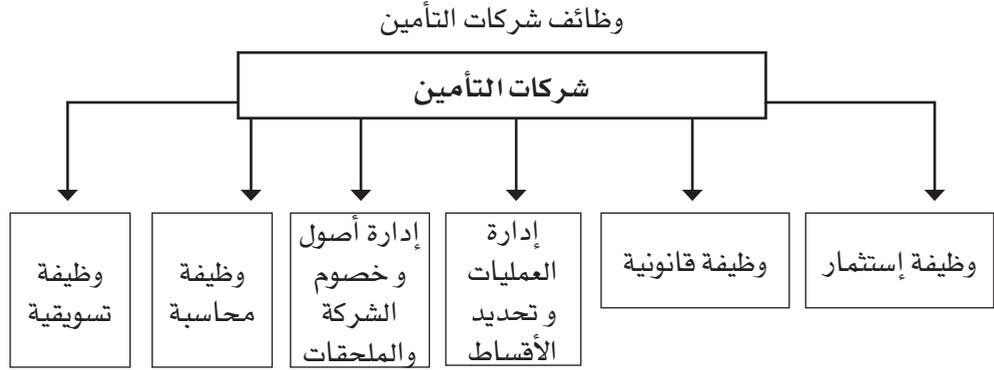
**وظيفة المحاسبة :** تتمثل في القيام بالأعمال المتعلقة بالنواحي المالية من إيرادات ومصروفات،

١- جورج ريجدا ، مبادئ إدارة الخطر والتأمين ، دار المريخ للنشر ، المملكة العربية السعودية ، ٢٠٠٦ ص ٧٩٦.

وذلك من خلال القيام بأعمال المحاسبة العامة.

**الوظيفة القانونية:** تختص بالشؤون القانونية بوجه عام، وهي وظيفة مهمة لشركات التأمين تتمثل في وضع الصياغة القانونية، وشروط الوثيقة في وثائق التأمين، وحل النزاعات والمشاكل المتعلقة بعقود التأمين. و الشكل الموالي يوضح ذلك.

الشكل رقم ٤٤



إعداد الطالب

٤- هيكـل قطاع التأمين الجزائري.

يشكل هيكل قطاع التأمين في الجزائر، النواة الحقيقية للممارسة النشاط التأميني، و حسب قانون رقم ٠٦ - ٠٤ المؤرخ ٢٧/٠٢/٢٠٠٦<sup>(١)</sup> ويمكن إحصاء ١٧ مؤسسة تأمين في الجزائر منها واحدة تم إفلاسها و بالتالي غلقها و يمكن من خلال الجدول توضيح ذلك:

١- الأمر ٠٦/٠٤ المؤرخ في ٢١ محرم ١٤٢٧ الموافق ل ٢٠ فبراير سنة ٢٠٠٩ المتعلق بالتأمينات الجريدة الرسمية الجزائرية العدد

الجدول رقم ١١ حجم أهم شركات التأمين الناشطة في الجزائر - نوفمبر ٢٠١٠

التصنيف	التسمية	شركات عمومية	شركات خاصة	شركات أجنبية	مؤشرات/مهام
	AAS الشركة الوطنية للتأمين	شركة عمومية و نرمرز لها ب (ش.ع)			١٩٦٣ / الرأسمال ١٦ مليار دج / كل فروع التأمين/٢٤٪ من حصة سوق التأمين ج. ٤١٨٦ موظف، وكالة، رقم أعمال ١٦,٤ مليار دج
	TAAC الشركة الجزائرية للتأمين	ش.ع			١٩٨٥ / إعادة هيكلة caar / رأسمال ٤٩٠,١١ مليار دج كل أنواع التأمين العام/النقل ٧٥٪ / وكالة ٢٠٪ من سوق التأمين ج رقم الأعمال ٨٦٦,١٢ مليار دج ١٥٢٥ موظف
	RAAC الشركة الجزائرية للتأمين وإعادة التأمين				٦٣/٠٦/٠٨ / الرأسمال ج ٤ مليار دج ٥ وحدات ١٢٥ وكالة محلية / حماية كل الأخطار الصناعية وغيرها/١٧٪ من سوق التأمين ج ١٧٣٠ موظف/ تساهم في بورصة الجزائر رقم أعمال ٩٢٣,١ مليار دج إقتحام عالم البنوك بنك -تأمين
	HSAC شركة تأمين المحروقات				١٩٩٩ / الرأسمال ج ٢,٨٠٠ مليار دج / تقسيم سوناطراك/ تأمين المحروقات ، كل عمليات التأمين وإعادة التأمين / ١٥٪ من سوق التأمين ج. رقم أعمال ٨,٩٢٤٢٦٩,٠٠٠ مليار دج.
	RAIC الشركة الدولية للتأمين وإعادة التأمين				١٩٩٨ / إعادة التأمين على المستوى الدولي، ممارسة كل أنواع التأمين وإعادة التأمين ، في إطار تحرير قطاع التأمين. رقم الأعمال ٣,٤ مليون kda
	A2 الجزائرية للتأمين				١٩٩٨/٠٨/٠٥ / كل أنواع التأمين، الرأسمال ج ١,٠١٥ مليار دج. ١١٢ وكالة / عملت على الحصول الإيزو ٩٠٠١-٢٠٠٠ مند ٢٠٠٤/٠٩/١٦
	AMALAS تأمين الجزائر سلامة				٢٠٠٧/٠٩ / رأسمالها ج ١ مليار دج / تمارس كل أنواع التأمين بما فيها التأمين التكافلي على الحياة. / هي فرع لمجموعة التأمين وإعادة التأمين الدولية ISLAMIC. ARAB INSURANCE COMPANY / ١٣٨ وكالة ١٨٠ موظف .
	AL RAYANE الريان تأمين				تم تصفيته سنة ٢٠٠٦
	MAG التأمين العام بحر الأبيض المتوسط				٢٠٠٧/٠٨/١٢ / هدفها الإستثمار/ ٢٠٠ وكالة / ٧٦٢ موظف / تم ضخ فيها ٢٢ مليون أورو كمؤونة اضافية
	TSURT تريست تأمين الجزائر				١٩٩٧/١١/١٨ / رأسمالها ٢,٠٥٠ مليار دج / تأمين وإعادة التأمين / ٧٠ وكالة / ١٧٦ موظف رقم الأعمال ١,٣٢٩ مليار دج
	ECNAILA أينانس تأمين				٢٠٠٥/٠٧ / رأسمال ٨٠٠ مليون دج / التأمين، وإعادة التأمين / تغطي الأخطار الصناعية -السيارات- النقل / ١١٦ وكالة / ٣١٠ موظف . رقم الأعمال ٢,٨٥٢ مليار دج
	CARDIF DJAZAIR كارديف الجزائر				٢٠٠٦/١٠/٠١ حسب القانون الجديد ٢٠/٢٠٠٦ / المناجرة بعقود تأمين الأشخاص/ ٢٤ وكالة لـ BNP PARIBAS الجزائر

1972/12/03 حماية الفلاحين و تغطية الأخطار المرتبطة بهم / 64 صندوق				CNMA الصندوق الوطني للتعاونية الفلاحية	
64/12/16 / 65/01/01 / غرضها ليس تجاري / تؤمن عدة أخطار لحماية العمال/ 25 مندوبية					
1990 / رأسمالها ج 450 مليون دج تخصص التأمين على الصادرات.					
1997/10/05 / رأسمالها 1 مليار دج / قروض الإستثمار للمؤسسات الصغيرة و المتوسطة / التأمين الفردي					
1975 / نتيجة إعادة هيكلة /CAAR/ إعادة التأمين				RCC شركة إعادة التأمين المركزية لإعادة التأمين.	شركة إعادة التأمين

#### المصدر- إعداد الطالب

و نستنتج من الجدول 14 الملاحظات التالية ، نوجزها في الجدول 15 كما يلي :

الجدول رقم 12 ترتيب شركات التأمين من ناحية الأهمية ، للفترة 2009-2010. ( رأسمال ج ، رقم الأعمال ، عدد الموظفين ، عدد الوكالات ، نسبة الحصة من سوق التأمين في الجزائر) .

مليار دج

شركات التأمين	الرأسمال الإجتماعي	رقم الأعمال	عدد الموظفين	عدد الوكالات	% الحصة في السوق	الملاحظات
SAA	16	16,4	4186	460	24	الرتبة 1
CAAT	11,490	12,866	1535	142	20	الرتبة 2
CAAR	4	1,933	1730	125	17	الرتبة 3
CIAR	3,4	-	-	-	-	الرتبة 4
CASH	2,800	8,924	-	-	15	الرتبة 5
TRUST	2,050	1,339	176	70	-	الرتبة 6
2A	1,015	-	-	112	-	الرتبة 7
SALAMA	1	-	180	138	-	الرتبة 8
SGCI	1	-	-	-	-	الرتبة 8
ALIANCE	800 مليون دج	2,852	116	310	-	الرتبة 9

#### المصدر- إعداد الطالب .

وهكذا من خلال تحليل المعطيات أعلاه نلاحظ ، أن كل الشركات هي في حاجة ماسة للرفع من حجم معاملتها و الزيادة في رقم الأعمال ، و التشغيل و بالتالي الحصة السوقية مما يؤدي إلى محاولة تحسين قدراتها التنافسية ، و قبل التطرق إلى الفصل التطبيقي ، حاولنا أن ندرج عنصر آخر يمتثل في مقومات القدرة على التنافس لشركات التأمين التي من الواجب أن تأخذ بها كمقياس و معيار للقدرة التنافسية لديها .

وفي الأخير ، يمكن تقديم نموذج لهيكل قطاع التأمين ، حسب تصورنا الشخصي ، لأننا لم نجد نموذجاً شاملاً لقطاع التأمين في الجزائر ، و عليه يمكن تقديم نموذج من الممكن تحسينه و تطويره من قبل المختصين في هذا المجال . و الشكل الموالي يوضح ذلك .

الشكل رقم ٤٥

نموذج عن هيكل قطاع التأمين في الجزائر .

( حجم شركات التأمين ، و مختلف الخدمات التي تقدمها )



المصدر - إعداد الطالب

### ٣- دور و مساهمة سوق التأمين بالجزائر في المؤشرات الاقتصادية

من خلال الإحصائيات الأخيرة تبين أن قطاع التأمين في الجزائر حقق رقم أعمال بقيمة ٢٨,٧ مليار دينار خلال السداسي الأول من سنة ٢٠٠٩، كما تم تسجيل أعلى نسبة إرتفاع في رقم الأعمال في مجال التأمين على الأشخاص بنسبة ٢٢,٧ ٪، وفي مجال التأمين الفلاحي بزيادة نسبة ١٦ ٪ أي بمبلغ رقم أعمال يقدر ب ٢٥٨,٧ مليون دج، وبخصوص هيكل السوق الوطنية للتأمينات عبر الفروع تم تسجيل ٩,٤٧ ٪ السيارات، ٢,٨ ٪ تأمين الأشخاص، و ٦ ٪ النقل، و ٩,٠ ٪ التأمين الفلاحي، و ٩,٠ ٪ القرض والضمان. وتبقى بذلك أسواق التأمين تسيطر عليها المؤسسات التالية ( الشركة الوطنية للتأمين SAA، والشركة الجزائرية للتأمين 2A، والشركة الجزائرية للتأمين وإعادة التأمين CAAR، والشركة الجزائرية للتأمين والنقل CAAT، والصندوق الوطني للتعاقدية الفلاحية CNMA التي تملك ٨,٦٤ ٪ من حصص السوق، بإنتاج قيمته ٢٩,٥٣ مليار دج، و برقم أعمال يقدر ب ١٦,٩ مليار دج خلال السداسي الأول ٢٠٠٩، وتمثل حصة الشركات الخاصة للتأمين ٢٣,٧ ٪ من إنتاج قطاع التأمينات لنفس الفترة.

و هكذا فقد عرف قطاع التأمين، من خلال تقييمه مايلي :

شهد تطوراً ملحوظاً، ولكن بمعدل إستفادة وإستغلال ضعيفين في مجال الأقساط المتراكمة.

سيطرة تأمينات الأضرار على تأمينات الأشخاص ( ضعف تأمينات الأشخاص ) .

ضعف معدل التوغل في الأسواق، بحيث بلغ المعدل ٥,٠ ٪ فقط.

نقص كبير في مواجهة الأخطار التي تتطلب التأمين لها .

غياب المراقبة والمتابعة الفعلية لممارسات عمليات التأمين (عدم وجود بنك معلومات لمراجعة تسوية ملفات الحوادث).

عدم إستغلال التكنولوجيا في قطاع التأمين الجزائري بالمقارنة مع الدول الأخرى .

عدد شركات قطاع التأمين سنة ٢٠١٠ بلغ ١٦ شركة.

عدد الوكالات الخاصة AGA ٤٢٠ وكالة، مبلغ الإنتاج ٩١٠٩ مليون دج وحصة الانتاج الإجمالي من السوق تقدر ب ٢١,٨٩ ٪ حسب آخر الإحصائيات.

يحظى فرع السيارات، بحصة الأسد بنسبة ٤٠ ٪ من السوق لوحده.

معدل نمو أقساط التأمين ١٠,٠٣ ٪ من نفس السنة .

سيطرة الشركات العمومية على سوق التأمين بمعدل ٨٠ ٪ .

بلغ الرأسمال في بورصة الجزائر فقط ٥,٠ ٪ من PIB لسنة ٢٠٠٦.

يحتل قطاع التأمين في الجزائر ، المرتبة ٦٨ عالميا من حيث حصته في السوق العالمي بمعدل ١٦,٠ % .

يسهم قطاع التأمين في الجزائر في سوق التأمين في إفريقيا فقط بمعدل ٣,١ % .  
يمثل قطاع التأمين في الجزائر ، ٧% من سوق التأمين في إفريقيا ، بالمقارنة مع ٨٢% لإفريقيا الجنوبية لوحدها .

بلغ رقم أعمال قطاع التأمين في الجزائر سنة ٢٠٠٩ ، ٧٦ مليار دج ، بمعدل فرع السيارات ٨٤ % من السوق.

وهكذا يسهم قطاع التأمين في الجزائر في بناء و تكوين فرص تنافسية ، بقسط ضئيل بالنسبة للسوق العالمي للتأمين ، ولهذا يتعين عليه الأخذ بأسباب ، اللجوء إلى اتحاد قرار اكتساب قدرة تنافسية من خلال تبني إدارة الجودة الشاملة ، و تحسين مرتبته في السوق الإفريقي و المغربي كخطوة أولى ، للالتحاق بسوق العالمي للتأمين فيما بعد .

ونتيجة تقييم قطاع التأمين من خلال شركاته الناشطة في سوق التأمين الجزائري نستنتج ما يلي :

شهد قطاع التأمين في الجزائر زيادة مستمرة في تفاقم التكاليف المباشرة وغير المباشرة ، وهي تكاليف لا يمكن مواجهتها من قبل شركات تأمين ضعيفة .

أن أغلبية شركات التأمين في الجزائر تقتصر على جمع الأموال دون تشغيلها ، الأمر الذي لا يفيد المؤسسة التي تضطر إلى تحويل هذه الأموال إلى سندات للخرينة ، والتي لا تدر أموالا كبيرة على المؤسسات .

حيرة الشركات التأمينية في كيفية استعمال أموالها المتراكمة التي أصبحت الانشغال الكبير لدى المؤمنين .

بقاء نشاط قطاع التأمين منحصرًا ضمن مجالات عقيمة غير توسعية بالصيغة المبتغاة ، تجاه تكنولوجيا المعلومات والأترنت المتطورة جدا في العالم الحديث .

مواجهة قطاع التأمين في الجزائر لمنافسة أجنبية حادة ، شكلت عائقًا أمام وجوده وإستمرار نشاطه .

عدم امتصاص قطاع التأمين لليد العاملة ، بالكيفية اللازمة ، بالمقارنة مع الدول الأخرى مثل فرنسا أو دول المغرب العربي ..... و حتى الخليجية منها .

ركود في جودة الخدمة ، و وثيرة تسوية ملفات الحوادث ، إكتنفها تباطؤ في المعالجة الفعلية لها .

الحد من تنمية قطاع الوساطات الخاصة ، سواء من ناحية عدد الوكالات ، أو مردودية

شركات التأمين ، وجود احتياطات دون الزيادة في الإنتاج.

انخفاض المردودية المالية لشركات التأمين، مما خلق توتر في التوازن التقني لها. وعليه لكي تصنع شركات التأمين لنفسها مكانة في سوق التأمين العالمي، ينبغي أن تختار استراتيجية جديدة بعيدة عن الاقتباس والمحاكاة الفردية، وأن تقوم باستغلال وفهم مختلف أشكال التأمين الحديث، وهذه الإستراتيجية لا تتأتى إلا بإدارة الجودة الشاملة ، التي نراها الحل الأمثل و الناجح ، وعلى العموم فإن عملية التطبيق الفعلي سوف توضح ذلك ، بغض النظر عن المدة التي يتطلبها .

## **المبحث الثاني: منهجية البحث الميداني ، و الجانب التحليلي**

### **منهجية البحث الميداني**

وهكذا تهدف هذه الدراسة إلى قياس و تحليل مدى ارتباط إدارة الجودة الشاملة بالقدرة التنافسية ، بغية تحسين هذه الأخيرة في قطاع التأمين ( شركات التأمين ) ، وبالتالي تقدير فرص و امكانيات نجاح أو فشل تطبيق هذا المنهج ، في هذا القطاع الحساس من الإقتصاد الوطني . فالغرض من ذلك هو محاولة التوصل إلى نتائج يمكن من خلالها ، صياغة بعض التوصيات ، و التوجهات التي ستساعد أصحاب القرار في شركات التأمين من مسؤولين و إداريين، و موظفين على تبني مدخل إدارة الجودة الشاملة ، لما له من أهمية و أثر إيجابي ، حسب التجارب السابقة في مختلف الشركات ، على تحسين القدرة التنافسية في هذه الأخيرة .

ونظرا لتعدد مناهج و أساليب تناول هذا الموضوع من الناحية التطبيقية، تم إعتداد في هذه الدراسة، أسلوب الهدف منه محاولة التأكد من وجود ارتباط مهم ذي دلالة إحصائية ما بين إدارة الجودة الشاملة، و القدرة التنافسية، و بالتالي تأثير ذلك على تحسين هذه القدرة و إنعكاس ذلك على مردودية شركات التأمين بشكل عام .

كما نحاول من خلال هذه الدراسة الميدانية تسليط الضوء ، على واقع إمكانية تطبيق إدارة الجودة الشاملة في قطاع التأمين ، من خلال شركات التأمين ١٦ عشر ، الي تنشط على التراب الوطني ، لتحديد فيما إذا كانت هناك فروقات دالة إحصائية ، بين اتجاهات مختلفة لإدارات شركات التأمين ، نحو كل بعد من أبعاد إدارة الجودة الشاملة الفعلية لتحسين القدرة التنافسية في شركات التأمين ، تعزى إلى كل من متغير الجنس ، السن ، المستوى الوظيفي ، المؤهل العلمي، الخبرة.

### **عينة الدراسة**

لقد تم توزيع استبيان على ١٦ شركة تأمين منها

SAA-CAAR-CAAT-CASH-CNMA-MAATEC-CAGEX-SGGI-CCR-)  
TRUST-CIAR-2A-SALAMA-GAM-ALIANCE ASSURANCE -CARDIF-  
(ELDJAIR).

وقد تم استخدام العينة القصدية ، غير الاحتمالية نظرا لضخامة حجم مجتمع الدراسة و قيود  
التكلفة و الوقت .

و تم الإعتماد على طريقة توزيع الاستبانة بالمقابلة الشخصية أثناء التوزيع ، و بعد الإجابات  
عليها تفاديا لسوء فهم المغزى من الدراسة الميدانية ، مع إختبارنا لردود فعل المسؤولين و  
المديرين الجهويين شخصيا ، و إجتنابا لإستبعاد الإستبانات وإهمالها، حرصنا على إستعادة  
أغلبية الإستبانات للوفاء بالمعدل و المقياس العلمي .

و لتحقيق أهداف الدراسة تم حساب عينة عشوائية تتكون من ١١٦ ، من مجتمع الدراسة و بإعتماد  
مدخل الرابطة الأمريكية لتحديد حجم العينة الفعلية، وفقا للمعادلة التالية تم حساب :

$$n = \chi^2 \cdot NB(1-p) \div D^2 (n-1) + \chi^2 p(1-p)$$

بحيث إن

n- حجم العينة .

N- حجم مجتمع الدراسة .

p- نسبة أفراد المجتمع، و أفضل نسبة هي ٠,٥ لأنها تعطي أكبر حجم عينة ممكن.

D- درجة الدقة كما يعكسها الخطأ المسموح به ، و أفضلها ٠,٠٥ .

$2\chi$ - قيمة إختبار مربع كاي عند درجة حرية ١ ، و مستوى ثقة ٠,٠١ و هي تساوي ١,٩٦ .

وبذلك يكون حجم العينة يساوي ١٠٠ ، بالنسبة لعدد الموظفين من إطارات، و مسؤولين، و عليه  
تم توزيع ١٠٠ إستبانة، و بلغ عدد الإستبانات المسترجعة ٧٦ و هو عدد مقبول و نسبة مقبولة  
توفي العدد المقبول لأغراض البحث العلمي، بحيث تقدر النسبة ب ٧٦٪.

## ٢-١- أداة جمع البيانات

لقد قام الباحث ، بالإشتراك مع المشرف بتطوير استبيان ، كأداة لجمع البيانات و  
المعلومات المرتبطة بالدراسة ، و تمت صياغة الإستبان وفقا لنموذج الأداء الفعلي لإدارة الجودة  
الشاملة ، بغية تحسين القدرة التنافسية و هو لا يتطلب طويلا للإجابة على عباراته ، كما أنه سهل  
القياس و التحليل .

أما تصميم الإستبيان فهو متكون من جزأين ، بالإضافة إلى صفحة التقديم ، ويحتوي على معلومات ( أنظر الإستبيان ) ، وهو ما تم تحكيمة من طرف المختصين و الأساتذة الجامعيين أنظر الجدول المخصص لذلك ، بينما الإستبيان الثاني فهو الإستبيان المصحح و المحكم ، و الموجه إلى شركات التأمين ١٦ ، وهو متكون من ٨١ عبارة تعكس المؤشرات الرئيسة لإدارة الجودة الشاملة ، وقد وزعت هذه العبارات حسب خمسة أبعاد لإدارة الجودة الشاملة و هي كالتالي :

من ١-٥- ما هو مفهومك لإدارة الجودة الشاملة في قطاع التأمين ؟

من ٦-٢٠- ما تقييمك لدرجة تطبيق المعايير التالية التي تصنف واقع تطبيق إدارة الجودة الشاملة في قطاع التأمين ؟

من ٢١-٣٥- تقييم مستوى الرضا حول بعض الظواهر السائدة في قطاع التأمين ؟  
من ٣٦-٥٠- المحددات التنظيمية و السياسات الإدارية لتطبيق إدارة الجودة الشاملة في قطاع التأمين ؟ .

من ٥١-٦٥- الظواهر الإدارية و علاقتها بإدارة الجودة الشاملة ؟  
من ٦٦-٨١- عقبات و تحديات تطبيق إدارة الجودة الشاملة في قطاع التأمين ؟  
و تم إعتقاد مقياس ليكرت للتعرف على إمكانيات تحسين القدرة التنافسية في قطاع التأمين ( شركات التأمين ١٦ ) . و يتكون مقياس ليكرت من ٥ درجات تتراوح من ١ إلى ٥ حيث تشير ( ١ ) لا أوافق بشدة - ( ٢ ) لا أوافق - ( ٣ ) محايد - ( ٤ ) أوافق - ( ٥ ) أوافق بشدة .

### ١-٣- ثبات صدق المقياس :

كما تم إعتقاد صدق المحكمين ، بحيث عرض الباحث الإستبانة على مجموعة من المحكمين أنظر القائمة .

و بهدف التحقق من صدق المقياس و ثباته ، تم إختياره من خلال تعداد الشركات ١٦ الناشطة في سوق التأمين الجزائري ، ثم بعد ذلك تم حساب معامل كرونباخ ألفا Cronobach alpha و يساوي ٠,٩٢٨ ، بالنسبة للأبعاد الست ( ٦ ) ( ١ ) ، و هي قيمة ذات دلالة إحصائية عالية ، لكي تعتمد النتائج المتوصل إليها في الدراسة .

#### ٤-١- حدود الدراسة الميدانية :

- أ- اقتصرت الدراسة على معرفة تأثير كل من المتغيرات ( الجنس ، السن ، المسمى الوظيفي، المؤهل العلمي ، الخبرة ) ، على تقييم أفراد عينة الدراسة لكل بعد من أبعاد إدارة الجودة الشاملة.
  - ب- كما اقتصرت الدراسة على تقييم الأداء الفعلي لكل بعد من أبعاد إدارة الجودة الشاملة.
  - ت- تم الاعتماد على استبيان من تصميم الباحث .
- كما يمكن وصف الحدود الدراسية على النحو التالي :

- الحد الموضوعي- بحيث تناولت الدراسة ، موضوع فرص وإمكانيات تطبيق إدارة الجودة الشاملة على قطاع التأمين ( شركات التأمين ) ، بهدف تحسين القدرات التنافسية لهذه الشركات.
- الحد البشري- اقتصرت الدراسة على فئة معينة من الموظفين ، والمديرين في شركات التأمين الجزائرية و عددها ١٦ .
- الحد المؤسسي- اقتصرت الدراسة على شركات التأمين التابعة للمديريات الجهوية للغرب الجزائري و عددها ١٦ مديرية وفروعها ( وكالات وشركات التأمين ) .
- الحد الزمني- امتدت الدراسة الميدانية بين الفترة ٢٠٠٩-٢٠١٠ .

#### ٥-١- فرضيات الدراسة الميدانية

- تسعى الدراسة الميدانية في محاولتها ، لإيجاد علاقة بين متغيرات الدراسة وإختبار الفرضيات الرئيسية التالية :
- الفرضية الرئيسية الأولى .
  - تتباين شركات قطاع التأمين في تطبيق متغيرات إدارة الجودة الشاملة .
  - ب- تتباين شركات قطاع التأمين ، في تبني عوامل تحسين القدرة التنافسية .
  - الفرضية الرئيسية الثانية .
  - هناك علاقة ارتباط مهمة ذات دلالة إحصائية / معنوية بين إدارة الجودة الشاملة و تحسين القدرة التنافسية في قطاع التأمين ( شركات التأمين ) .
  - و تتفرع منها الفرضيات الفرعية التالية:
  - توجد علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين البعد الأول (مفاهيم إدارة الجودة الشاملة في قطاع التأمين) ، و تحسين القدرة التنافسية.
  - توجد علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين البعد الثاني ( تقييم درجة تطبيق معايير إدارة

الجودة الشاملة) ، وتحسين القدرة التنافسية .

توجد علاقة إرتباط ذات دلالة إحصائية بين البعد الثالث (تقييم مستوى الرضى حول بعض الظواهر السائدة في قطاع التأمين) ، وتحسين القدرة التنافسية .

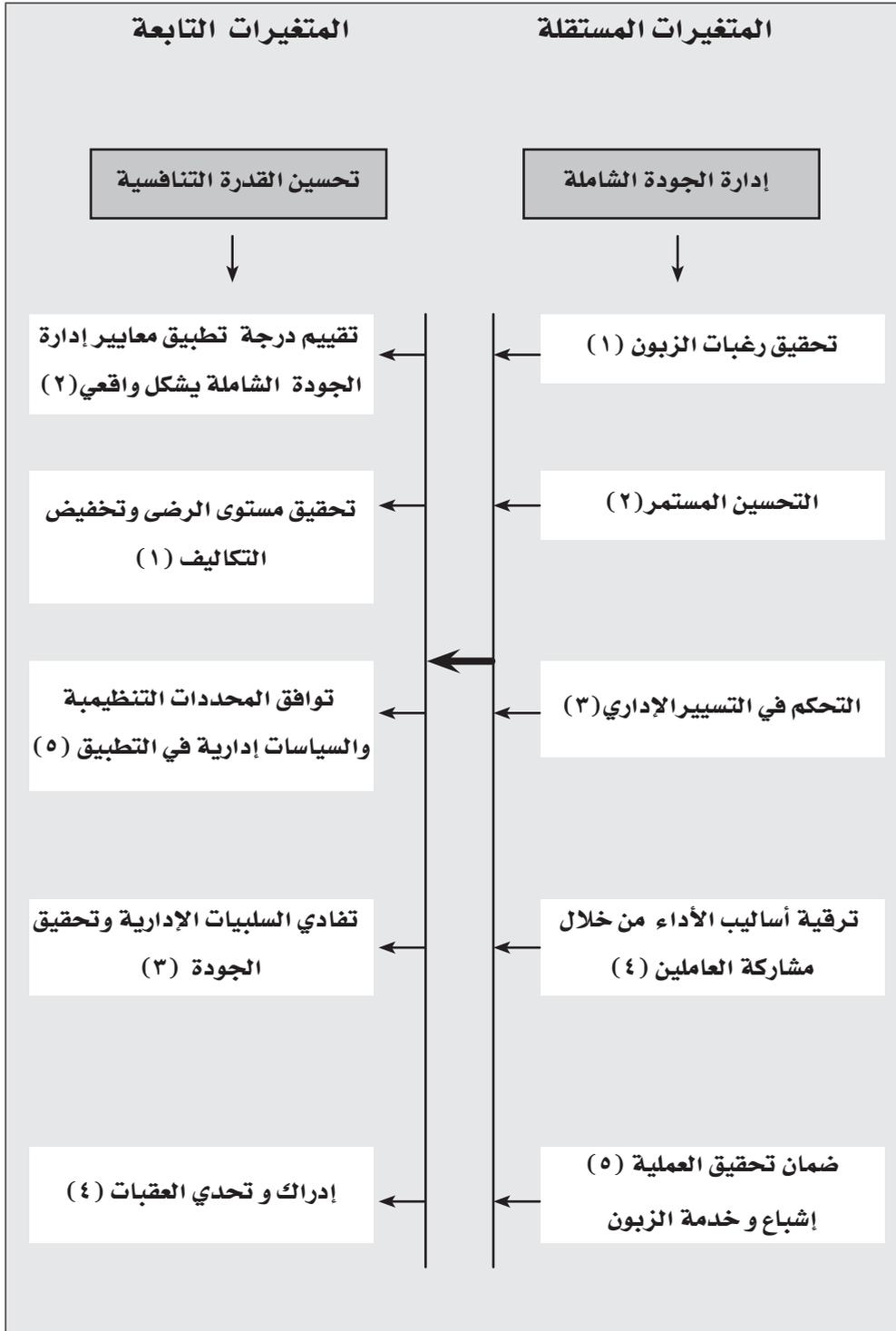
توجد علاقة إرتباط ذات دلالة إحصائية بين البعد الرابع ( المحددات التنظيمية و السياسات الإدارية في تطبيق إدارة الجودة الشاملة ) ، وتحسين القدرة التنافسية .

توجد علاقة إرتباط ذات دلالة إحصائية بين البعد الخامس ( الظواهر الإدارية و علاقتها بإدارة الجودة الشاملة ) ، في تحسين القدرة التنافسية .

توجد علاقة إرتباط ذات دلالة إحصائية بين البعد السادس (عقبات وتحديات تطبيق إدارة الجودة الشاملة في قطاع التأمين) ، وتحسين القدرة التنافسية .

و الشكل الموالي يوضح بأكثر تفصيل ، الفرضيات المعتمدة في هذه الدراسة .

إن الشكل الموالي يعكس طبيعة العلاقات و المتغيرات المستقلة و التابعة ، التي تمثل بشكل واضح ، عناصر إدارة الجودة الشاملة ، و إنعكاسها على تحسين القدرة التنافسية من خلال عملية التركيز على العميل لتخفيض التكاليف ، و التسيير الإداري المحكم ، من الناحية النظرية ، ما يتطلب البرهنة على ذلك ميدانيا من خلال الدراسة الميدانية. الشكل رقم ٤٦ نموذج الدراسة الإفتراضي



المصدر - إعداد الطالب .

## ٢- الجانب التحليلي للدراسة

فقط نود أن نذكر القارئ الكريم بأن هناك عدة طرق لتحليل مثل هذه المواضيع ونشير الى أن هناك طرقاً تحليلية يمكن اعتمادها، وقد وقع إختيارنا على الطريقة الموالية حتى نقيس بأكثر دقة تفاصيل هذه الدراسة ، ويتم إتخاذ القرار بشكل صحيح ، و بالنسبة للطريقة المعتمدة، فقد تم الإعتماد على نتائج تحليل SPSS VERSION 17، وهي طريقة ناجعة خاصة بالباحث، حرصا على دلالات إحصائية، تحلل الواقع الفعلي للدراسة، و لكن في البداية نقوم بتحليل آراء وإستجابات أفراد عينة الدراسة .

### ١-٢ - تحليل آراء وإستجابات أفراد عينة الدراسة حول المتغيرات (فقرات الإستبانة)

نشير هنا لأهمية وصف خصائص عينة الدراسة ، حسب التكرارات و النسب و حسب الجنس، والأعمار والمستوى الوظيفي، والمؤهل العلمي و الخبرة و يمكن تقديم هذا الوصف لخصائص عينة الدراسة على النحو التالي.

توزيع أفراد العينة حسب متغير الجنس. أنظر الجدول رقم ١٢ الموالي:

الجنس	التكرارات	النسبة المئوية %
ذكر	٣٥	٦٢,٥
أنثى	٢١	٣٧,٥
المجموع	٥٦	%١٠٠

المصدر: إعداد الطالب اعتمادا على نتائج الاستبيان

يوضح الجدول بأن النسبة الذكور تمثل ٦٠٪ و هي نسبة > من نسبة الإناث و التي بلغت ٤٠٪ .

ب- توزيع أفراد العينة حسب فئات أعمارهم. أنظر الجدول رقم ١٤ أدناه.

السن	التكرارات	النسبة %
أقل من ٢٥ سنة	٣	٥,٤
٢٥-٣٥ سنة	٢٥	٤٤,٦
٣٦-٤٥ سنة	١٣	٢٣,٢
٤٦-٥٥ سنة	٠٩	١٦,١
٥٦-٦٥ سنة	٥	٨,٩
أكثر من ٦٥ سنة	١	١,٨
المجموع	٥٦	%١٠٠

المصدر: إعداد الطالب اعتمادا على نتائج الإستبيان

يوضح الجدول أن معظم أفراد الدراسة هم من الفئة العمرية ٢٥-٣٥- وبلغ عددهم ٢٥ وبنسبة ٤٤,٦ ٪، وتليها الفئة ٣٦-٤٥ وبلغ عددها ١٢ بنسبة ٢٣,٢ ٪.

ت- توزيع أفراد العينة حسب متغير المستوى الوظيفي. أنظر الجدول رقم ١٥.

النسبة المئوية%	التكرارات	المستوى الوظيفي
١٩,٦	١١	مدير
٢١,٤	١٢	مساعد مدير
١٠,٧	٠٦	رئيس مصلحة
٤٨,٢	٢٧	موظف
%١٠٠	٥٦	المجموع

المصدر: من إعداد الطالب اعتمادا على نتائج الإستبيان

يوضح الجدول أعلاه بأن أعلى نسبة هي نسبة الموظفين وبلغت ٤٨,٢ ٪ بعدد ٢٧.

ث- توزيع أفراد العينة حسب متغير المؤهل العلمي. أنظر الجدول رقم ١٦ أدناه.

النسبة المئوية%	التكرارات	المؤهل العلمي
٥,٤	٠٣	بكالوريا
٦٩,٦	٣٩	ليسانس
١٠,٧	٠٦	دراسات عليا
٧,١٠	٠٤	تقني
٥,٤	٠٣	مهندس
١,٨	٠١	أخرى
%١٠٠	٥٦	المجموع

المصدر: إعداد الطالب اعتمادا على نتائج الاستبيان

يوضح الجدول أعلاه بأن أعلى نسبة المحصلين على الليسانس، بلغت ٦٩,٦ ٪ بعدد ٣٩.

ج- توزيع أفراد العينة حسب متغير الخبرة. أنظر الجدول رقم ١٧ أدناه.

النسبة المئوية%	التكرارات	الخبرة
٣٩,٣	٢٢	٥ سنوات فأقل
١٧,٩	١٠	١٠-٦
٧,١	٠٤	١٥-١٢
٨,٩	٠٥	٢٠-١٦
٢٦,٨	١٥	٢١ فأكثر
%١٠٠	٥٦	المجموع

المصدر: إعداد الطالب اعتمادا على نتائج الاستبيان

يوضح الجدول أعلاه بأن ، أعلى نسبة ، هي نسبة المحصلين على الخبرة المتراوحة بين ٥-سنوات فأقل ، بنسبة ٣٩,٣٪ وبلغ العدد ٢٠.

## ٢-٢- إستنتاجات وصف خصائص العينة :

لقد أظهر spss v17 من خلال التحليل الوصفي للمتغيرات النتائج التالية الموضحة في الجدول رقم ١٨ :

المتغير	العدد N	أدنى	أقصى	المتوسطات MEANS	الفارق Ecart type	تحليل النتائج
الجنس	٢	٢١ (إناث)	٣٥ (ذكور)	١,٣٨	٠,٤٨٩	نلاحظ بأن عدد الذكور يمثل نسبة ٦٢,٥% < من نسبة الإناث ٣٧,٥% ممن تم إستجوابهم..
السن	٦	١	٦	٢,٨٤	١,١٥٦	نلاحظ أن الفئة المتراوحة بين ٢٥-٣٥ سنة تمثل ٤٤,٦% وهي أكبر نسبة، بينما أقل نسبة هي ١,٨% و تخص فئة أكثر من ٦٥ سنة .
المستوى الوظيفة	٤	١	٤	٢,٨٨	١,٢٢٢	نلاحظ أن العدد الأكبر يخص الموظفين بنسبة ٤٨,٢% بعدد ٢٧، بينما أقل عدد هو ٦ بنسبة ١٠,٧% و يخص مساعد المدير
المؤهل العلمي	٦	١	٦	٢,٤٣	١,٠٢٤	نلاحظ بأن أكبر نسبة تخص من لديهم الليسانس ب ٣٩ أي بنسبة ٦٩,٦%. بينما أقل نسبة تخص من لديهم تكوين آخر بعدد ١ أي بنسبة ١,٨% .
الخبرة	٥	١	٥	٢,٦٦	١,٦٨٧	نلاحظ بأن أكبر عدد يخص فئة من لديهم الخبرة أقل من ٥ سنوات بعدد ٢٢ ونسبة ٣٩,٣% ، بينما أقل عدد لديهم خبرة تتراوح بين ١٢-١٥ سنة بنسبة ٧,١% valid. (N(listwise

المصدر: إعداد الطالب بإستعانة SPSS V 17

و بعد أن تطرقنا إلى التكرارات المترتبة بكل من الجنس، الأعمار، المنصب المهني، المستوى التعليمي، والخبرة، من الضروري تناول التكرارات والنسب المرتبطة بفقرات الإستبانة، في النقطة الموالية.

## ٢-٢- التحليل الوصفي لإجابات أفراد العينة، من خلال فقرات الإستبانة

تمثل التكرارات، لإجابات عينة شركات التأمين على ٨١ فقرة حسب ٦ أبعاد ما يلي.

البعد الأول: مفهومك لإدارة الجودة الشاملة على قطاع التأمين .

يمثل البعد الأول نسبة التكرارات، إجابة على فقراته و ذلك بالنسب التالية:

- النسبة المتوسطة للموافقة تمثل ٤٤، ٥٦٪، ولا تمثل عدم الموافقة سوى ٢، ٨٨٪ .

- بينما تمثل النسبة المتوسطة للحياد ٤٢، ١١٪، ولا تمثل عدم الموافقة الشديدة سوى ٨، ١٪.

- وأخيرا تمثل النسبة المتوسطة للموافقة الشديدة ٤٨، ٢٢٪.

البعد الثاني: ما تقيمك لدرجة تطبيق المعايير التالية التي تصنف واقع تطبيق معايير إدارة الجودة الشاملة في قطاع التأمين؟

أن نسبة الموافقة هي ٤٤، ٤٤٪، بينما عدم الموافقة بلغ ٤٠٢، ١١٪، و عدمها بشدة ١٢، ٥٪.

- بلغت نسبة المحايد ١٧، ٠١٪، و الموافقة بشدة ٢٨، ١٤٪ .

البعد الثالث: تقييم مستوى الرضى حول بعض الظواهر السائدة في قطاع التأمين.

- أن نسبة الموافقة بلغت ٤٦، ٦٦٪ في المتوسط، بينما عدمها بلغت سوى ١٩، ٦٪.

-نسبة الحياد هي ١٠، ٩٥٪، بينما الموافقة بشدة بلغت ٢٤، ٢٣٪، وأخيرا نسبة عدم الموافقة بشدة بلغت فقط ٤، ٥٣٪.

البعد الرابع: المحددات التنظيمية والسياسات الإدارية لتطبيق إدارة الجودة الشاملة في قطاع التأمين.

أن نسبة الموافقة في المتوسط هي ٤٤، ٦٤٪، بينما عدم الموافقة لم تتعد ٩، ٩٩٪ .

- أن نسبة المحايد بلغت ١٦، ٦٦٪، بينما نسبة الموافقة بشدة ١٨، ١٤٪، وأخيرا عدم الموافقة بشدة لم تبلغ سوى ٤، ١٨٪ .

البعد الخامس- الظواهر الإدارية و علاقتها بإدارة الجودة الشاملة في قطاع التأمين.

- أن نسبة الموافقة في المتوسط بلغت ٢٥، ٩٥٪، بينما عدم الموافقة هي سوى ١٠، ٥٧٪

- أما نسبة المحايد فهي ١٨، ٢٦٪، ونسبة الموافقة بشدة لم تتعد ٨، ٢١٪، وأخيرا نسبة عدم الموافقة بشدة بلغت فقط ٧، ٨٦٪.

البعد السادس- عقبات وتحديات تطبيق إدارة الجودة الشاملة في قطاع التأمين.

- أن نسبة الموافقة في المتوسط بلغت ٢٢، ٨٢٪، بينما عدم الموافقة هي ٤٣، ٢٤٪.

- أن نسبة الحياد هي ٢٠,٧٦ ٪، ونسبة الموافقة بشدة بلغت ٧,٥٨ ٪، وأخيراً نسبة عدم الموافقة بشدة لم تبلغ سوى ٥,٩٦ ٪.

و على العموم يمكن أن نستنتج إجمالاً ، بالنسبة للإجابات على كل الفقرات التي تبلغ ٨١ بأبعادها الست (٦) ، أن عملية التكرارات حسب أسلوب ليكرت ، بينت أن مجتمع الدراسة لديه قابلية لمنهج إدارة الجودة الشاملة بلغت نسبة الموافقة به ٤٢,٤٨ ٪ ، مقابل نسبة عدم الموافقة ب ١٠,٩١ ٪، بينما بلغت الموافقة بشدة ١٥,٠١ ٪ ، وعدمها بشدة سوى ٤,٩٠ ٪، بينما نسبة الحياد سجلت ١٥,٠١ ٪.

### المبحث الثالث: المعالجة الإحصائية

و نقوم في هذا المبحث بتحليل إحصائي و معالجة دقيقة لجميع معطيات الإستبانة بدءاً من تحليل آراء مختلف الأطراف التي ساهمت في إثراء هذا البحث ، إلى غاية إختبار فرضيات الدراسة الميدانية، ونتيجة القرار وإنتهاءا بالتوصيات .

#### ١- تحليل آراء و استجابات الخبراء و الأساتذة المحكمين، حول فقرات الإستبانة

تعتبر هذه النقطة البالغة الأهمية الضوء الأخضر للإنطلاقة و الشروع في عملية البحث الميداني أخذاً بعين الإعتبار ، جميع معطيات الدراسة لتحليل كل فقرات الإستبانة ، وإليك الجدول الملخص لذلك.

الجدول رقم ١٩ إستجابة المحكمين حول فقرات الإستبانة.

ترقيم	متغيرات الدراسة	عدد الفقرات	المؤيدون	نسبة التأييد	المعارضون	نسبة المعارضة	الفقرات المعترض عليها
البيد الأول	٦-١	٦	٧/٦	٦٨٪	١	١٤٪	لم يتم الرد على كل الفقرات
البيد الثاني	٢١-٧	١٥	٧/٦	٦٩٪	١	١٤٪	نفس الملاحظة السابقة
البيد الثالث	٣٦-٢٢	١٥	٧/٦	٧٨٪	١	١٤٪	نفس-م-س
البيد الرابع	٥١-٣٧	١٥	٧/٦	٧١٪	١	١٤٪	نفس-م-س
البيد الخامس	٦٦-٥٢	١٥	٧/٦	٦٣٪	١	١٤٪	نفس-م-س
البيد السادس	٨٢-٦٧	١٦	٧/٦	٦٨٪	١	١٤٪	نفس-م-س

المصدر: إعداد الطالب

ويتبين من الجدول أعلاه بأن نسبة التأييد بلغت ٧٠٪، وهي نسبة جد مقبولة للبحث العلمي.

#### ٢- قياس صدق وثبات متغيرات الدراسة

وفي هذه النقطة الحساسة من الدراسة، تم اللجوء لحساب كل من الوسط الحسابي، الإنحراف معياري، ومعامل الارتباط، وحساب معامل ألفا كرونباخ للتأكد الفعلي من صدق وثبات مقاييس الدراسة .



مقبول	٦٧,٣	٠,٦٧ ٣	عند٠,٠٠٣ عند٠,٠٠٥ عند٠,٠١٤ ٣٦ عند٠,٠٠٨ ٣٨ عند٠,٠٢٧ ٧٥ عند٠,٠٣٢ ٧٦ عند٠,٠٠٥ ٧٧	**٠,٤٠١ **٠,٥٧٥ *٠,٣٤٨ **٠,٣٦٥ *٠,٣٠٩ *٠,٣٠٤ **٠,٣٩١	١,٠٣٩	٣,٨١	٣	التحكم في التسيير الإداري (رغبة إدارية) (٣)
ضعيف ف	٥٦,٧	٠,٥٦ ٧	عند٠,٠٣٥ عند٠,٠٠٠ عند٠,٠٠٣ عند٠,٠٠٠ عند٠,٠٤٠ عند٠,٠٤٣ ١٣ عند٠,٠٠٢ ٣٨ عند٠,٠٠٠ ٤٠ عند٠,٠٢٤ ٤٦ عند٠,٠٠٧ ٥٣	*٠,٢٩١ **٠,٧٠٤ **٠,٤٠١ **٠,٥٠٥ *٠,٢٨٦- *٠,٢٨٤ **٠,٤١٨ **٠,٤٧٦ *٠,٣٢٠- **٠,٣٧٤-	٠,٦٩٨	٤,١١	٤	ترقية أساليب الأداء من خلال مشاركة العاملين (٤)
ضعيف ف عند مستوي ٠,٠٥	٥٨,١	٠,٥٨ ١	عند٠,٠١٤ عند٠,٠٠٠ عند٠,٠٠٠ عند٠,٠٠٨ ١٠ عند٠,٠٠٤ ١٣ عند٠,٠٣٢ ١٦ عند٠,٠٤٥ ١٩	*٠,٣٣٧ **٠,٥٧٥ **٠,٥٠٥ **٠,٣٦٥ **٠,٣٩٠ *٠,٢٩٨ *٠,٢٨٠ **٠,٥٣٨ **٠,٥٦٤ **٠,٥٨٠	٠,٨٠٧	٣,٩١	٥	ضمان تحقيق العملية إشباع رغبة الزبون (٥)

			عند ٠,٠٠٠	*٠,٣٣٤			
			٣٦	*٠,٣٠٠			
			عند ٠,٠٠٠	*٠,٢٨٤			
			٣٧				
			عند ٠,٠٠٠	*٠,٣٥٧			
			٣٨	*٠,٣٠٠-			
			عند ٠,٠١٨	*٠,٣٠٩-			
			٤٠	**٠,٤٠٨-			
			عند ٠,٠٣٣				
			٤٥				
			عند ٠,٠٤٣				
			٤٧				
			عند ٠,٠١٢				
			٦٥				
			عند ٠,٠٣٤				
			٦٩				
			عند ٠,٠٢٧				
			٧٩				
			عند ٠,٠٠٣				
			٨٠				

								<p>*-تعني أن الارتباط له دلالة إحصائية عند مستوى ٠,٠٥ .</p> <p>**-تعني أن هناك ارتباط ذو دلالة إحصائية عند مستوى ٠,٠١ .</p> <p>إستنتاج -</p> <p>هناك ارتباط بين كل الأبعاد ما يبين مصداقية وثبات المقاييس المستعملة في الدراسة</p>
								<p>إعتادا على النتائج المحصل عليها ، يمكن إستنتاج قابلية مقاييس الثبات و الصدق معايير الدراسة بدرجة جيدة بمعنى قبول متطلبات إدارة الجودة الشاملة و أبعاد تحسين القدرة التنافسية .</p> <p>*-بالنسبة لمعامل الارتباط المتعلق بتحسين القدرة التنافسية ، فهو يتميز بدلالة إحصائية عالية عند مستوى المعنوية ٠,٠١ و ٠,٠٥ بالنسبة لكل الأبعاد . انظر معامل الارتباط كما هو موضح في الجدول طبقا لتحليل spss v17 .</p>
								<p>النتيجة (القرار)</p> <p>النتيجة (القرار)</p>

المصدر -إعداد الطالب بإستعانة SPSS V 17

يوضح الجدول أعلاه بأن جميع فقرات الإستبانة ، تثبت بأن معاملات الثبات المرتبطة بمعايير إدارة الجودة الشاملة ، و أبعاد تحسين القدرة التنافسية و المتمثلة عند المستويات

( ٢٩١ -٠ ، ٢٨٢ -٠ ، ٤٧٠ -٠ ، ٣٥٢ -٠ ، ٤٣٩ -٠ ، ٣١٩ -٠ ، ٢٧٥ -٠ ، ٣٢٨ -٠ ، ٤٠٧ -٠ ، ٤٠٤ -٠ ، ٣٤٩ -٠ ، ٣٧٧ -٠ ، ٧٠٤ -٠ ، ٣٢٧ -٠ ، ٢٨٧ -٠ ، ٣٨٥ -٠ ، ٣٠٣ -٠ ، ٤٠١ -٠ ، ٥٧٥ -٠ ، ٣٤٨ -٠ ، ٣٦٥ -٠ ، ٣٠٩ -٠ ، ٣٠٤ -٠ ، ٢٩١ -٠ ، ٧٠٤ -٠ ، ٤٠١ -٠ ، ٥٠٥ -٠ ، ٢٨٦ -٠ ، ٢٨٤ -٠ ، ٤١٨ -٠ ، ٤٧٦ -٠ ، ٣٢٠ -٠ ، ٣٧٤ -٠ ، ٣٢٧ -٠ ، ٥٧٥ -٠ ، ٥٠٥ -٠ ، ٣٦٥ -٠ ، ٣٩٠ -٠ ، ٢٩٨ -٠ ، ٢٨٠ -٠ ، ٥٣٨ -٠ ، ٥٦٤ -٠ ، ٥٨٠ -٠ ، ٣٣٤ -٠ ، ٣٠٠ -٠ ، ٢٨٤ -٠ ، ٣٥٧ -٠ ، ٣٠٠ -٠ ، ٣٠٩ -٠ ، ٤٠٨ -٠ ) .

تعد مقبولة إجمالاً، وبشكل كبير سواء من الناحية الإحصائية، أو الإدارية، وكذلك بالنسبة لمعدل الثبات وصدق مقاييس الدراسة وهي بالنسب المئوية التالية (٥، ٧٢-، ٤-، ٦٧-، ٣-، ٦٧-، ٧-، ٥٦-، ١-، ٥٨-، ٦-، ٨٤-، ٩-، ٩٢-، ٢-، ٨٦-، ٤-، ٨٦-، ٩-، ٨٧-).  
وعليه يمكن تحليل النتائج الواردة في الجدول أدناه رقم ٢٥ وذلك قصد الربط بين تحليل كل معطيات الدراسة وهي كما يلي-

في الجدول رقم ٢٥، نلاحظ أن العناصر (١-٥) توضح بأن المعدل العام لشدة الإجابة لدى أفراد العينة بلغ ٨٠٪، بوسط حسابي (٤)، وإنحراف معياري sdt (٧٨٦، ٠)، ومعامل إختلاف coefficient of variance (٨، ١٩)، على إعتبار أن أشد متغير في الإجابة هو المتمثل في الفقرة (٢) بنسبة ٨٢٪، وهذا ما يعني أن شركات التأمين تولي أهمية لعنصر التحسين المستمر لجودة الخدمة التأمينية، ما يتناسب وأهداف قطاع التأمين، تم الفقرة (٤) بمتوسط حسابي (١١، ٤)، وإنحراف معياري (٦٩٨، ٠)، ومعامل إختلاف (١٧٪)، ونسبة شدة الإجابة ٨٢، ٢٪، تم الفقرة (١) بمتوسط حسابي (٤، ٠٤)، وإنحراف معياري (٨٣١، ٠)، ومعامل إختلاف (٢١٪) وشدة الإجابة بنسبة (٨٪، ٨٠)، تم الفقرة (٥) بمتوسط حسابي (٩١، ٣)، وإنحراف معياري (٨٠٧، ٠)، ومعامل إختلاف (٢١٪) ونسبة شدة الإجابة (٢، ٧٨٪)، وأخيراً الفقرة (٣) بمتوسط حسابي (٨١، ٣)، وإنحراف معياري (٠٢٩، ١)، ومعامل إختلاف (٢٧٪)، ونسبة شدة الإجابة (٢، ٧٦٪)، وهذا ما يعني أن شركات التأمين لا تولي إهتماماً كافياً لعنصر التحكم في التسيير والتقليل من التكاليف وهي إحدى أهم العناصر التي تعتمد عليها إدارة الجودة الشاملة. أنظر الجدول رقم ٢٥ أدناه والموضح في النقطة رقم ٣ من التحليل الإحصائي لفقرات الإستبانة .

### ٣- التحليل الإحصائي لكل فقرات الإستبانة

ولغرض التحليل الإحصائي ، لفقرات الإستبانة ، وبغية الحصول على القرار، واختبار الفرضيات، تم حساب المتوسط الحسابي ، و الانحراف المعياري ، ومعامل الإختلاف المبين في الجدول الموالي:

الجدول رقم ٢١

التحليل الإحصائي لفقرات الإستبانة .

#### البعد الأول- ماهو مفهومك لإدارة الجودة الشاملة على قطاع التأمين ؟

رقم الفقرة	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	معامل الإختلاف %Cv	شدة الإجابة الوسط الحسابي ٠,٠٥
١	تحقيق رغبات الزبون بما يتناسب و أهداف شركة التأمين.	٤,٠٤	٠,٨٣١	%٢١	%٨٠,٨
٢	التحسين المستمر لجودة الخدمة التأمينية.	٤,١٣	٠,٥٥٦	%١٣	%٨٢,٦
٣	التحكم في التسيير ، والتقليل من التكاليف.	٣,٨١	١,٠٣٩	%٢٧	%٧٦,٢
٤	ترقية اساليب الأداء	٤,١١	٠,٦٩٨	%١٧	%٨٢,٢
٥	ضمان التوصل لإشباع رغبة الزبون من خلال الخدمات المقدمة .	٣,٩١	٠,٨٠٧	%٢١	%٧٨,٢
	المعدل العام لملاءمة البيانات	٤,٠٠	٠,٧٨٦	١٩,٨%	%٨٠

المصدر - إعداد الطالب بالإستعانة ب spss v17

البعد الثاني: ما تقييمك لدرجة تطبيق المعايير التالية التي تصنف واقع تطبيق معايير إدارة الجودة الشاملة في قطاع التأمين؟

رقم الفقرة	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	معامل الاختلاف %CV	نسبة الإيجابية الوسط الحسابي ٠,٠٥
6	دوافع العمال اتجاه التكوين يحددها الحصول على الترقيات.	3.46	1.163	%٣٤	%٦٩,٢
7	مستوى تكوين الموظف يؤثر على الأداء.	4.22	0.577	%١٤	%٨٤,٤
8	يتم تحفيز العامل على أساس تقييم الأداء و روح الفريق بين أعضاء الفوج.	3.73	1.012	%٢٧	%٧٤,٦
9	تحسين الخدمة عملية ممتدة في الزمن و طويلة المدى.	3.31	1.112	%٣٤	%٦٦,٢
10	يوجد معايير معتمدة لقياس فعاليات جودة الخدمات في شركة التأمين .	3.35	0.934	%٢٨	%٦٧,٠
11	إكتساب ثقة الزبائن	4.04	1.084	%٢٧	%٨٠,٨
12	تقوم شركات قطاع التأمين و بشكل دوري و منتظم بمقارنة منتجاتها ، بمنتجات شركات أخرى منافسة .	3.40	0.995	%٢٩	%٦٨,٠
13	الخبرة الطويلة و الإمكانيات المادية و البشرية تؤهل قطاع التأمين الى إستعاب مبادئ إدارة الجودة الشاملة .	4.00	0.929	%٢٣	%٨٠,٠
14	الإستراتيجية و المراجعة الجيدة لمتطلبات سوق التأمين من أولويات شركات قطاع التأمين.	3.88	1.078	%٢٨	%٧٧,٦
15	وجود تنظيم و أهداف واضحة لجودة المنتج التأميني.	3.62	0.953	%٢٦	%٧٢,٤
16	التصميم الجيد للقرارات العملية ، و التحسين الدائم لنظام الخدمات التأمينية .	3.63	1.085	%٣٠	%٧٢,٦
17	تواجد قيادة بناءة في شركات قطاع التأمين.	3.48	1.075	%٣١	%٦٩,٦
18	تعمل شركات قطاع التأمين بمعايير تقييم عادلة و موضوعية .	3.23	0.983	%٣٠	%٦٤,٦
19	وضع حد لممارسة نشاط التأمين على أساس الأسعار بدل تقليص التكلفة .	3.25	0.988	%٣٠	%٦٥,٠
20	إلغاء الشعارات.	2.69	1.045	%٣٩	%٥٣,٨
	المعدل العام لملاءمة البيانات	٣,٥٥	١,٠٠٠	% ٢٨,٦٦	%٧١

المصدر - إعداد الطالب بالإستعانة ب SPSS v 17

و يوضح الجدول أعلاه بأن النتائج تشير إلى أن المعدل العام للفقرات ١٥ و المعبرة عن البعد الثاني، بأن نسبة شدة الإجابة بلغت (٧١٪)، و متوسط حسابي (٥٥، ٣)، و إنحراف معياري (١، ٠٠٠)، و معامل إختلاف (٢٨، ٦٦٪).

وما يعني الإهتمام الكبير من قبل شركات التأمين بمستوى تكوين الموظف و المؤثر على مستوى الأداء، و ما هو مبين في الفقرة (٧) وهي أشد نسبة في الإجابة حيث بلغت ٤، ٨٤٪، بمتوسط حسابي (٤، ٢٢)، و إنحراف معياري يقدر ب (٥٧٧، ٠)، و معامل إختلاف (١٤٪)، بينما بلغت أقل نسبة في الفقرة (٢٠)، بمتوسط حسابي (٦٩، ٢)، و إنحراف معياري (٥٤٥، ١)، و معامل إختلاف معتبر (٣٩٪)، بنسبة شدة الإجابة تقدر ب (٥٣، ٨٪)، ما يعني عدم الإهتمام بهذه الفقرة و المتمثلة في إلغاء الشعارات.

#### البعد الثالث: تقييم مستوى الرضا حول بعض الظواهر السائدة في قطاع التأمين

رقم الفقرة	الفقرة	المتوسط الحسابي	الإنحراف المعياري	معامل الإختلاف %CV	نسبة الإجابة الوسط الحسابي (٠,٠٥)
21	تمكين شركات قطاع التأمين من إحتياجات الزبائن.	3.76	0.790	٢١٪	٧٥,٢٪
22	تحسين صورة شركات قطاع التأمين.	4.20	0.633	١٥٪	٨٤,٠٪
23	تدعيم التناسق بين أفراد شركات قطاع التأمين.	3.67	1.125	٣١٪	٧٣,٤٪
24	زيادة ارتباط الزبائن و معدل الوفاء بقطاع التأمين.	3.96	0.713	١٨٪	٧٩,٢٪
25	تسوية ملفات الحوادث بشكل مرضي.	3.90	1.089	٢٨٪	٧٨,٠٪
26	تحسين ميزاج العمال و الحصول على المكافآت المرضية.	3.83	1.167	٣٠٪	٧٦,٦٪
27	تحسين جودة خدمات التأمين من أجل ترضية الزبون.	4.11	0.891	٢٢٪	٨٢,٢٪
28	تحسين ظروف العامل.	4.04	1.137	٢٨٪	٨٠,٨٪
29	إلتزام قطاع التأمين بتعويض المؤمن له في حالات الضرر مثل احترام مواعيد التعويض.	3.65	1.092	٣٠٪	٧٣,٠٪

30	تحقيق أفضل الممارسات ، و مراقبة كل وظائف التسيير الضرورية .	3.84	0.874	%٢٢	%٧٦,٨
31	التسيير الأفضل لعقود التأمين .	3.88	0.963	%٢٥	%٧٧,٦
32	وجود مصالح مختصة لمعالجة شكاوي الزبائن داخل قطاع التأمين.	3.55	1.301	%٣٧	%٧١,٠
33	عدم تهميش الموظفين .	3.78	1.119	%٣١	%٧٥,٦
34	تحقيق سعادة العاملين .	3.73	1.097	%٢٩	%٧٤,٦
35	تحقيق الموظفين طموحاتهم في الترقية و التدريب و التحفيز.	3.86	1.184	%٣١	%٧٧,٢
	المعدل العام للملائمة البايات	٣,٨٥	١,٠١١	%٢٦,٦	%٧٧

المصدر - إعداد الطالب بالإستعانة بspss v 17

كما يوضح الجدول أعلاه بأن النتائج تشير ، الى أن المعدل العام للفقرات (١٥) للبعد الثالث ، بأن نسبة شدة الإجابة بلغت (٧٧٪) ، في حين بلغ المتوسط الحسابي (٣,٨٥) ، و الإنحراف المعياري (١,٠١١) ، و معامل الإختلاف (٢٦,٦٪) ، و هو معامل تابع أقل من معامل البعد الثاني الذي بلغ (٢٨,٦٦٪) .

كما تعبر الفقرة (٢٢) عن أكبر نسبة معبرة عن شدة الإجابة ، بلغت ٨٤,٠٪ ، بمتوسط حسابي (٤,٢٠) ، و أنحراف معياري (٠,٦٣٢) ، و معامل إختلاف (١٥٪) ، ما يعني ، أن شركات التأمين تولي إهتماماً كبيراً بتحسين صورة شركات التأمين التي تؤثر على قطاع التأمين ككل ، بينما سجلت أقل نسبة في الفقرة (٣٢) بلغت نسبة شدة الإجابة فيها (٧١,٠٪) ، بمتوسط حسابي (٣,٥٥) ، و إنحراف معياري (١,٣٠١) ، و معامل إختلاف كبير (٣٧٪) ، وهذا ما يعني أن شركات التأمين لا تولي الإهتمام بوجود مصالح مختصة لمعالجة شكاوى الزبائن بشكل جدي و فعال.

**البعد الرابع: المحددات التنظيمية و السياسات الإدارية لتطبيق إدارة الجودة الشاملة في قطاع التأمين.**

رقم الفقرة	الفقرة	المتوسط الحسابي	الإنحراف المعياري	معامل الإختلاف %CV	نسبة الإجابة الوسط الحسابي 0.05
٣٦	وجود إرادة تغيير جد ايجابية.	٣,٨٢	٠,٠٨٥٨	%٢٢	%٧٦,٤
37	إنجاز العمل بطريقة موضوعية.	3.75	0.868	%٢٢	%٧٥,٠
38	التسيير المحكم .	3.92	0.796	%٢٠	%٧٨,٤

39	تفادي الوعود الكاذبة في الإكتتاب بعقود التأمين .	4.24	0.925	22%	84.8%
40	تشكيل حلقات مناقشة مشاكل العمال والإدارات.	3.76	0.960	26%	75.2%
41	التغيير مهمة الجميع بقطاع التأمين .	3.86	0.926	24%	77.2%
42	توجد سياسة مناسبة لدى الإدارة العليا بقطاع التأمين.	3.22	0.963	20%	64.4%
43	توجد سياسة توظيف بشركات قطاع التأمين .	3.02	1.059	35%	64.0%
44	يعمل قطاع التأمين بالشفافية في سياسته الداخلية .	3.16	1.149	26%	62.2%
45	يعتمد قطاع التأمين سياسة تكوين مبنية على الإحترافية .	3.39	1.185	35%	67.8%
46	سياسة شركة قطاع التأمين واضحة للجميع، و مطبقة في كافة الدوائر الادارية .	3.20	0.948	30%	64.0%
47	التخلص من كافة الممارسات السلبية للإدارة و الموظفين.	4.00	0.959	24%	80.0%
48	توفر المعلومات التي يحتاجها مستخدمي قطاع التأمين بطريقة منظمة و شفافة .	3.76	1.031	27%	75.2%
49	وجود مركز توثيق حديث.	3.39	1.060	31%	67.8%
50	ملائمة البنية الهيكلية و التنظيمية لممارسة مهنة التأمين.	3.64	0.898	25%	72.8%
	المعدل العام لملاءمة البيانات	3.60	0.972	27.4%	72%

المصدر - إعداد الطالب بالإستعانة بspss v 17

كما يوضح الجدول أعلاه بأن النتائج تشير ، إلى أن المعدل العام للفقرات (15) للبعد الثالث، بأن نسبة شدة الإجابة بلغت (77%)، في حين بلغ المتوسط الحسابي (3,85)، والانحراف المعياري (1,01)، ومعامل الاختلاف (26,6%)، وهو معامل تابع أقل من معامل البعد الثاني الذي بلغ (28,66%).

كما تعبر الفقرة (22) عن أكبر نسبة معبرة عن شدة الإجابة، بلغت 84,0%، بمتوسط حسابي (4,20)، وانحراف معياري (0,632)، ومعامل إختلاف (15%)، ما يعني، أن شركات التأمين تولي إهتماماً كبيراً بتحسين صورة شركات التأمين التي تؤثر على قطاع التأمين ككل، بينما سجلت أقل نسبة في الفقرة (32) بلغت نسبة شدة الإجابة فيها (71,0%)، بمتوسط حسابي (3,55)، وانحراف معياري (1,301)، ومعامل إختلاف كبير (37%)، وهذا ما يعني أن شركات التأمين لا تولي الإهتمام بوجود مصالح مختصة لمعالجة شكاوي الزبائن بشكل جدي و فعال.

البعد الرابع- المحددات التنظيمية و السياسات الإدارية لتطبيق إدارة الجودة الشاملة في قطاع التأمين.

المصدر- إعداد الطالب بالإستعانة بspss v 17

أما بالنسبة للبعد الرابع، فيوضح الجدول أعلاه بأن النتائج تشير الى أن المعدل العام لشدة الإجابة، بلغ (٧٢٪)، وبلغ المتوسط الحسابي (٣,٦٠)، و الإنحراف المعياري (٠,٩٧٢)، و معامل الإختلاف (٤, ٢٧٪) وهو معامل تابع أقل من معامل البعد الثاني، و أكبر من معامل البعد الثالث، و نستنتج العلاقة التالية بالنسبة لمعامل الإختلاف :

(البعد الثالث) ٢٦,٦ > (٢٧,٤٪) (البعد الرابع) > (٢٨,٦٦) الثاني

و عليه فإن الفقرة (٢٩) تعبر عن أكبر نسبة معبرة عن شدة الإجابة بلغت (٨, ٨٤)، بمتوسط حسابي (٤, ٢٤)، و إنحراف معياري (٠, ٩٢٥)، و معامل إختلاف (٢٢)، وهذا ما يعني أن شركات التأمين تحاول أن تهتم بتفادي الوعود الكاذبة في الإكتتاب بعقود التأمين .

بينما الفقرة الأقل نسبة في شدة الإجابة بالنسبة لهذا البعد هي (٤٩)، حيث بلغت نسبة شدة الإجابة فيها (٨, ٦٧٪)، بمتوسط حسابي (٣, ٣٩)، و إنحراف معياري (١, ٠٦٠) و معامل إختلاف يقدر ب (٣١٪)، ما يعني أن شركات التأمين لا تولي أهمية لوجود مركز توثيق حديث .

#### البعد الخامس: الظواهر الإدارية وعلاقتها بإدارة الجودة الشاملة في قطاع التأمين.

رقم الفقرة	الفقرة	المتوسط الحسابي	الإنحراف المعياري	معامل الإختلاف CV %	نسبة الإجابة الوسط الحسابي ٠,٠٥
٥١	وجود وعي، عند شركات قطاع التأمين بأهمية موضوع إدارة الجودة الشاملة، و ليست شعارا فقط.	٣,٤١	١,٠٢٣	٣٠%	٦٨,٢%
٥٢	يوجد لدى إدارة شركة قطاع التأمين نظام إقتراحات مدروس لتحسين الأداء.	٣,٢٤	١,٠٤١	٢٢%	٦٤,٨%
٥٣	تدرس إدارة قطاع التأمين درجة التأثيرات الإيجابية و السلبية للتدريب على المرشحين.	٣,١٦	٠,٨٦٦	٢٧%	٦٣,٢%
٥٤	وجود مدرسة مسيري قطاع التأمين.	٣,٥٦	١,٠١٣	٢٨%	٧١,٢%
٥٥	النصوص الإدارية واضحة و عادلة .	٣,٣٣	١,٠٥٢	٣٢%	٦٦,٦%

				إختيار المسؤولين الإداريين يكون حسب المقاييس العملية التالية.	
٥٦	-على أساس الأقدمية والخبرة.	٣,٥١	١,٢٢٩	%٣٥	%٧٠,٢
٥٧	-على أساس الشهادة في التخصص.	٣,٥٣	١,١٥٥	%٣٣	%٧٠,٦
٥٨	-على أساس أسلوب سد الفراغ.	٢,٣١	١,٠٩٥	%٤٧	%٤٦,٢
٥٩	يوجد وصف وظيفي يحدد المسؤوليات والواجبات.	٣,٠٦	١,٠٢٨	%٣٤	%٦١,٢
٦٠	يوجد تفويض فعال للسلطة عند كافة المستويات.	٣,٠٦	٠,٩٥٤	%٣١	%٦١,٢
٥١	يوجد تجانس في الأداء وتوازن في كافة الوحدات الإدارية داخل قطاع التأمين.	٣,١٨	١,٠٢٤	%٣٢	%٦٣,٦
٦٢	الزبون هو هدف كل دائرة وليس الخصم .	٣,٨٦	١,٠٠٠	%٢٦	%٧٧,٢
٦٣	يتم التفكير لمصلحة شركة قطاع التأمين وليس لمصلحة الدوائر المختلفة .	٣,٦٩	٠,٨٩٥	%٢٤	%٧٣,٨
٦٤	يوجد تطبيق فعال لتوصيات اللجان والدوائر.	٣,٢٧	٠,٨٨٤	%٢٧	%٦٥,٤
٦٥	هناك استخدام كفوؤ ومتوازن للكوادر لدى إدارة قطاع التأمين.	٣,١٨	١,١٢١	%٣٦	%٦٣,٦
	المعدل العام لملاءمة البيانات	٣,٢٩	١,٠٢٧	%٣١,٦	%٦٥,٨

المصدر - إعداد الطالب بالإستعانة ب SPSS V 17

يوضح الجدول أعلاه ، بأن النتائج تشير هي الأخرى ، إلى أن المعدل العام لشدة الإجابة ، بلغ (٨ ، ٦٥٪) ، ولكن بنسبة أقل من الأبعاد السابقة ، وبمتوسط حسابي (٣ ، ٢٩) ، وإنحراف معياري (١ ، ٠٢٧) ، ومعامل إختلاف كبير (٦ ، ٣١٪) ، أكبر من معاملات الإختلاف السابقة وهذا ما يفسر بأن هناك فقرات لا تحضى بإهتمام وهي تختلف عن سابقتها ، مما يكون له الأثر الكبير في اتخاذ القرار.

و الفقرة (٦٢) ، تعبر عن أكبر نسبة معبرة عن شدة الإجابة وبلغت (٢ ، ٧٧٪) ، بمتوسط حسابي (٢ ، ٨٦) ، وإنحراف معياري (١ ، ٠٠) ، ومعامل إختلاف (٢٦٪) ، وهذا ما يعني أن شركة التأمين تولي اهتماماً ، بأن الزبون هو هدف كل دائرة وليس الخصم ، بينما الفقرة (٥٨) تعكس نسبة شدة الإجابة الأقل (٢ ، ٤٦٪) ، وبمتوسط حسابي (٢ ، ٣١) ، وإنحراف معياري (١ ، ٠٩٥) ومعامل إختلاف كبير جدا (٤٧٪) ، وهذا ما يعني بالنسبة للمسؤولين في قطاع التأمين ، لا تولي شركة التأمين أهمية لأسلوب سد الفراغ .

البعد السادس : عقبات و تحديات تطبيق إدارة الجودة الشاملة في قطاع التأمين.

رقم الفقرة	الفقرة	المتوسط الحسابي	الإنحراف المعياري	معامل الاختلاف %CV	نسبة الإجابة الوسط الحسابي ٠,٠٥
٦٦	العقبات التي تعترض تطبيق إدارة الجودة الشاملة في قطاع التأمين ضعف في تمويل برنامج إدارة الجودة ، بسبب تكلفتها الباهضة .	٢,٩٤	١,٠٠٨	%٢٤	%٥٨,٢
٦٧	محدودية تلبية حاجيات و رغبات العمال و الإداريين.	٣,٢٠	١,٠٤٠	%٣٢	%٦٤,٠
٦٨	أساليب الممارسة المهنية المحدودة.	٣,٥٢	٠,٩٧٤	%٢٩	%٧٠,٤
٦٩	تدني مستوى التأهيل عند الموظفين.	٣,٤٢	١,١٣٦	%٣٣	%٦٨,٤
٧٠	العجز في عملية تقييم الأداء .	٣,٣٧	١,٠٥٥	%٣١	%٦٧,٤
٧١	ليس هناك رغبة في إنفتاح قطاع التأمين على المنافسة .	٣,٠٢	١,١١٦	%٢٧	%٦٠,٤
٧٢	هناك قصور في معرفة أبعاد العلاقة بين الهيكل التنظيمي، و المالي لقطاع التأمين.	٣,٣٣	٠,٩٦٦	%٢٩	%٦٦,٦
٧٣	من الصعب بناء برنامج عملي ، و فعال لتحسين القدرة التنافسية في قطاع التأمين.	٢,٩٠	١,٠٤٤	%٢٦	%٥٨,٠
٧٤	إنحصار الأدوات المستخدمة لتطبيق إدارة الجودة الشاملة في مرحلة المهدي لدى قطاع التأمين .	٣,٣٠	١,٠١٥	%٣١	%٦٦,٠
٧٥	عدم مصداقية الأرقام الإحصائية في قطاع التأمين.	٢,٨٠	١,٠٥٩	%٢٨	%٥٦,٠
٧٦	غياب الهدف بإستمرار.	٢,٦٨	١,١٦٨	%٤٤	%٥٣,٦
٧٧	عدم إتاحة المعلومات الضرورية لإتخاذ القرار.	٣,١٤	١,١٠٧	%٣٥	%٦٢,٨

٧٨	بطئ إستعاب التكنولوجيا الحديثة في قطاع التأمين.	٣,٠٦	١,٢١٩	%٤٠	%٦١,٢
٧٩	وجود مقاومة ضد التغيير داخل قطاع التأمين.	٣,٠٨	١,٠٩٣	%٣٧	%٦١,٦
٨٠	غياب الإستراتيجية و الدعم في قطاع التأمين .	٣,٢٥	١,٠١٧	%٣١	%٦٥,٠
٨١	عدم وجود رغبة لدى العاملين في تحسين الأداء و جودة الخدمة.	٢,٧٨	١,٢٥٤	%٤٥	%٥٥,٦
	المعدل العام لملاءمة البيانات	٣,١١	١,٠٧٨	%٣٥,١٢٥	%٦٢,٢

المصدر - إعداد الطالب بالإستعانة ب SPSS V 17

و أخيرا يوضح الجدول أعلاه ، بأن النتائج تشير الى أن المعدل العام لنسبة شدة الإجابة بلغ (٢, ٦٢٪) ، وهي النسبة الأقل على الإطلاق بمتوسط حسابي (١١, ٣) ، وإنحراف معياري (١, ٠٧٨) ، و معامل إختلاف الأكبر بنسبة (٣٥, ١٢٥٪) و هذا بالنسبة للبعد السادس ، مايعني أن شركات التأمين لا تهتم كثيرا ببعد العقوبات و التحديات في مجال تطبيق إدارة الجودة الشاملة مثل مثيلاتها من الأبعاد الأخرى السابقة الذكر .

و الفقرة (٦٨) تعبر عن أكبر نسبة لشدة الإجابة بمعدل (٤, ٧٠٪) ، و متوسط حسابي (٣, ٥٢) ، و إنحراف معياري (٠, ٩٧٤) ، و معامل إختلاف (٢٩٪) ، ما يعني أن شركات التأمين تولي أهمية لعنصر أساليب الممارسة المهنية المحدودة ، بينما الفقرة (٧٦) تعكس النسبة الأقل في شدة الإجابة ، بمعدل (٦, ٥٢٪) ، و متوسط حسابي (٢, ٦٨) ، و إنحراف معياري (١, ١٦٨) ، و معامل إختلاف جد كبير (٤٤٪) ، ما يعني أن شركات التأمين لا تهتم بعنصر غياب الهدف باستمرار ، و هو ما يعتبر من أهم المعوقات في تطبيق إدارة الجودة الشاملة و بالتالي تحسين القدرة التنافسية.

وعليه يمكن القول إنَّ هناك عناصر ، تؤثر أكثر من غيرها ، على معايير إدارة الجودة الشاملة ، و تمثل السبب الأهم لإتخاذ القرار منها الفقرات التالية (٢-٧-٢٢-٣٩-٦٢-٦٨) .

و هذا ما يوضح بشكل كبير ، أهمية تأثير معدلات الفقرات ، سواء تعلق الأمر بالبعد الأول المستقل في الفقرة ٢ بمعدل ٦, ٨٢٪ ، أوفي الأبعاد التابعة على التوالي ( ٤, ٨٤٪ الفقرة ٧ ، و ٨٤٪ الفقرة ٢٢ ، و ٨, ٨٤٪ الفقرة ٣٩ و ٢, ٧٧٪ الفقرة ٦٢ و أخيرا ٤, ٧٠٪ الفقرة ٦٨ ) .

٤- التحليل الإحصائي لتباين شركات التأمين في تطبيق متغيرات إدارة الجودة الشاملة ، تحسين القدرة التنافسية.

و يتعلق الأمر هنا بإختبار كل من المتغيرات المستقلة ( إدارة الجودة الشاملة ) ، ومتغيرات تابعة ( تحسين القدرة التنافسية ) ، وذلك حسب فرضيات الدراسة الميدانية السالفة الذكر .  
وللتذكير ، فإن الفرضية الرئيسية الأولى تتمثل في تباين شركات التأمين محل الدراسة في تطبيق متغيرات إدارة الجودة الشاملة .

و بغية إثبات الفرضية الرئيسية ، ينبغي إختبار الفرضيات الفرعية و المتمثلة فيما يلي :

### أولاً :

فرضية العدم  $H_0$  لا تتباين شركات التأمين في تطبيق متغيرات إدارة الجودة الشاملة .

الفرضية البديلة  $H_1$  - تتباين شركات التأمين في تطبيق متغيرات إدارة الجودة الشاملة .

و يمكن للتحقق من قبول أو رفض الفرضية بإستخدام مايلي ، أنظر الجدول أدناه .

الجدول رقم ٢٢: التحليل الإحصائي لتباين شركات التأمين في تطبيق متغيرات إدارة الجودة الشاملة ( المتغير المستقل ) .

المتغيرات	الوسط الحسابي	معامل الإختلاف CV%	الترتيب
تحقيق رغبات الزبون. (١)	٤,٠٤	٢١%	الثالث
التحسين المستمر. (٢)	٤,١٣	١٢%	الأول
التحكم في التسيير الإداري. (٣)	٣,٨١	٢٧%	الخامس
ترقية أساليب الأداء من خلال مشاركة العاملين. (٤)	٤,١١	١٧%	الثاني
ضمان تحقيق العملية إشباع و خدمة الزبون. (٥)	٣,٩١	٢١%	الرابع

المصدر - إعداد الطالب بالإعتماد على spss v 17

و يتضح من خلال الجدول أعلاه أن النتائج تشير إلى أن العنصر الثاني ( التحسين المستمر لجودة الخدمة التأمينية ) من البعد المستقل تميز بالمرتبة الأولى ، بوسط حسابي ( ٤ , ١٣ ) ، و معامل إختلاف ( ١٢ % ) ، بينما رجعت المرتبة الثانية للعنصر الرابع ( ترقية أساليب الأداء ) بمعامل إختلاف ( ١٧ % ) و متوسط حسابي ( ٤ , ١١ ) ، و المرتبة الثالثة للعنصر الأول ( تحقيق

رغبات الزبون بما يتناسب و أهداف شركات التأمين ) بمتوسط حسابي (٤,٠٤) ، و معامل اختلاف (٢١٪) ، أما المرتبة الرابعة فهي تتمثل في العنصر الخامس ( ضمان التوصل لإشباع رغبة الزبون من خلال الخدمات المقدمة ) بمتوسط حسابي (٣,٩١) و معامل إختلاف (٢١٪) ، و أخيرا المرتبة الخامسة رجعت للعنصر الثالث ( التحكم في التسييرو التقليل من التكاليف ) بمتوسط حسابي (٣,٨١) ، و معامل إختلاف (٢٧٪) .

و عليه توضح النتائج التحليلية بأن هناك تبايناً في تطبيق متغيرات إدارة الجودة الشاملة في قطاع التأمين من خلال شركاته و بالتالي يتم رفض فرضية العدم  $H_0$  ، و يتم قبول الفرضية البديلة  $H_1$  ، على أن هناك تبايناً لدى عينة الدراسة في تطبيق متغيرات و مبادئ إدارة الجودة الشاملة .

## ثانياً :

- فرضية العدم  $H_0$  - لا تتباين شركات التأمين في تبني متغيرات تحسين القدرة التنافسية.

الفرضية البديلة  $H_1$  - تتباين شركات التأمين في تبني متغيرات تحسين القدرة التنافسية .

و للتحقق من قبول الفرضية أو رفضها ، نستخدم ما يلي - أنظر الجدول أدناه.

الجدول رقم ٢٢- التحليل الإحصائي لتباين شركات التأمين في تبني متغيرات تحسين القدرة التنافسية ( الأبعاد التابعة ) .

المتغيرات	الوسط الحسابي	معامل الإختلاف	الترتيب
تقييم درجة تطبيق معايير إدارة الجودة الشاملة بشكل واقعي .(٢)	٣,٥٥	٢٨,٦٦%	الثالث
تحقيق مستوى الرضى و تخفيض التكاليف .(١)	٣,٨٥	٢٦,٦%	الأول
توافق المحددات التنظيمية و السياسات الإدارية في التطبيق . (٥)	٣,٦٠	٢٧,٤%	الثاني
تفادي السلبيات الإدارية و تحقيق الجودة .(٣)	٣,٢٩	٣١,٦%	الرابع
إدراك و تحدي العقبات .(٤)	٣,١١	٣٥,١٢٥%	الخامس

المصدر - إعداد الطالب بالإعتماد على SPSS V17

و يتضح من خلال الجدول أعلاه بأن النتائج توضح بأن المرتبة الأولى ، تمثلت في عنصر ( ١ ) تحقيق مستوى الرضى و تخفيض التكاليف ، بمتوسط حسابي ( ٢ , ٨٥ ) و معامل إختلاف بلغ ( ٢٦ , ٦ )٪ ، ما يدل على أن شركات التأمين لديها إهتمام بعنصر الرضا و تخفيض التكاليف و هذا شئى جد إيجابي لتطبيق إدارة الجودة الشاملة لتحسين القدرة التنافسية ، أما المرتبة الثانية، فتتمثل في العنصر ( ٥ ) المتعلق بتوافق المحددات التنظيمية و السياسات الإدارية لتحسين القدرة التنافسية في قطاع التأمين و ذلك بتسجيل وسط حسابي ( ٣ , ٦٠ ) و معامل إختلاف ( ٢٧ , ٤ )٪ ، ثم الرتبة الثالثة تميز بها عنصر ( ٢ ) تقييم درجة تطبيق معايير الجودة بشكل فعلي و ملموس بإعتبار ذلك يؤدي الى تحسين القدرة التنافسية في قطاع التأمين ، حيث سجل وسط حسابي ( ٣ , ٥٥ ) ، و معامل إختلاف بلغ ( ٢٨ , ٦٦ )٪ ، ثم المرتبة الرابعة التي تميز بها العنصر ( ٣ ) المتمثل في تقادي السلبيات الإدارية و تحقيق الجودة ، بوسط حسابي ( ٣ , ٢٩ ) و معامل إختلاف ( ٣١ , ٦ )٪ ، ما يعني أن شركات التأمين لا تجعل من هذا العنصر من الأولويات العاجلة لتحسين القدرة التنافسية ، و أخيرا المرتبة الخامسة المرتبطة بالعنصر ( ٤ ) و المتمثل في ضرورة إدراك و تحدي العقبات المبينة في البعد السادس ، بمتوسط حسابي ( ٣ , ١١ ) و معامل إختلاف كبير ( ٣٥ , ١٢٥ )٪ ، و هذا ما يعني أن شركات التأمين لا تهتم بشكل كبير بعنصر العوائق التي تواجهها شركات التأمين لتطبيق إدارة الجودة الشاملة لتحسين القدرة التنافسية .

### ثالثا: إختبار نموذج الدراسة ، و فرضياته الرئيسية الثانية.

و يتمثل في إختبار الفرضيات التالية:

-فرضية العدم H0 - عدم وجود علاقة إرتباط موجبة ذات دلالة إحصائية / معنوية بين التحسين المستمر ( إدارة الجودة الشاملة ) و أبعاد تحسين القدرة التنافسية .

- الفرضية البديلة H1 توجد علاقة إرتباط موجبة ذات دلالة إحصائية / معنوية بين التحسين المستمر ( إدارة الجودة الشاملة ) و أبعاد تحسين القدرة التنافسية .

و من أجل إعطاء قرار حاسم ، تم قياس الإرتباط بين متغيرات الدراسة ، أنظر الجدول أدناه المعبر عن ذلك.

الجدول رقم ٢٤ علاقة الارتباط بين البعد المستقل (إدارة الجودة الشاملة) والأبعاد التابعة (متغيرات تحسين القدرة التنافسية).

قيمة [المجدولة		إدراك وتحدي العقبات (٤)	تفادي السلبيات الإدارية وتحقيق الجودة (٣)	توافق المحددات التنظيمية والسياسات الإدارية في التطبيق (٥)	تحقيق مستوى الرضى و تخفيض التكاليف (١)	تقييم درجة تطبيق إدارة الجودة الشاملة بشكل واقعي (٢)	أبعاد تحسين القدرة التنافسية متغيرات إدارة الجودة الشاملة
		٨١-٦٦	٦٥-٥١	٥٠-٣٦	٣٥-٢١	٢٠-٦	
0.01	0.05	0.309	0.404	0.407	0.319	0.282	معامل الارتباط على التوالي لتحقيق رغبات الزبون (١).
مستوى المعنوية		0.304	0.349	0.287	0.275	0.470	
	مستوى المعنوية	0.391	0.377	0.385	0.338	0.352	- التحسين المستمر. (٢)
		0.357	0.303-	0.348		0.439	- التحكم في التسيير الإداري. (٣)
		-0.300	-0.374	0.365		0.286-	
		-0.309	0.564	0.418		0.284	- ترقية أساليب الأداء من خلال مشاركة العاملين. (٤)
		-0.408	0.580	0.476		0.365	- ضمان تحقيق العملية إشباع وخدمة الزبون. (٥)
			0.334	-0.320		0.390	
			0.300	0.538		0.298	
			0.284			0.280	

3.307	2.704	0.674	3.851	2.622	6.106	14.702	قيمة ٢ المحسوبة على التوالي
		-0.145	7.746	662.11	6.939	8.878	- تحقيق رغبات الزبون
		-1.067	-0.330	3.338	11.509	3.863	- التحسين المستمر (٢).
		4.494	4.272	9.074		6.897	-التحكم في التسيير الإداري (٣).
		2.447	-1.201	5.513		2.177	-ترقية أساليب الأداء من خلال مشاركة العاملين (٤).
		-0.366	2.970	5.513		8.411	
				3.338		10.955	-ضمان تحقيق العملية ، إشباع و خدمة الزبون .
				3.701		8.411	
				4.155		5.466	
				3.604		11.682	
				5.513		10.803	
				7.781		3.534	
				4.149		5.466	
				9.649		3.914	
						10.062	
						18.699	
						3.534	
						8.411	
						0.351	
						5.380	
						6.184	
						3.986	

درجة الثقة		توجد علاقة إرتباط ذات دلالة معنوية عند كل من المستويات التالية	توجد علاقة إرتباط موجبة و ذات دلالة معنوية عند كل من المستويات التالية	توجد علاقة إرتباط موجبة و ذات دلالة معنوية عند كل من المستويات التالية	توجد علاقة إرتباط موجبة و ذات دلالة معنوية عند كل من المستويات التالية	توجد علاقة إرتباط موجبة و ذات دلالة معنوية عند كل من المستويات التالية	النتيجة - الأرقام هي متتالية
99%	95%						
		0.05	0.01	0.01	0.05	0.05	- تحقيق رغبات الزبون (١).
		0.05	0.05	0.05	0.05	0.05	- التحسين المستمر (٢).
		0.01	0.01	0.01	0.05	0.01	- التحكم في التسيير الإداري (٣).
		0.05	0.05	0.05		0.05	- ترقية أساليب الأداء من خلال مشاركة العاملين .
		0.05	0.01	0.01		0.01	- ضمان تحقيق العملية ) إشباع و خدمة الزبون (.
		0.01	0.05	0.01		0.01	
				0.01		0.05	
				0.05		0.01	
				0.01		0.01	
				0.01		0.05	
				0.01		0.01	
				0.05		0.01	
				0.05		0.01	
				0.05		0.05	
						0.05	
						0.05	
						0.01	
						0.01	
						0.01	
						0.01	
						0.05	
						0.05	

المصدر - إعداد الطالب بالإعتماد على SPSS V17

و يتضح من خلال الجدول أعلاه أن النتائج تشير إلى قيم  $t$  المحسوبة لعلاقة الارتباط بين متغيرات إدارة الجودة الشاملة (المستقلة) ومتغيرات تحسين القدرة التنافسية (التابعة)، والمحصورة في القيم التالية (٧٠٢, ١٤-٨٧٨, ٨-٨٩٧, ٦-١٠٦, ٦-٩٣٩, ٦-٥٠٩, ١١-٧٤٦, ٧ والمعبرة عن تحقيق رغبات الزبون بالنسبة للفقرة الأولى من البعد المستقل ثم العنصر الثاني والمتمثل في التحسين المستمر بالقيم التالية (٩٥٥, ١٠-٦٦٢, ١١-٢٧٢, ٤) ثم الفقرة الثالثة من البعد المستقل والمتمثل بالقيم (٩, ٠٧٤)، وقيم الفقرة الرابعة (١١, ٦٨٢-١١, ٩١٤-٣, ٠٦٢, ١٠-٧٠١, ٣)، وقيم الفقرة الخامسة المتمثلة في ضمان تحقيق العملية (١٨, ٦٩٩-١٨, ١٨٤, ٦-٩٨٦, ٣-٧٨١, ٧-١٤٩, ٤-٦٤٩, ٩-٩٧٠, ٢-٤٩٤, ٤)، هي ذات دلالة معنوية عند مستوى ٠,٠٥ وهي كلها أكبر من قيمة  $t$  المجدولة والتي تبلغ ٢,٧٠٤ ما يعني رفض فرضية العدم  $H_0$  ويتم قبول الفرضية البديلة  $H_1$ . أما القيم (٣, ٨٦٢-٣, ٨٥١ من الفقرة الأولى و ٨, ٤١١-٣, ٣٣٨ من الفقرة الثانية و ٨, ٤١١-٥, ٤٦٦-٥, ٥١٣ من الفقرة الثالثة)، وقيم الفقرة الرابعة (١٠, ٨٠٢-١٠, ٥٢٤-٣, ٥٦٦-٥, ٥١٣-٣, ٢٢٨)، وقيم الفقرة الخامسة (١٥٥, ٤-٦, ٦٠٤-٣, ٥١٣, ٥)، فهي ذات دلالة معنوية عند مستوى ٠,٠١ ما يعني رفض فرضية العدم  $H_0$  وقبول الفرضية البديلة  $H_1$ .

بينما القيم (١٧٧, ٢-٢, ٦٢٢-٢, ٣٣٠, ٠ من الفقرة الأولى و ٠, ٦٧٤-٠, ١٤٥-٠, ٠٦٧-١ من الفقرة الثالثة) وقيم الفقرة الرابعة (١, ٢٠١-١)، وقيم الفقرة الخامسة (٢, ٤٤٧-٢, ٣٦٦-٠)، هي أقل من قيمة  $t$  المجدولة تقدر ب ٢,٢٠٧، وهذا يعني قبول فرضية العدم  $H_0$  ورفض الفرضية البديلة  $H_1$

وأخيرا للتأكد من معنوية الارتباط بين إدارة الجودة الشاملة وتحسين القدرة التنافسية في شركات التأمين، إجابة على إشكالية الدراسة، لا بد من اختبار الفرضيتين التاليتين.

-فرضية العدم  $H_0$  - لا توجد علاقة إرتباط موجبة ذات دلالة إحصائية بين إدارة الجودة الشاملة وتحسين القدرة التنافسية في شركات التأمين .

-الفرضية البديلة  $H_1$  - توجد علاقة إرتباط موجبة ذات دلالة إحصائية بين إدارة الجودة الشاملة، وتحسين القدرة التنافسية في شركات قطاع التأمين.

و الجدول الموالي يوضح ذلك

الجدول رقم ٢٥ نتائج علاقة الارتباط بين إدارة الجودة الشاملة و تحسين القدرة التنافسية .

قيمة t الجدولة		تحسين القدرة التنافسية في قطاع التأمين							المتغير التابع المتغير المستقل دلالة إحصائية 0.05 t 2.704 دلالة إحصائية					
							t	0.01						
							3.307							
0.01	0.05	2.704	3.863	0.470	0.000	8.878	0.282	0.043	إدارة الجودة الشاملة					
			2.177	0.439	0.001	6.897	0.352	0.010						
			2.622	0.407	0.003	6.106	0.319	0.022	t	دلالة	t	0.05	دلالة	
			3.851	0.404	0.004	6.939	0.275	0.049	3.307	إحصائية	2.704		إحصائية	
			-0.330	0.377	0.008	11.509	0.338	0.014						
	3.307		3.338	0.385	0.006	7.746	0.349	0.014	8.411	0.000	14.702	0.291	0.035	
			5.513	0.365	0.008	11.662	0.287	0.046	8.411	0.003	10.955	0.337	0.014	
			-1.067	0.391	0.005	4.272	-0.303	-0.030	5.466	0.000	11.682	0.291	0.035	
			5.513	0.418	0.002	9.074	0.348	0.014	10.803	0.000	18.699	0.337	0.014	
			3.338	0.476	0.000	0.674	0.309	0.027	3.534	0.003				
			-1.201	0.374	0.007	-0.145	0.304	0.032	5.466	0.000				
			0.351	0.365	0.008	3.914	-0.286	0.040	3.534	0.000				
			5.380	0.390	0.004	10.062	0.284	0.043	8.411	0.000				
			4.155	0.538	0.000	3.701	-0.320	0.024						
			3.604	0.564	0.000	6.184	0.298	0.032						
			5.513	0.580	0.000	3.986	0.280	0.045						
			-0.366	-0.408	0.003	7.781	0.334	0.018						
						4.149	0.300	0.033						
						9.649	0.284	0.043						
						2.970	0.357	0.012						
						4.494	-0.300	0.034						
						2.447	-0.309	0.027						
درجة الثقة		النتيجة (القرار)												
%٩٩	%٩٥	توجد علاقة ذات دلالة إحصائية و معنوية موجبة بين المتغيرين عند كل من							%٩٥					
		المستويين ٠.٠٥ و ٠.٠١							%٩٩					

المصدر - إعداد الطالب بالإعتماد على SPSS V 17

ومن خلال الجدول أعلاه ، نلاحظ أن هناك رفضاً لفرضية العدم  $H_0$  وقبول الفرضية البديلة  $H_1$  ، بالنسبة لمتغيرات البعد المستقل ذات الارتباط المعنوي والإحصائي، وهذا مايدل دلالة قاطعة على أن شركات التأمين (عينة الدراسة) لديها قابلية لتطبيق مدخل إدارة الجودة الشاملة في قطاع التأمين لتحسين قدراتها التنافسية ، حيث تشير من جهة نتائج التحليل المعنوي والإحصائي، بأن هناك علاقة إرتباط ذات دلالة إحصائية ومعنوية بالنسبة لمتغيرات إدارة الجودة الشاملة و المتمثلة عند مستوى  $0,05$  ، وهي على التوالي ( $0,035-0,014-0,035$  -  $0,014$ ) وهي أكبر من قيم  $t=2,704$  ، ومستوى  $0,01$  وهي على التوالي ( $0,003-0,000$  -  $0,000-0,000-0,000-0,003-0,000-0,000$  ) وهي أكبر من قيم  $t=3,207$  وعليه يتم رفض فرضية العدم  $H_0$  ، ويتم قبول الفرضية البديلة  $H_1$  ، بمعنى أن هناك علاقة ذات دلالة معنوية وإحصائية عند الفقرات (1-5) ، من الإستبانة و المتمثلة في تحقيق رغبات الزبون، والتحسين المستمر ، و التحكم في التسيير، و ترقية أساليب الأداء، و ضمان الخدمات التأمينية .

ومن جهة أخرى ، تشير نتائج التحليل إلى أن هنا علاقة إرتباط ذات دلالة إحصائية و معنوية بين متغيرات إدارة الجودة الشاملة و تحسين القدرة التنافسية و المتمثلة في القيم التالية عند مستوى  $0,05$  ( $0,043-0,010-0,022-0,049-0,014-0,014-0,046$  -  $0,030-0,014-0,027-0,040-0,043-0,024-0,032-0,045-0,018-0,033$  -  $0,043-0,012-0,034$ ) هي أكبر من قيمة  $t$  المعنوية و المساوية ل  $2,704$  ، وعليه يتم رفض فرضية العدم  $H_0$  وقبول الفرضية البديلة  $H_1$  بالنسبة لمتغيرات تحسين القدرة التنافسية ، أما بالنسبة للقيم التالية عند مستوى  $0,05$  ( $0,027-0,032-0,027$ ) فهي أقل من قيمة  $t$  المعنوية ، وعليه يتم قبول فرضية العدم  $H_0$  ورفض الفرضية البديلة  $H_1$  ، بمعنى تتباين شركات التأمين في تطبيق مدخل إدارة الجودة الشاملة .

أما القيم عند المستوى  $0,01$  ( $0,000-0,004-0,006-0,008-0,002-0,000$ ) هي أكبر من قيمة  $t$  المعنوية و المساوية ل  $3,207$  ، وعليه يتم رفض فرضية العدم  $H_0$  ، وقبول الفرضية البديلة  $H_1$  ما يعني قبول متغيرات تحسين القدرة التنافسية ، بينما للقيم عند المستوى  $0,01$  ( $0,001-0,003-0,008$  -  $0,005-0,007-0,003$ ) ، هي قيم أقل من قيمة  $t$  المعنوية المساوية ل  $3,207$  ، وبالتالي يتم قبول فرضية العدم  $H_0$  ، ورفض الفرضية البديلة  $H_1$  بالنسبة لهذه القيم ، المتمثلة في فقرات البعد التابع لتحسين القدرة التنافسية .

## ٥- إستنتاجات و توصيات

### ٥-١- الإستنتاجات الأولية، المرتبطة بالفرضيات النظرية

لقد أثبتت الدراسة الميدانية حقائق كانت تعد نظرية، وأصبحت واقعية بفضل عملية تحليل معطيات الإستبانة، سوف نلتمسها من خلال مايلي :

الإجابة عن الفرضيات النظرية التفاضلية.

اتضح من خلال الدراسة التطبيقية بأن الفرضية الأولى، اتسمت:

تأكد قبول وإقتناع شركات التأمين بمبادئ إدارة الجودة الشاملة، والأرقام المدرجة في التحليل هي خير دليل على ذلك .

تأكد بأن هناك إمكانية لتطبيق مدخل إدارة الجودة في قطاع التأمين، رغم العراقيل والصعوبات التي تواجه المسؤولين في هذا القطاع .

تأكد بأن سوق التأمين في الجزائر، يسمح بإدراج آليات إستراتيجية، قد تستوعب مبادئ إدارة الجودة الشاملة .

تأكد بأن هناك إمكانية حصول الرضا لدى موظفي القطاع، وارتياحهم لمنهج إدارة الجودة الشاملة .

تأكد بأن لدى الموظفين في قطاع التأمين، فكرة عدم إخفاق إدارة الجودة الشاملة، بالرغم من أنها عملية طويلة المدى .

الإجابة عن الفرضيات النظرية التفاضلية:

بالفعل توجد عراقيل تعيق تطبيق إدارة الجودة الشاملة، إلا أن أرقام الدراسة توضح بأنه يمكن تجاوزها .

نعم بالفعل، أثبتت الأرقام للدراسة الميدانية، بأن هناك غياب الوعي بالعمل الإستراتيجي للتطبيق، لدى شركات التأمين، إلا أن ذلك يتميز بالتذبذب، حسب فترات يمكن التحكم فيها، و بالتالي تخطيها .

لا يوجد عدم إدراك، يتعلق بالتنوير والتحسين المرتبط بإدارة الجودة الشاملة، بل بالعكس الأمر له أهمية بالغة لدى شركات التأمين، يجعلها تفكر بجدية في مسألة تحسين قدرتها التنافسية.

### ٥-٢- الاستنتاجات المرتبطة بالدراسة الميدانية ( إحصائية ومعنوية ) .

لقد تمخض عن هذه الدراسة في شقها التطبيقي، مجموعة من الإستنتاجات نحصرها فيما يلي :

## ٥-٢-١- استنتاجات التحليل الإحصائي

بالنسبة للبعد الأول - تسجيل نسبة موافقة / وموافقة شديدة بنسبة ٩٢, ٧٨٪ ، مع إعطاء اهتمام كبير للفقرة الثانية و المتمثلة في التحسين المستمر لجودة الخدمات التأمينية ، و تميزها بأكبر بوسط حسابي ،مقارنة ببقية العناصر الأخرى .

بالنسبة للبعد الثاني ، تسجيل نسبة الموافقة / م ش ٦٨ , ٥٨٪ ، و تميز الفقرة ١٢ بإرتباط جد قوي مع أكثر من متغير ، ما أظهر أن شركات التأمين تولي أهمية كبيرة بعنصر الخبرة الطويلة و الامكانيات المادية ما يؤهل قطاع التأمين من استيعاب مبادئ إدارة الجودة الشاملة ، كما بالنسبة للفقرة ١٦ التي تتعلق بعنصر التصميم الجيد للقرارات العملية و دورها في التحسين الدائم و المستمر لنظام الخدمات التأمينية ، زيادة على إهتمام شركات التأمين بمستوى تكوين الموظفين ، ما يؤثر على مستوى الأداء ، و نبذ الشعارات .

بالنسبة للبعد الثالث .تشير الأرقام إلى نسبة الموافقة / و م ش بلغت ٧٠٪ ، و تميز هذا البعد بأهمية الفقرة ٢٢ ، التي بينت أن شركات التأمين تسعى دوما الى محاولة تحسين صورتها ، لإكتساب القدرة التنافسية .

أما البعد الرابع فقد سجل موافقة / م ش بلغت ٨٢ , ٥٨٪ ، تمتثل في اهتمام شركات التأمين بعنصر محاولة تفادي الوعود الكاذبة في الإكتتاب بعقود التأمين ، و تميزت بأهمية الفقرة ٢٨ ذات الإرتباط القوي مع أكثر من متغير سلبي و إيجابي ، من ناحية التسيير المحكم ، و الفقرة ٤٠ و المتمثلة في إعطاء شركات التأمين الأهمية لتشكيل حلقات لمناقشة مشاكل العمال و الإدارات داخل قطاع التأمين ، بغية تحسين القدرة التنافسية .

أما البعد الخامس ، فقد سجل بدوره موافقة / م ش بلغت نسبة ١٦ , ٤٤٪ ، فقط نشير هنا الى نسبة الحياد بلغت ١٨ , ٢٦٪ ، و ما يميز هذا البعد هو الأهمية التي توليها شركات التأمين لعنصر الزبون هو الهدف و ليس الخصم في كل عملية النشاط التأميني ، ما يساعد على تحسين القدرة التنافسية .

و أخيرا بالنسبة للبعد السادس ، فقد تم تسجيل نسبة موافقة / م ش بلغت ٤٠ , ٤٠٪ بينما بلغت نسبة الحياد ٧٦ , ٢٠٪ ، مع تميز هذا البعد بالأهمية التي توليها شركات التأمين لعلاج أساليب الممارسات المهنية المحدودة ، لأنها لا تخدم على الإطلاق ، عملية تحسين القدرة التنافسية .

## ٥-٢-٢- تلخيص أهم الاستنتاجات .

و يمكن تلخيص أهم الإستنتاجات العملية، في النقاط التالية، لما لها من أثر كبير في إتخاذ

القرار بشأن تطبيق مدخل إدارة الجودة الشاملة لتحسين القدرة التنافسية ،في قطاع التأمين :  
إهتمام شركات التأمين بعنصر التحسين المستمر لتحسين الخدمات التأمينية .  
عدم إهتمام شركات التأمين بعنصر التحكم في التسييرو التكاليف بالقدر الكافي .  
إهتمام شركات التأمين بتحسين صورتها مع إهمال الشعارات و هذا شيء إيجابي .  
عدم إهتمام شركات التأمين بعنصر توفير مصالح مختصة لمعالجة شكاوي الزبائن .  
اهتمام شركات التأمين بتفادي الوعود الكاذبة المرتبطة بلاكتتاب بعقود التأمين .  
عدم إهتمام شركات التأمين بتوفير مركز توثيق حديث .  
إهتمام شركات التأمين بعنصر الزبون هو الهدف و ليس الخصم .  
عدم إهتمام شركات التأمين بعنصر سد الفراغ في عملية التعاقب على المسؤوليات بمعنى لا  
تعالج هذه الآفة بشكل صارم و جدي .  
عدم إهتمام شركات التأمين بعنصر تحدي العقبات في عملية إدخال إدارة الجودة الشاملة ، مع  
العلم أن إدارة الجودة الشاملة عملية طويلة و شاقة .

### ٣-٥- توصيات

نتيجة الإستنتاجات ، و بناءً على كل الملاحظات يمكن تلخيص بعض التوصيات في النقاط  
التالية :

ضرورة إلتفاتة شركات التأمين ، عاجلا في عنصر التحكم في التسيير و بالتالي تقليل  
التكاليف لتسهيل عملية تبني مبادئ إدارة الجودة الشاملة و يكفل تحسين القدرة التنافسية .  
ضرورة إيجاد ، و بأسرع مايمكن مصالح مختصة لمعالجة شكاوي الزبائن ، و بشكل فعلي  
واقعي داخل قطاع التأمين ، ما يكون له الأثر الكبير في حل العديد من المشاكل التي تعيق تبني  
منهج إدارة الجودة الشاملة .

الإسراع في توفير مركز توثيق حديث ، يتماشى مع متغيرات النشاط التأمين و يكفل الرقابة  
و يجمع الغش و التحايل على شركات التأمين .

ضرورة معالجة و في أسرع وقت ، مشكل غياب الهدف بإستمرار ، الذي لا يخدم على  
الإطلاق مصلحة الإدارة العليا .

٥- تجنب الشعارات و بالأخص الكاذبة منها ، و عدم الوفاء بالعهود و الإلتزامات تجاه  
الزبائن ، و هذا ما يتعلق بأصحاب القرار .

## الخاتمة العامة

يمكن القول إن هناك إشكالاً في تطبيق إدارة الجودة الشاملة في قطاع التأمين، يعود حسب إستنتاجاتنا من خلال الدراسة الميدانية إلى صعوبة قياس النجاح على المدى القصير أو المتوسط ، مع الكيفيات والطرق العديدة والأساليب المختلفة ، فهل يؤخذ بمعيار الجوائز والتميز أو من خلال النجاح في الحصول على رقم أعمال أو حصة سوقية و الربحية الجيدة التي تفسر تحسين القدرة التنافسية في هذا القطاع؟ أو مستوى فعالية التنفيذ ، و الحكم من خلال مشاركة الموظفين ، أو رضا العملاء مع العلم أن كل هذه المؤشرات ، يمكن وضع مقاس لها ، و يمكن تحديد أداء كل منها على أعلى مستوى في التنفيذ لدى إدارة قطاع التأمين ، و بالتالي تكون الوسيلة الأكثر فعالية في التقييم، و يمكن الأخذ بها باعتبارها هدفاً يحقق القياس في إطار زمني ممتد حسب نشاطات القطاع .

و تبقى المشاكل الرئيسية مطروحة للنقاش، و تتمثل في عدم إمكانية تكوين أي فكرة عن آفاق أداء شركة التأمين عند مقارنتها مع منافسيها من الشركات الأخرى المنتمية الى القطاع نفسه و نقصد الشركات الأجنبية على وجه التحديد، نتيجة ظروف العولمة و الظروف التي يفرضها السوق العالمي للتأمين بصفة خاصة ، لذا تم إعتقاد الهدف من إدارة الجودة الشاملة، تحسين القدرة التنافسية في قطاع التأمين حتى يتسنى لنا تقييم المعايير عن طريق تحكيم الإستبانة المعبرة عن فعالية المبادئ التوجيهية للتقييم الفعلي ، و بالتالي دمج تنفيذ هذا المنهج الى محرك التميز و التنافس من خلال ترجمة الفرضيات إلى واقع يجعل ذلك يتناسب مع التنفيذ المتمثل في تحسين القدرة التنافسية، على إعتبار أن الجودة قضية إستراتيجية ، و الموظفين هم أساس تحقيق الجودة و التحسين المستمر، الهدف منه تقديم قيمة مضافة تسهم في ترقية هذا القطاع .

د. محمد غادر  
مدقق الحسابات

## محددات الحوكمة ومعاييرها GOVERNANCE Guidance & Objectives

### المبحث الاول: تعريف الحوكمة والهدف منها

مصطلح الحوكمة هو الترجمة المختصرة التي راجت للمصطلح Corporate Governance، أما الترجمة العلمية لهذا المصطلح، والتي اتفق عليها، فهي: «أسلوب ممارسة سلطات الإدارة الرشيدة».

وقد تعددت التعريفات المقدمة لهذا المصطلح، بحيث يدل كل مصطلح عن وجهة النظر التي يتبناها مقدم هذا التعريف، فتعرف مؤسسة التمويل الدولية IFC الحوكمة بأنها: «هي النظام الذي يتم من خلاله إدارة الشركات والتحكم في أعمالها».<sup>(1)</sup>

كما تعرفها منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية OECD بأنها: «مجموعة من العلاقات فيما بين القائمين على إدارة الشركة ومجلس الإدارة وحملة الأسهم وغيرهم من المساهمين».<sup>(2)</sup>

---

1- Alamgir, M. (2007). *Corporate Governance: A Risk Perspective*, paper presented to: Corporate Governance and Reform: Paving the Way to Financial Stability and Development, a conference organized by the Egyptian Banking Institute, Cairo, May 7 – 8.

2- Freeland, C. (2007). *Basel Committee Guidance on Corporate Governance for Banks*, paper presented to: Corporate Governance and Reform: Paving the Way to Financial Stability and Development, a conference organized by the Egyptian Banking Institute, Cairo, May 7 – 8.

وهناك من يعرفها بأنها: « مجموعة «قواعد ادارية» تستخدم لإدارة الشركة من الداخل، ولقيام مجلس الإدارة بالإشراف عليها لحماية المصالح والحقوق المالية للمساهمين».<sup>(١)</sup> وبمعنى آخر، فإن الحوكمة تعني النظام العام، أي وجود نظم تحكم العلاقات بين الأطراف الأساسية التي تؤثر في الأداء، كما تشمل مقومات تقوية المؤسسة على المدى البعيد وتحديد المسؤول عن التصرفات الادارية والمالية غير الصحيحة، مع تحميل المسؤولية لكل من الحق ضرر بالمصلحة العامة.

ويمكن ان نعرف الحوكمة بأنها مجموعة من القوانين والنظم والقرارات التي تهدف إلى تحقيق الجودة والتميز في الأداء الاداري عن طريق اختيار الأساليب المناسبة والفعالة لتحقيق خطط وأهداف اي عمل منظم سواء في وحدات القطاع الخاص او في وحدات القطاع العام .

وقد ظهرت الحاجة إلى الحوكمة في العديد من الاقتصاديات المتقدمة والناشئة خلال العقود القليلة الماضية، خاصة في أعقاب الانهيارات الاقتصادية والأزمات المالية التي شهدتها عدد من دول شرق آسيا وأمريكا اللاتينية وروسيا في عقد التسعينات من القرن العشرين، وكذلك ما شهده الاقتصاد الأمريكي مؤخرا من انهيارات مالية ومحاسبية خلال عام ٢٠٠٢. وتزايدت أهمية الحوكمة نتيجة لاتجاه كثير من دول العالم إلى التحول إلى النظم الاقتصادية الرأسمالية التي يعتمد فيها بدرجة كبيرة على الشركات الخاصة لتحقيق معدلات مرتفعة ومتواصلة من النمو الاقتصادي، وقد أدى اتساع حجم تلك المشروعات إلى انفصال الملكية عن الإدارة، وشرعت تلك المشروعات في البحث عن مصادر للتمويل أقل تكلفة من المصادر المصرفية، فاتجهت إلى أسواق المال. وساعد على ذلك ما شهده العالم من تحرير للأسواق المالية، فتزايدت انتقالات رؤؤس الأموال عبر الحدود بشكل غير مسبوق، ودفع اتساع حجم الشركات وانفصال الملكية عن الإدارة إلى ضعف آليات الرقابة على تصرفات المديرين، وإلى وقوع كثير من الشركات في أزمات مالية.

ومن أبرزها دول جنوب شرق آسيا في أواخر التسعينات، ثم توالى بعد ذلك الأزمات، ولعل من أبرزها أزمة شركتي أنرون وورلد كوم في الولايات المتحدة في عام ٢٠٠١. وقد دفع ذلك العالم للاهتمام بالحوكمة.<sup>(٢)</sup> وعلى ذلك، تهدف قواعد وضوابط الحوكمة إلى تحقيق الشفافية

١- النشره الاقتصادية، أسلوب ممارسة سلطات الإدارة الرشيدة في الشركات: حوكمة الشركات..، العدد الثاني، المجلد السادس والخمسون، ٢٠٠٢.

٢- راجع في تفصيل ذلك، كل من:

أسلوب ممارسة سلطات الإدارة الرشيدة في الشركات: حوكمة الشركات. مرجع سبق ذكره. ص: ١١.

- إبراهيم العيسوي، التنمية في عالم متغير: دراسة في مفهوم التنمية ومؤشراتها. القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٢. ص: ٢٦ - ٢٧.  
- Fawzy, S. (April 2003). Assessment of Corporate Governance in Egypt. Working Paper No. 82. Egypt, The Egyptian Center for Economic Studies. pp: 6-7.

والعدالة، ومنح حق مساءلة إدارة المنظمة، وبالتالي تحقيق الحماية لاصحاب الحقوق وحملة الوثائق جميعاً، مع مراعاة مصالح العمل والعمال، والحد من استغلال السلطة في غير المصلحة العامة، بما يؤدي إلى تنمية الاستثمار وتشجيع تدفقه، وتنمية المدخرات، وتعظيم الربحية، وإتاحة فرص عمل جديدة. كما أن هذه القواعد تؤكد على أهمية الالتزام بأحكام القانون، والعمل على ضمان مراجعة الأداء المالي، ووجود هياكل إدارية تمكن من محاسبة الإدارة أمام الملاك، مع تكوين لجنة مراجعة من غير أعضاء مجلس الإدارة التنفيذية تكون لها مهام واختصاصات وصلاحيات عديدة لتحقيق رقابة مستقلة على التنفيذ.

كما ظهر مفهوم حوكمة القطاع العام أو ما يعرف بحوكمة الحكومات بشكل تطبيقي في نقاشات قاداتها وزارة المالية الهولندية في عام ٢٠٠٠ حين عقدت عدداً من الاجتماعات وورش العمل بهدف تفعيل دور حوكمة القطاع العام في هولندا ومحاولة للإجابة عن ماهية هذا النوع من الحوكمة وكيفية تطبيقها.

إن أهم ما عنيت به حوكمة القطاع العام هو تكريس تضافر الجهود من كافة القطاعات الحكومية لدرء حدوث الأزمات الإدارية التي تؤدي بشكل عام إلى هدر الأموال الحكومية والعامة وإلى فقدان التحكم في النظام الإداري وفقدان المسؤوليات عند حدوث خلل في تطبيق الأنظمة والمشاريع المختلفة أو تشغيل العمليات العامة بشكل يعرف بالأفقي بين دوائر القطاع العام.

وإن تطوير مبادئ ونهج حوكمة القطاع العام هي مسؤولية الجميع بلا استثناء، إلا أن تطبيقها يتطلب العمل الجاد لتفعيل برامج التوعية سواء للإدارات نفسها أو للمواطن، مع تفعيل الرأي العام والسماح له المشاركة في صناعة القرارات.

تعد حوكمة القطاع العام مشروعاً وطنياً يبدأ بالإرادة والعزيمة على تكريس الشفافية في القطاعات المشتركة بنظرة أفقية لا عمودية، ويعمل المشروع على محاور عدة من أبرزها معالجة حالات تعارض المصالح وانعدام المسؤوليات وتقليل المخاطر والخسائر المتوقعة بكافة أوجهها، ويعتمد المشروع اعتماداً جذرياً على قياس وتقييم الأداء المشترك بين دوائر القطاع العام. فلا يجزئ النظر لدائرة دون أخرى. وهنا فإن تقييم الأداء لا يقصد به الأداء المالي من حيث دراسة وتحليل ميزانيات القطاعات المختلفة بل يعتمد أيضاً على قياس مستوى الخدمة العامة وعلى مقدار المعرفة والنصح الناشئين من جراء تطبيق حوكمة القطاع العام.

إن حوكمة القطاع العام في أغلب دول العالم تعد مطلباً ملحاً في الوقت الحاضر بشكل أكبر من أي وقت مضى. فقد أولت الدول كامل اهتمامها للتطوير بشكل عام من خلال المبادرات والمشاريع المختلفة التي ينصب جلها في إصلاح الأنظمة الإدارية والتشغيلية في القطاعات

العامّة المختلفة. ونحن في انتظار مبادرات هامة وجديّة ذات أهمية لتفعيل حوكمة القطاع العام في لبنان لوضع الحلقة المفقودة في سلسلة التطوير التي نرغب ان تشهدها بلادنا.

وتعود اهمية الحوكمة في وحدات القطاع العام إلى أهمية تأسيس وتفعيل دور وحدات المراجعة الداخلية في القطاعات العامّة والحكوميّة، والتأكد من استقلالها، وعدم ارتباطها تنظيمياً بالإدارات التنفيذيّة المباشرة كما هو معمول به حالياً وفي أغلب الدول .

وأن استقلال وحدات المراجعة الداخلية يعد مطلباً أساسياً لدحض أي عارض قد يؤدي إلى تضارب المصالح عند تطبيق الخطط العامّة والخاصة المرتبطة بما يصدر عن تقارير المراجعين الداخليين أو الخارجيين فكيف اذا لم تكن هذه الوحدات موجودة اصلاً كما هو الحال في الانظمة الادارية الحكوميّة الحاليّة ، ومنها الانظمة الادارية الحاليّة في اغلب ادارات الدولة في لبنان .

### **المبحث الثاني: محددات الحوكمة**

هناك اتفاق على أن التطبيق الجيد لحوكمة المنظمات من عدمه يتوقف على مدى توافر ومستوى جودة مجموعتين من المحددات هما : المحددات الخارجية والمحددات الداخلية ويمكن عرض هاتين المجموعتين من المحددات بشيء من التفصيل كما يلي:

#### **المحددات الخارجية**

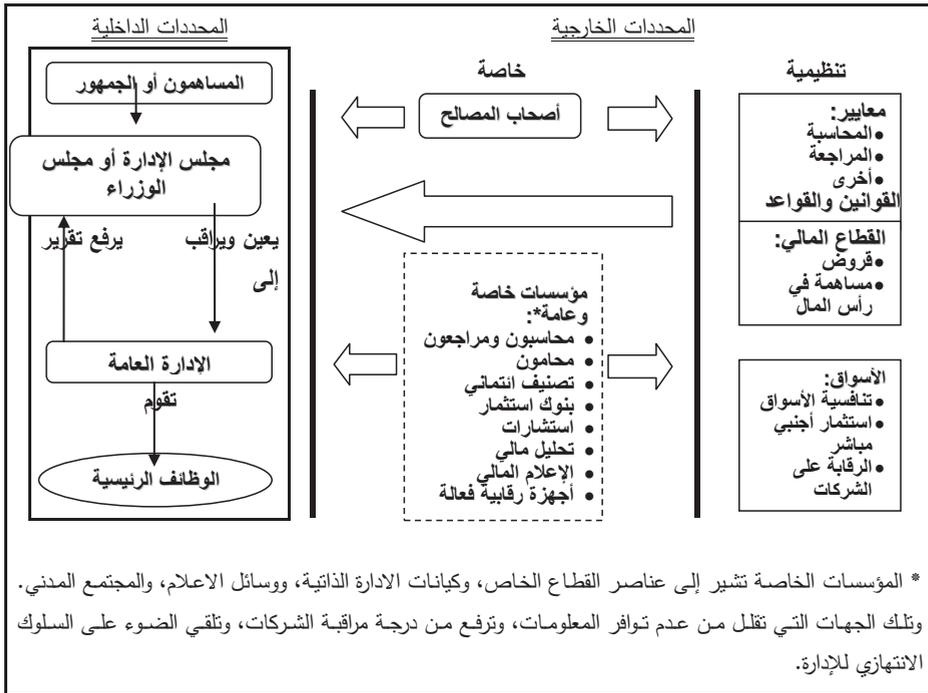
وتشير إلى المناخ العام للاستثمار في الدولة، والذي يشمل على سبيل المثال: القوانين المنظمة للنشاط الاقتصادي (مثل قوانين سوق المال والشركات وتنظيم المنافسة ومنع الممارسات الاحتكاريّة والإفلاس ومكافحة الفساد) ، وكفاءة القطاع المالي (البنوك وسوق المال) في توفير التمويل اللازم للمشروعات، ودرجة تنافسيّة أسواق السلع وعناصر الإنتاج، وكفاءة الأجهزة والهيئات الرقابية في إحكام الرقابة على جميع منظمات المجتمع وذلك فضلاً عن بعض المؤسسات ذاتية التنظيم التي تضمن عمل الأسواق بكفاءة ( ومنها على سبيل المثال الجمعيات المهنية التي تضع ميثاق شرف للعاملين في السوق، مثل المراجعين والمحاسبين والمحامين والشركات العاملة في سوق الأوراق المالية وغيرها ) ، بالإضافة إلى المؤسسات الخاصّة للمهن الحرة مثل مكاتب المحاماة والمراجعة والتصنيف الائتماني والاستشارات الماليّة والاستثمارية اضافة الى وجود جهاز قضائي شفاف وعادل وقادر على تحديد المسؤولية ومحاكمة مرتكبي المخالفات الادارية والمالية وفي الاوقات السريعة والمناسبة . وترجع أهمية المحددات الخارجية إلى أن وجودها يضمن تنفيذ القوانين والقواعد التي تضمن حسن إدارة المنظمات ،

والتي تقلل من التعارض بين العائد الاجتماعي والعائد الخاص.<sup>(١)</sup>

### المحددات الداخلية :

وتشير إلى القواعد والأسس التي تحدد كيفية اتخاذ القرارات وتوزيع السلطات داخل المنظمة بين الجمعية العامة ومجلس الإدارة والمديرين التنفيذيين، والتي يؤدي توافرها من ناحية وتطبيقها من ناحية أخرى إلى تقليل التعارض بين مصالح هذه الأطراف الثلاثة.<sup>(٢)</sup>

شكل (١) : المحددات الخارجية والداخلية للحكومة



المصدر: Iskander, M. and N. Chamlou. (2002). Corporate Governance: A Framework for Implementation. P: 122, Fig. 6.1. Published in: Globalization and Firm Competitiveness in the Middle East and North Africa Region, edited by: S. Fawzy. Washington: World Bank.

وتؤدي الحوكمة في النهاية إلى زيادة الثقة في الاقتصاد القومي، وتعميق دور سوق المال، وزيادة قدرته على تعبئة المدخرات ورفع معدلات الاستثمار، والحفاظ على حقوق الأقلية أو صغار المستثمرين. ومن ناحية أخرى، تشجع الحوكمة على نمو القطاع الخاص ودعم قدراته التنافسية، وتساعد المشروعات في الحصول على التمويل وتوليد الأرباح، وأخيراً خلق فرص عمل. كما تساهم

Fawzy, S. *Ibid.* pp: 3-4. -1

*Ibid.* p: 4. -2

في محاربة الفساد وملاحقة المفسدين ، وتساعد على ظهور قطاع عام قادر وفاعل يؤمن خدمة المجتمع ويوفر معدلات عالية من النمو ويحمي القطاع الخاص وينشطه ويرعى كافة مصالحه .

### المبحث الثالث : معايير الحوكمة

نظرا للاهتمام المتزايد بمفهوم الحوكمة، فقد حرصت عديد من المؤسسات على دراسة هذا المفهوم وتحليله ووضع معايير محددة لتطبيقه. ومن هذه المؤسسات: منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، وبنك التسويات الدولية BIS ممثلا في لجنة بازل، ومؤسسة التمويل الدولية التابعة للبنك الدولي. وفي الواقع، نجد أنه كما اختلفت التعريفات المعطاة لمفهوم الحوكمة، فقد اختلفت كذلك المعايير التي تحكم عملية الحوكمة، وذلك من منظور وجهة النظر التي حكمت كل جهة تضع مفهوما لهذه المعايير، وذلك على النحو التالي:

معايير منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية<sup>(١)</sup>

يتم تطبيق الحوكمة وفق خمسة معايير توصلت إليها منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية في عام ١٩٩٩، علما بأنها قد أصدرت تعديلا لها في عام ٢٠٠٤<sup>(٢)</sup> وتتمثل في:

#### ضمان وجود أساس لإطار فعال لحوكمة الشركات

يجب أن يتضمن إطار حوكمة الشركات كلا من تعزيز شفافية الأسواق وكفاءتها، كما يجب أن يكون متناسقا مع أحكام القانون، وأن يصيغ بوضوح تقسيم المسؤوليات فيما بين السلطات الإشرافية والتنظيمية والتنفيذية المختلفة.

#### حفظ حقوق جميع المساهمين

وتشمل نقل ملكية الأسهم، واختيار مجلس الإدارة، والحصول على عائد في الأرباح، ومراجعة البيانات المالية، وحق المساهمين في المشاركة الفعالة في اجتماعات الجمعية العامة.

#### المعاملة المتساوية بين جميع المساهمين

وتعنى المساواة بين حملة الأسهم داخل كل فئة، وحقهم في الدفاع عن حقوقهم القانونية، والتصويت في الجمعية العامة على القرارات الأساسية، وكذلك حمايتهم من أي عمليات استحواذ

١- انظر في تفصيل ذلك:

أسلوب ممارسة سلطات الإدارة الرشيدة في الشركات: حوكمة الشركات. مرجع سبق ذكره. ص: ١١. فؤاد شاكر، الحكم الجيد في المصارف والمؤسسات المالية العربية حسب المعايير العالمية، ورقة مقدمة إلى المؤتمر المصري العربي لعام ٢٠٠٥ المشاركة بين العمل المصرفي والاستثمار من أجل التنمية، منشورة في:

Egyptian Banking Institute, *Corporate Governance in the Banking Sector Workshop*, March 2006.

Fawzy, S. *Ibid*. pp: 5-6.

2 - OECD, *OECD Principles of Corporate Governance*, 2004.

أو دمج مشكوك فيها، أو من الاتجار في المعلومات الداخلية، وكذلك حقهم في الاطلاع على كافة المعاملات مع أعضاء مجلس الإدارة أو المديرين التنفيذيين.

دور أصحاب المصالح في أساليب ممارسة سلطات الإدارة بالشركة وتشمل احترام حقوقهم القانونية، والتعويض عن أي انتهاك لتلك الحقوق، وكذلك آليات مشاركتهم الفعالة في الرقابة على الشركة، وحصولهم على المعلومات المطلوبة. ويقصد بأصحاب المصالح البنوك والعاملين وحملة السندات والموردين والزبائن.

### الإفصاح والشفافية

وتتناول الإفصاح عن المعلومات الهامة ودور مراقب الحسابات، والإفصاح عن ملكية النسبة العظمى من الأسهم، والإفصاح المتعلق بأعضاء مجلس الإدارة والمديرين التنفيذيين. ويتم الإفصاح عن كل تلك المعلومات بطريقة عادلة بين جميع المساهمين وأصحاب المصالح في الوقت المناسب ودون تأخير.

### مسؤوليات مجلس الإدارة

وتشمل هيكل مجلس الإدارة وواجباته القانونية، وكيفية اختيار أعضائه ومهامه الأساسية، ودوره في الإشراف على الإدارة التنفيذية.

### ب - معايير لجنة بازل للرقابة المصرفية العالمية (Basel Committee) <sup>(1)</sup>

وضعت لجنة بازل في العام ١٩٩٩ إرشادات خاصة بالحوكمة في المؤسسات المصرفية والمالية، وهي تركز على النقاط التالية:

قيم الشركة وموائيق الشرف للتصرفات السليمة وغيرها من المعايير للتصرفات الجيدة والنظم التي يتحقق باستخدامها تطبيق هذه المعايير.

إستراتيجية للشركة معدة جيدا، والتي بموجبها يمكن قياس نجاحها الكلي ومساهمة الأفراد في ذلك.

التوزيع السليم للمسؤوليات ومراكز اتخاذ القرار متضمنا تسلسلا وظيفيا للموافقات المطلوبة من الأفراد للمجلس.

وضع آلية للتعاون الفعال بين مجلس الإدارة ومدققي الحسابات والإدارة العليا.

توافر نظام ضبط داخلي قوي يتضمن مهام التدقيق الداخلي والخارجي وإدارة مستقلة للمخاطر عن خطوط العمل مع مراعاة تناسب السلطات مع المسؤوليات (Checks & Balances).

١- فؤاد شاكر، الحكم الجيد في المصارف والمؤسسات المالية العربية حسب المعايير العالمية، مرجع سبق ذكره.

مراقبة خاصة لمراكز المخاطر في المواقع التي يتصاعد فيها تضارب المصالح، بما في ذلك علاقات العمل مع المقترضين المرتبطين بالمصرف وكبار المساهمين والإدارة العليا، أو متخذي القرارات الرئيسية في المؤسسة.

الحوافز المالية والإدارية للإدارة العليا التي تحقق العمل بطريقة سليمة، وأيضاً بالنسبة للمديرين أو الموظفين سواء كانت في شكل تعويضات أو ترقيات أو عناصر أخرى. تدفق المعلومات بشكل مناسب داخليا أو إلى الخارج.

### ج - معايير مؤسسة التمويل الدولية<sup>(١)</sup>

وضعت مؤسسة التمويل الدولية التابعة للبنك الدولي في عام ٢٠٠٣ موجهاً وقواعد ومعايير عامة تراها أساسية لدعم الحوكمة في المؤسسات على تنوعها، سواء كانت مالية أو غير مالية، وذلك على مستويات أربعة كالتالي:

الممارسات المقبولة للحكم الجيد .

خطوات إضافية لضمان الحكم الجيد الجديد .

إسهامات أساسية لتحسين الحكم الجيد محليا .

القيادة العليا .

### معايير الحوكمة للمؤسسات والادارات العامة

يمكن اعتبار قواعد حوكمة المؤسسات العامة مكملة للقواعد والنصوص التي تحكم هذه الشركات في ظل القوانين واللوائح المنظمة لها. وقد تم الاقتداء بمبادئ منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية OECD لحوكمة الشركات المملوكة للدولة بوصفها مرجعاً عند وضع مبادئ الحوكمة لشركات قطاع الأعمال العامة في اي دولة .

وتتقسم هذه المبادئ إلى ست مجموعات :

١ - التأكيد علي وجود إطار تنظيمي وقانوني فعال للمؤسسات والادارات العامة من خلال اعتماد وحدات للمراجعة الداخلية .

٢- المعاملة المتساوية لحملة الأسهم (الملاك مساهمة الدولة او الافراد) .

٤-العلاقات مع الأطراف ذات المصالح من خلال تفعيل وحدات للمراجعة الداخلية في كافة ادارات الدولة الشفافية والإفصاح من خلال تفعيل عمل الاجهزة الرقابية (ديوان المحاسبة .

١- فؤاد شاكر، المرجع السابق.

مجلس الخدمة المدنية ، التفتيش المركزي ، واي أجهزة رقابية اخرى).

٦ - مسؤوليات مجالس إدارة المؤسسات العامة

... وأخيراً فإن تطبيق محددات ومبادئ الحوكمة يؤدي الى تحقيق الشفافية ويساعد على جذب استثمارات جديدة محلية وأجنبية ويؤدي الى تراجع الفساد وتطوير القطاعين العام والخاص . وفي النهاية نشير إلى أن دور الحوكمة لا يقتصر على وضع القواعد والقوانين ومراقبة تطبيقها ولكن يمتد ليشمل أيضاً توفير البيئة اللازمة لدعم مصداقيتها وهذا لا يتحقق إلا بالتعاون بين كل من الحكومات والسلطات الرقابية والقطاع الخاص والفاعلين الآخرين من اصحاب الخبرة بما فيهم الجمهور.

## د. حَسَنُ مُحَمَّدٍ الرَّفَاعِي

الأستاذ المشارك في مواد الاقتصاد الإسلامي والمصارف الإسلامية وفقه المعاملات  
جامعة الجنان ، طرابلس ، لبنان

### نحو تطوير السياسات الزكوية: من سياسة التمويل الاستهلاكي إلى سياسة التمويل الإنتاجي

يذكر الإمام النووي أحوال الفقراء من جهة الاحتراف من عدمه ، وكيفية التعاطي معهم من خلال سياسة التمويل الإنتاجي عوض سياسة التمويل الاستهلاكي فيقول<sup>(١)</sup> :

قال أصحابنا : فإن كان عادته الاحتراف؛ أعطي ما يشتري به حرفته أو آلات حرفته قلت قيمة ذلك أم كثرت ، ويكون قدره بحيث يحصل له من ربحه ما يفي بكفايته غالباً تقريباً ، ويختلف ذلك باختلاف الحرف والبلاد والأزمان والأشخاص. وقرب جماعة من أصحابنا ذلك فقالوا : من يبيع البقل يعطي خمسة دراهم أو عشرة ، ومن حرفته بيع الجوهر يعطي عشرة آلاف درهم مثلاً إذا لم يتأت له الكفاية بأقل منها ، ومن كان تاجراً أو خبازاً أو عطاراً أو صرافاً أعطي بنسبة ذلك ، ومن كان خياطاً أو نجاراً أو قصاراً أو قصاباً أو غيرهم من أهل الصنائع أعطي ما يشتري به الآلات التي تصلح لمثله ، وإن كان من أهل الضياع ( المزارع ) يعطي ما يشتري به ضيعة (مزرعة) أو حصة في ضيعة (مزرعة) تكفيه غلتها على الدوام....

قال أصحابنا: فإن لم يكن محترفاً ولا يحسن صنعة أصلاً ولا تجارة ولا شيئاً من أنواع المكاسب: أعطي كفاية العمر الغالب لأمثاله في بلاده ولا يتقدر بكفاية سنة. قال المتولي وغيره: يعطي ما يشتري به عقاراً يستغل منه كفايته.

١- النووي ، محيي الدين يحيى بن شرف، المجموع شرح المهذب ، ج٦، المطبعة المنيرية، القاهرة، مصر، لاط. لات، ص ١٩٢ .  
١٩٥، ١٩٤.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله وكفى ، وسلام على رسوله الذي اصطفى ، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى ،

وبعد :

فمن حقّ منطري السياسات الاقتصادية والمالية الإسلامية أن تكون لهم وجهة نظرهم المستنبطة من قواعد النظام الاقتصادي والمالي الإسلامي في إدارة المشاكل الاقتصادية التي تصيب دولهم ودول العالم كافة ، وذلك عبر الاستفادة من تطبيقاتها (وجهة النظر) لتحقيق شعار: نحو نمو مستدام وتنمية اقتصادية شاملة من منظور إسلامي.

وإنّ فريضة الزكاة تعتبر إحدى أهم الأدوات المالية المسهمة في إدارة المشاكل الاقتصادية من فقر وبطالة وانكماش وكساد وغيرها ، بالإضافة إلى تحقيق نمو مستدام عبر تنمية اقتصادية ، وذلك كله في حال إحسان تطبيقاتها من قبل القيميين على تنفيذها جباية وإنفاقاً .

وإنّ الناظر في سلوك المؤسسات الزكوية الراهنة يجد أنها تعتمد غالباً سياسة التمويل الاستهلاكي بالنسبة للفقراء والمساكين ، الأمر الذي لا يسهم في إعطاء الزكاة الدور التنموي الذي كان من المفترض أن تقوم به بالشكل الأمثل .

ومن خلال استقراء الواقع الزكوي لأداء أهم المؤسسات الزكوية الراهنة الموجودة على ساحة العالم العربي لمس الباحث أن السياسة الزكوية المعتمدة هي سياسة التمويل الاستهلاكي التي لا تخدم البعد التنموي للزكاة بالشكل الأمثل ، ولذلك دعا إلى إقرانها بسياسة التمويل الإنتاجي المؤدية لإدارة مشكلة الفقر بالشكل الأمثل ، وإخراج الكثير من الفقراء من نطاق الفقر إلى نطاق الكفاية وربما الغنى ، الأمر الذي يسهم في تحقيق تنمية اقتصادية مؤدية إلى تحقيق نمو اقتصادي مستدام في المجتمعات التي تطبق هذه السياسة المقترحة من قبل الباحث ، والتي أراد توضيحها من خلال عنوان بحثه: نحو تطوير السياسات الزكوية : من سياسة التمويل الاستهلاكي إلى سياسة التمويل الإنتاجي. علماً أن جانب التطوير يتناول الأساليب الزكوية من جهة تمويل الفقراء والمساكين دون المفاهيم المرتبطة بهذه العبادة ؛ خصوصاً فيما له علاقة بمصارفها وأساليب جبايتها .

وباختصار يمكن القول: إنّ هذا البحث يدعو إلى الوصول إلى الهدف الآتي: توليد المال الاستهلاكي من المال الزكوي عبر التمويل الإنتاجي للفقير أو عبر استثمار هذا المال وتوزيع هذا العائد عليه (الفقير) ، وبالتالي يصبح الفقير مستهلكاً من عائد إنتاجه أو ربحه .

## القسم الأول: تطوير السياسات الزكوية: بيان المفاهيم والواقع والأحكام

يتضمن هذا القسم بيان أهم المفاهيم والواقع والأحكام المرتبطة بمصطلح «تطوير السياسات الزكوية: من سياسة التمويل الاستهلاكي إلى سياسة التمويل الإنتاجي»، وذلك وفق الترتيب الآتي:

### أولاً: مفهوم مفردات العنوان:

بعد قراءة عنوان البحث: «نحو تطوير السياسات الزكوية: من سياسة التمويل الاستهلاكي إلى سياسة التمويل الإنتاجي»، يتبين أن هناك عدة مصطلحات تحتاج إلى تعريف. والباحث يجزئه إلى ثلاثة أقسام، وهي: ١- تطوير السياسات الزكوية. ٢- سياسة التمويل الاستهلاكي. ٣- سياسة التمويل الإنتاجي. ثم يذكر تعريفاً عاماً لتلك الأقسام الثلاثة، وذلك وفق الترتيب الآتي:

### تعريف «تطوير السياسات الزكوية»:

سيتم تعريف هذا المصطلح من خلال تجزئة مفرداته أولاً، ثم استنتاج التعريف النهائي من بيان تعريف المفردات.

فالتطوير لغةً مصدر مشتق من الفعل طوّر، ويقال: طوّره:حوّله من طور إلى آخر. ويقال أيضاً: تطوّر: تحوّل من طور إلى طور. أما التطوير اصطلاحاً: فيطلق على عدّة معانٍ؛ منها التغيير التدريجي الذي يحدث في تركيب المجتمع أو العلاقات أو النظم أو القيم السائدة فيه<sup>(١)</sup>. ويمكن إدراج السياسات ضمن ما تقدّم، لأنه يدخلها التغيير التدريجي.

والسياسات جمع سياسة؛ وهي لغةً: مصدر مشتق من الفعل ساس، يقال: ساس الناس يسوس سياسة: تولى رياستهم وقيادتهم. وساس الأمور: دبرها وقام بإصلاحها<sup>(٢)</sup>.

أما السياسة اصطلاحاً، فإنها تعرّف تبعاً لما تضاف إليه من مصطلحات؛ فيقال السياسة الاقتصادية<sup>(٣)</sup> للتعبير عن الإجراءات العملية التي تتخذها الدولة بهدف التأثير في الحياة الاقتصادية. أما السياسة الاقتصادية في الإسلام فتعرّف بأنها الإجراءات العملية التي تباشرها الدولة في تحقيق أهداف النظام الاقتصادي الإسلامي، وحلّ المشاكل الاقتصادية التي تواجه المجتمع الإسلامي.

١- د. أنيس، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، ج٢، لا ذكر للدار ولا للتاريخ، ط٢، ص ٥٦٩.

٢- المرجع نفسه، ج١، ص ٤٦٢.

٣- د. عفر، محمد عبد المنعم، الاقتصاد الإسلامي: الاقتصاد الكلي، ج٤، دار البيان العربي، جدة، السعودية، ط١، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م، ص ٣٠١ بتصرّف.

ويقال أيضاً السياسات المالية<sup>(١)</sup>، وذلك للتعبير عن الإجراءات التي تتخذها الحكومة من خلال الميزانية العامة للدولة ( مضافاً إليها الميزانيات المستقلة لبعض الأجهزة والجهات الحكومية) بقصد تحقيق أهداف اقتصادية وغير اقتصادية معيّنة ، أو بعبارة مختصرة أخرى<sup>(٢)</sup>: هي تلك القرارات والمواقف والإجراءات والسياسات العامة التي تتخذ لتنظيم الشؤون المالية للدولة. مع الإشارة إلى أن الزكاة تعتبر إحدى أدوات السياسة المالية، لأنها تعتبر إحدى الموارد المالية للدولة الإسلامية.

أما مصطلح «الزكويّة»؛ فهو مصدر صناعي مشتق من مفردة الزكاة، وذلك لإضافة باء النسبة إليه مرفقة ببناء التأنيث. والزكاة في اللغة<sup>(٣)</sup> تأتي بمعنى النماء والزيادة والبركة والطهارة والصلاح، وتطلق في الشرع على الحصة المقدّرة من المال التي فرضها الله سبحانه للمستحقين، كما تطلق على نفس إخراج تلك الحصة.

أما تعريف «السياسة الزكوية» فلم يعثر الباحث على تعريف لها ، لا في المعاجم الفقهية ولا معاجم الاقتصاد المالي الإسلامي ، ويرجح أنه مصطلح يستخدم للمرّة الأولى ، ولذلك يجتهد في تعريفه على الشكل الآتي: هي تلك القرارات والإجراءات العملية التي يتخذها وليّ الأمر أو إدارة المؤسسة الزكوية ، والمرتبطة بفريضة الزكاة على صعيد الجباية والإنفاق (التمويل) .

وبناءً عليه ؛ يمكن تعريف هذا الجزء من التعريف «تطوير السياسة الزكوية» بأنه التغيير التدريجي أو التغيير من طور إلى طور في القرارات والإجراءات العملية المرتبطة بفريضة الزكاة على صعيد الجباية أو التمويل ، بناءً على مصلحة شرعية يراها الحاكم أو تراها إدارة المؤسسة الزكوية المعاصرة. وكمثال على تطوّر أو تغيير السياسة الزكوية التي يراها الحاكم كما ترجّح عنده من جهة الجباية أولاً ومن جهة التمويل أو الإنفاق تالياً ، إنطلاقاً من مصلحة شرعية يقول أحد الباحثين: «إنّ الزكاة فرضها الله تعالى على الأغنياء لتُردّ على الفقراء من أجل سدّ حاجتهم . وليست حاجة ذوي الحاجة منحصرة في الأموال العينية كالإبل والبقر والغنم والزروع والثمار ، ولا في الأموال النقدية كالذهب والفضّة ، بل قد تكون حاجته منحصرة في بعض الأعيان كما في حالة الحوادث الطارئة أو الآفات السماوية كالزلازل والفيضانات والمجاعة. وقد تكون حاجته منحصرة في النقود كما هو في الأحوال العادية وفي الحضر ، وقد تكون حاجته مشتركة في

١- د. القحف ، منذر ، السياسات المالية : دورها وضوابطها في الاقتصاد الإسلامي، دار الفكر ، دمشق، سورية، ط١، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م ، ص٧ بتصرف.

٢- د. القضاة ، معن ، خالد ، فقه السياسة المالية في الإسلام ، عالم الكتب الحديث ، إربد، الأردن، ط١، ١٤١٧هـ / ٢٠٠٧م، ص٣.

٣- د. حماد ، نزيه ، معجم المصطلحات المالية والاقتصادية في لغة الفقهاء ، دار القلم ، دمشق، سورية، ط١، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م، ص٢٣٧.

الأعيان والنقود معاً: فإذا رأى الحاكم بمقتضى السياسة الشرعية ومن باب رعاية المصلحة أن يأخذ من الأغنياء النقود ويعطيها للفقراء نقوداً كان له ذلك ، أو يعطي الفقراء الأعيان بدلاً من النقود كان له ذلك ، وإن شاء أن يعطي أو يجمع في عطائه بين النقود والأعيان فله ذلك ، لأن المقصود من شرعية الزكاة سدّ حاجة المحتاج ، فكل ما يسدّ حاجته من نقد أو أعيان فيدفع له<sup>(١)</sup>. فهذا شاهد على أنه لا توجد سياسة زكويّة واحدة معتمدة من قبل الحاكم ، فعلى حسب ما يرى من مصلحة شرعية تسهم في سدّ حاجة الفقراء والمساكين يختار السياسة الزكوية الملائمة ، سواءً أكان ذلك على صعيد الجباية أو كان على صعيد التمويل ، وفي ذلك إشارة إلى التطوير لا على صعيد المفاهيم الزكوية ، وإنما على صعيد الآليات أو القرارات المرتبطة بأساليب تطبيق الجباية والتمويل الزكوية.

ولتوضيح ما تقدّم يطرح الباحث عدّة أسئلة توضح هذا المفهوم ، وتتمثل بالآتي:

- هل تجبى الزكاة من المكلفين في موعد استحقاقها (فيما عدا الزرع والثمار) أو قبل ذلك أو بعد ذلك؟.
- هل تجبى الزكاة من المكلفين على شكل أموال نقدية أو على شكل حصص عينية أو يجمع بين الشكلين؟.
- هل توزع الزكاة على مستحقيها على شكل أموال نقدية أو على شكل حصص عينية أو يجمع بين الشكلين؟.
- هل توزع الزكاة على مصارفها الثمانية أو على مصرف واحد أو اثنين؟.
- هل هناك علاقة بين جباية الزكاة وتوزيعها على الصعيد الزمني من خلال التعجيل أو التأجيل؟.
- ما المقدار الزكويّ الذي يعطى للفقراء والمساكين من الأموال الزكوية المحصّلة مقارنة مع المصارف الأخرى؟.
- هل تنفق الأموال المحصّلة من الزكاة في المدينة نفسها أو في الحيّ نفسه أو يجوز نقلها إلى مدينة أخرى أو ربما إلى بلد آخر؟.
- هل يعطى أصحاب مصرف « المؤلفة قلوبهم » نصيبهم من الزكاة أم يجعل سهمهم في نصيب الفقراء والمساكين كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه؟.
- هل يعتمد خلال توزيع الزكاة على مستحقيها أسلوب التمويل الاستهلاكي أو أسلوب التمويل الإنتاجي؟.

١- د. التركماني ، عدنان خالد ، السياسة النقدية والمصرفية في الإسلام ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م ، ص ٢٦١.

إن نمط السياسة الزكويّة الذي يخدم الهدف الموضوع من قبل وليّ الأمر أو إدارة المؤسسة الزكوية ، أو توافر أسباب معينة تدفع وليّ الأمر إلى اعتماد أسلوب زكويّ معيّن دون آخر هو الذي يبرّج إجابة على أخرى بالنسبة للأسئلة المطروحة.

إذن هناك عوامل أو ظروف ترجّح سياسة زكويّة على أخرى. وللدولة أو وليّ الأمر أو ما يعبر عنه في أيامنا بوزير الأوقاف (أو المدير العام للمؤسسة الزكوية) أن تختار ما يناسب ظروف المجتمعات المحلية والمجتمعات ككل في إمكان نقل الزكاة أو جزء منها بين المجتمعات المحلية مع تفضيل أهل الحاجة من موطن استحقاقها في تقريظ الزكاة التي جمعت منه؛ كأحد الأمثلة المعطاة عن إحدى أنماط السياسة الزكوية، حتى تتحقق العدالة الاجتماعية بين سكان كل إقليم وبين مختلف أقاليم الدولة<sup>(١)</sup>.

ولذلك فإنّ أنماط السياسات الزكوية قد تختلف بين عصر وآخر ، وقد تختلف بين بيئة وأخرى في العصر نفسه ، فما يصلح من سياسة زكوية لعصر معيّن أو لبيئة معينة قد لا يصلح بالضرورة لعصر آخر أو لبيئة أخرى ، بشرط أن تتلاءم تلك السياسة مع أحكام الفقه الزكوية ، بل وحتى مع أحكام الاقتصاد الإسلامي .

#### ب: تعريف «سياسة التمويل الاستهلاكي» و«سياسة التمويل الإنتاجي»:

عادة ما يستخدم مصطلح التمويل في النشاط التجاري ، ولذلك يعرف بأنه «النشاط المؤدي إلى الحصول على الأموال المستخدمة في المشروعات التجارية وإدارة هذه الأموال إدارة صحيحة مما يعود بالنفع على المشروع»<sup>(٢)</sup>.

وبناءً عليه ، يمكن تعريف التمويل الاستهلاكي بأنه النشاط المؤدي إلى الحصول على الأموال لاستخدامها في أنشطة استهلاكية ؛ كسواء سلع استهلاكية لإشباع حاجات المستهلكين. أما سياسة التمويل الاستهلاكي فهي عبارة عن إجراءات التمويل المعتمدة في تمويل الأنشطة الاستهلاكية.

أما التمويل الإنتاجي فهو النشاط الذي يتمثل بالحصول على الأموال لاستخدامها في أنشطة إنتاجية ؛ كسواء سلع إنتاجية أو رأسمالية لاستخدامها في العملية الإنتاجية. والمراد بسياسة التمويل الإنتاجي إجراءات التمويل المعتمدة في تمويل الأنشطة الإنتاجية.

١- د. عفر ، محمد عبد المنعم ، الاقتصاد الإسلامي :النظام والسكان والرفاه والزكاة ، ج ١ ، مرجع سابق ، ص ٤٢٣ ، ٤٢٤ .  
٢- بدوي ، أحمد زكي ، وآخر ، معجم المصطلحات التجارية والمالية والمصرفية ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، مصر ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م ، ص ١٣١ .

ج: تعريف كلي للعنوان» نحو تطوير السياسات الزكوية : من سياسة التمويل الإنتاجي إلى سياسة التمويل الاستهلاكي»:

بعد بيان تعريف»نحو تطوير السياسات الزكوية «في البند أ ، وتعريف « سياسة التمويل الاستهلاكي وسياسة التمويل الإنتاجي» في البند ب ، فإنه يمكن تعريف العنوان على الشكل الآتي:

نحو تطوير أو تغيير القرارات والإجراءات العملية المرتبطة بفريضة الزكاة على صعيد إنفاق أموال الزكاة على مستحقيها ، وذلك من خلال اعتماد سياسة التمويل الإنتاجي القائمة على تمليك الفقير لآلة إنتاجية يعيش منها ، أو عبر استثمار حصته من أموال الزكاة بأي أسلوب استثماري شرعي ، وذلك كقناة ثانية مع قناة التمويل الاستهلاكي القائم على تمويل الفقراء والمساكين بحصص نقدية تنفق على إشباع حاجاتهم من السلع الاستهلاكية ، أو بحصص عينية تستهلك لإشباع حاجاتهم.

ولا بدّ في نهاية هذا التعريف من بيان الآتي:

لا يمكن إلغاء سياسة التمويل الاستهلاكي بشكل كلي ، وإحلال سياسة التمويل الإنتاجي مكانها ، خصوصاً في هذا العصر الذي يتكاثر فيه أعداد الفقراء.

إن فهم من العنوان ما يشير إلى إلغاء سياسة التمويل الاستهلاكي وإحلال سياسة التمويل الإنتاجي فليست هذه غاية الدراسة ، وإنما الغاية إقران سياسة التمويل الاستهلاكي بسياسة التمويل الإنتاجي.

حوى العنوان سياسة التمويل الإنتاجي ، ويريد الباحث بها سياسة التمويل الاستثماري ، على اعتبار أن الإنتاج إحدى أهم عناصر العملية الاستثمارية ، وهو الذي تحدّث عنه رجال الاقتصاد عندما تحدّثوا عن نظرية الإنتاج.

إن غاية الدراسة الطلب من إدارات المؤسسات الزكوية المعاصرة ضرورة اعتماد سياسة التمويل الإنتاجي من أموال الزكاة في برامجها الزكوية إضافة إلى سياسة التمويل الاستهلاكي المطبقة أصلاً ، نظراً لآثار الإيجابية الاقتصادية بشكل عام ، وذلك على خلاف السياسة الثانية (سياسة التمويل الاستهلاكي) ، والتي لها آثار إيجابية اقتصادية ، لكنها قليلة بالمقارنة مع السياسة الأولى.

وبذلك يكون قد انتهى تعريف المفردات الواردة في العنوان بشكل جزئي ، وبشكل كلي أيضاً.

**ثانياً: مدى إمكانية قبول فكرة «تطوير السياسات الزكوية ...» شرعاً:**

لا يمكن معرفة الحكم الشرعي لفكرة «تطوير السياسات الزكوية ..» إلا من خلال إعطاء

مثال على ذلك التطوير، ثم معرفة حكمه من الناحية الشرعية. والمثال الذي يعطى في هذا المجال يتمثل بمدى مشروعية استثمار أموال الزكاة، على اعتبار أن هذه المسألة من المسائل المستجدة على ساحة الفقه الزكوي، ويمكن اعتبارها تطويراً في السياسات الزكوية، لأنه عوض أن يعطى الفقير المال الزكوي ليستهلكه مباشرة في إشباع حاجاته، فهناك إمكانية لاستثمار ذلك المال الزكوي، ثم يوزع الربح الناتج عنه على الفقير المستحق بشكل دوري، فيعيش منه، فهل يجوز ذلك من الناحية الشرعية؟<sup>5</sup>

ولا بدّ من بيان أن هذا الاستثمار له مبرراته أحياناً، حيث قد تتجمع الأموال لدى المؤسسة الزكوية، ويتأخر توزيعها لأسباب قد ترجع إلى عدم إنجاز إحصاء أعداد الفقراء في منطقة معينة، أو عدم إنجاز التحقق من صفة الفقر في جداول المتقدمين للاستفادة من أموال الزكاة، أو أن إدارة المؤسسة الزكوية تريد التنوع في سياساتها التمويلية الإنفاقية بين سياسة التمويل الاستهلاكي وسياسة التمويل الاستثماري لصالح المستحقين بهدف السعي لتحقيق مصلحة دائمة للفقير، لإخراجه من نطاق الفقر عبر السياسة الثانية، فهل يجوز لها ذلك من الناحية الشرعية؟<sup>6</sup>

لا يريد الباحث في هذا المجال أن يكرّر ما سبقه إليه ثلّة مباركة من فقهاء العالم الإسلامي المشهود لهم بالعلم والتقوى والصلاح، والذين قدّمت بحوثهم إلى هيئات الفتوى والمجامع الفقهية والندوات الزكوية، حيث كان لأحكامهم الفقهية التي بسطوها في بحوثهم دور في إصدار الفتاوى والقرارات الفقهية. مع الإشارة إلى أن هذه المسألة خلافية؛ فهناك من أيدها، وهناك من عارضها، لكن الاتجاه الفقهي العام المعاصر يقول بمشروعيتها، كما هو الحال في قرار مجمع الفقه الإسلامي الذي حمل الرقم (٣) د، ٨٦/٧/٣، بشأن توظيف الزكاة في مشاريع ذات ريع بلا تملك فردي للمستحق، وقرّر الآتي: «يجوز من حيث المبدأ توظيف أموال الزكاة في مشاريع استثمارية تنتهي بتمليك أصحاب لاستحقاق للزكاة أو تكون تابعة للجهة الشرعية المسؤولة عن جمع الزكاة وتوزيعها، على أن تكون بعد تلبية الحاجة الماسة الفورية للمستحقين، وتوافر الضمانات الكافية للبعد عن الخسائر»<sup>(١)</sup>.

ثم بعد عدّة سنوات صدرت فتوى عن إدارة الندوة الثالثة لقضايا الزكاة المعاصرة، والتي انعقدت في الكويت بتاريخ ٨ - ٩ / ٤ / ١٤١٣ هـ الموافق ٢ - ٣ / ١٢ / ١٩٩٢، وأكدت مضمون القرار السابق، وزادت عليه الآتي: «يجوز استثمار أموال الزكاة بالضوابط الآتية:  
أن لا تتوافر وجوه صرف عاجلة تقتضي التوزيع الفوري لأموال الزكاة.

١ - مجلة مجمع الفقه الإسلامي، الدورة الثالثة، العدد ٣، ج ١، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م، ص ٤٢١.

أن يتم استثمار أموال الزكاة كغيرها بالطرق المشروعة.  
أن تتخذ الإجراءات الكفيلة ببقاء الأصول المستثمرة على أصل حكم الزكاة وكذلك ريع تلك  
الأصول.

المبادرة إلى تضيض «تسييل» الأصول المستثمرة إذا اقتضت حاجة مستحقي الزكاة  
صرفها عليهم.

بذل الجهد للتحقق من كون الاستثمارات التي ستوضع فيها أموال الزكاة مجدية ومأمونة ،  
وقابلة للتضيض عند الحاجة.

أن يتخذ قرار استثمار أموال الزكاة ممن عهد إليهم ولي الأمر بجمع الزكاة وتوزيعها لمراعاة  
مبدأ النيابة الشرعية، وأن يسند الإشراف إلى ذوي الكفاءة والخبرة والأمانة»<sup>(١)</sup>.

إن مجرد طرح فكرة «استثمار أموال الزكاة» في الفقه الزكوي المعاصر يندرج ضمن إدخال  
سياسات تطويرية على هذا الفقه ، وبالشكل الذي يخدم مصلحة الفقير والمسكين، الأمر الذي  
يدفع إلى القول بقبول منطق تطوير السياسات الزكوية شرعاً من حيث الأصل.

كذلك يمكن القول إن فكرة «التمليك الجماعي للفقراء» تندرج أيضاً ضمن عنصر «  
تطوير السياسات الزكوية، وذلك كفكرة معاصرة لم تكن معروفة من قبل ، وتدرج ضمن سياسة  
التمويل الإنتاجي (الاستثماري) ، وقد تحدثت فتوى الندوة السابقة عن مشروعيتها عندما درست  
موضوع: التمليك والمصلحة فيه ونتائجه ، وانتهت إلى» القرارات الآتية:

التمليك في الأصناف الأربعة الأولى المذكورة في آية مصارف الزكاة «إنما الصدقات  
للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم» شرط في أجزاء الزكاة. والتمليك يعني دفع  
مبلغ من النقود أو شراء وسيلة النتاج؛ كآلات الحرفة وأدوات الصنعة. وتمليكها للمستحق القادر  
على العمل.

يجوز إقامة مشروعات إنتاجية من مال الزكاة وتمليك أسهمها لمستحقي الزكاة، بحيث  
يكون المشروع مملوكاً لهم يديرونه بأنفسهم أو من ينوب عنهم ، ويقسمون أرباحه.

يجوز إقامة مشروعات خدمية من مال الزكاة كالمدراس والمستشفيات والملاجئ والمكتبات  
بالشروط الآتية:

يفيد من خدمات هذا المشروع مستحقو الزكاة دون غيرهم إلا بأجر مقابل لتلك الخدمات  
يعود نفعه على المستحقين.

١ - بيت الزكاة الكويتي ، أبحاث وأعمال الندوة الثالثة لقضايا الزكاة المعاصرة ، الكويت ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٨ م ، ص ٢٢٣.

يبقى الأصل على ملك مستحقي الزكاة ويديره ولي الأمر أو الهيئة التي تتوب عنه.

### ج - إذا بيع المشروع أو صُفي كان ناتج التصفية مال زكاة»<sup>(١)</sup>

ما تقدّم بيانه يدفع إلى القول بأن الفقه الزكوي يقبل فكرة تطوير السياسات الزكوية بضوابط شرعية، وبالتالي يمكن القول بمشروعيتها من حيث الجملة، مع الإشارة إلى أن ذلك يبنى على نمط أو نوعية السياسات الزكوية المقترحة من خلال ما يقترح من مسائل يطلب معرفة حكمها الفقهي.

### ثالثاً: واقع «السياسة الزكوية الراهنة» في المؤسسات الزكوية المعاصرة:

السؤال الذي يطرح على إدارات المؤسسات أو الصناديق الزكوية المعاصرة يتمثل بالآتي: ما واقع أو ملامح السياسات الزكوية التي تتعاملون بها خلال إدارة أموال الزكاة؟ هل تعتمدون سياسة التمويل الاستهلاكي، القائم على استلام المؤسسة لأموال الزكاة ثم توزيعها على الفقراء والمساكين دون ما عداها من المصارف، على شكل حصص نقدية أو عينية استهلاكية؟ أم تعتمدون سياسة التمويل الإنتاجي من خلال توزيع أموال الزكاة على شاكلة أدوات حرفة على الفقراء والمساكين بهدف استخدامها في ممارسة حرفهم إن كانوا أصحاب حرفة، أو من خلال استثمار أموال الزكاة ثم توزيع العائد الناتج على الفقراء والمساكين؟ أم هناك ملامح لسياسة زكوية أخرى معتمدة في تلك المؤسسات؟

من خلال قراءة أولية لواقع السياسة الزكوية في إدارات المؤسسات الزكوية العاملة على الساحة اللبنانية يلمس الباحث أن نمط السياسة الزكوية السائدة هو سياسة التمويل الاستهلاكي غالباً من خلال قبول أموال الزكاة من المزمكين، ثم إنفاقها على الفقراء والمساكين كما هو الحال في وقف «بيت الزكاة والخيرات»<sup>(٢)</sup> الذي تم تأسيسه عام ١٩٨٣ م، ويعمل تحت إشراف هيئة إدارية مستقلة، لكن يوجد فيه مركز للتأهيل والتدريب؛ ويقوم بتأهيل الفتيات والأمهات وتعليمهن حرفة تعينهن على تأسيس مشاريع صغيرة خاصة بهن. ومن أبرز برامجها: تعليم الصناعة الغذائية على أنواعها وبرامج التأهيل المهني والأشغال اليدوية والتسويق والخياطة والتطريز والحفر والرسم على الزجاج.. ويبلغ عدد المستفيدين سنوياً ٧٥ متدرّبة تقريباً. لكن على ما يظهر أن تعليم تلك الدورات ليس من أموال الزكاة، إنما من خلال مشاريع يسوّفها البيت على أهل الخير، ويعلن أن تكلفة الدورة للمتدرّبة الواحدة هي مئة دولار أميركي.

١- المرجع السابق، ص ٢٢٤.

٢- ينظر الموقع الإلكتروني للبيت / [www.zakathouse-leb.org](http://www.zakathouse-leb.org).

ويذكر مؤسس وقف «بيت الزكاة والخيرات» ورئيسه حالياً الدكتور محمد علي ضناوي الأسباب التي تحول دون اعتماد سياسة التمويل الإنتاجي بالنسبة لإدارات المؤسسات الزكوية المعاصرة؛ ومنها البيت الذي يرأسه، فيقول<sup>(١)</sup> : من الصعب بل من المستحيل أن نطلب من الفقير المعدم الذي يحتاج إلى الضروريات الأولى في حياته أن يتجاهلها وأن يسعى في تنمية ما يملك من الزكاة. وهكذا تبقى الزكاة في مثل هذا الظرف أداة لسداد الحاجة الملحة ، ولا يمكن أن تتحوّل إلى وسيلة تنمية إلا ضمن هذا المفهوم؛ أي في سداد الحاجات ، وسداد الحاجة أو قسم منها هو الذي تنحصر به الزكاة في عالمنا المعاصر للأسباب الآتية:

ضمور حجم محصلات الزكاة في صناديق الزكاة بالنظر إلى الحاجات الملحة للمسلمين في البلد أو في العالم .

تمنّع أعداد كبيرة من المسلمين المكلفين عن أداء الزكاة.

غياب عنصر الإلزام من قبل السلطان بتحصيل الزكاة في كثير من الدول العربية والإسلامية.

كثرة أعداد الفقراء والمساكين وكثرة حاجاتهم الضرورية التي تحتاج إلى إشباع. و يوجد أيضاً صندوق الزكاة التابع لدار الفتوى في الجمهورية اللبنانية وتم تأسيسه عام ١٩٨٤ م ، و نادراً جداً ما يستعمل سياسة التمويل الإنتاجي ، وقد ورد في بيانه السنوي السابع والعشرين عن الفترة الممتدة من رمضان ١٤٢٠هـ إلى شعبان ١٤٢١هـ الموافق من شهر آب ٢٠٠٩ إلى تموز ٢٠١٠م ، أنه نفذ المشاريع ( المندرجة ضمن التمويل الإنتاجي ) الآتية<sup>(٢)</sup> :

المنحة الإنتاجية: ويقصد بها تقديم آلة العمل أو أدوات المهنة التي يقدمها الصندوق للأفراد القادرين على العمل، ولكنهم غير قادرين على تأمينها، بعد أن يلمس منهم المؤهلات المطلوبة ، وقد مثّلت ما نسبته ١٠ ، ٠٪ من إجمالي ميزانية الزكاة في البيان المذكور أعلاه. التأهيل الأسري: وهو عبارة عن انتقاء أفراد قادرين على التعلم والعمل من ضمن الأسر الفقيرة ، وإقامة دورات مهنية لهم تمكنهم بعد تخرجهم من العمل ليكونوا أعضاء عاملين في المجتمع. وبعد الاطلاع على البيان المذكور أعلاه لم أجد شيئاً وارداً فيه بالنسبة لهذا البند على الرغم من أنه من مشاريع الصندوق المعلن عنها.

البقرة الحلوب: ويتلخص بإعطاء العائلة الفقيرة في المناطق الريفية بقرة حلوباً تؤمن

١- د. ضناوي ، محمد علي ، الزكاة وقضايا معاصرة ، إصدار مجلة الضياء اللبنانية ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٢م ، ص ٦٠ ، ٦١ .

٢- ينظر البيان السنوي السابع والعشرون على الموقع الإلكتروني للصندوق: [www.zakat.org.lb](http://www.zakat.org.lb)

لها دخلاً شهرياً عبر بيع الحليب ومشتقاته. وقد مثّلت ما نسبته ٥, ١٪ من نسب البيان السنوي المذكور أعلاه، حيث وزّعت على ثمانية عشر أرملة ثمانية عشر بقرة، لكل منها بقرة واحدة.

والقارئ لنسب هذه المشاريع يجدها متدنية كثيراً جداً مقارنة مع سياسة التمويل الاستهلاكي، ويلمس أن الاهتمام بسياسة التمويل الإنتاجي في حدّه الأدنى.

ومن خلال العودة إلى مراقبة المشاريع التي ينفذها بيت الزكاة الكويتي والمعرضة على موقعه الإلكتروني، لم يظهر للباحث وجود مشاريع تقوم على التمويل الإنتاجي أو الاستثماري، وإنما هي عبارة عن مشاريع تقوم على التمويل الاستهلاكي، مع الإشارة إلى أنه من أوائل المؤسسات الزكوية على مساحة العالم العربي، وربما الإسلامي نشأة، حيث تم تأسيسه بتاريخ ١٦/٠٢/١٩٨٢. مع العلم أنه توجد هناك مشاريع استثمارية كما ذكر أحد الباحثين في دراسته<sup>(١)</sup>، لكنها لم تظهر على الموقع، وقد اطّلت على البيان المالي السنوي الصادر عام ٢٠٠٩، فلم أجد فيه شيئاً يشير إلى التمويل الإنتاجي من مال الزكاة. مع الإشارة إلى أنه أوجد - البيت - لائحة تنظم الاستثمار الزكوي، وقد تم اعتمادها من قبل لجنة دراسة وتعديل اللوائح والأنظمة بتاريخ ٩/١/٢٠٠١ م، وتتكوّن من أربع عشرة مادة.

كذلك تمت زيارة موقع صندوق الزكاة في دولة الإمارات العربية المتحدة، وموقع صندوق الزكاة في دولة قطر، وظهر للباحث أن السياسة الزكوية السائدة هي سياسة التمويل الاستهلاكي دون الإنتاجي، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى ضعف الإيرادات الزكوية وكثرة الفقراء والمساكين، أو أنه لا يوجد توجه أو تخطيط نحو اعتماد سياسة التمويل الإنتاجي من قبل إدارات تلك المؤسسات والصناديق الزكوية.

لكن من خلال الاطلاع على مشاريع الزكاة الإنتاجية والخدمات المنفذة من قبل ديوان الزكاة السوداني (الذي تم تأسيسه عام ١٩٨٠ م) والمعرضة على موقعه الإلكتروني<sup>(٢)</sup>، تبين أن هناك العديد من المشروعات الإنتاجية التي تمّ تنفيذها من أموال الزكاة: والتي منها: مشروع قوارب الصيد ومشروع التشجير بالنخيل ومشروع الجرارات لحرثة أراضي الفقراء والمساكين ومشروع تمليك الأغنام والأنعام، بالإضافة إلى مشاريع إنتاجية أخرى (مصانع صابون، معاصر زيتون، ومصانع أحذية...) وغيرها. وتلك نماذج من المشروعات الإنتاجية التي تم تمويلها في بعض ولايات السودان قبل عام ٢٠٠٣ لمحاربة الفقر.

١- الفوزان، صالح بن محمد، استثمار أموال الزكاة وما في حكمها من الأموال الواجبة حقاً لله تعالى، دار كنوز إشبيلية، الرياض، السعودية، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص٢٤٣ وما بعدها.

٢ ينظر الموقع الإلكتروني لديوان الزكاة السوداني: [www.zakat-sudan.org](http://www.zakat-sudan.org)

وإنها لتجربة رائدة في ديوان الزكاة السوداني<sup>(١)</sup> حيث اعتمدت إدارته سياسة التمويل الإنتاجي من أموال الزكاة جنباً إلى جنب مع سياسة التمويل الاستهلاكي، وذلك من خلال تخصيص ٣٥٪ من إيرادات الزكاة لنصيب الفقراء والمساكين لتمليك وسائل الإنتاج ومشاريع الإعاشة في السنوات الأولى للديوان من عام ١٩٩١ م وحتى عام ١٩٩٤ م تمليكاً فردياً، حيث تم تمليك الأفراد آلات الخياطة وآلات الحدادة وآلات النجارة وأكشاك بيع الخضار ليعيشوا من عائلها. وقد بلغت النسبة المخصصة لتمويل وسائل الإنتاج عام ٢٠٠٠ م كما ذكر التقرير الصادر فيه ١٣٪ مقارنة بإجمالي الصرف الفعلي للفقراء والمساكين، إلا أن استهداف المشاريع الإنتاجية ذات العائد الأوفر مع إجراء المزيد من دراسات الجدوى الاقتصادية لهذه المشاريع من شأنه أن يرفع هذه النسبة بما لا يتعارض مع الحاجة الملحة للمستحقين.

وفي العام ١٩٩٥ م بدأ الديوان تجربة المشاريع الجماعية مثل المشاريع الزراعية ومزارع الدجاج والأبقار.

وتلك تجربة تستحق أن تعطى حقها من قبل منظري السياسات الزكوية في المؤسسات الزكوية العاملة في الدول العربية والإسلامية، وأن يحتذى بأفكارها، لما لها من دور في إدارة مشكلة الفقر وتنمية النشاط الاقتصادي، وذلك في البيئات التي لها وضع مشابه مع البيئة السودانية.

ذلك هو واقع السياسات الزكوية الموجود في أهم المؤسسات والصناديق الزكوية الموجودة في العالم العربي، والتي تظهر أن أغلبها يعتمد سياسة التمويل الاستهلاكي دون الإنتاجي، وأن بعضها يقرن بين السياستين، وتكاد هذه الحالة تطبّق في السودان حصراً على حسب ما اتضح للباحث.

#### رابعاً: تطوير السياسات الزكوية : ضرورة اقتصادية ومصصلحة شرعية :

قبل بيان المبررات الداعية للعمل بمبدأ تطوير السياسات الزكوية الراهنة، لا بدّ من توصيف الفقير المعاصر اقتصادياً.

##### أ - توصيف الفقير المعاصر :

إنّ الفقير المعاصر يحمل ثقافة اقتصادية مضمونها أن مجتمعه مطالب بحلّ مشكلته، وبالذات المؤسسات الزكوية والجمعيات الخيرية الموجودة فيه بشكل خاص، والدولة بشكل عام، وبالتالي فهو لا يحب العمل، وإن وجد فرصة للعمل في مجال ما فإنه لا يستمر فيه طويلاً. هذا على

١- للتوسع في الاطلاع على تجربة السودان في استثمار أموال الزكاة أو اعتماد سياسة التمويل الإنتاجي، ينظر: الفوزان، صالح بن محمد، استثمار أموال الزكاة وما في حكمها من الأموال الواجبة حقاً لله تعالى، مرجع سابق، ص ٢٤٩ وما بعدها.

صعيد العقيدة الاقتصادية التي يحملها ، والتي تنعكس سلباً على سلوكه الاقتصادي؛ سواءً على صعيد العمل (الإنتاج) أو على صعيد الاستهلاك، فهو لا يحب الإنتاج على الرغم من قدرته على القيام بذلك، ويتبجح ربما بعدم وجود فرص للعمل، وهو في سلوكه الاستهلاكي: إما مسرف، وإما مبذّر لهذا المال القليل الذي يصل إليه، وكلاهما مذموم في الفكر الاقتصادي الإسلامي، فإذا وصل إليه مال من الزكاة أو الصدقة فتراه ينفق قسماً منه على سلوكه الاستهلاكي المذموم من خلال تعاطي التبغ وما يشبهه، وربما أو غالباً تكون زوجته على شاكلته، ولذلك فإنه يمكن الحكم على أغلب فقراء عصرنا بأنهم يفتقدون الرشد الاقتصادي في سلوكهم الاقتصادي، وأن نسبة منهم تعيش مشكلة الفقر بشكل إرادي، أي إنها لا تحب ثقافة حب العمل، فأمثال هؤلاء هم جزء رئيس من مشكلتهم. وما تمّ بيانه من وصف على الفقير المعاصر ينطبق على طائفة كبيرة من الفقراء الموجودين في بيئة الباحث (لبنان). فكيف يمكن التعاطي مع هذا النموذج من الفقراء من قبل إدارة المؤسسات الزكوية؟.

#### **ب: أيهما الأصلح للفقير المعاصر: اعتماد سياسة التمويل الاستهلاكي أم إقرانها بسياسة التمويل الإنتاجي؟**

هناك إشكالية أخرى تطرح نفسها خلال معالجة هذه النقطة (الفكرة الرئيسة للبند الرابع) بعد التسليم بأن على إدارة المؤسسة الزكوية أن تسهم في إدارة مشكلة الفقر لأمثال هؤلاء، وتتمثل بالآتي: أيهما الأصلح للفقير المعاصر ذي الصفات التي سبق بيانها: اعتماد سياسة التمويل الاستهلاكي أو اعتماد سياسة التمويل لإنتاجي المقترنة بالسياسة الأولى؟.

للإجابة على ذلك لا بدّ من إعطاء قراءة اقتصادية أولية لكل من السياستين، ثم بعد ذلك إعطاء الإجابة:

إن اعتماد سياسة التمويل الاستهلاكي من المال الزكوي لا يمكن التخلي عنها إطلاقاً على الرغم من محدودية ما تتركه من آثار اقتصادية على النشاط الاقتصادي مقارنة مع سياسة التمويل الإنتاجي، فعندما تلجأ إدارة المؤسسة الزكوية إلى تمويل الفقراء والمساكين بمبالغ نقدية أو حصص غذائية لإشباع حاجاتها الاستهلاكية، فهذا يترك آثاراً إيجابية<sup>(1)</sup> على النشاط

١- ينظر في ذلك - د. الكفراوي، عوف محمود، بحوث في الاقتصاد الإسلامي ونظامه المالي، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، لاط، لات، ص ١٦٠، ١٦١.

- د. مرطان، سعيد سعد، مدخل للفكر الاقتصادي الإسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، ص ١٨١ وما بعدها.

- د. الطاهر، عبدالله، حصيلة الزكاة وتنمية المجتمع، بحث منشور في: اقتصاديات الزكاة، البنك الإسلامي للتنمية، ط ١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ص ٥٤٠ وما بعدها.

الاقتصادي يتمثل بزيادة الميل الحدي للاستهلاك عند الفقراء، الأمر الذي يؤدي إلى زيادة الإنتاج وإيجاد فرص عمل، وينعكس بالتالي زيادة في الدخل القومي، ونمواً في النشاط الاقتصادي، لكنه في النهاية يعتبر بمنزلة العلاج المسكن لإدارة مشكلة الفقر، لكونه لا يخرج الفقير من مشكلته، وهذا يدفعنا لضرورة طرح بدائل أخرى يمكن اعتمادها لمعالجة تلك المشكلة.

والبديل الآخر المتاح أمام إدارة المؤسسة الزكوية يتمثل باعتماد سياسة التمويل الإنتاجي في التعامل مع الفقراء والمساكين، لأنها بذلك توفر له مورداً من العمل أو من النشاط الاستثماري يدرّ عليه عائداً دورياً، ويخرجه من نطاق الفقر، وفي ذلك يقول العلامة القرضاوي وهو يتناول مشكلة الفقير: «وإذا كان في حاجة إلى رأس مال ليفتح به متجرأ أو مشروعاً نافعاً أو إلى مزرعة أو قطعة أرض ليعمل بها أو إلى أدوات لصنعتة وآلات لحرفته، فيجب على ولي الأمر أن يوفر له من مال الزكاة»<sup>(١)</sup>.

ولتوضيح سياسة التمويل الإنتاجي من مال الزكاة، فإنه لا بدّ من إعطاء مثال يوضح عملية الاستثمار الزكوي، والتي تعني توظيف واستغلال أموال الزكاة منفردة أو مع غيرها لصالح مستحقي الزكاة، وفقاً للضوابط الشرعية التي تحكم عملية الاستثمار الزكوي.

أما المثال فهو على الشكل الآتي<sup>(٢)</sup>: مسلم غني قدّرت أمواله الخاضعة للزكاة بمبلغ ٩٦٠٠٠ وحدة نقدية، وتكون حصيلة الزكاة هي ٢٤٠٠ وحدة نقدية، وقام هذا الغني بتسليم زكاة أمواله إلى المؤسسة الزكوية.

إن إدارة المؤسسة الزكوية يمكن أن تتصرف بهذا المال الزكوي بإحدى الصورتين الآتيتين: الصورة الأولى: اعتماد سياسة التمويل الاستهلاكي؛ وتم بيانها سابقاً.

الصورة الثانية: اعتماد سياسة التمويل الإنتاجي؛ وهذه تتم بإحدى الطريقتين الآتيتين: الطريقة الأولى: شراء مستلزمات حرفة وإنتاج لفقير صاحب حرفة كي يعمل بنفسه ويدرّ دخلاً دورياً عليه؛ وذلك يكون من المبلغ الزكوي (٢٤٠٠ وحدة نقدية).

الطريقة الثانية: القيام باستثمار رأسمال الزكاة؛ إما من خلال الفقير نفسه، أو من خلال إدارة المؤسسة الزكوية، ثم إنفاق عائد الاستثمار بشكل دوري على الفقير كي يعيش منه. ولنفترض أن عائد الاستثمار في المثال السابق كان ٢٠٪ أي يساوي ٤٨٠ وحدة نقدية (٢٠٪ × ٢٤٠٠ = ٤٨٠)،

١- د. القرضاوي، يوسف، مشكلة الفقر وكيف عالجه الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٥، ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م، ص٥٣.

٢- د. حمدي، محمد بن صالح، الإنفاق الاستثماري لأموال الزكاة (١)، مقال منشور على موقع: www.vecos.net.

فإن هذا المبلغ ينفق على الفقير على أن يظل أصل المال الزكوي في دائرة الاستثمار. وبنتيجه ما تقدّم نجد أن الأسلم للنشاط الاقتصادي اعتماد سياسة التمويل الإنتاجي ما أمكن، لأنها تخرج الفقير من فقره، وتزيد النشاط الاستثماري، وذلك على خلاف اعتماد سياسة التمويل الاستهلاكي التي لا تخرج الفقير من دائرة الفقر، الأمر الذي يمكننا من القول إنّ الأصل للفقير هو اعتماد سياسة التمويل الإنتاجي خلال الإنفاق الزكوي، ما كان ذلك ممكناً.

### ج: اعتماد التطوير: ضرورة اقتصادية ومصصلحة شرعية:

وبعد الاطلاع على توصيف الفقير المعاصر من خلال بيان ثقافته الاقتصادية وسلوكه الاقتصادي غير المحمودين،

وبعد بيان أن اعتماد سياسة التمويل الإنتاجي هي السياسة الأصل للفقير عندما تقترن بسياسة التمويل الاستهلاكية؛ لكونها تخرجه من نطاق الفقر.

يمكن القول إن اعتماد سياسة التمويل الإنتاجي يعتبر ضرورة اقتصادية تصب في مصلحة الفقير وفي مصلحة النشاط الاقتصادي ككل، وهذا يعني أيضاً أنها تعتبر مصلحة شرعية يجب مراعاتها من قبل منظري السياسات الزكوية المعاصرين، لأنها تحقق مقصداً شرعياً مهماً يصب في مصلحة الفقراء والمساكين. وفي هذا المجال يقول أحد الباحثين بعد أن تناول آراء المجيزين والمانعين لاستثمار أموال الزكاة: «بغض النظر عن أن ظاهر النصوص في مسألة الزكاة يؤيد مذهب المانعين لاستثمار أموال الزكاة، إلا أن اعتبار المصلحة وتحقيق مقاصد الشريعة يؤيد مذهب المجيزين، والشرع يدور مع المصلحة أينما وجدت، وإذا نظرنا إلى الموضوع من زاوية اقتصادية نجد أن ما يمكن أن يتحقق باستثمار أموال الزكاة لصالح الفقراء والمحتاجين ولصالح المجتمع بشكل عام أكبر بكثير مما سيتحقق إن صرفت بشكلها الأصلي»<sup>(١)</sup>.

وفي المجال عينه، يحدّد باحث آخر نوع المصلحة من عملية الاستثمار الزكوي بعد ترجيح الرأي المؤيد لعملية الاستثمار، فيقول: «وهي مسألة خلافية أيضاً بين مؤيد ومعارض، ولكل فريق أدلته وحجته، إلا أن الرأي الذي أرتاح إليه وأميل إليه هو الجواز؛ لأنه أقرب إلى روح الشريعة الإسلامية، فهو يحقق مصالح معتبرة، إذ يهدف إلى تحقيق حدّ الكفاية لكل مواطن، الذي هو من الأسس والقواعد التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي»<sup>(٢)</sup>.

ما تقدّم بيانه يعتبر بمنزلة المبررات الداعية إلى ضرورة اعتماد عنصر «تطوير السياسات

١- محمد، قاسم حاج، استثمار أموال الزكاة ودوره في تحقيق الفعالية الاقتصادية ص ٦، موقع موسوعة الاقتصاد والتمويل الإسلامي (www.iefpedia.com).

٢- د. حمدي، محمد بن صالح، الإنفاق الاستثماري (٢)، مقال منشور على موقع: www.vecos.net.

الزكوية»، عبر الانتقال أو إقران سياسة التمويل الاستهلاكي بسياسة التمويل الإنتاجي ، لما في ذلك من ضرورة اقتصادية ومصصلحة شرعية ، تقومان على تحقيق غاية الزكاة المتمثلة بتحقيق حدّ الكفاية للفقير المسلم ، وتفعيل النشاط الإنتاجي المؤدي إلى تحقيق النمو الاقتصادي .

### **القسم الثاني: تطوير السياسات الزكوية: المستلزمات:**

لكي يصار إلى اعتماد السياسة الزكوية المقترحة من خلال إقران سياسة التمويل الاستهلاكي بسياسة التمويل الإنتاجي ، فإن ذلك يستدعي توفر مستلزمات على صعيد إدارات مؤسسات الزكاة، بالإضافة إلى توفر البيئة الفقهية والاقتصادية التي تسمح بتطبيق هذه السياسة ، وتوفّر عنصر الإرادة أيضاً عند الفقير الذي تنصّب عليه تلك السياسة . ويتمثل أهم تلك المستلزمات بالآتي:

#### **أولاً: وجود إدارة للدراسات والتخطيط والتطوير:**

يشهد الواقع الزكوي المعاصر وجود مؤسسات أو صناديق زكوية تعنى بتلقي أموال الزكاة وتوزيعها على مستحقيها ، مع الإشارة إلى أن تلك المؤسسات؛منها ما يعمل تحت إشراف القطاع العام أو ما يعبر عنه راهناً بوزارات الأوقاف ، ومنها ما يعمل تحت إشراف القطاع الخاص ، وهذا التقسيم الثنائي ربما يكون موجوداً في أغلب البلاد العربية والإسلامية.

والغاية من بيان ما تقدّم تتمثل بأن الدراسة قامت على إعطاء الدور الرئيس والمهم لإدارة المؤسسة الزكوية بتطوير السياسات الزكوية الراهنة ، عبر إقران سياسة التمويل الاستهلاكي بسياسة التمويل الإنتاجي ، بل وحتى إحلال السياسة الثانية مكان السياسة الأولى إذا كان هناك إمكانية في المستقبل . والمفترض أن توكل هذه المهمة إلى إدارة متخصصة في هذا المجال يمكن تسميتها بإدارة الدراسات والتخطيط والتطوير ، يرأسها شخص ملمّ بالعلوم الإدارية المعاصرة بالإضافة إلى علم الفقه بشكل عام ، وعلم فقه الزكاة بشكل خاص ، ويعمل تحت إشرافه فريق من الإداريين الملمّين أيضاً بالثقافتين السابقتين مع بعضهما البعض ، ويعملون جميعاً على ابتكار السياسات الزكوية المسهّمة في إدارة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية التي يعاني منها مستحقو الزكاة ؛ ويأتي في طليعتهم الفقراء والمساكين، والتي قد تختلف بين عصر وآخر ، أو بين بيئة وأخرى ، على اعتبار أن هذه السياسات تمثل الوسائل والإجراءات التي تعتمدها إدارات المؤسسات الزكوية، وتصب بالتالي في مصلحة مستحقي الزكاة ، وبالذات الفقراء والمساكين.

وقد نصت الفكرة (ك) من المادة ٥ من قانون الزكاة السوداني الصادر عام ٢٠٠٠ على إحدى صلاحيات ديوان الزكاة المندرجة ضمن السياسات الزكوية ، فبينت الآتي: «العمل على تمليك الفقراء والمساكين وسائل للكسب ما أمكن ذلك حتى يستغنوا عن الزكاة».

وبناءً عليه ، فإنّ مبدأ تطوير السياسات الزكوية المعاصرة يحتاج إلى إيجاد إدارة مستقلة داخل المؤسسات الزكوية ، تعنى بهذه المهمة، وتسهم بالتالي في تحقيق أهداف تشريع الزكاة في أرض الواقع، عبر ما تقترحه تلك الإدارة من سياسات زكوية تسهم في تحقيق تلك الأهداف.

### ثانياً: وجود البيئة التشريعية الفقهية الملائمة:

لا يمكن الحديث عن مبدأ «تطوير السياسات الزكوية» الذي يقوم على إقران أو ربما إحلال السياسات الزكوية القائمة على التمويل الإنتاجي مكان التمويل الاستهلاكي في مرحلة لاحقة إذا كان ذلك ممكناً، ما لم يكن ذلك ممكناً من الناحية التشريعية الفقهية ، وبمعنى آخر لا بدّ من معرفة حكم الفقه الإسلامي في أي سياسة زكوية معينة ، فإذا كانت تلك السياسات المقترحة متوافقة مع البيئة الفقهية عامة ، والزكوية خاصة ، فيمكن بالتالي طرحها في البيئة الميدانية الزكوية، وإلا فيجب الإعراض عن طرح أمثال تلك السياسات التي لا تتوافق من حيث الحكم الشرعي مع أحكام الفقه الإسلامي. وهذا الأمر يجب مراعاته من قبل منظري السياسات الزكوية، والذين يفترض فيهم الإلمام بأحكام الفقه عامة، وأحكام الزكاة خاصّة ، وكمثال يعطى في هذا المجال لا بدّ من دراسة سياسة التمويل الإنتاجي القائمة على استثمار أموال الزكاة وإعطاء العائد إلى الفقير كإحدى الصور التي تتناولها هذه الدراسة على ضوء أحكام الفقه الإسلامي من جهة قبولها أو رفضها؛ فإن كان يقبلها فيمكن اعتبارها أنّذ إحدى السياسات الزكوية التي يمكن تطبيقها في البيئة الزكوية الميدانية المتمثلة بطائفة المستحقين؛ والذين يستفيدون من ريع استثمار أموال الزكاة، وإن كان يرفضها فيجب طرحها جانباً واقتراح سياسات بديلة تخدم البيئة الزكوية المعاصرة في جميع جوانبها ؛ إن كان على صعيد المؤسسة الزكوية أو إن كان على صعيد المصارف الزكوية ، أو إن كان على صعيد النشاط الاقتصادي ككل.

### ثالثاً: وجود البيئة الاقتصادية الملائمة:

لكل بيئة سياستها الملائمة لها، هذا من حيث الإطلاق، وإذا قام منظرو السياسات بابتكار سياسات لا تتلاءم مع بيئتها، فهذا يعني حكماً أن تلك السياسة لا تتلاءم مع خصائص تلك البيئة. وتتعدد صور البيئة الاقتصادية تبعاً لنوع النشاط الاقتصادي السائد فيها، فقد تكون البيئة الاقتصادية زراعية عندما يكون النشاط الزراعي النشاط الرئيس فيها، وقد تكون صناعية عندما يكون النشاط الصناعي النشاط الرئيس فيها، وقد تكون تجارية عندما يكون النشاط التجاري النشاط الرئيس فيها، والأمر نفسه بالنسبة لنشاط القطاع الخدماتي، وهذا أمر يجب على منظري السياسات الزكوية المعاصرة أخذه بعين الاعتبار خلال اقتراح أو ابتكار تلك السياسات؛ فلا بدّ من اقتراح سياسة زكوية تصلح للتطبيق مع نوع البيئة الاقتصادية السائدة

في منطقة ما ، فهناك سياسة زكوية زراعية تصلح للتطبيق في البيئة الزراعية ؛ كما هو الحال للسياسة الزكوية السودانية المذكورة آنفاً، فقد يملك الفقير قطعة أرض معينة ، لكنه لا يملك المال الذي يؤهله لاستثمار تلك الأرض ؛ فيأتي دور السياسة الزكوية الزراعية المتضمنة لشراء البذور والسماد وحاجات النشاط الزراعي الأخرى لهذا الفقير وأمثاله لمساعدته على استثمار أرضه والعيش تالياً من غلتها، الأمر الذي قد يسهم بإخراجه من نطاق الفقر.

كذلك هناك السياسة الزكوية الصناعية ، والتي يستفيد منها الفقراء من أصحاب الحرف المختلفة ، فقد يمتلك فقير صاحب حرفة خبرة في نشاط ما ؛ كأن يكون دهاناً أو حدّداً أو نجاراً أو ما شابه ذلك ، لكنه لا يملك المال الذي يساعده على شراء أدوات ممارسة حرفته أو ما يسمى بلوازم العدة ، فيأتي دور السياسة الزكوية الصناعية المتضمنة لشراء أدوات الحرفة لأصحاب الحرف الفقراء في قطاع الصناعة، والمؤدية بالتالي إلى تسهيل ممارسة حرفهم في الواقع الصناعي ؛ الأمر الذي قد يؤدي غالباً إلى إخراجهم من نطاق الفقر. وما يذكر عن السياستين الزكويتين الزراعية والصناعية يذكر عن بقية السياسات في القطاعات الاقتصادية الأخرى ، والتي تحقق في النهاية غاية أو هدفاً مهماً ، يتمثل بأن تلك السياسات تسهم في إدارة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية التي يعاني منها قطاع الفقراء والمساكين.

وهكذا فإن لكل بيئة اقتصادية يعيش فيها نمط معين من الفقراء والمساكين نمط معين من السياسات الزكوية الملائمة لها ، وهذا الأمر يجب مراعاته من قبل منظري السياسات الزكوية ، لأنه يعتبر من مستلزمات نجاحها في تحقيق أهدافها المتمثلة بالإسهام في إدارة مشكلة الفقر والمشاكل الأخرى التي يكون للزكاة دور في معالجتها.

#### رابعاً: نشر الثقافة الزكوية الملائمة :

لكل سياسة مضمون ثقافي معين تقوم عليه، والأمر نفسه بالنسبة للسياسة الزكوية، فإن لها مضموناً ثقافياً معيناً تقوم عليه ، ويجب على منظري السياسات الزكوية نشر مضمون ثقافتهم الزكوية التي تمثل بنية السياسة الزكوية التي يدعون إليها ، وذلك عبر التعاون مع إدارة الإعلام الموجودة في المؤسسة الزكوية المعاصرة.

وتقوم الدراسة على تطوير السياسة الزكوية ، وهذا يعني الدعوة إلى مضمون ثقافي زكوي جديد ؛ هو موجود ربما، وله أصوله الشرعية، لكنه ليس مشهوراً في أوساط المزمكين راهناً، حيث يقتصر أغلبهم على سياسة التمويل الاستهلاكي الزكوي أو التمويل النقدي الزكوي، وذلك من خلال إخراج زكاة أموالهم وتسليمها إلى أصحاب المصارف الزكوية دون المرور بإدارة المؤسسة الزكوية لأسباب معينة؛ إما بصورة نقدية يصار إلى إنفاق الفقير لها بإشباع حاجاته الضرورية

غالباً؛ من مأكّل وملبس وما شابه ذلك، وإما بصورة عينية؛ كأن تسلّم للفقير حصة غذائية يستهلكها، وهذا النمط من التمويل الاستهلاكي الزكوي له بعده الشرعي والاقتصادي، ولكن يمكن تطويره من خلال رفع شعار «نحو تطوير السياسة الزكوية: عبر إقران سياسة التمويل الاستهلاكي بسياسة التمويل الإنتاجي المولّدة للتمويل الاستهلاكي». ويمكن التعبير عن هذا الشعار بعبارة أخرى «توليد التمويل الإنتاجي المولّد للتمويل الاستهلاكي عبر المال الزكوي»، وذلك بهدف إقناع طائفة المزمكين كي يقوموا بتوكيل إدارة المؤسسة الزكوية بتنفيذ السياسة التمويلية الإنتاجية الزكوية المقترحة.

تلك هي الثقافة الزكوية المعاصرة التي تسعى الدراسة إلى نشرها في أوساط طائفة المزمكين، وذلك عبر إدارة الإعلام، وبالتنسيق مع إدارة الدراسات والتخطيط والتطوير، مع الإشارة إلى أن هذا النمط من الثقافة الزكوية يكاد يكون معدوماً في وسط كثير من المزمكين، وربما عند بعض إدارات المؤسسات الزكوية.

#### خامساً: نشر ثقافة «حبّ العمل» عند الفقراء:

هناك ثقافة تشر الكسل، وهناك أخرى تشر العمل والأمل، فمن الأولى تلك الثقافة التي كانت سائدة في بعض حقبات تاريخية، حيث كانت تعتبر العمل إهانة، وأنه من اختصاص الأرقاء والمستعبدين والطبقة الدنيا من البشر، وأنه لا يليق بعلية القوم أن يعملوا<sup>(١)</sup>. وربما يوجد ما يساعد على نشر ثقافة «عدم حب العمل» رهنأً، ويتمثل بما يسمى في بعض الدول الأوروبية وغيرها بتعويضات البطالة، حيث يتحجج القادر على العمل بعدم وجود عمل بهدف الحصول على تلك التعويضات، كذلك ربما كان لبعض إدارات المؤسسات الزكوية دور بالإسهام في نشر تلك الثقافة من غير قصد، من خلال عدم القيام بإجراءات البحث والتقصي عن واقع الفقراء القادرين على العمل، لكنهم لا يعملون على الرغم من توفر فرص العمل طمعاً في تأمين حاجاتهم من المؤسسات الزكوية، إذ يحصلون منها على ما يسهم في إشباع حاجاتهم دون أن يبحثوا عن العمل مع قدرتهم على ذلك. وحملة تلك الثقافة لا يجوز لهم أن يستفيدوا من مال الزكاة. قال رسول الله ﷺ: «لا تحلّ الصدقة لغني ولا لذي مرّة سوي»<sup>(٢)</sup>.

أما الثقافة الأخرى؛ فهي تلك التي تحثّ على العمل وتدعو إليه، وتتمثّل بثقافة الاقتصاد

١- د. البدوي، إسماعيل إبراهيم، عناصر الإنتاج في الاقتصاد الإسلامي والاقتصاد الوضعي، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، ص ١٥٦ بتصرف.

٢- رواه الإمام أحمد (ابن حنبل، أحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ١١، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ٢٠١٤هـ / ١٩٩٩م، حديث رقم ٦٥٢٠، ص ٨٤. والمرّة: القوة والشدة، والسويّ: الصحيح الأعضاء).

الإسلامي التي تعتبر أن قيمة الإنسان لا تقاس إلا بالعمل، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى، وأن قيمة كل امرئ في المجتمع تتمثل بما يقدمه لربه ومجتمعه وأمته<sup>(١)</sup>. ولذلك حثت نصوص القرآن الكريم على العمل، والتي منها قوله تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرِّيَ اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسُرُدُّوكَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنشِرُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله تعالى أيضاً: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾<sup>(٣)</sup>.

كذلك حثت نصوص السنة النبوية الشريفة على العمل، والتي منها: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»<sup>(٤)</sup>.

ولكي تنجح السياسة الزكوية المقترحة في هذه الدراسة، فإنه يجب نشر ثقافة «حب العمل» عند الفقراء من أصحاب الحرف والمهن أو حتى عند الذين يمكن تأهيلهم مهنيًا بهدف دمجهم في سوق العمل. فإذا ترسخت تلك الثقافة بمفاهيمها التي ركز عليها الاقتصاد الإسلامي في أذهان الفقراء ممن تقدم بيانهم، فعندها يمكن تمويلهم من أموال الزكاة لشراء ما يساعدهم على القيام بأعمالهم، وذلك من خلال تأمين لوازم حرفتهم إليهم. وقد استعمل البعض مصطلح «صرف الزكاة في مدفوعات تحويلية» للإشارة إلى التمويل الزكوي لأصحاب الحرف خلال الحديث عن صرف الزكاة في الدول المتخلفة اقتصادياً، حيث بين<sup>(٥)</sup> أنه يجب على الدولة الإسلامية أن تتبع سياسة زيادة العرض الكلي بزيادة الإنتاج نتيجة قلة الادخار، وهذا يكون من خلال صرف الزكاة في مدفوعات تحويلية، لأن العمالة قادرة على الكسب، ولكن لا تجد أداة حرفة، فإذا وجهت حصيلة الزكاة في جزء منها إلى الاستثمار لتوفير الحرفة للعمال مع تملكهم أداة حرفة، فإن ذلك يغني هؤلاء المحتاجين العمر كله، وبالتالي يؤدي إلى كسر حلقة الفقر بزيادة الإنتاج وتوفير رأس المال من خلال تدريب العمال وإسكانهم ورعايتهم الصحية وتمييزهم الثقافية، الأمر الذي سيؤدي إلى زيادة الاستثمار وتحقيق الرفاهية.

ويقع على عاتق إدارة الدراسات والتخطيط والتطوير بالتعاون مع إدارة الإعلام في المؤسسة الزكوية المعاصرة، ومع كافة المنابر الإعلامية من دعوية وغيرها للقيام بنشر ثقافة

١- د. البدوي، إسماعيل إبراهيم، عناصر الإنتاج في الاقتصاد الإسلامي والاقتصاد الوضعي، مرجع سابق، ص ١٥٦.

٢- سورة التوبة، الآية ١٠٥.

٣- سورة الملك، الآية ١٥.

٤- البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ج ٣، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده (١٩٢)، حديث رقم ٣٢٢٣، دار القلم، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م، ص ١٢٣.

٥- د. سمحان، حسين محمد، وآخرون، المالية العامة من منظور إسلامي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط ١، ١٤٢٢ هـ / ٢٠١٠ م، ص ٢٢٦ بتصرف.

«حب العمل» بين طائفة الفقراء والمساكين، وأن هناك إمكانية لمساعدتهم من أموال الزكاة حتى يتيسر لهم أداء أنشطتهم في الحياة الاقتصادية بالشكل الذي يسهم بإخراجهم من نطاق دائرة الفقر، بفضل تلك السياسة الزكوية المقترحة.

#### سادساً: دراسة خصائص «الموارد البشرية الفقيرة» في بيئة الدراسة:

للسياسة الزكوية المقترحة عدّة أهداف، لعلّ من أهمها إدارة الموارد البشرية الفقيرة، بهدف إخراجها من نطاق الفقر، وتحويلها من مورد بشري مستهلك لما يمنحه له الغير من زكاة وغيرها إلى مورد بشري منتج ومستهلك من عائد إنتاجه.

ويستخدم مصطلح «الموارد البشرية» كمصطلح عام<sup>(1)</sup> للدلالة على قوة العمل في المنظمة، والموارد البشرية أهم عنصر من عناصر الإنتاج الأخرى كالأموال والتكنولوجيا والتسهيلات الأخرى، وهي تجعل من تلك العناصر ذات معنى وفائدة للمنظمة، وتعتبر أكثرها فعالية وتأثيراً على تحقيق أهداف العمل. أما الموارد البشرية الفقيرة فالمراد بها تلك الفئة من البشر القادرة على العمل والباحثة عنه، لكنها لا تجده، أو تلك الفئة التي تعمل، لكن أجره لا تكفي لإشباع حاجاتها الاقتصادية؛ أي إن دخلها لا يوصلها إلى مرحلة حدّ الكفاية بالتعبير الاقتصادي.

والمطلوب من إدارة المؤسسة الزكوية المعاصرة لإنجاح السياسات الزكوية المقترحة أن تقوم بدراسة الموارد البشرية الفقيرة في بيئتها عبر إطلاق مشروع «الخريطة الرقمية للفقراء» وذلك من خلال تكليف إدارة البحث الاجتماعي للقيام بهذه المهمة، بهدف تكوين قاعدة معلومات أو بيانات<sup>(2)</sup> عنهم من جهة أعدادهم وأنواع مهنتهم وحرفهم ومؤهلاتهم العلمية والمهارات المتاحة عندهم، إضافة إلى المعلومات المتعلقة بالجنس والسنّ والحالة الأسرية والتعليمية وغيرها من المعلومات التي تشكل قاعدة بيانات شاملة للموارد البشرية الفقيرة في بيئة المؤسسة الزكوية.

وبعد تكوين قاعدة البيانات من قبل إدارة البحث الاجتماعي تحال إلى إدارة الدراسات والتخطيط و التطوير كي تقوم تالياً بوضع خطة تتضمن تحديد الاحتياجات المطلوبة<sup>(3)</sup> لأصحاب

١- د. الصحاف، حبيب، معجم إدارة الموارد البشرية وشؤون العاملين، مكتبة لبنان ناشرون، ط ١، ١٩٩٧، ص ١.

٢- ينظر للمقارنة: د. حمود، خضير، كاظم وآخر، إدارة الموارد البشرية، دار المسيرة، عمان، الأردن، ط ١، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٧ م، ص ٣٩ بتصرف.

كذلك ينظر خبر إطلاق مشروع الخرائط الرقمية للفقراء في مصر، والذي قامت به «مؤسسة مصر الخير» لدراسة أوضاع الأسر الفقيرة في: ١٠٣٠ قرية في ٨ محافظات بصعيد مصر. وقالت المؤسسة «إن نظام معلومات مصر الخير لحصر الأسر في القرى الأكثر فقراً يقوم بربط بيانات وإحصائيات الحالة الاقتصادية والاجتماعية للأسر التي تعيش في الموقع الجغرافي للأسرة على خريطة رقمية تجمع كافة المعلومات الرئيسية عن القرية مثل «الأعمار والحالة الاجتماعية والوظيفة والنوع والتعليم والسن والدخل ومشكلات القرية وغيرها». وبدأ العمل به في ٢٨/٦/٢٠١١، ويمتد تنفيذه من ٦ إلى ٩ شهور. ينظر: [www.almorakeb.com](http://www.almorakeb.com).

٣- ينظر للمقارنة: الفيلالي، مصطفى، مجتمع العمل، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان ط ١، ٢٠٠٦ م، ص ٥٥١ وما بعدها، حيث تحدث عن الربط بين العمل والتمكين.

كل مهنة من خلال تأمين الدعم المالي الزكوي لشراء مستلزمات ممارسة كل حرفة أو مهنة في أرض الواقع، وعندها تتمكن<sup>(١)</sup> الموارد البشرية الفقيرة الموجودة في بيئة المؤسسة الزكوية من تحويل قدراتها ومهاراتها المرتبطة بالعمل إلى مهنة أو حرفة تمارس في أرض الواقع بفضل تلك السياسية الزكوية المقترحة، التي مكنت الفقير القادر على العمل إلى تحويله إلى عامل منتج بفضل تأمين أدوات الحرفة له، وإخراجه بالتالي من نطاق الفقر.

وهناك نقطة تستدعي التوقف عندها وتتمثل بوجود موارد بشرية فقيرة لا تمتلك حرفة أو مهنة، إنما يمكن تأهيلها من خلال إقامة دورات تأهيلية، يتم تأمين الدعم المالي لها من مال الزكاة، ثم بعد ذلك تخرج إلى سوق العمل بعد تزويدها بأدوات أو مستلزمات ممارسة الحرفة التي تعلمتها من مال الزكاة.

### سابعاً: إعداد دراسات الجدوى للمشاريع المقترحة :

بعد القيام بدراسة إحصائية لواقع الموارد البشرية الفقيرة في بيئة المؤسسة الزكوية، يأتي دور إدارة الدراسات والتخطيط والتطوير التي قامت سابقاً بدراسة البيئة الاقتصادية لبيئة الفقراء بهدف اقتراح المشاريع الاقتصادية التي يمكن تشييدها في تلك البيئة أو التي يمكن تمويل الفقراء فيها من أموال الزكاة، لكونها تصلح للتنفيذ في بيئتهم الاقتصادية.

وبعد تجميع قاعدة البيانات المرتبطة بالموارد البشرية الفقيرة والبيانات المرتبطة بالعوامل الاقتصادية المتاحة في تلك البيئة، يصار إلى دراسة عنصر التخصيص الأمثل للموارد المالية الزكوية في المشاريع الاقتصادية المتاحة تنفيذها في تلك البيئة، وذلك من خلال القيام بدراسات الجدوى الاقتصادية لكل مشروع مقترح<sup>(٢)</sup> للتحقق مما إذا كانت الفرصة الاستثمارية مشجعة أو غير مشجعة، وبالتالي معرفة عائده الاجتماعي والاقتصادي والمالي، فإن كانت نتائج تلك الدراسات إيجابية، فإنه يصار إلى تنفيذ تلك المشاريع من الأموال الزكوية: سواء كانت مشاريع فردية تنفذ من خلال فرد بعينه؛ كأن يملك آلة إنتاجية معينة تدر له دخلاً يسهم في إخراجه من نطاق الفقر، أو كانت مشاريع جماعية تتم من خلال إنشاء مصنع أو مزرعة أبقار أو مزرعة دجاج تملك للفقراء في تلك المنطقة أو تظل ملكيتها للمؤسسة الزكوية وتشرف على إدارتها، لكنها توزع عائد الاستثمار على فقراء بأعيانهم في تلك المنطقة بشكل دوري، الأمر الذي

١- ينظر للمقارنة: جودي، ريتشارد، تخطيط القوى العاملة في الاقتصاد المبني على المعرفة، بحث منشور ضمن كتاب: تنمية الموارد البشرية في اقتصاد مبني على المعرفة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ط ١، ٢٠٠٤م، ص ١٧٤ وما بعدها.  
٢- الفوزان، صالح بن محمد، استثمار أموال الزكاة وما في حكمها من الأموال الواجبة حقاً لله تعالى، دار كنوز إشبيلية، الرياض، السعودية، ط ١، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥م، ص ١٦٥.

يسهم بإخراجهم غالباً من نطاق دائرة الفقر.

وكمثال يعطى عن مدى اهتمام مؤسسات الزكاة بدراسات الجدوى للمشاريع الممولة من الزكاة يذكر أحد الباحثين السودانيين<sup>(١)</sup> أن ديوان الزكاة في السودان أوجد مشروع الأسر المنتجة الذي يهدف إلى منح الأسرة الفقيرة وسيلة إنتاج تمكنها من خلال استقلالها من تغطية احتياجاتها، والخروج بالتالي من دائرة الفقر مستقبلاً، ويتم تمويله من أموال الزكاة. ويشير بعد ذلك إلى الصعوبات التي واجهت تنفيذ المشروع؛ والتي منها عدم إجراء دراسة الجدوى للمشاريع قبل الموافقة عليها، وهذا بسبب انتشار مستحقي دعم الزكاة على كل الأراضي السودانية الممتدة بمدنها وقراها، وذلك لعدم وجود الأشخاص المؤهلين لإجراء تلك الدراسات في المناطق الريفية، وعند ذلك قد يعطى الشخص وسيلة إنتاج لا يعرف طريقة تشغيلها، ولا يدرب على ذلك، فيضطر إلى بيعها، مما يعني فشل المشروع. ذلك لأن ديوان الزكاة يمنح وسيلة الإنتاج بناءً على احتياجات المنطقة وليس على إمكانيات أو قدرات الأسرة المهنية.

#### ثامناً: اعتماد التخطيط الاستراتيجي والتنفيذ والتقييم:

يجب على إدارة المؤسسة الزكوية المعاصرة اعتماد التخطيط الاستراتيجي في أداء وظيفتها الاجتماعية، وهي في هذا المجال يجب عليها اعتماد السياسات المتلائمة مع خططها الاستراتيجية الموضوعية والساعية إلى تحقيق هدف استراتيجي في البيئة التي تعمل فيها. وللوصول إلى تخطيط استراتيجي ناجح من قبل إدارة المؤسسة الزكوية المعاصرة فإنه يجب عليها مراعاة الخطوات الآتية:<sup>(٢)</sup>

صياغة رسالتها: وتحدد الرسالة عادة بالفرض الذي أشأت المؤسسة من أجله؛ ويتمثل ذلك حكماً بالدرجة الأولى بتحقيق التكافل الاجتماعي بين الأغنياء وأصحاب المصارف الثمانية في آية مصارف الزكاة، من خلال حث الطائفة الأولى على إخراج زكاة مالها، وتوكيل المؤسسة الزكوية بإنفاقها على المستحقين للزكاة، الأمر الذي يسهم في تحقيق مقصود الزكاة بتخليص المجتمع الإسلامي من عدة مشاكل، أعظمها مشكلة الفقر.

صياغة الهدف الاستراتيجي: يعرف الهدف الاستراتيجي في مؤسسة الزكاة عادة بالنتائج التي تريد أن تصل إليها الإدارة بعد عدة سنوات. وعندما تتحقق هذه النتائج، تكون تلك المؤسسة

١- د. لحيلح، الطيب، دور مشروع الأسر المنتجة في مكافحة الفقر، دراسة تطبيقية على معتمديه غرب كردفان، السودان، ص ٢ وما بعدها نقلاً عن موقع: [www.kantakji.com](http://www.kantakji.com).

٢- ينظر للمقارنة: د. القطامين، أحمد، الإدارة الاستراتيجية، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط ١، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م، ص ٩١ وما بعدها.

قد وصلت إلى تحقيق هدفها الاستراتيجي، وكمثال يعطى في هذا المجال، لنفترض أن إدارة المؤسسة الزكوية قد قررت أنها ستعالج مشكلة الفقر في مجتمعها، وأنها خلال خمس سنوات قادمة ستعالج ٥٠٪ من تلك المشكلة عبر اعتمادها على سياسة التمويل الإنتاجي من مال الزكاة، وبمرور كل سنة فالمطلوب منها أن تحقق جزءاً من الهدف الاستراتيجي الموضوع.

#### **وضع الخطة الاستراتيجية لتحقيق الهدف الاستراتيجي:**

تعرف الخطة الاستراتيجية بأنها الخطة الشاملة التي تحدّد كيفية إنجاز أهداف المؤسسة ورسالتها، وفيما له علاقة بإدارة المؤسسة الزكوية؛ فإن عليها اعتماد خطة إستراتيجية تسهم بتحقيق هدفها ورسالتها من خلال تأمين الموارد المالية الزكوية، بالإضافة إلى موارد بشرية يحتاجها تنفيذ تلك الخطة، على أن يكون ذلك خلال مدّة زمنية، محدّدة.

#### **وضع السياسات الملائمة للخطة الاستراتيجية:**

بعد الانتهاء من وضع الخطة الاستراتيجية من قبل إدارة مؤسسة الزكاة، فالمطلوب منها في هذه الحالة أن تضع مجموعة من السياسات الزكوية الملائمة لتلك الخطة، والتي تخدم تحقيق هدفها، ذلك لأن السياسات هي عبارة عن مجموعة القرارات التي تسعى إلى تسهيل عملية تنفيذ الخطط الاستراتيجية. وتقوم الدراسة على اعتماد سياسة التمويل الإنتاجي من أموال الزكاة لصالح الفقراء، والتي لها عدّة صور سيصار إلى توضيحها لاحقاً.

#### **تطوير السياسات الخادمة للخطة والهدف:**

قد تلجأ إدارة المؤسسة الزكوية إلى اعتماد نمط سياسي زكوي معين لإنجاح خطتها الاستراتيجية الموضوعية، لكنها خلال التنفيذ قد تضطر إلى تطوير السياسة المعتمدة أو إلى تعديلها، لأنها قد تجد مبررات تدفعها إلى اتخاذ القرار بشأن تطوير السياسة المعتمدة. ولقد جاءت هذه الدراسة بإقران سياسة التمويل الاستهلاكي بسياسة التمويل الإنتاجي، نظراً لأن الثانية أقدر على تحقيق الهدف الاستراتيجي للمؤسسة الزكوية المعاصرة من الأولى، وربما وجد راهناً أيضاً أو في المستقبل نمط من السياسات الزكوية يجب اعتماده من قبل المؤسسات الزكوية، لأنه يتلاءم مع الهدف الاستراتيجي الموضوع من قبلها.

بعد اعتماد التخطيط الاستراتيجي تأتي مرحلة التنفيذ للخطط الاستراتيجية الموضوعية، وهذا يعني حكماً بأنه يجب مراقبة عملية التنفيذ من قبل إدارة الرقابة في المؤسسة الزكوية حتى لا يحصل انحراف عن مسار الخطة الموضوعية، وإن حصل انحراف فإنه يصار إلى تصحيحه بالشكل الذي يخدم مسار الهدف الاستراتيجي الموضوع.

بعد التخطيط الاستراتيجي الذي اعتمد على وضع سياسات زكوية معينة لبلوغ الهدف الاستراتيجي، وبعد وضع الخطة موضع التنفيذ في أرض الواقع يأتي دور التقييم لمعرفة مدى تحقق الهدف الموضوع من خلال اعتماد تلك السياسات الموضوعية، وكم هي نسبة تحققه في أرض الواقع: هل تحقق بنسبة ٨٠٪ أو ٩٠٪ مثلاً؟ ذلك لأن الذي يثبت نجاح السياسات المقترحة أيّاً كان نوعها هو مدى نجاح تطبيقها في البيئة المراد تنفيذ تلك السياسات فيها.

ويمكن الاستئناس ببرنامج التقييم<sup>(١)</sup> الذي اعتمده مؤسسة الشرق الأدنى في الأردن حيث نفذت برنامجاً جاء تحت عنوان «صناديق الائتمان المحلي لدعم أنشطة الفقراء» وذلك من خلال تقديم قروض للفقراء بهدف توليد الدخل، وقد تم تنفيذ ذلك البرنامج من خلال جمعيتين هما: جمعية الذنبية للتنمية الاجتماعية في شمال الأردن، وجمعية بئر خداد للتنمية الاجتماعية في جنوب الأردن. وقد نفذ بين شهر نيسان من عام ١٩٩٢ وشهر أيار من عام ١٩٩٣، وقام أصحاب المشاريع باستعمال القروض في تجارة الألبسة وتربية الأغنام والأبقار والنحل. وأثبتت النتائج نجاح معظمها بعد تقييم تلك التجربة ميدانياً من خلال فريق من المتخصصين، وتحقق هدف تلك المشاريع والمتمثل بمساعدة الفقراء على تحسين معيشتهم.

وربما وجدت صعوبات تحول دون التقييم الأمر الذي يؤدي إلى عدم إمكانية معرفة نتائج تطبيق السياسات التمويلية الإنتاجية الزكوية، وذلك كما هو الحال في ديوان الزكاة السوداني<sup>(٢)</sup>، حيث توجد إدارات الجباية والصرف بفروعها المختلفة، ولكن لا توجد إدارة لتقييم المشاريع الإنتاجية الزكوية المنفذة. ولعل هذا يرجع إلى حداثة تجربة «إعطاء الفقير وسيلة إنتاج»، لذلك يخشى ديوان الزكاة من تضخم الصرف الإداري على حساب المستحقين الذين جاءت الزكاة لإغنائهم، ولأن إنشاء إدارة لدراسة الجدوى وتقييم تطبيقها في أرض الواقع يتطلب توظيف موارد بشرية مؤهلة، وهو ما يعني إعطاءهم أجوراً عالية، الأمر الذي يؤدي إلى استغراق جزء كبير من أموال الزكاة في بند العاملين عليها، وهو ما يتنافى مع مبدأ الاقتصاد في نفقات الجباية والصرف من المال الزكوي.

تلك هي أهم مستلزمات نجاح سياسة التمويل الإنتاجي من مال الزكاة، والتي تسهم في تحقيق مقصود آية مصارف الزكاة؛ خصوصاً ما له علاقة ببند الفقراء والمساكين على اعتبار أنهما يتقدمان على غيرهما من حيث الأهمية بالنسبة لمصارف الزكاة، وكذلك لبدء الله تعالى الآية (مصارف الزكاة) بهما.

١- القرم، مجدي، وآخر، تقييم برنامج صناديق الائتمان المحلية لدعم أنشطة توليد الدخل، مؤسسة الشرق الأدنى، عمان، الأردن، ١٩٩٤، ص ١٠ وما بعدها.

٢- د. لحيح، الطيب، دور مشروع الأسر المنتجة في مكافحة الفقر، مرجع سابق، ص ٧.

### القسم الثالث: تطوير السياسات الزكوية : خارطة الطريق :

غاية الدراسة من طرح فكرة تطوير السياسة الزكوية تتمثل بتوليد المال الاستهلاكي من المال الإنتاجي الزكوي ، لذلك فهي تدعو إلى تطبيق هذا الشعار : توليد المال الاستهلاكي من المال الإنتاجي الزكوي (كما ذكر سابقاً) ، والذي يقوم : إما على تمليك الفقير لآلة إنتاجية من أموال الزكاة ليعيش من عائداتها، وإما على استثمار أموال الزكاة ثم توزيع العائد منها على الفقراء والمساكين ليكون مالاً استهلاكياً يشبع حاجاتهم الاستهلاكية، ويحقق لهم بالتالي حدّ الكفاية، ويخرجهم من نطاق الفقر إلى نطاق الغنى ربما . ولتحقيق هذا الشعار من قبل أغلب إدارات المؤسسات الزكوية الراهنة التي لم تطبقه حتى تاريخه ؛ وهي كثيرة ، لا بدّ من وضع خارطة طريق تتضمن بيان الوسائل الإنتاجية الممولة من أموال الزكاة ، والتي يمكن اعتبارها بمنزلة السياسة المقترحة على إدارات المؤسسات المذكورة سابقاً كي تقوم بتنفيذها .

ولكن قبل بيان خارطة الطريق هذه لا بدّ من توضيح أصناف الفقراء حرفياً أو مهنيّاً حتى يكون هناك تلازم بين نمط السياسة المقترحة ومؤهلاتهم الفنية إن وجدت، وإلاّ فسنتقح سياسة أخرى تعكس إيجاباً عليهم . وكما ذكرت سابقاً ، فإن لكل بيئة سياستها التي تلائمها ، وما أقرحه من سياسات تتلاءم مع أوضاع الفقراء أعتبره بمنزلة خطوط عريضة يمكن الاستئناس بها .

أما أصناف الفقراء ؛ فيمكن تصنيفهم على الشكل الآتي:

فقير قادر على العمل.

فقير عاجز عن العمل.

فقير عامل، لكن دخله لا يكفي.

فقير مالك عاجز عن استثمار ما يملك .

وسيصار فيما يلي إلى بيان آلية ممارسة سياسة التمويل الإنتاجي مع أصناف الفقراء ، مع الإشارة إلى أن النشاط الإنتاجي يتضمن إنتاج سلعة أو إنتاج خدمة .

#### أولاً : آليات ممارسة التمويل الإنتاجي مع الفقير القادر على العمل :

من جملة أصناف الفقراء وجود الفقير القادر على العمل؛ وهو بدوره ينقسم إلى قسمين:

##### الفرع الأول: الفقير القادر على العمل غير المؤهل فنياً؛

يجب على السياسة الزكوية المقترحة الاهتمام بالفقير القادر على العمل غير المؤهل فنياً، عبر تأهيله من خلال تعليمه حرفة أو مهنة، بإشراكه في دورات تأهيلية تقدّمها مراكز التأهيل والتدريب. ويتم دفع نفقات تلك العملية من أموال الزكاة .

وإذا كان هدف الزكاة تحقيق حدّ الكفاية للفقير والمساكين ، وبما أن الدراسة تقوم على اعتماد

أسلوب التمويل الإنتاجي من أموال الزكاة من خلال تمليك الفقير لآلة إنتاجية يعيش من عائدتها، وحيث إنه قد يوجد فقير لا يمتلك الخبرة الفنية لإدارة الوسيلة الإنتاجية المملوكة له من أموال الزكاة، فإن الأمر يستدعي بعد ذلك كله تأهيل هذا الفقير من خلال توفير الكفاية الفنية أو المهنية من أموال الزكاة، الأمر الذي يؤدي إلى تأهيل الموارد البشرية الفقيرة بالشكل الأمثل لإدارة الوسيلة الإنتاجية الزكوية أيضاً بالشكل الأمثل، وينعكس بالتالي إيجاباً عليهم وعلى النشاط الاقتصادي بشكل عام<sup>(١)</sup>.

ويتحدث أحد الباحثين خلال دراسة مسألة «التأهيل الإنتاجي للفقراء والمساكين» من الناحية الفقهية فيقول: تقيم بعض المؤسسات الزكوية في العالم الإسلامي كصندوق الزكاة الأردني مشاريع لتأهيل الفقراء وتعليمهم بعض الحرف والمهن؛ كمشروع تعليم الخياطة والحياسة والتطريز ومشروع تعليم الطباعة وغير ذلك مما يحقق للفقير القدرة على العمل في تلك المهن والحرف، بحيث يكتسب عيشه ورزقه بنفسه، فهل يجوز الإنفاق على هذه المشاريع من أموال الزكاة؟

إذا قلنا باشتراط التمليك الفردي في صرف الزكاة فلا يجوز إنفاق الزكاة في تلك المشاريع، ولكننا رجّحنا عدم اشتراط هذا الشرط، فيجوز صرفها في إقامة تلك المشاريع. ويضيف قائلاً بعد ذلك: فإذا جاز إعطاء صاحب الحرفة رأس مال ليشتري به أدوات الحرفة والتاجر رأس مال ليتجر به جاز تعليم الفقير حرفة من الزكاة، كما يجوز إنشاء مشروع لتعليم الفقراء الحرف من أموال الزكاة، لكن ضمن الشروط التالية:

أن تتحقق المصلحة للمستحقين من ذلك المشروع، فلا تقدم عليه المؤسسة الزكوية إلا بعد دراسة مستفيضة لجدوى هذا المشروع، وهل الأنفع للمستحقين إنشاء المشروع، أو تعليم الفقراء في مشاريع غير مملوكة لمؤسسة الزكاة.

أن يكون مشروع التأهيل الإنتاجي مملوكاً لمؤسسة الزكاة.

أن لا ينتفع بذلك المشروع غير الفقراء والمساكين. وإذا انتفع به الغني دفع أجرة تصرف في مصلحة ذلك المشروع.

أن تتخذ كافة الإجراءات القانونية التي تكفل بقاء هذا المشروع في ملكية المؤسسة الزكوية التي أنشأته<sup>(٢)</sup>.

١- د. مشهور، نعمت عبد اللطيف، الزكاة: الأسس الشرعية والدور الإنمائي والتوزيعي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي (الولايات المتحدة الأمريكية)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، ص ٣٩٠.  
٢- د. شبير، محمد عثمان، التمليك والمصلحة فيه ونتائجه، بحث منشور في: أبحاث وأعمال الندوة الثالثة لقضايا الزكاة المعاصرة، بيت الزكاة الكويتي، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م، ص ٢٤٣، ٢٤٤.

إذن يجوز تأهيل الفقير فنياً من أموال الزكاة حتى تتوفر عنده الكفاية البشرية المؤدية إلى تحقيق الكفاية الإنتاجية من خلال استغلال أو استثمار الآلة الإنتاجية المملوكة له من أموال الزكاة بالشكل الأمثل ، وهذا يؤدي في النهاية غالباً إلى تحقيق حد الكفاية له .

وعلى افتراض أنه كانت هناك صعوبات حالت دون تأهيل الفقير فنياً أو إنتاجياً ؛ربما بسبب تقدّم عمره ، فهناك إمكانية لتأهيله بممارسة العمل التجاري البسيط والحرف والمهن البسيطة ، كأن تشتري له من أموال الزكاة عربة مع إعطائه مبلغاً من المال كي يتاجر به ضمن ما يمكن إدراجه رهنأ في التجارات البسيطة أو استعماله في ممارسة المهن والحرف البسيطة ؛ وهذا يدرج ضمن تعزيز ثقافة «البائع الجوّال» المدعوم من أموال الزكاة ؛ والذي من صورته البائع الذي يبيع الخضار والفواكه ، أو الذي يبيع السكاكر أو المكسّرات (الفسّيق العبيد ، الفستق الحلبي ، البذر ، الكاجو ، الذرة ،....) ، أو الذي يبيع عرانيس الذرة المسلوقة أو المشوية أو التمرس في مواسم معينة ، أو الذي يبيع الكعك أو القهوة . وهذا كله يتم عبر العربة الممنوحة له من أموال الزكاة بالإضافة إلى المبلغ المالي الزكوي الذي يستعمله في تأمين بضاعته .

#### **الفرع الثاني: الفقير القادر المؤهل فنياً ؛**

ويتمثل بالفقير القادر على العمل والمؤهل فنياً ، لكونه يمتلك مقومات ممارسة الحرفة أو المهنة ، لكنه لا يمتلك الأموال التي تساعد على ممارستها ، فيصار إلى تملكه من أموال الزكاة كي يشتري ما يحتاج من أدوات الحرفة مع استئجار محلّ له لمدة محدّدة ، ثم يوضع تحت الرقابة خلال تلك الفترة الزمنية . وهذا النوع من التمويل الزكوي يمكن تطبيقه على أصحاب الحرف المرتبطة بصيانة السيارات (الميكانيك ، والحدادة والدّهان والكهرباء...) ، وتلك المرتبطة بصيانة المنازل ، كذلك يمكن تطبيقه على أصحاب المهن الحرّة ، فقد يتخرّج طبيب أسنان فقير كان مكفولاً من جهة خيرية ، أو طبيب أشعة أو مهندس ... ، وحالة الفقر تلازم كل واحد منهم ، فيجوز تملك كل واحد منهم تلك المعدّات التي تساعد على ممارسة مهنتهم . كذلك يمكن تطبيقه على فقراء الريف من خلال تملكهم بقرة حلوب يعيشون منها ؛ من خلال تأمين بعض طعامهم منها وبيع البعض الآخر ، والأمر نفسه بالنسبة لتمليكهم لخلايا النحل ، أو لجرار زراعي أو لآلة حصاد أو لحافلة ركّاب أو لعربة تجميع الحليب ونقلها إلى المدن .

#### **ثانياً: آليات ممارسة التمويل الإنتاجي مع الفقير العاجز عن العمل ؛**

هناك طائفة من الفقراء عاجزة عن العمل ؛ إما بسبب الإعاقة ، وإما بسبب الشيخوخة ، وإما بسبب الأمراض الدائمة . والسؤال الذي يفرض نفسه في هذا المجال يتمثل بالآتي:

كيف تتعامل السياسة الزكوية المرتكزة على أسلوب التمويل الإنتاجي مع أمثال هؤلاء؟

هناك عدّة آليات يمكن للسياسة الزكوية أن تأخذها بعين الاعتبار وتخدم بالتالي هذه الشريعة من الفقراء، كما أنها تخدم الشرائح الأخرى من الفقراء، لكن الباحث سيسعى إلى توظيف تلك الآليات في مصلحة شريحة الفقراء العاجزة عن العمل أكثر من غيرها .  
وتتمثل أهم تلك الوسائل بالآتي:

#### الآلية الأولى : إنشاء مشاريع استثمارية عبر مؤسسات الزكاة :

يطلب من إدارة الدراسات والتخطيط والتطوير في مؤسسات الزكاة القيام بإحصاء المشاريع الاستثمارية المحتمل تنفيذها في منطقة معينة أو في مدينة معينة تعاني من مشكلة الفقر، ثم يقومون بعد ذلك بإعداد دراسات الجدوى الاقتصادية لتلك المشاريع ، ويصلون بالتالي إلى تفضيل المشروع الذي يحقق أقصى عائد ممكن ويسهم في إشباع الحاجات الاقتصادية الضرورية بداية لأهالي تلك المنطقة وإلا الحاجات التي تليها ؛ وهي الحاجة والكمالية ، وهذا يعني ضرورة مراعاة أولويات الاستثمار التي يتحدّث عنها الفكر الاقتصادي الإسلامي. فإذا كانت تلك البيئة زراعية أو ريفية ، فهناك عدّة مشاريع تتلاءم معها ؛ منها مشروع مزرعة أبقار ومشروع مزرعة دجاج ومشروع توضيب الخضار والفواكه، وربما مشروع بناء مدرسة أو مشروع بناء مستشفى وهكذا.

وبناءً على الدراسات المعدّة، والتي يعرف بنتيجتها التكلفة التقديرية للمشروع المراد تنفيذه، تقوم إدارة المؤسسة الزكوية بتجزئته إلى مجموعة أسهم، وذلك على غرار الشركة المساهمة، فإذا افترضنا أن التكلفة التقديرية للمشروع هي مليون وحدة نقدية ، وأن قيمة السهم ١٠٠٠ وحدة نقدية، فهذا يعني أن المشروع يتألف من ١٠٠٠ سهم .

وتقوم إدارة المؤسسة الزكوية بعد ذلك بطرح أسهم المشروع على أغنياء تلك المنطقة، وربما على أغنياء منطقة أخرى في حال العجز عن تأمين ذلك المبلغ من أغنياء المنطقة الأولى، للاكتتاب بأسهم هذا المشروع بهدف تمويلها من زكاة أموالهم، ولا بأس بأن يحدّد كل غني أصحاب الأسهم التي اكتتب بها من الفقراء الذين يودّ تملكهم بهذا المشروع ، حتى ولو كانوا من أقربائه ممن لا تلزمه نفقتهم، ويفضّل أن يكونوا من الفقراء العاجزين عن العمل بسبب الإعاقة أو الشيخوخة أو المرض المزمن الدائم انسجاماً مع مراعاة السياسة الزكوية المقترحة ، وعندما نصل إلى مرحلة استيعاب هذه الطائفة من المشروع المقترح ، فلا مانع من إضافة فقراء آخرين حتى ولو كانوا قادرين على العمل.

وبعد تنفيذ هذا المشروع في أرض الواقع ، وانطلاقه في الحياة الاقتصادية والحصول بالتالي على عائد مالي ينفق على حملة أسهم هذا المشروع بشكل دوري ، فإن هذا يؤدي غالباً لإخراجهم

من نطاق الفقر إلى نطاق الكفاية الاقتصادية التي يعتبرها النظام الاقتصادي الإسلامي الوضع الطبيعي لكل من يعيش في البلاد الإسلامية من مسلمين وغيرهم.

وينبغي الإشارة إلى أن دور إدارة مؤسسة الزكاة في تنفيذ هذا المشروع يقتصر على الدور التنفيذي له ، وبعد إنجازه وانطلاق عمله ينتقل إلى الدور الإشرافي أو الإداري ، على أن تكون ملكية أسهمه لصالح الفقراء ؛ أصحاب الأسهم الذين تمت تسميتهم من قبل أغنياء تلك المنطقة. وقد يفوض هؤلاء الأغنياء إدارة المؤسسة الزكوية بتملك من تشاء من الفقراء ، بناءً على دراسات إحصائية تقوم بإعدادها مسبقاً للفقراء في تلك المنطقة.

#### **الآلية الثانية : تملك وسيلة إنتاجية ثم تأجيرها :**

من جملة ما يمكن للسياسة الزكوية المقترحة أن تراعيه بالنسبة لشريحة الفقراء العاجزين عن العمل أن تملك كل واحد منهم وسيلة إنتاجية من أموال الزكاة ، ثم يصار إلى تأجيرها؛ إما بواسطة الفقير نفسه، وإما بواسطة إدارة المؤسسة الزكوية كجهة مشرفة على تنفيذ مفردات السياسة الزكوية المقترحة.

ويقوم المستأجر في هذه الحالة؛ كأن تكون السلعة الإنتاجية المؤجرة مثلاً سيارة أجرة ، بدفع بدل الأجرة بشكل دوري إلى الفقير كي يقوم بدوره بإشباع حاجاته منه.

#### **الآلية الثالثة : التمويل النقدي والاستثمار مضاربة :**

من الوسائل المتاحة أيضاً أمام إدارة المؤسسة الزكوية والتي يمكن أن تقترحها السياسة الزكوية في هذه الدراسة القيام بإعطاء البعض من هذه الشريحة من الفقراء مبالغ مالية زكوية مرتفعة نسبياً كي يقوم أحدهم باستثمارها عن طريق عقد المضاربة القائم على تقديم المال من جهة الفقير المتملك حديثاً ، وتقديم الجهد أو العمل من قبل المضارب، على أن توزع الأرباح والخسائر الناتجة عن هذا الاستثمار وفق الضوابط الشرعية للاستثمار عبر عقد المضاربة . وفي حال تحقق الربح فإنه يوزع على الطرفين حسب الاتفاق، الأمر الذي يشكّل للفقير عائداً دورياً يمكن أن يسهم في إخراجهم من نطاق الفقر . ويمكن رهنأ أن يتعاون الفقير مع المصرف الإسلامي لاستثمار ماله من خلال عقد المضاربة، وربما يشكّل ذلك عامل ثقة أكثر من غيره بالنسبة للمحافظة على ماله من وسائل الغش الموجودة بين بعض أطراف التعامل الاقتصادي الآخرين.

كذلك يمكن التعامل مع شركات التأمين الإسلامي التي تقوم باستثمار أموال صندوق التأمين التعاوني مضاربة، حيث تقوم باستثمار أموال هذه الشريحة من الفقراء من خلال عقد المضاربة. وربما يصل الأمر إلى تأليف شركات استثمار زكوية تعنى باستثمار أموال الزكاة مضاربة ، وذلك على غرار شركات التأمين الإسلامية التي تعنى باستثمار أموال صندوق التأمين التعاوني من

خلال عقد المضاربة بالإضافة إلى تقديم خدمات التأمين للمستأمنين.

### ثالثاً : آلية ممارسة التمويل الإنتاجي مع الفقير العامل غير المكتفي :

هناك طائفة من الفقراء عاملة في ميادين الحياة الاقتصادية المختلفة، لكن عائد عملها لا يكفيها، أو أنها تعيش مرحلة الكفاف<sup>(١)</sup> لا الكفاية<sup>(٢)</sup>، فإذا تعرّضت لأي طارئ أصاب آلة إنتاجها؛ خصوصاً إذا كان فاحشاً، فإنها تعجز عن صيانتها لفقدان القدرة المالية عندها. وهي تمتلك وسائل إنتاجية تدرّ عليها دخلاً متواضعاً؛ كأن يمتلك فقير سيارة أجرة يعمل عليها أو مركباً لصيد الأسماك أو آلة خياطة أو جراراً زراعياً، ثم تتعرّض تلك الوسيلة الإنتاجية لعطل جسيم لا يستطيع الفقير (صاحبه) تحمّل تكلفته، فيأتي التمويل الزكوي الوارد في السياسة الزكوية المقترحة عبر إدارة مؤسسة الزكاة لتحملّ التكلفة من خلال دفع ثمن قطع الغيار أو المحرك أو ما شابه ذلك، بالإضافة إلى تكلفة الصيانة، الأمر الذي يسهم في استمرار تأمين عائد الوسيلة الإنتاجية لصاحبها الفقير، والذي يسهم بالتالي في تأمين نمط حياة يصنّف اقتصادياً ضمن نمط الكفاية، وقد يرتقي إلى نمط الغنى إذا تحسّن عائدته المالي.

### رابعاً : آلية ممارسة التمويل الإنتاجي مع الفقير المالك العاجز عن استثمار ما يملك :

هناك طائفة من الفقراء تمتلك وسائل إنتاجية، خصوصاً في المناطق الريفية، حيث يمتلك بعضهم قطعة أرض مثلاً، لكنه يعجز عن استثمارها لفقدانه المال اللازم لذلك، وهنا يأتي دور السياسة الزكوية المقترحة من خلال تأمين بذور أو شتول أو غراس من أشجار الفاكهة أو الأشجار المثمرة بشكل عام من أموال الزكاة، بالإضافة إلى نفقات فلاح الأرض ووزع الشتول وغرس الأشجار... الأمر الذي يؤدي في النهاية إلى تطبيق مبدأ «إحياء الموات» من أموال الزكاة بطريقة أخرى غير الطريق المشهور بالنسبة لهذا المفهوم، ويسهم بالتالي في تأمين إيراد مالي دوري لهذا الفقير المالك لبعض أرض، لكنه عاجز عن إحيائه أو استثماره، وهذا النوع من

١- الكفاف لغة من الكفّ، يقال: كفّ عن الشيء؛ إذا تركه، وكففته كفّاً: منعته، وقوته كفاف: أي مقدار حاجته من غير زيادة ولا نقصان، وسمّي بذلك لأنه يكفّ عن سؤال الناس ويغني عنهم. ولا يخرج الاستعمال الفقهي للكلمة عن مدلولها اللغوي. (ينظر: د. حماد، نزيه، معجم المصطلحات المالية والاقتصادية في لغة الفقهاء، مرجع سابق، ص ٢٨١).. وعرفه الجرجاني بأنه «ما كان بقدر الحاجة، ولا يفضل منه شيء، ويكفّ عن السؤال» (ينظر: الجرجاني، علي بن محمد، كتاب التعريفات، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ص ١٣٠).

٢- يقول الدكتور يوسف القرضاوي: «للمعيشة الإنسانية في المجال الاقتصادي مستويات أربعة: أدناها مستوى الضرورة؛ وهي الحالة التي يعيش فيها الإنسان على ما يمسك عليه الرمح، ويبقي عليه أصل الحياة، ويدفع عنه الهلاك أو الموت. وأحسن منه: مستوى الكفاف؛ وهو الذي يمثل الحد الأدنى للمعيشة دون زيادة ولا نقصان. وأفضل منه مستوى الكفاية؛ وهو ما يسميه الفقهاء تمام الكفاية، وهذا هو المستوى الذي يريده الإسلام لأبنائه، بل لكل من يعيش في ظلّه (د. القرضاوي، يوسف، دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٦م، ص ١٨٠).

السياسات طبقه بيت الزكاة السوداني في قسم من محافظات السودان.

والأسلوب نفسه يمكن تطبيقه في المناطق المسماة جغرافياً بأحزمة البؤس والمنتشرة على أطراف المدن، كذلك يمكن تطبيقه في المناطق الريفية؛ حيث هناك إمكانية لتحويل الفقير لغرفة من منزله؛ خصوصاً إذا كانت واقعة على الطريق الرئيس أو الشارع الرئيس إلى دكان بسيط لبيع المواد الغذائية الأساسية والساكر، أو إلى محل لبيع الخضار والفاكهة (بقالة)، أو إلى محل لبيع الألبسة...، لكنه لا يمتلك أموالاً تساعد على ذلك، وهنا يأتي دور السياسة الزكوية المقترحة لتأمين التمويل النقدي له من مال الزكاة كي يقوم باستثماره في فتح غرفة من منزله دكاناً أو بقالة أو محلاً لبيع الألبسة...، الأمر الذي يؤدي بالتالي إلى إخراجهم من نطاق الفقر. تلك هي أهم ملامح خارطة طريق لسياسة تمويلية إنتاجية من أموال الزكاة، يمكن أن تسهم في حال اعتمادها من قبل إدارات المؤسسات الزكوية المعاصرة بإخراج شريحة الفقراء والمساكين على اختلاف طبقاتهم الحرفية والمهنية من القادرين على العمل وسواهم، من نطاق الفقر إلى نطاق الكفاية وربما الغنى.

### الخاتمة والنتائج والتوصيات

حوى البحث ثلاثة أقسام؛ تضمن القسم الأول الذي جاء تحت عنوان: «تطوير السياسات الزكوية: بيان المفاهيم والواقع والأحكام» توضيح مفهوم مفردات العنوان، ومدى إمكانية قبول فكرة «تطوير السياسات الزكوية...» شرعاً، وواقع «السياسة الزكوية الراهنة» في المؤسسات الزكوية المعاصرة، وأن تطوير السياسات الزكوية: يعتبر ضرورة اقتصادية ومصلحة شرعية.

أما القسم الثاني الذي جاء تحت عنوان «تطوير السياسات الزكوية: المستلزمات»؛ فلقد أوضح أهم تلك المستلزمات، وتمثل بالآتي: بوجود إدارة للدراسات والتخطيط والتطوير، ووجود البيئة التشريعية الفقهية الملائمة، ووجود البيئة الاقتصادية الملائمة، ونشر الثقافة الزكوية الملائمة، ونشر ثقافة «حب العمل» عند الفقراء، ودراسة خصائص «الموارد البشرية الفقيرة» في بيئة الدراسة، وإعداد دراسات الجدوى للمشاريع المقترحة، واعتماد التخطيط الاستراتيجي والتنفيذ والتقييم.

أما القسم الثالث والأخير الذي جاء تحت عنوان: «تطوير السياسات الزكوية: خارطة الطريق»؛ فقد تتضمن بيان أهم آليات ممارسة التمويل الإنتاجي مع الفقراء تبعاً للتوصيف الذي أعطي لهم في الدراسة، وتمثل أهمها بالآتي: آليات ممارسة التمويل الإنتاجي مع الفقير القادر على العمل، وآليات ممارسة التمويل الإنتاجي مع الفقير العاجز عن العمل، وآلية ممارسة التمويل الإنتاجي

مع الفقير العامل غير المكتفي ، وآلية ممارسة التمويل الإنتاجي مع الفقير المالك العاجز عن استثمار ما يملك .

**أما أهم نتائج الدراسة، فهي على الشكل الآتي :**

إنّ الفقه النظري لسياسة التمويل الإنتاجي موجود غالباً في المراجع الفقهية الزكوية القديمة التي تحدّث عنها فقهاؤنا رحمهم الله تعالى إلا ما له علاقة باستثمار أموال الزكاة فإنها مسألة معاصرة.

إختلف الحكم الفقهي المعاصر بشأن استثمار أموال الزكاة ما بين مؤيد ومعارض ، لكنّ الرأي العام يتجه نحو مشروعية ذلك ضمن ضوابط.

إنّ إدارات المؤسسات الزكوية المعاصرة نادراً ما تطبق سياسة التمويل الإنتاجي من أموال الزكاة في تعاطيها مع طبقة الفقراء والمساكين ، وكثيراً ما تطبق معهم سياسة التمويل الاستهلاكي .

إنّ تطبيق مبدأ تطوير السياسات الزكوية القائم على إقران سياسة التمويل الاستهلاكي من مال الزكاة بسياسة التمويل الإنتاجي يعتبر ضرورة اقتصادية ؛ نظراً لآثاره الإيجابية على النشاط الاقتصادي ، كذلك يعتبر ضرورة شرعية ؛ لكونه يحقق مصلحة شرعية تتمثل بتحقيق حدّ الكفاية وربما الغنى لطبقة الفقراء والمساكين ، ويخرجهم بالتالي غالباً من نطاق الفقر.

توصّلت الدراسة إلى ما يمكن تسميته بملامح السياسة الزكوية المقترحة، والتي تقوم على بيان آليات أو أساليب توظيف أموال الزكاة لصالح مصرف الفقراء والمساكين ، من خلال الفقير والمسكين نفسيهما، أو من خلال إدارات مؤسسات الزكاة، علماً أنّ تلك السياسة نادرة التطبيق في أرض الواقع.

وتتمثل أهم ملامح تلك السياسة بالآتي:

أ- على صعيد الفقراء القادرين على العمل:

وهؤلاء ينقسمون إلى قسمين:

أ-١: الفقراء القادرون على العمل غير المؤهلين فنياً:

بالنسبة لهؤلاء ، تتضمن السياسة المقترحة تأهيل هؤلاء من خلال تعليمهم حرفة أو مهنة ، ثم بعد ذلك تملिकهم آلة إنتاجية من أموال الزكاة، ليعيشوا بالتالي من عائد ممارسة الحرفة أو المهنة ، وفي حال وجود ظروف تحول دون ذلك بالنسبة لهم ، فإن هناك إمكانية لتمليكمهم مبالغ نقدية من أموال الزكاة لممارسة التجارات البسيطة، والعيش بالتالي من ربحها .

أ-٢: الفقراء القادرون على العمل المؤهلون فنياً:

بالنسبة لهؤلاء: فإنه يصار مباشرة إلى تمويلهم بأدوات ممارسة الحرفة أو المهنة التي يمتلكون خبرة بممارستها ، ثم يشرعون بالعمل والعيش بالتالي من عائد ممارسة الحرفة أو المهنة في أرض الواقع .

ب: الفقراء العاجزون عن العمل :

وسبب العجز يرجع لإعاقة أو شيخوخة أو مرض دائم، وتتعامل السياسة المقترحة مع هؤلاء من خلال الآتي:

ب-١: إنشاء مشاريع استثمارية عبر مؤسسات الزكاة:

تدعو السياسة المقترحة مؤسسات الزكاة لتشديد تلك المشروعات من أموال الزكاة ، وتمارس دور المنفذ لها والمشرف عليها ، على أن تكون ملكيتها للفقراء ، ويعيشون بالتالي من عائد استثمارها .

ب-٢: تمليك وسيلة إنتاجية لكل فقير وتأجيرها:

وتتضمن هذه السياسة شراء وسيلة إنتاجية من أموال الزكاة وتمليتها إلى كل فقير ، على أن يصار إلى تأجيرها بسبب عجزه عن استثمارها بنفسه ، ويعيش بالتالي من بدل إيجارها .

ب-٣: تمليك مبالغ نقدية واستثمارها مضاربة:

من مضمون هذه السياسة أيضاً تمليك الفقير مبلغاً مالياً كبيراً نسبياً من أموال الزكاة على أن يستثمر مضاربة لصالحه ، ويعيش بالتالي من ربحه .

ج: الفقراء العاملون غير المكتفين :

وتتعامل السياسة المقترحة مع هؤلاء من خلال تفتيت المخاطر التي يتعرضون لها من أموال الزكاة ، وذلك من خلال صيانة الآلة الإنتاجية التي يعيشون من عائدها ، والتي تعرضت لعطل فاحش لا يستطيعون إزالته لفقدهم المال ، فتأتي السياسة المقترحة لإسعافهم من أموال الزكاة من خلال إعادة الآلة الإنتاجية إلى دائرة الإنتاج ، واستمرار العيش من عائدها .

د: الفقراء المالكون العاجزون عن الاستثمار:

وتتعامل السياسة المقترحة مع هؤلاء من خلال تمويلهم من أموال الزكاة ، بهدف استثمار المورد الذي يملكونه والعاجزين عن استثماره بسبب فقدهم المال اللازم لذلك ، ونقله بالتالي من حالة الموت (عدم الاستثمار) إلى حالة الإحياء (الاستثمار) .

أما التوصيات التي يراها الباحث ضرورية في هذا المجال ، فيتوجه بها إلى الأطراف المؤكّنين بتنفيذ السياسة المقترحة والمسهومون بتربية الأجيال عليها ، وهم على الشكل الآتي:

## الطرف الأول : إدارات المؤسسات الوقفية :

يوصي الباحث هذه الإدارات بالقيام بالآتي :

القيام بالإعداد الجيد واللازم لما يؤدي إلى نجاح تنفيذ تلك السياسة في أرض الواقع ، من خلال الدور الملقى على عاتق إدارة الدراسات والتخطيط والتطوير وبقية الإدارات الموجودة في تلك المؤسسات، والتي لها صلة بتنفيذ هذه السياسة ميدانياً.

القيام بنشر المفاهيم والمبادئ والمستلزمات التي يحتاجها تنفيذ هذه السياسة بالنسبة للمزكين والفقراء، والتي تنعكس إيجاباً عليهم وعلى النشاط الاقتصادي ككل.

السعي لإقران سياسة التمويل الاستهلاكي بسياسة التمويل الإنتاجي من أموال الزكاة من خلال تخصيص نسبة معينة من تلك الأموال؛ كأن تكون ٢٥٪، كي تنفق في ميدان التمويل الإنتاجي للفقراء، والباقي (٦٥٪) ينفق في ميدان التمويل الاستهلاكي لهم (للفقراء) بالنسبة للسنة الزكوية الواحدة . ولا مانع من أن تزيد النسبة المئوية للتمويل الإنتاجي بشكل تدريجي سنوياً إذا كان هناك ما يستدعي ذلك .

## الطرف الثاني : الفقراء :

الطرف المؤثر في إنجاح هذه السياسة أو إفشالها هم الفقراء ، على اعتبار أنهم الجزء الأهم من أداة تنفيذها في أرض الواقع، فإن اقتنعوا بتنفيذها نجح تطبيقها غالباً، وإلا فلا .

ولذلك يتوجه الباحث بالقول إليهم بشكل عام، وللشريحة التي يوجد مجال لتأهيلها فنياً، وللقادرين على العمل منهم بشكل خاص: إن هذه السياسة تحوّلكم من عنصر اقتصادي مستهلك يعيش على أرزاق الغير وزكوات أموالهم إلى عنصر اقتصادي منتج ومستهلك من عائد إنتاجه بعد تملكه من مال الزكاة ما يحقق ذلك، فاسعوا جاهدين إلى تطبيقها، والإخلاص في تنفيذها.

## الطرف الثالث : المزكّون :

يوصي الباحث المزكّين بالتعاون مع إدارات المؤسسات الزكوية بتنفيذ السياسة الزكوية المقترحة؛ خصوصاً خلال القيام بوضع خطط لإيجاد مشاريع استثمارية ثم عرضها عليهم (المزكين) للاكتتاب بأسهمها (تلك المشاريع الزكوية)، على أن تؤوّل ملكية تلك المشاريع إلى الفقراء .

## الطرف الرابع : إدارات الإفتاء والدعوة والإعلام :

يوصي الباحث إدارات الإفتاء وإدارات الدعوة والإرشاد والمسؤولين عن إدارة المنابر الإعلامية الدينية من خطب الجمعة والدروس الوعظية والصحف الدينية، ومحطات الإذاعة والتلفزة الدينية

الخاصة والرسمية (وغير الدينية أيضاً) وغيرها في دول العالم العربي والإسلامي بالاهتمام بنشر ثقافة التمويل الإنتاجي من مال الزكاة .

#### **الطرف الخامس : إدارات التعليم الجامعي الشرعي والإداري :**

يوصي الباحث إدارات التعليم في الكليات الشرعية والإدارية بنشر هذه الثقافة خلال تعليم فقه الزكاة في الجانب النظري والتطبيقي (المحاسبي) ، وما لذلك من أثر إيجابي على أطراف التعامل في النشاط الاقتصادي ، وعندها يمكن الإسهام بتخريج الجيل الزكوي المسهم بتعزيز نشر هذه الثقافة وتطبيقها .

هذا ما يسرُّ الله بيانه والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وآخر دعواهم أن الحمد لله ربّ العالمين .

## د. علي مصطفى القضاة

أستاذ مساعد / جامعة البلقاء التطبيقية / الأردن

الدكتور : عمار عبد الله فريحات

أستاذ مساعد / جامعة البلقاء التطبيقية / الأردن

# العلاج النفسي في التصور الإسلامي

## ملخص البحث

هدفت هذه الدراسة إلى بيان التصور الإسلامي للعلاج النفسي إذ تطرق الباحثان إلى كيفية اهتمام الإسلام بحفظ النفس الإنسانية، وعناصر تكوين النفس الإنسانية، والمقارنة بين نظره الإسلام وغيره إلى النفس الإنسانية، وأحوال النفس الإنسانية، ونظره الإسلام للسلوك الإنساني والاضطرابات النفسية، ومصادر العلاج النفسي في التصور الإسلامي وما هي خصائصه ووسائله؟ والخطوات التي يقوم عليها العلاج النفسي وفقا للتصور الإسلامي .

وذلك من خلال استخدام المنهج الوصفي التبعي وذلك بالرجوع إلى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة وخلصت الدراسة إلى مجموعه من النتائج والتوصيات

## Abstract

This study is aimed at explaining the Islamic view of psychiatric therapy. The researcher has viewed the way Islam cares about protecting human life in every way. They also compared between is i am religions in dealing with this issue in accordance with human needs, in life circumstances, the Islamic view towards human behavior, psycholog confusion and psychological therapy in Islam's view. In addition the researcher discussed the means, steps, and

characteristics of this therapy in Islam. This therapy is done according to the descriptive way mentioned in Holy Quran verses and in true Hadeeth Shareef. The study came up with some findings and recommendations.

## مقدمة :

يعيش الإنسان في عصرنا الحاضر، ويواجه في حياته كثيراً من الصعاب، والمشاكل، والأمراض، متعددة الأنواع والظروف، ومختلفة الألوان، ويصبح الإنسان عاجزاً عن إيجاد حلول ملائمة لهذه الصعوبات، وتنشأ لديه عوامل كثيرة تؤثر في سلوكه، وحياته النفسية، وما يتبع ذلك من أمراض نفسية وعصبية واضطرابات سلوكية، ولعل سبب هذه الأمراض هو البعد عن منهج الله في الحياة، إذ إن مشاكل العالم النفسية في ازدياد، وهي تؤدي إلى الانحراف إذا لم تجد العلاج لها، مما يؤثر على الحياة الآمنة للمجتمعات، فالعالم اليوم رغم تقدمه التقني، إلا أنه يواجه الكثير من الاضطرابات النفسية، والضغطات التي ترهقه، فهو ينتقل من صراع إلى صراع، ومن هدوء إلى قلق، ومن عمار إلى دمار، ومن حياة آمنة إلى حرب طاحنة، كلها تؤثر على عقله، ونفسه، وروحه، وعندها يبدأ في البحث عن حل لهذه المشكلات والصعاب.

ولما كانت الحلول التي قد يصل إليها الإنسان لعلاج ما ألم وحل به من أمراض متنوعة، كان لزاماً عليه أن يتعرف إلى العلاج الشافي الذي يقيه شرور هذه الأمراض، وهو يقوم على معرفة مكونات النفس البشرية، ومدى التوازن النفسي بين أجزائها المتعددة، والمتربطة، والمتكاملة، ومعرفة التوافق بين الحاجات البدنية، والعقلية، وضرورة إشباع هذه الحاجات، مع الاستمرار ومع القدرة على مواجهة متطلبات الحياة وتعقيدها المختلفة، لتصل بالإنسان إلى أن الدنيا دار مزرعة للآخرة.

فالإسلام يدعو الفرد إلى أن يؤسس شخصيته على الإيمان بالله إيماناً عميقاً، وأن يوازن بين جوانب شخصيته توازناً قوياً وشاملاً، وقائماً على أسس ثابتة وواضحة في العلاقة بينه وبين خالقه، وبينه وبين الناس، مبنية على الالتزام بكل ما أمر الله من أوامر، واجتناب كل ما نهى الله عنه من نواه، لتكون هذه العلاقة درعاً واقياً من الأمراض المتعددة والكثيرة، التي غزت حياتنا ومجتمعاتنا، وخاصة الاضطرابات النفسية التي نمت وزادت في العصر الحديث، وفشلت كل هذه النظريات الفلسفية، والوضعية في تقديم العلاج الشافي، في الوقت الذي أثبت التصور الإسلامي قدرته على تقديم العلاج الشافي لكثير من أمراض النفس الإنسانية، من خلال نظرته المتوازنة بين متطلبات الحياة ومتطلبات الآخرة، وبين متطلبات الروح والجسد، وهذا ما سنبينه في هذه الدراسة إن شاء الله سبحانه وتعالى، من خلال ما تضمنته الآيات القرآنية التي تبين

طبيعة النفس ، ووصف أحوالها ، وبيان أسباب الانحراف ، وتوضيح طرق الوقاية والعلاج ، فقد كانت النظرة الشاملة من التصور الإسلامي لجوانب النفس الإنسانية نابعة من آيات القرآن التي هي أكثر شمولاً واستيعاباً ، ومعرفة وعلاجاً ، دون أن ينال ذلك من وحدة الكيان الإنساني في جوانبه المختلفة ، فهو الذي يمدنا بالحقائق الصحيحة السليمة عن الإنسان ، فالله هو الأعلم بطبيعة الإنسان وأسرار تكوينه .

إن في القرآن والسنة ذخائر من النصوص مليئة بالحديث عن الأمراض النفسية ، وأسبابها ، وعلاجها ، وطرق مقاومتها ، ووجد العالم اليوم الفرق الكبير بين منهج الإسلام في علاج النفس ، وبين منهج الأطباء النفسيين الذين يصفون العلاج .

إن الحديث عن الصحة النفسية لا تقل أهمية عن الحديث عن الصحة البدنية ، بل إن كل واحد منهما يؤثر بالآخر ، فالحالة النفسية عند الإنسان تنعكس على حالته البدنية سلباً أو إيجاباً ، فالأمراض النفسية زادت نتيجة الصراع المادي ، وأصبح من الضروري أن يرجع الإنسان إلى الإيمان لما يحدثه من أمن وطمأنينة في النفس لينعكس على حالته البدنية إيجاباً بإذن الله تعالى .

إذ تظهر هذه الدراسة الأهمية المتزايدة لضرورة وجود تصور إسلامي لما يجده الإنسان من اضطرابات وأمراض نفسية وبيان السبيل لعلاجها ما أمكن . وسنحاول في هذه الدراسة المتواضعة أن نسلط الضوء على العلاج النفسي في التصور الإسلامي ، وهي تشتمل على : مقدمة وأربعة فصول :

### **الفصل الأول ويشتمل على :**

#### **أهمية المحافظة على النفس البشرية في الحياة الإنسانية ، وفيه مباحث :**

المبحث الأول : اهتمام القرآن والسنة بحفظ النفس الإنسانية .

المبحث الثاني : عناصر تكوين النفس الإنسانية في التصور الإسلامي .

المبحث الثالث : مقارنة بين نظرة الإسلام وغيره إلى النفس البشرية .

المبحث الرابع : أحوال النفس الإنسانية في التصور الإسلامي .

## الفصل : الثاني

السلوك الإنساني، وأسباب الاضطرابات النفسية من وجهة التصور الإسلامي .

### الفصل الثالث حتمية العلاج النفسي

ومصادره، وخصائصه. ويشتمل على مباحث:

المبحث الأول : حتمية العلاج وضرورته.

المبحث الثاني : مصادر العلاج النفسي في التصور الإسلامي.

المبحث الثالث: خصائص العلاج النفسي في التصور الإسلامي .

## الفصل الرابع

وسائل التصور الإسلامي للعلاج النفسي، وخطواته

المبحث الأول : وسائل التصور الإسلامي للعلاج النفسي .

المطلب الأول : الإيمان .

المطلب الثاني : التقوى .

المطلب الثالث : محاسبة النفس .

المطلب الرابع : العبادات وأثرها .

المطلب الخامس : الأخلاق ودورها .

المطلب السادس : المداومة على الأعمال الصالحة .

المبحث الثاني : خطوات العلاج النفسي في التصور الإسلامي .

الخاتمة والنتائج .

## الفصل الأول

### أهمية المحافظة على النفس البشرية في الحياة الإنسانية

إن النفس الإنسانية اليوم بأمس الحاجة إلى العلاج الذي يخلصها مما علق بها من أمراض نفسية معقدة، واضطرابات متنوعة، وذلك باتباع منهج الله القويم، وصراطه المستقيم الذي يمنح هذه النفس استقرارها وسعادتها. ولما كان العلاج ضرورة للنفس الإنسانية لتخليصها من أمراضها واضطرابها، بعد أن فشلت البشرية بكل ما تملكه من وسائل تكنولوجية، وتقدم علمي من تخليص النفس مما علق بها، لقصور فهمهم عن حقيقة العلاج الذي يكمن في شريعة الله - سبحانه وتعالى -، وعدم قدرتهم في تحقيق التوازن والانسجام بين مكونات النفس الإنسانية، واستخدام الدواء في غير مكانه، فازدادت هذه النفس تعاسة وشقاءً ومرضاً وانحرافاً، فقد وصف العلاج من عقائد محرفة، وفلسفات وأيدلوجيات غير مدركة لِكُنْه النفس البشرية، إذ إنها تنظر إلى النفس من منظور مادي بحت، مهملة الجانب الروحي فيها، ولوعاد الإنسان إلى رشه وفطرته، لاستطاع الوصول إلى العلاج، وترك التخبط باهتدائه إلى الإيمان، وارتقى إلى درجات الإحسان التي تعالج النفس من أمراضها المتنوعة.

إن البشرية اليوم جربت الأساليب المتعددة والمتنوعة في علاج أمراض النفس الإنسانية، وفشلت، وازدادت شقاءً وانتكاسة، فكان لا بد من البحث عن أساليب علاجية جديدة نابعة من التصور الإسلامي للعلاج النفسي الذي يسهل على هذه النفس استخدامها لضمان شفاء واضح - بإذن الله تعالى -، فأساليب العلاج في التصور الإسلامي نابعة من مخاطبة العقل البشري، ودحضه للأفكار الخاطئة، والخرافات، والأساطير، لبيث روح الطمأنينة، والسكينة في النفوس، وليعدل الإنسان سلوكه نحو الالتزام بمنهج الله الذي يعالج به أمراضه النفسية.

ومن هنا فإنه يتوجب علينا الاهتمام بالعلاج النفسي في التصور الإسلامي، لفشل ما قدمته العقائد المحرفة والأيدلوجيات الوضعية من علاجات ضاعفت المرض عند المريض، فقد طبقت هذه الدراسات والعلاجات على مجتمعات تختلف اختلافاً بيناً واضحاً عن مجتمعاتنا، في قيمها وعاداتها وسلوكها، فكانت الحاجة ماسة وضرورية في البحث عن أساليب جديدة تتفق مع منهج الله سبحانه وتعالى، تهدي إلى الصراط المستقيم، وتخلص النفس الإنسانية من أمراضها واضطرابها، فكان التصور الإسلامي للعلاج النفسي، هو الطريق السليم لتقديم العلاج، إضافة إلى أنه زاخر ببيث الطمأنينة، والسكينة، والوقار في القلوب والنفوس، وذلك من خلال آيات القرآن الكريم، وأحاديث النبي ﷺ الصحيحة الثابتة التي من خلالها يعدل السلوك عند الإنسان، ولذلك تأتي هذه الدراسة محاولة من الباحثين إلى بيان التصور الإسلامي للعلاج النفسي<sup>(١)</sup>.

١- التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية، البحث في النفس الإنسانية والمنظور الإسلامي، محمد عز الدين توفيق، ص ٧١، دار السلام للطباعة والنشر والترجمة، القاهرة، مصر الطبعة الأولى ١٩٩٨م - ١٤١٨هـ.

## المبحث الأول: اهتمام القرآن والسنة بحفظ النفس الإنسانية

خلق الله الإنسان بيديه ، وكرمه على سائر المخلوقات، ومنحه مكانة وقيمة عالية، إذ خلقه في أحسن تقويم ونفخ فيه من روحه، واسجد له الملائكة، واستخلفه في الأرض، وسخر له ما في السموات وما في الأرض، وأرسل إليه الرسل مبشرين، وكرمه بأن شرع له منهاجا ينظم به علاقته مع البشر، وحرّم الدماء بين بني البشر، كما بين حرمة الاعتداء على النفس البشرية، وعدّها من أكبر الكبائر بعد الكفر والشرك. وهذا ما هو واضح من الآيات القرآنية الكثيرة التي تبين مثل هذه المعاني الطيبة. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْرِ وَأَرْزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (٧٠) (الإسراء)

ينظر الإسلام إلى النفس الإنسانية بصورة تختلف عن تلك التي ينظر فيها البشر إلى أنفسهم، فالخالق سبحانه وتعالى خلق الإنسان، وكرّمه، وجعله يتبوأ مكانة عالية بين سائر المخلوقات. والنفس الإنسانية كما بينها القرآن الكريم، تعني الإنسان الكل المتكامل، حيث إن الإنسان مكون من الجسد، والروح التي نفخها فيه الحق سبحانه وتعالى من روحه. وقد خاطب الخالق سبحانه وتعالى الإنسان في مختلف الظروف، والأزمان بأكمله وحدة واحدة متكاملة، ولم يخاطب جزءاً منه. ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (١) (النساء)

وقد اهتم القرآن بالنفس الإنسانية، حيث ورد ذكر النفس في القرآن ومشتقاته بأشكال مختلفة كانت بمجملها ثلاثة عشر شكلاً وصورة، ما بين مفرد، وجمع، وتذكير، وتأنيث. فقد ذُكرت في القرآن مفردة في مائة وست عشرة آية، وجمعاً بصيغة نفوس مرتين، وبصيغة أنفس مائة وثلاثاً وخمسين مرة، وحينما نتدبر سياقها في القرآن نلاحظ أنها تعني الذات بصورة عامة، أي بعنصرها المادي والروحي، ومن ثم يجوز عليها الموت أو القتل: (١)

ولقد عظم الله حق النفس الإنسانية، وبين مكانتها، وحرّم الاعتداء عليها وشرع من الأحكام ما يكفل وجودها وبقائها على أكمل وجه وأحسنه، وشرع ما يمنع من أن يعتدى عليها، أو تنتهك حرمتها، ولهذا حرم الله قتل النفس بغير حق، وتوعد القاتل بالعذاب الشديد، وجعل في عمده القصاص، وفي خطئه الدية والكفارة، وحرّم على المكلف إلقاء نفسه في التهلكة، أو تمكين غيره

١- أنظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، محمد فؤاد عبد الباقي، مطابع الشعب، مصر ١٣٧٨هـ. مقال في الإنسان، دراسة قرآنية، د. عائشة عبدالرحمن، دار المعارف، مصر، ١٩٦٩ م، ودراسات نفسية وتأمّلات قرآنية، عزة عبد العظيم الطويل، مكتبة الثقافة، الإسكندرية، ١٩٧٧ م. وعلم النفس المعاصر في ضوء الإسلام، محمد محمود محمد ص ٢٩، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، جدة، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ-١٩٨٤ م

منه، وشرع مدافعة الصائل على النفس ولو بقتله، وحرّم قطع عضو من أعضائه لغير مصلحة تربو على مفسدة القطع.

إن محافظة الإسلام على النفس الإنسانية وبيان مكانتها، وتوفير كل وسائل الحماية والتكريم لها تبدأ من مراحل خلقه الأولى، وهو جنين في بطن أمه بتحريم الاعتداء عليه بالإجهاض، أو الوأد، وتحريم أن يعتدى على نفسه بالانتحار، أو الاعتداء على غيره وجعل من أول ما يحاسب عليه العبد الدماء في الآخرة. فقد روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «أول ما يقضى بين الناس في الدماء»<sup>(١)</sup>. قال النووي: «فيه تغليظ أمر الدماء، وأنها أول ما يقضى فيه بين الناس يوم القيامة، وهذا لعظم أمرها، وكثير خطرها»<sup>(٢)</sup>.

لقد شرع الإسلام المحافظة على النفس الإنسانية لأن فيها محافظة على الحياة، ومحافظة على الكرامة الإنسانية لكي يعتدى عليها، أو تهان بالسب، والشتم، والتحقير، والمحافظة على أمن واستقرار الشعوب والمجتمعات من أن تعيش أمنة مطمئنة بفضل هذه التشريعات. وحفظ الله لهذه النفس يشمل حفظ الجسم، والروح، ولكل أمراضه النفسية، والجسدية، فقد جعل الله سبحانه وتعالى حفظ النفس الإنسانية من مقاصد الشريعة الأساسية، فحرم قتلها، وشرع لها حقوقاً شاملة للحقوق النفسية والجسدية، لتكون حياة هذه النفس كريمة أمنة مطمئنة، ﴿لِيَلْبِغَ قُرَيْشٌ ۖ إِلَيْهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۗ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۖ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَعَآمَنَهُمْ مِّنْ حَوْفٍ ۗ﴾ (قريش). و بين الإسلام كرامة الإنسان بعيداً عن لونه ودينه وجنسه، وحرّم الاعتداء على النفس وصان كرامة الظالم من أن يقتص منه بأكثر مما يستحق من العقوبة، فكانت الحياة الآمنة الخالية من الأمراض النفسية وغيرها .

إن النفس الإنسانية والمحافظة عليها، وصونها من أهم أساسيات وضرورات الشريعة الإسلامية، ومقاصدها، إذ حرمت قتل الإنسان لنفسه، وجعلت مصيره النار، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۗ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهٖ نَارًا ۗ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۗ﴾ (النساء). وأقرت الشريعة من أن الاعتداء على النفس بغير

١- صحيح البخاري مع الفتح، محمد بن إسماعيل البخاري، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٧-١٩٨٧م الدييات باب قوله تعالى: «ومن يقتل مؤمناً متعمداً» ١٢/١٩٤ (٦٨٤٦)، صحيح مسلم ح. مسلم بن الحجاج النيسابوري ٢٦١.٢٠٦ حقق نصوصه، ووصحه ورقمه، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القسامة والمحاربين المجازاة في الدماء في الآخرة ٣/١٣٠٤ (١٦٧٨)، سنن ابن ماجه للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ٢٠٧- حققه ورقم أحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان-الدييات-التغليظ في قتل المسلم ظلماً ٢/٨٧٢ (٢٦١٥)  
٢- صحيح مسلم بشرح النووي، للإمام محي الدين بن شرف النووي ٦٧٦هـ/١٢٠٢، دار الفكر بيروت ط٢.

حق هو اعتداء على البشرية جمعاء، قال تعالى: ﴿مَنْ أَجَلٌ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ (المائدة).

قال ابن العربي في أحكامه: إنه بمنزلة من قتل الناس جميعاً عند المقتول، إما لأنه نفسه فلا يعنيه بقاء الخلق بعده، وإما لأنه مأثور ومخلد، كأنه قتل الناس جميعاً على أحد القولين، واختاره مجاهد وإليه أشار الطبري، وقال بعض المتأخرين: إن معناه: يقتل بمن قتل كما لو قتل الخلق أجمعين، ومن أحيها بالعفو، فكأنما أحيها الناس أجمعين.<sup>(٢)</sup>

ولذا صار من الأمور المعلومة بالضرورة من دين الإسلام صيانة النفوس، وعدم الاعتداء عليها بالقتل وغيره، فهي واحدة من الضروريات الخمس التي جاءت جميع الشرائع الإلهية بوجوب المحافظة عليها، وتحريم الاعتداء عليها. ووجوب حفظ النفس بوصف علاجها من أمراضها المختلفة العضوية والنفسية، إذ فيها محافظة عليها، ووجب القرآن التداوي، وجعل فيه الشفاء للأمراض قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (الإسراء) وجاء القرآن موعظة وهداية وشفاء لما في الصدور وأكثر انتشار الأمراض النفسية منها.

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس). يقول ابن كثير. رحمه الله. : يقول الله. تعالى. ممتناً على خلقه بما أنزله من القرآن العظيم، على رسوله الكريم: أي زاجراً عن الفواحش، وشفاء لما في الصدور، أي من الشبه، والشكوك، وهو إزالة ما بها من رجس ودنس.<sup>(١)</sup> قال تعالى: ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا سَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل): ومع تحريم القرآن من الاعتداء على النفس، ووجوب المداواة لأمراضها المختلفة، فقد وردت الأحاديث النبوية بذلك: منها عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات» قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «الشرك بالله والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»<sup>(٢)</sup> وقوله ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله

١- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جعفر الطبري، تفسير سورة المائدة ٢/١٩٥ نشر دار الفكر، بيروت، لبنان.

٢- تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ عماد الدين، أبو الفداء، إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤هـ،

٤/٤٢٠، دار المعرفة، بيروت، لبنان، .

وعرضه»<sup>(١)</sup> وأمر ﷺ على مواصلة العلاج، والتداوي من جميع الأمراض، قال ﷺ ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء»<sup>(٢)</sup>

وفي الحديث عن أسامة بن شريك ، قال : « أتيت النبي ﷺ وأصحابه كأنما على رؤوسهم الطير، فسلمت ثم قعدت ، فجاء الأعراب من هنا وهنا ، فقالوا يا رسول الله أنتداوي؟ فقال : «تداووا ، فإن الله عز وجل لم يضع داءً إلاّ وضع له دواء ، غير داء واحد الهرم».<sup>(٣)</sup> وقوله ﷺ : «لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل».

إن الطب والتداوي مما حث عليه الإسلام ، وجعله من أفضل العلوم الإنسانية ، إذ به تحفظ الروح، والعقل، والجسد، ويساعد الإنسان أن يقوم بمهمة الخلافة في الأرض وعمارته. وجعل الحث على التداوي من باب الأخذ بالأسباب والتوكل على الله.

ويرجع اهتمام القرآن بالنفس البشرية، ووجوب المحافظة عليها، لأن الإنسان هو المكلف بهذه الأرض، والمقصود بالهداية، والإرشاد، والإصلاح، والخلافة في الأرض، وعمارته. فقد نزل القرآن لهذه الغاية العظيمة في دعوة الناس إلى عقيدة التوحيد، وإرشاد الناس إلى الصراط المستقيم، وتوجيههم إلى الطرق الصحيحة، لتربية أنفسهم، وتنشئتها على تحقيق السعادة في الدنيا والآخرة. لقد جاء الأمر في القرآن بحفظ النفس حتى تنشأ على سواء الفطرة، وحفظ النفس يشمل حفظ الجسم، وحفظ الروح، ولكل أمراضه وأسقامه، كما جاءت الأحاديث تأمر بذلك، ليس بتحريم قتلها فحسب، بل بحفظ كرامتها وتحقيق سعادتها.<sup>(٤)</sup>

### المبحث الثاني: النفس الإنسانية في التصور الإسلامي

إن الله سبحانه خلق الإنسان في أحسن تقويم ، وجعله مخلوقاً من أفضل المخلوقات، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ (الإسراء) : ﴿٧٠﴾ وجعل له القدرة على عمل الخير وعمل الشر، وخلق له عقلاً يفكر فيه ويميز، ومنحه القدرة على التمييز والاختيار، حيث منحه العقل، وأعطاه حرية الاختيار، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾ (الشمس) ، فهو يختار الموصفات السلوكية التي تمكنه معرفتها، وإدراكها

١- صحيح البخاري مع الفتح - فتح الباري، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ٨٥٢.٧٧٣هـ رقم كتيبه محمد فؤاد عبدالباقي، دار الريان للتراث القاهرة، ط ١ الوصايا قول الله تعالى: «إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً ٢٧٦/٤، الطب الشرك والسحر ٢٤٢/١٠ (٥٧٦٤)، الحدود. رمي المحصنات ١٨٨/١٢ (٦٨٥٧).

٢- صحيح مسلم. البر والصلة. تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ١٩٨٦/٤ (٢٥٦٤).

٣- صحيح البخاري. مع الفتح. الطب ما أنزل الله من داء إلا أنزل له دواء ١٤٠/١٠ (٥٦٧٨).

٤- صحيح مسلم. السلام لكل داء دواء واستحباب التداوي ١٧٢٨/٤ (٢٢٠٤) يراجع مسند احمد ٨٢٧/٤

من تمييز الرديء منها من الجيد، وجعله مهياً لبلوغ أعلى الدرجات، وحمله المسؤولية في هذا الاختيار، وجعل هذه النظرة ثابتة لا تبديل، ولا تعديل فيها، كما منحه سبحانه القدرة على التعلم، واكتساب المعرفة، بما أعطاه الله من حواس تعد نوافذ للمعرفة، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (النحل: ٧٨) لقد خلق الله الإنسان من جسد وروح، وبين - سبحانه وتعالى - استحالة الفصل بينهما، ليحدث توازن في إشباع حاجات الجسد والروح، في الوقت الذي أغفل فيه علماء النفس جانب الروح، وأقروا بأن مكونات النفس الإنسانية جسم، وعقل، وأهملوا الجانب الروحي.

ولقد وجد النبي ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم أجمعين في القرآن الكريم ما أعانهم على فهم أنفسهم، ومعرفة حق المعرفة، من خلال تعمقهم في الآيات والأحاديث، وذلك لان القرآن هو من عند الله - عز وجل - خالق الأنفس، والعالم بحالها، قال تعالى: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ (الإسراء: ٢٥) وقال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٣٥) وكتاب الله حافل بالآيات التي تصف النفس الإنسانية في مختلف حالاتها: سوية، وشاذة، صاعدة، وهابطة، خيرة وشريرة، مؤمنة وكافرة. <sup>(١)</sup> والقرآن الكريم هو المصدر الأول والركيزة الأساسية لفهم الطبيعة البشرية، فمن خلال آياته نستطيع أن ندرس سلوك البشر، ونقف على طبيعتهم، ونفهم حقيقة أنفسهم، والإسلام الدين الوحيد الذي يعالج السلوك الإنساني من جانبيه، المادي الذي يتجلى في دوافعه الفطرية، والروحي الذي يتمثل في قيمه، وأخلاقه، وعواطفه، وصلته بربه، ومعرفة نفسه، والقرآن الكريم زاخر بالقواعد العملية التي تتناول أغلب أحوال الناس في جميع أمور حياتهم، قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَالِكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الأَلْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ تُرَى إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (الأنعام: ٣٨) وقد تضمن القرآن الكريم الآيات القرآنية التي تعرضت لطبيعة تكوين الإنسان، ووصفت أحوال النفس، المختلفة، وبينت أسباب انحرافها، ومرضها، وطرق تهذيبها، وعلاجها، وتربيتها، وذلك أمر طبيعي في كتاب، أنزله الله لهداية الإنسان، وتوجيهه، وتربيته، وتعليمه، وكانت الآيات القرآنية عن النفس البشرية بمثابة المعالم التي يسترشد بها الإنسان في فهم نفسه وخصالها، وفي توجيهه إلى الطريق الصحيح، وتهذيب السلوك البشري، ومن الممكن أن يسترشد بما ورد في القرآن الكريم من حقائق عن الإنسان وصفاته، وأحواله النفسية، في تكوين صورة صحيحة عن شخصية الإنسان، والدوافع الأساسية التي تحرك سلوكه، والعوامل الرئيسية لتوافق شخصيته، فالقرآن يمدنا بالحقائق

١- مقدمة في الصحة، عبدالسلام عبدالغفار، دار النهضة العربية، القاهرة.

الصحيحة عن الإنسان التي نستمدّها من كلام الله، وهو الأعم بطبيعة الإنسان، وأسرار تكوينه، مما أعطى تفسيراً دقيقاً، وسليماً للسلوك البشري، والعوامل التي تسبب في اضطرابه كيف لا يكون ذلك والقران كلام الله، والله هو خالق هذا الإنسان، ويعلم خفايا نفسه وما يفكر به. (١)

والإنسان مولود على الفطرة في الوقت الذي لا تعني فيه الفطرة الاستسلام، وهي قابلة للتعديل، والتشكل نحو السلوك السوي، وذلك بما أودعه الله في هذه النفس من قدرات ومواهب عقلية، لها القدرة على السيطرة على سلوك الإنسان، ونزواته، وشهواته، قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ (القيامة)، قال تعالى: ﴿هَلْ أُنِذِرُ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينَ مَنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ (١) ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (٢) ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (٣) (الإنسان). إن الله سبحانه منح الإنسان العقل، ليفكر ويفهم ويستنتج، وأمره بالعبادات التي من خلالها يضبط سلوكه، وتمنعه من الوقوع في المعاصي والآثام المختلفة، قال تعالى: ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِابْتِغَاءِ الصَّلَاةِ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ (٤٥) (العنكبوت)

ومن هنا فقد أكد علماء الإسلام، على أن الطبيعة الديناميكية للنفس الإنسانية المزوجة تقتضي فهم طبيعتها، وما يصدر عنها من أفعال، أي سلوكيات إنسانية من جانبيين متفاعلين متناغمين، يتعلق أحدهما بالجانب المادي، فيما يتعلق الآخر بالجانب الروحي، وبدون هذه النظرة الديناميكية، لبنية الشخصية يبقى فهم النفس الإنسانية مبتورا، وعاجزا عن تفسير جميع أشكال السلوك البشري، إذ إن الاختصار في تفسير السلوك على الجانب المادي، وإقصاء الجانب الروحي مثلا يعد تفسيراً قاصراً، ومبتورا للسلوك الإنساني الذي يتسم بالتعقيد، وذلك انه سيدرس ظاهر السلوك، لذلك فالسلوك الإنساني محصلة للتفاعل بين المكونين المادي والروحي للنفس ولا يفهم إلا في ضوءهما معا. (٢)

ويرى عماد الدين خليل: أن الإنسان في الإسلام هو الكائن المتفرد الذي خلقه الله. سبحانه وتعالى. سويا متوازنا، لا تطغى فيه قيم ونشاطات، على قيم ونشاطات أخرى، وأن كل سلوك يصدر عن الإنسان، أو كل نشاط يمارسه، إنما يصدر عنه بكليته باعتباره وحده لا انفصام بين أجزائها، والإنسان لما حوله لا يستجيب بجسمه فقط، ولا بروحه وعقله فقط، وإنما يستجيب بأجمعه، والإنسان وحدة واحدة لا انفصال بين جسمه، وروحه، وعقله. (٣)

١- دراسات في النفس الإنسانية: محمد قطب، ص ٥-٦ دار الشروق، القاهرة ط٤، ١٤٠٠هـ.

٢- أثر القرآن الكريم في الأمن النفسي، ناهد عبدالعال الخراشي، ١٩٨٧ م مصر.

٣- علم النفس التربوي في الإسلام، شادية التل، ص ٤٦، دار النفائس، عمان، الاردن ٢٠٠٥م.

ويبين إبراهيم السرخسي: أن المتتبع للآيات القرآنية الكريمة في خطابها للإنسان، يرى أنها تتناول الذات الإنسانية، باعتبارها محصلة لمختلف القوى والقدرات التي زود الله بها طبيعة الإنسان، سواء تلك القوى التي تربطه بالكون الذي يعيش فيه وبرز الكون الذي يعيش فيه، وتلك القوى العقلية التي تمكنه من اختيار البدائل.<sup>(١)</sup>

## المبحث الثاني:

### عناصر تكوين النفس الإنسانية في التصور الإسلامي وغيره من الأيدولوجيات الأخرى

خلق الله الإنسان، وكرمه، وفضله على سائر مخلوقاته، واستخلفه في الأرض، وأودع فيه سبحانه مكونات فطرية ونفسية، بصورة اكتملت فيها مقومات تعديل سلوكه في الحياة التي يعيشها، يستطيع من خلالها تجنب الوقوع في الانحراف في الحياة، فقد منح الله جميع النوازع والغرائز، ومنحه ميولاً فطرية، لترك الإنسان وفطرته لاهتدى إلى الخير. ونظر الإسلام إلى النفس الإنسانية بصورة مختلفة عما جاءت بها الأيدولوجيات الأخرى، فقد خلقه الله، وجمع بين عناصره (جسم، وعقل، وروح) ولم يفصل بينهما بشي، ولكل متطلباته.

ومن هنا فإن الإنسان ذو كيان مزدوج الطبيعة، خصيصة ينفرد بها الإنسان عن سائر المخلوقات، ولا يوجد انفصال، أو استقلال بين العنصرين، وهما ممتزجان معاً في وحدة متكاملة متناسقة، وتتكون من هذا المزيج المتكامل ذات الإنسان ولا يمكن فهم الإنسان بشكل دقيق إلا بالنظر إلى هذا الكيان بأكمله<sup>(٢)</sup> وتشير د. شادية النل: أن هذه النفس المزدوجة تقتضي فهم طبيعتها، أو ما يصدر عنها من أفعال، أي سلوكات إنسانية من جانبيين متفاعلين ومتناغمين، ودون هذا التفاعل وهذا التناغم لا يمكن فهم النفس الإنسانية، في حين يبقى هذا الفهم عاجزاً، ومبتوراً عن تفسير جميع أشكال السلوك الإنساني.<sup>(٣)</sup> وإلى هذه المعاني أشار د. محمد محمود: إذ بين أن أبرز ما في الكيان الإسلامي انه كيان مزدوج، وهذا الازدواج خصيصة تفرد بها الإنسان عن سائر مخلوقات الله، وهذا الازدواج يعتبر سمةً وطابعاً لشخصيته، فكل سلوك أو تصرف يأتي به الإنسان تبدو فيه الظاهرة المميزة، فهو وحده الذي انفرد دون غيره من المخلوقات بخاصية التفكير، والجدل ومسؤولية الاختيار، الذي يتمثل في العقل والإرادة، ومختلف القدرات العقلية المعرفية، إلى غير ذلك مما يؤهله لإخلاص العبادة لله، ومما سبق نخلص بفكرة عامة

١- تهافت العلمانية، عماد الدين خليل، ص ٤٨، مؤسسه الرسالة، بيروت ١٩٧٩م.

٢- السلوك وبناء الشخصية بين النظريات الغربية والمنظور الإسلامي، إبراهيم محمد السرخسي ٢٠٠٢م، ١٤٢٢هـ ط١

٣- انظر: علم النفس المعاصر في ضوء الإسلام محمد محمود محمود ص ٢١، القرآن وعلم النفس الدكتور محمد عثمان نجاتي ص ٢٠٢ دار الشروق للنشر والتوزيع ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م، والتأصيل الإسلامي، محمد عز الدين توفيق ص ١٤٦-١٥٢.

عن الإنسان بأنه : مخلوق ذو طبيعة مزدوجة يجمع بين الجسدية الشهوانية (قبضة من طين) وبين النورانية (نفحة من الله) فهو المخلوق الوحيد الذي تقرد بهذه الخاصية دون سائر المخلوقات.

ويتبين لنا من خلال آيات القرآن الكريمة ، أن الإنسان منحة الله تعالى خاصة التفكير، والجدل، وحرية الاختيار، التي لم توهب لمخلوقات سواء . وخلاصة القول: أن هناك لوتين من السلوك البشري، هما سلوك موجه نحو الجسم ، والسلوك الموجه نحو الروح ، وهذا الكيان رغم ازدواجه ، فهو ليس مكونا من عنصرين منفصلين يعمل كل منهما وحده بعيدا عن الآخر. (١)

وللطبيعة المزدوجة من العنصرين السابقين التأثير على فهم سلوك الإنسان، وما يتبعه من نشاطات مختلفة ومتنوعة في حياته ، متلازمة في كل نشاط . .

والى ذلك أشار د. محمد عز الدين توفيق بقوله :الإنسان قبضة من طين الأرض ،ونفحة من روح الله ، ولا غنى لمن أراد أن يعرف مفهوم الإنسان في الإسلام ، عن معرفة ما قيل عن هذين الأصلين، هذه الطبيعة المزدوجة للإنسان تجعل جميع نشاطاته الروحية والجسدية ، نشاطات مزدوجة الطبيعة، ويصعب فرز النشاط الروحي عن النشاط الجسدي، ولا يمكن فهم نشاطات الإنسان بأحد المكونين دون الآخر، وإنما يفهم السلوك الإنساني في ضوء هذين المكونين ، وفي سياق موحد ، فالإنسان في كل نشاط يقوم به قبضة من طين الأرض ونفحة من روح الله ، يقوم بأنشطته الجسمية من طعام وشراب بكيانه المزدوج، ويقوم بأنشطته الروحية من تفكر وصلاة وصوم، بكيانه المزدوج، ومن الخطأ الفادح الذي وقعت به نظريات علم النفس، هو في محاولتها فهم السلوك الإنساني بمكون واحد، وسعيه في اتجاه واحد، وسعيه رد السلوك إلى وحدات أوليه قابله للملاحظة العلمية، باعتقاده أن السلوك المعقد ليس سوى تركيب لهذه الوحدات. (٢)

ومع هذا التنوع والتمازج والتداخل والتناغم ، الذي لا يمكن فصله ، إلا أن الصراع بين جوانب النفس الإنسانية ، لا بد أن يظهر بشكل واضح ومستمر . لكن لهذا الصراع حلولا بينها الإسلام من خلال آيات القرآن . فالصراع بين الجانب الروحي ،والجانب المادي لشخصية الإنسان، فقد يجذب الإنسان أحيانا لحاجاته البدنية ،وأحيانا أخرى لحاجاته الروحية، قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤١﴾ ﴾ (النازعات) . وشاءت حكمة الله أن يمد الإنسان بجميع الإمكانيات اللازمة لحل الصراع، بان وهبه العقل والحرية، ليميز ما بين الخير والشر، والحق والباطل، كما

١- علم النفس التربوي ، د. شادية النل، ص٤٦ .

٢- علم النفس المعاصر في ضوء الإسلام ، الدكتور محمد محمود محمود ، ص٢٢-٢٧ .

أمده بحرية الإرادة والاختيار، ليستطيع أن يبت في أمر هذا الصراع ويختار الطريق الذي يريد فيه حل هذا الصراع قال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (١٠) (البلد).

وفي صراع الشخصية الإنسانية، بين تحقيق المطالب المادية، والمطالب الروحية يحدث الصراع بين حالات النفس الثلاث، فحينما تكون شخصية الإنسان في أدنى مستوياتها الإنسانية بحيث تسيطر عليها الأهواء، والشهوات، والملذات البدنية، والدينيوية، فإنها تكون في حالة النفس الأمامة بالسوء، وحينما تبلغ الشخصية أعلى مستويات الكمال الإنساني، حيث يحدث التوازن التام بين المطالب البدنية والروحية، فإنها تكون في حالة النفس المطمئنة، وبين هذين المستويين تكون النفس اللوامة يحاسب الإنسان فيها نفسه على ما ارتكب من أخطأ، ويسعى جاهداً عن الامتناع، ما يفضب الله، ويسبب له تأنيب الضمير، ولكنه لا ينجح دائماً في مسعاه، فقد يضعف أحياناً ويقع في الخطيئة، وتبقى حالات النفس الثلاث في صراع، مادام الإنسان يسعى إلى إشباع حاجاته. (١)

أما كيف يمكن حل الصراع بين جوانب النفس المختلفة، فمن خلال التوافق والتوازن بينهما، بحيث لا يطفئ أحدهما على الآخر، وأن يعطى كل طرف منهما حقه بالتوسط، بلا شطط، ولا غلو، ولا تقصير، وذلك بإشباع حاجات كل جانب في حدود ما شرع الله من أحكام، وللجانب المادي، ومن خلال الوسط والاعتدال وتجنب الإسراف والتبذير والتطرف والتقتير في الجانب الروحي، فلكل منهما متطلباته، فأباح الإسلام الطيبات (غذاء الجسد)، قال تعالى: ﴿يَبْنِيْ آدَمَ خُذُوْا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِيْنَ﴾ (٣١) (الأعراف): أمر الإسلام بالعبادات والطاعة، وقد حذر النبي ﷺ أن يطفئ جانب العبادة (الروح) على جانب (الجسد) إذ أنكر. صلى الله عليه وسلم. على النفر الثلاثة الذين جاؤوا إلى بيوت أزواجه يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من رسول الله ﷺ غفر الله له من ذنبه ما تقدم وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا أصلي الليل أبداً. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً. فجاء رسول الله ﷺ فقال: «أنتم الذين قلتنم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني» (٢)

إن الإسلام بدعوته هذه إلى التوازن بين الجانبين المادي والروحي في الإنسان، هو أمر يتفق مع طبيعة الإنسان، وفطرته، ويدعو إلى التحقيق الأمثل للذات الإنسانية، ومما يدل على عناية

١- التأصيل الإسلامي، محمد عز الدين توفيق ١٢٢- ١٢٧.

٢- القرآن وعلم النفس، د. محمد عثمان نجاتي ٢١٣-٢١٥.

الإسلام بتحقيق التوازن بين البدن والروح، انه يقر بترك الفرائض والتكاليف إذا كان في أدائها ضرر بالبدن، ولقد وضع النبي ﷺ في الحديث الشريف لما يقع به الإنسان من الصراع بين الشهوات الحسية ومغريات الحياة الدنيوية، فيقع في الصراع النفسي بين دوافعه المتعلقة بإشباع حاجاته البدنية، وأهوائه، وشهواته، ورغباته، وطموحاته، وبين دوافعه الدينية، وأشواقه الروحية. قال ﷺ: «مثلي كمثل رجل استوقد ناراً، فلما أضاءت ما حوله، جعل الفراش وهذه الدواب التي في النار يقعن فيها، وجعل يحجزهن ويغلبنه فيقتحمَن فيها، قال: «فذا لكم مثلي ومثلكم. أنا آخذ بحجزكم عن النار، هلم عن النار، هلم عن النار، فتغلبوني تتحمون فيها»<sup>(١)</sup> وقد وصف الرسول هذا الصراع في مقارنته بين رجلين أحدهما عاقل يكبح جماح شهواته وسيطر على أهوائه، ويعمل للحياة الآخرة، والآخر قاصر العقل، عجز عن التفكير السليم، يتبع أهوائه وشهواته، ولا يعمل لآخرته ففي الحديث، عن شداد بن أوس قوله ﷺ: «الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، ثم تمنى على الله»<sup>(٢)</sup>

ولذا فإن مكونات النفس الإنسانية كما يراها التصور الإسلامي، لها عناصر متعددة أيضاً، تشمل الروح، والجسد، ويضاف إليها العقل، ولا بد أن يحدث توافق، وترايط بين هذه العناصر المختلفة، كما يؤكد التصور الإسلامي، لأن فقدان التوازن بين العناصر، تخلق عند الإنسان الأزمات، والأمراض النفسية، والعضوية المختلفة، التي لا يمكن السيطرة عليها إلا من خلال هذا التوازن، وهذا ما دعا إليه القرآن الكريم في آياته المختلفة، في التوازن والاعتدال، حتى في مظاهر الحياة العامة، في السلوك، والعبادة، والطعام، والحب والكره، وقد تقدم أمثلة في هذا الباب من ذلك. وهو ما أشار إليه العلماء المختصون في تجاربهم، وأبحاثهم المختلفة التي أجريت على عينات مختلفة بين من يطبق التوازن النفسي بين عناصر الطبيعة الإنسانية من أمان واطمئنان، وسكون وهدوء، وخلو من أمراض نفسية، عاشها بظروف الحياة المختلفة، لها القدرة على منحه الاستقرار النفسي والبدني، وبين من لم يستطع أن يطبق التوازن بين هذه العناصر في حياته، من قلق واضطراب، وتوتر وأمراض نفسية، ولم يستطع أن يكيف نفسه في هذه الحياة، ولم يذق طعم السعادة وهدوء البال، ولها تأثيرها السلبي على استقراره النفسي والبدني، ويعيش المعيشة الضنكى، بإعراضه عن منهج الله سبحانه، ويظهر الخلل في توازنه النفسي بين عناصر شخصيته المختلفة.

فالقران الكريم يؤكد على ضرورة التوازن والتكامل، والانسجام بين حاجات الإنسان المادية، والحاجات العقلية والروحية، فالعقيدة تؤسس شخصية الفرد عن إيمان عميق، وتوازن نفسي قوي

١- صحيح البخاري مع الفتح. النكاح. الترغيب في النكاح- ٥/٩ (٥٠٦٢)، مسلم ١٤٠١.  
٢- صحيح مسلم - الفضائل - شفقة النبي صلى الله عليه وسلم على أمته ١٧٨٩/٤ (٢٢٨٤).

وشامل، وعلاقات وطيدة بين الإنسان وخالقه، ونفسه، ومجتمعه، ويعد ذلك كله درعا واقيا يحصن الإنسان ضد الاضطرابات النفسية، التي أصبحت منتشرة في هذا العصر، وإن كانت نسبتها تظل في المجتمعات الإسلامية أقل منها في المجتمعات الغربية، ويرجع ذلك إلى طبيعة العقيدة الإسلامية الراقية، والصافية في تكوينها للإنسان الواعي، والمدرك لحقيقة الحياة، والمتفهم لسلوكياتها، يتوخى الإسلام في كل فعل التعبير الأمثل عن التوازن بين حاجات الإنسان الروحية، ورغباته الجسدية، فتكون النتيجة لهذا المزج الواقعي بين متطلبات الإيمان، والعقيدة، والقيم، سلوك الناس العملي في واقع الحياة، وبذلك نجح الإسلام في صهر الدين في الدنيا، وافلح في خلق الفرد الذي يحمل في أعماقه بذرة المجتمع، وقد جاء الإسلام أصلاً لرأب الصدع في وجدان البشر الذي كان قبل الإسلام، ليعيد تكامل الشخصية الإنسانية بإحداث التوازن بين ملكات الإنسان الروحية، ووظائفه الجسدية الغرائزية ...

إن التصور الإسلامي للإنسان، لا يتمشى في عمومته مع الفلسفة القائمة على تأكيد العنصر الواحد للطبيعة الإنسانية، سواء أكان هذا العنصر هو العقل كما يقول العقليون، أم الجسم كما تقول الفلسفة المادية، فالتصور الإسلامي يرى أن الطبيعة الإنسانية تتكون من ثلاثة عناصر هي: (الجسم، الروح، العقل) وكل ما جاء به علم النفس من مفاهيم، كالتوافق، والتوازن، والتكيف، وغيرها، مرتبط ارتباطاً وثيقاً بين ما يحدث من توافق، وانسجام، وتكامل بين هذه العناصر الثلاث، فالرقي، والتقدم، والسعادة، ناتجة عن التكامل بين هذه المركبات الثلاث، فإذا اختلف عنصر من عناصرها، كان المرء فريسة للاضطرابات النفسية المختلفة، كالقلق. والقرآن يؤكد على ثلاثية الطبيعة، وفيما يلي عرض لهذه الحاجات وعلاقتها بالتوازن النفسي كما صورها القرآن، بتوضيح التصور الإسلامي لكل عنصر من عناصر طبيعة النفس الإنسانية، الذي يؤدي الانسجام بينها إلى السعادة، وفي حال الاختلال بينهما ينتج الشقاء، والقلق، والاضطراب .

قال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ. وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾﴾ (السجدة): جاء القرآن لبيان مدى الارتباط الواضح بين العناصر المختلفة، ليحقق بهذا الارتباط التوازن النفسي المنشود في حياة النفس البشرية، ويعالج الأمراض النفسية التي تحدث بسبب الاختلال بينها.

فالجسم، دعا القرآن إلى وجوب المحافظة على الجسم، وأن يكون سليماً من الأمراض، ودعا إلى المحافظة على نظافته، وجعلها شرطاً في العبادة، وقد بينا مدى عناية الإسلام بالنفس الإنسانية، في تحريم الاعتداء على الجسد، كما أمر الإسلام بضرورة إشباع الإنسان لمتطلبات الجسد، وقد مر حديث الثلاثة الذي جاؤوا يسألون عن عبادة النبي ﷺ، وإشباع هذه الحاجات

من طعام وشراب، ونوم، وغير ذلك، دون إسراف، ولا تقتير، ليكون أثرها الإيجابي في طمأنينة الإنسان، وسعادته، وتمده بالمرونة في الحياة التي تضمن له توازنه النفسي، وتقويه الشفاء من علته وأمراضه... (١)

أما العقل، فقد جاءت آيات القرآن تؤكد على أهمية إشباع الحاجات العقلية في الإنسان، ليحدث التكيف بين الفرد و ذاته، ليكون بهذا قادراً على التكيف مع متطلبات، وتقلبات العصر المختلفة، التي تؤثر على سلوكه، ونشاطه، من خلال قدراته على التذكر، والتحليل والإدراك، ليصل إلى حل لمشكلاته، فالعقل هو القادر على استيعاب ذلك، وتفهم التكيف، ولذا فقد جاءت الآيات القرآنية الداعية إلى ضرورة استخدام العقل في الكشف عن حقائق الكون، وتفسيراته، وتفسير ما تتعرض له النفس الإنسانية في هذه الحياة، فهو الوحيد الذي ميز الله به الإنسان عن باقي المخلوقات، يميز به بين الخير، والشر ويعتمد عليه في باقي نواحي الحياة. قال تعالى: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (الذاريات)، قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ (العنكبوت)، وهناك آيات مبثوثة في القرآن، تشير إلى حث الإنسان على استخدام عقله وفكره، في مواجهة المشكلات التي تسبب له الأمراض النفسية، لتكون علاجاً لها .

أما في جانب الروح فإن القرآن يؤكد على أهمية هذا الجانب في طبيعة الإنسان، وتكوين شخصيته، لما له من أهمية عظمى في حياة الإنسان، وفي حياة مجتمعه، ومن الآيات التي تؤكد على هذا الجانب الروحي في طبيعة الإنسان، قال تعالى: ﴿ وَسَأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ (الإسراء).

فالروح لها حاجاتها التي حث القرآن على إشباعها، وهي أساس وجوهر الوعي، والإدراك، والإرادة، وشفاء الروح يساعد على ضبط الفرد لنفسه من النزوات، والتخلص من العوائق، ورفض المحرمات، وبصفاء الروح تتحقق القيم الخلقية، والصحية، والبدنية، والنفسية، لأن القيم الخلقية الناتجة عن الدين، والروح، والإيمان الصادق القوي، هي أفضل الحوافز لتحقيق السلوك السوي الناضج .

لذا فالقرآن يؤكد على التوازن بين هذه العناصر الثلاث، وأي اختلال في احد هذه العناصر، يجلب لها شتى أنواع الاضطرابات النفسية والسلوكية، فالقرآن يحث على التوافق الذي يتمشى

١- سنن ابن ماجة الزهد ذكر الموت والاستعداد له ١٤٢٢/٢ (٤٢٧٠). الحديث النبوي وعلم النفس، محمد عثمان نجاني، ص ٤٠-٤٣، دار الشروق، بيروت، لبنان .

مع الطبيعة السليمة، فهو اتزان بين الحاجات الجسمية والعقلية والروحية وبحقوق كل منها<sup>(١)</sup>.

فالروح لها متطلباتها أقرها القرآن ووجهها وضبطها، فهي بذلك مستودع حياة الإنسان وإدراكه، يصل من خلال التوجيه والضبط إلى سلوك سوي، بعيد عن الاضطرابات النفسانية التي يقه بها من ركز على جانبي الجسد والعقل في الطبيعة الإنسانية.

إن البعد عن التصور الإسلامي للنفس البشرية نتيجته الأمراض، والاضطرابات المتكررة، وعلى الرغم من أن عملية التوازن النفسي في هذه الحياة بما فيها من تعقيدات، وأحوال متغيرة، تدعو النفس البشرية إلى أن تتطرق بجانب شهواتها، وملذاتها دون قيد، وشرط، فقد يصعب على أكثر النفوس البشرية الاستمرار في عملية التوازن، ولذا جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «حجبت النار بالشهوات، وحجبت الجنة بالمكاره»<sup>(٢)</sup> وقد ورد في رواية لفظ (حفت) والمعنى متقارب، والنفس البشرية غير السوية تحنو إلى الشهوات، والملذات المحرمة، فيطغى جانب منها على جانب آخر، فتحدث المشاكل والأمراض.

يقول الشيخ نديم الجسر «إن عملية تحقيق التوازن النفسي بطريقة ايجابية مستمرة وقادرة على مواجهة مطالب الحياة والظروف المتغيرة، أمر صعب وفي غاية من التعقيد، خاصة في الحياة الحديثة المتغيرة باستمرار، فيما يتعلق بحاجات الإنسان الطبيعية والإنسانية، وتؤكد الدراسات الإسلامية في هذا الشأن من أن الدنيا مزرعة، والإنسان هو خليفة الله في الأرض، وغاية النشاط الاقتصادي هو: تعمير الدنيا، ولو خلق الإنسان دون غرائز وشهوات، لتلاشى وجوده، ولو خلقه بدون عقل لتردى، ولو خلقه بلا حرية لأصبحت عبادته بالإكراه ولقدت، العبادة معناها»<sup>(٣)</sup>.

ولذا فإن التوازن بين الجوانب المختلفة في الطبيعة الإنسانية ضرورة حتمية، تجنب الفرد الاضطرابات النفسية المتكررة، والتي بينت الوقائع والحوادث والتجارب، فشل النظريات الفلسفية التي اهتمت بجانب دون جانب، وقد صرح علماء من الغرب إلى قصور علم النفس وعجزه عن فهم الإنسان فهماً صحيحاً بينما النظريات في الأيدولوجيات الأخرى، وعلم النفس، والعلم الحديث، اختلفت في نظرتها إلى النفس البشرية، وكان هناك تباين فيما بينها في نظرتها للطبيعة الإنسانية، وكل نظرية تناولتها من وجهة النظر الخاصة بها، ولم يكن هناك نظرية واحدة مقبولة لدى الجميع تمدنا بفهم سليم وواضح وشامل للشخصية، وذلك لأن كلاً منها ينظر إلى الطبيعة الإنسانية من زاوية معينة تتفق مع وجه نظرها إلى الإنسان، وركزت اهتمامها على نواحي

١- القرآن وعلم النفس، د. مفتاح محمد عبدالعزيز، منشورات قاريونس، بنغازي، ليبيا، ص ٨٠-٨٥، وانظر حول هذا: القرآن وعلم النفس، د. محمد عثمان نجاتي ٢٠٦-٢١٥.

٢- القرآن وعلم النفس، د. مفتاح محمد عبدالعزيز ص ٧٥-٨٦.

٣- صحيح البخاري. مع الفتح بالرقاق- حجبت النار بالشهوات. ١١-٢٢٠.

معينة في السلوك الإنساني، وأهملت الجوانب الأخرى، فمنهم من ركز على العوامل البيولوجية فقط، ومنهم من ركز على الجوانب البيئية، ومنهم من ركز على الجوانب الاجتماعية، ومعظم هذه النظريات توصلت إلى نتائجها في الشخصية بناء على نتائج البحوث التي تناولت نواحي محددة في الشخصية التي أمكن إخضاعها لمنهج البحث، وكثير من هذه الدراسات تناولت مظاهر سطحية وهامشية من السلوك والذي أمكن ملاحظته وقياسه وإخضاعه للبحث، وهي أغفلت في الأغلب دراسة تلك الجوانب التي تتعلق بالجانب الروحي لدى الإنسان وأثره على الشخصية، لذا فإن إغفال علماء النفس للجانب الروحي أدى إلى قصور واضح في فهمهم للإنسان، ومعرفتهم للعوامل المحددة للشخصية السوية وغير السوية، كما أدى إلى عدم اهتمامهم إلى الطريقة المثلى في العلاج النفسي لاضطراب الشخصية، وقد أشار «اريك فروم» إلى قصور علم النفس وعجزه عن فهم الإنسان فهما صحيحا، وذلك لعدم دراسته للجانب الروحي واتخاذها منهجا أكاديميا في محاولته محاكاة العلوم الطبيعية والأساليب المعملية في الوزن والحساب، فكان هذا العلم يعالج كل شيء عدا الروح، إذ حاول هذا العلم أن يفهم مظاهر الإنسان التي يمكن إخضاعها للتجريب المعملية، وزعم أن الشعور وأحكام القيمة ومعرفة الخير والشر، ما هي إلا تصورات ميتافيزيقية تقع خارج المشكلات التي يدرسها علم النفس، فانصبَّ اهتمامه في أغلب الأحيان على دراسة مواضيع تتمشى مع المنهج العلمي المزعوم، وذلك بدلا من أن يضع منهجا جديدا لدراسة مشكلات الإنسان الهامة، وهكذا أصبح علم النفس علما يفتقر إلى موضوعه الرئيس، وهو الإنسان ككل وصار معنيا بدراسة الميكانزمات وتكوينات ردود الأفعال، والغرائز دون أن يعنى بالظواهر الإنسانية المميزة للإنسان، كالقيم، والفضائل، والأخلاق.<sup>(١)</sup>

أما «توماس» بنظرته إلى الطبيعة الإنسانية يعتقد أن طبيعة الإنسان شريرة، وهو بفطرته يسعى وراء اللذة وتجنب الألم. ويرى «رسوان» أن الإنسان خير، لأنه من صنع الله، ومن ثم فإن النمو السليم له يكمن في أتباع قوانين طبيعية، وأن مصدر الشر يكمن في المجتمع، ويرى جون لوك، أن الإنسان يولد بعقل كالصفحة البيضاء الخالية من الأفكار، وهو مزود بعدة ملكات لها استعداد للقيام بكل شيء إذا ما هذبت هذه الملكات.<sup>(٢)</sup>

أما «فرويد» فيرى أن الإنسان كائن بيولوجي توجهه حاجاته البيولوجية ودوافعه الجنسية، فالإنسان شهواني وعدواني.<sup>(٣)</sup>

١- القرآن الكريم في التربية الإسلامية وفي التوجيه الإسلامي للشباب .. نديم الجسر، ١٩٧١ القاهرة مجمع البحوث الإسلامية، بالأزهر ص ٨٦.

٢- الدين والتحليل النفسي، اريك فروم ١٩٧٧م ترجمة فؤاد كامل، ص ١١ مكتبة الغريب القاهرة.

٣- معالم الفكر التربوي للمجتمع الإسلامي، حسن الحيارى ص ٢٠٢ دار الأمل للنشر والتوزيع، ٢٠٠١م.

ومما سبق نلاحظ أنه لم يكن هنالك اتفاق حول طبيعة الإنسان بين النظريات الفلسفية، والأيدلوجية، والنفسية، مما زاد من شقاء الإنسان، وتعاستة، ولم يجد طريقاً للذة بهذه الحياة، وازداد مرضاً بعد مرض، وتراكت الأمراض النفسية بشكل واضح وملموس، ولم تجد علاجا شافياً لها في العالم الحديث المتقدم بنظرياته، ودراساته، وعلمائه بسبب إغفال الجوانب الهامة في شخصية الإنسان.

### المبحث الثالث : أحوال النفس الإنسانية في التصور الإسلامي

ورد ذكر النفس في القرآن على أحوال (أنواع) متعددة، حيث سمي بعض العلماء تلك الأحوال بالأأنواع، وممن استخدم ذلك د. محمد توفيق في كتابه التأسيس الإسلامي للدراسات النفسية : وهذه الأحوال هي :

١- **النفس الإمارة بالسوء** : وهي النفس المذمومة التي تأمر بكل سوء . وقد ورد ذكرها في القرآن، قال تعالى: ﴿ وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٥٣) (يوسف) : وهي النفس التي تتحرف عن طبيعة الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وهي تأمر صاحبها بالشر والانسحاق وراء شهواته، وتسول لصحابها وتغويه على ارتكاب المحرمات. (١)

٢- **النفس اللوامة** : وهي النفس التي تلوم نفسها عند التقصير، وتحاسبها عند الإخلال بالتكاليف والواجبات الشرعية، أو عند الوقوع في المعاصي، وتدعو صاحبها إلى التوبة، وقد اقسام الله بها تعظيماً لشانها، قال تعالى: ﴿ لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (١) وَلَا أَقِيمُ بِالنَّفْسِ اللُّوَامَةِ (٢) (القيامة) : وهناك خلاف طويل عند العلماء في معناها .

٣- **النفس المطمئنة** : وهي التي تمتاز بالسكينة، والتواضع، والرضا وهي أعلى درجات النفس، وهي التي اطمأنت بإقامتها على طاعة الله، وسلمت بوعده والراضية بقضائه، وهي التي تمتاز بالسكينة والتواضع والإيثار، والصبر على الابتلاء، والتوكل على الله، فلا خوف ولا اضطراب ولا قلق، وهي دائماً في رضا مع الله، وقد نقل المفسرون أقوالاً في معنى النفس المطمئنة عن علماء السلف. (٢) وكتاب الله حافل بالآيات التي تصف النفس

١- علم النفس الإرشادي، صالح الداھري ص ٣٥٠، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان ٢٠٠٥م.

٢- العلامة الإمام أبي الفرج عبدالرحمن الشهير بابن قيم الجوزية ٢٠٣٦. ٢٤٢ تحقيق عبدالفتاح محمود عمر، ط٢ عمان، دار الفكر للنشر والتوزيع، منهج الإسلام في تزكية النفوس، د أنس أحمد كرزون ج ١ ٥٥-٥٧، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت لبنان، دار نور للمكتبات، جدة، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

الإنسانية في مختلف حالاتها :سوية وشاذة، صاعدة وهابطة، خيرة وشريرة، مؤمنة وكافرة<sup>(١)</sup>  
إن وصول الإنسان بنفسه أن تكون مطمئنة هي التي تقيه بإذن الله من مشاكله واضطراباته  
النفسية .

---

١ □ ٢٢٦، منهج الإسلام في تزكية النفوس، ومن العلماء من أضاف النفس الزكية أنس كرزون ج ١ ٥٥-  
٥٧. حول هذا الموضوع انظر : التأسيس الإسلامي للدراسات النفسية، البحث في النفس الإنسانية و المنظور الإسلامي محمد  
عزالدين توفيق ، القران وعلم النفس د.محمد عثمان نجاتي ص ٢١٤ ، أثر القرآن الكريم في الأمن النفسي ناهد خراشي ٤٥ ،  
القرآن وعلم النفس مفتاح عبدالعزيز ١٢-٣٠ ، التوجيه والإرشاد النفسي من القرآن والسنة النبوية مسفر بن سعيد الزهراني  
١٤٢١هـ ص٢، علم النفس التربوي في الإسلام، د. شادية التل ص٤٣، علم النفس في الإسلام د. رمضان محمد القذافي ص١٢  
جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ط١ ١٤٢٩هـ ١٩٩٩م ليبيا .  
علم النفس المعاصر في ضوء الإسلام ،محمد محمود محمود، ٣٠-٣١.

## الفصل الثاني

### السلوك الإنساني وأسباب الاضطرابات النفسية من وجهة التصور الإسلامي

#### المبحث الأول: السلوك الإنساني

اهتم الإسلام بالسلوك الإنساني لارتباطه بعلاقة الإنسان بخالقه، وبنفسه، وبمجتمعه، وبالبيئة التي يعيش فيها، كما ربط الإسلام بين السلوك، والمسؤولية، حتى يكون السلوك جاداً وملتزماً، ومن أولى مسؤوليات السلوك، الإيمان بالله، وعبادته بإخلاص، قال تعالى: ﴿وَفَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَمْرًا وَلَا نَهْرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ (الإسراء) (١)

#### أولاً: تعريف السلوك :

ويمكن تفسير السلوك بأنه: نشاط ذاتي يصدر عن الإنسان من قول، أو فعل، أو عمل، سواء كان العمل إرادياً، أو غير إرادي، ظاهراً أم باطناً، ويأتي بشكل استجابي لمنبه في دائرة الإدراك، ويرتبط بدوافع الفرد، واتجاهاته، وأهدافه، ويتجه هذا السلوك لمقابلة الحاجات التي يسعى الفرد إلى تحقيقها، ويتأثر بالمكونات الشخصية، والقدرات العقلية، ومدى توقعه الاستجابة المرغوبة، قال تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرِّي اللَّهُ عَمَلِكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسِرُّدُونَ﴾ إِلَىٰ عَلَيْهِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ (التوبة): قال تعالى: ﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾﴾ (الإسراء): (٢)

وعرف: بأنه عبارة عن مجموعة من الأنشطة العقلية، كالتهكير والتذكر والتخيل، والحركية كالكلام والمشى، والانفعالية كالفرح والحزن

#### ثانياً: مرونة السلوك الإنساني :

إن لدى السلوك الإنساني القابلية للتعديل، والتغيير، إضافة إلى أنه قادر على الاكتساب، ومن هنا جاءت أهمية ودور الوصايا، والمواعظ، والتأديب، والتذكير، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد)، قال تعالى: ﴿وَذَكَرْ فَإِنَّ الدِّكْرَىٰ نَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٥٥﴾ (الذاريات): وقوله ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم

١- دراسات في النفس الإنسانية، محمد قطب، ص 5-6.

٢- علم النفس في الإسلام د. رمضان محمد القذافي، ص 19.

يستطع قبله، وذلك أضعف الإيمان»<sup>(١)</sup> وقوله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه»<sup>(٢)</sup>

ودور مرونة السلوك في حياة الإنسان :هي القدرة على الاكتساب نحو الخير والسعادة ، والأفضل في الحياة .

ولذا فقد كانت من رحمة الله بعبادة إرسال الرسل عليهم السلام ، وجاء رسولنا محمد ﷺ إلى العرب فغير سلوكهم ، وعاداتهم ، واتجاهاتهم نحو السلوك السوي والمستقيم . والإنسان بطبيعته يكتسب من البيئة التي يعيشها ، من خلال المؤثرات ، والخبرات والتجارب مع الآخرين .

ولذا فإن مجيء الرسل عليهم أفضل الصلاة والسلام كان له الأثر الأكبر في تعديل السلوك نحو السلوك السوي ، وكان للإسلام دوره في تعديل السلوك الإنساني والتدرج به ، إذ يرى الدكتور محمد نجاتي : أنه يمكن التخلص من بعض العادات السيئة التي يمارسها الفرد مدة طويلة حتى أصبحت مستقرة في السلوك مع أنها ليست سهلة لكنها ممكنة ، وبين أن الإسلام قد اتبع في علاج العادات السيئة أسلوبين :

تأجيل علاج بعض العادات حتى يستقر الإيمان في القلوب .

التهيئة المتدرجة لنفوس المسلمين للتخلص من هذه العادات عن طريق التكوين التدريجي لاستجابة معارضة للاستجابة المطلوب التخلص منها<sup>(٣)</sup>

### ثالثاً : السلوك الإنساني في التصور الإسلامي

ويعبر عن السلوك الإنساني في الإسلام بمصطلح العمل ، حيث يقابل العمل الصالح السلوك المرغوب فيه ، فيما يقابل العمل غير الصالح السلوك غير المرغوب به ، ولا يمكن تفسير السلوك الإنساني إلا من خلال النظامين المادي والروحي، وأن السلوكات الإنسانية تتباين في مستوى تعقيدها.<sup>(٤)</sup>

والسلوك حسب التصور الإسلامي : نشاط ذاتي يخضع للدوافع ، والاتجاهات ، والميول من جهة ، كما يخضع لعوامل المنطق ، والعقل ، والحكمة ، والتدبير من جهة أخرى ، فإذا أحكم الإنسان قبضته على نوازعها ، أصبح بمقدوره السيطرة على سلوكه وتوجيهه باتجاه الخير والصواب والصلاح ، وقد أشار القرآن إلى قابلية تعديل السلوك الإنساني ، وضرب لذلك أمثالا

١- المصدر السابق ص ٢١

٢- صحيح مسلم ، الإيمان - كون النهي عن المنكر من الإيمان . ١/ ٦٩ (٧٨) .

٣- صحيح البخاري مع الفتح - الجنائز - ما قيل في أولاد المشركين ٢/ ٢٩٠ (١٢٨٥) .

٤- القرآن وعلم النفس ، د . محمد عثمان نجاتي ١٧٣-١٧٥ .

في فتح باب التوبة للنادمين، قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ (الأنعام): كما أن الإسلام جعل إمكانية تعديل السلوك عمل ذاتي يخص الفرد، ورهن التغيير بتغيير الفرد لنفسه، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴿١١﴾﴾ (الرعد) (١)

## أقسام السلوك الإنساني في التصور الإسلامي :

وقد قسم الإسلام السلوك الإنساني إلى نوعين هما:

- ١- المباح: وهو جميع الأفعال التي لم ينص الشارع على تحريمها، ويقبلها العقل بطبعه، لأنها طبيبات فيها جلب منفعة، أو دفع ضرر، وقد تعظم المنفعة، فيأمر الله بها.
- ٢- المحرم: وهو جميع الأفعال التي نهى الشارع عنها، كراهة أو تحريماً، لأنها من الخبائث التي تؤذي الإنسان، وتفسد المجتمع، وينفر منها العقل بطبعه.

وعلى هذا فالسلوك السوي في المعيار الإسلامي هو: أي عمل يبتغي فيه الفرد مرضاة الله في جميع شؤون حياته، والذي فيه منفعة لنفسه ولمجتمعه، سواء كان الأمر يتعلق بالعبادات، كالصلاة والصوم، أو غيرها، أو حتى في إشباع حاجاته باعتدال دون إسراف، أو مبالغة قال تعالى: ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَرَكْهُ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ (الليل): أما السلوك المنحرف فهو: أي سلوك فيه تعد على حدود الله بفعل المحرمات والذي فيه تعد على الفرد نفسه، أو مجتمعه سواء كان بأمور العبادة، أو إشباع حاجات الفرد. كما أن أي سلوك يقوم فيه الفرد ويلتزم الفطرة التي فطر عليها فهو سلوك سوي والذي يخرج عن الفطرة فهو السلوك المنحرف فالخروج عن الفطرة فيه تعد على حدود الله. (٢)

إن معيار السوء للسلوك حسب التصور الإسلامي: هو الفطرة السوية وليس المعايير الاجتماعية، أو الإحصائية، أو النفسية، كما في الفكر النفسي التربوي، ويمتاز المعيار الإسلامي بعدة مميزات تميزه على غيره من معايير تحديد السلوك. وإلى هذه المعاني ذهب الدكتور محمد عز الدين توفيق إذ يقول: الفطرة هي الاستعداد العام عند الفرد للتفضيل بين الخير والشر، فالإسلام دين الفطرة والسلوك المنبثق عنه، هو السلوك اللائق بالإنسان، كما خلقه الله، وعندما يوافق السلوك الإنساني تعاليم الإسلام، فذلك هو طريق السواء وهو لا يتبدل، ولا يتغير، قائم على

١ - علم النفس التربوي في الإسلام د شادية التل ص ٥٨.

٢ - علم النفس في الإسلام د رمضان محمد القذافي ص ٢٧.

الفطرة التي لا تتغير، ولا تتبدل فهي متصلة بجوهر الإنسان.<sup>(١)</sup>

ولهذا فإن هناك ثمة خصائص ومميزات ومعايير لتحديد السلوك في التصور الإسلامي منها:

قيامه على قواعد تناسب فطرة الإنسان الخيرة ويدركها العقل السليم، فقد ربط المعيار الإسلامي السلوك الحسن، والسلوك المنحرف، بالفعل السيئ أو القبيح، وجعل حسن السلوك وقبحه مرهونين بحكم الله فيه، لا بهوى الفرد، أو رضا الجماعة، فالحسن ما حسنه الله، والقبيح ما قبحه الله .

تقديمه قواعد ثابتة في تفسير السلوك لا تختلف باختلاف الزمان أو المكان، موضوعية لا تتأثر بتغير الأفراد أو المجتمعات .

جعل الإسلام الفرد حكماً على سلوكاته ظاهرها وباطنها، لأنه هو الذي يختار قال الرسول ﷺ لوابصة بن معبد، الذي جاء يسأله عن البر «جئت تسأل عن البر استفتت قلبك، البر ما أطمأنت إليه النفس، وأطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في نفسك وتردد في القلب، وإن أفتاك الناس وأفتوك»<sup>(٢)</sup> رواه احمد، وله شاهد من حديث النواس بن سمعان، رضي الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم . عن البر والإثم ؟ فقال : «البر : حسن الخلق ، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس»<sup>(٣)</sup> فكل إنسان يختار الأفعال التي يطمئن إلى حسننها، ويبتعد عن الأفعال التي لا يطمئن إلى حسننها ، ولم يترك الإسلام الفرد يشرع لنفسه حسب هواه، بل أمده بقواعد من عند الله، يرجع إليها في أحكامه على سلوكه وسلوك غيره.

جعل الإسلام التقبل الاجتماعي محكاً للسلوك ، فالسلوك السوي: هو الذي يتفق مع قيم المجتمع الإسلامي وعاداته وتقاليده ، ويرضى عنه الناس ويقبلوه، والسلوك المنحرف: هو الذي فيه تعد على المجتمع ويثير سخط الناس ونفورهم.

## المبحث الثاني

### أسباب الاضطرابات النفسية ومظاهرها من وجهة نظر التصور الإسلامي :

إن الله خلق الإنسان وميزه بعقله عن سائر المخلوقات ، وجاءت الشريعة الإسلامية موافقة لعقل وفطرة الإنسان، فإن خالف الفطرة والعقل، سقط في المعاصي، والشبهات، والضلال،

١- الحلال والحرام في الإسلام د. يوسف القرضاوي، المكتب الإسلامي، بيروت ١٩٨٠م.

٢- التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية، محمد عز الدين توفيق ٢٤٥.

٣- أخرجه أحمد ،مسند أحمد بن حنبل ٤/ ٢٢٨ ،

والغي. يقول ابن القيم الجوزية رحمه الله: «الفتن التي تعرض على القلوب هي أسباب مرضها، وهي فتن الشبهات، فتن الغي والضلال، فتن المعاصي والبدع، فتن الظلم والجهل، فالأولى توجب فساد العقيدة والإرادة، والثانية توجب فساد العلم والاعتقاد»<sup>(١)</sup>

إن المتابع لأسباب الاضطرابات النفسية عند الإنسان ليجدها متعددة العوامل، تساهم مع بعضها في نشأة الاضطرابات، وذلك من خلال ما تتعرض له النفس الإنسانية من ضغوطات مختلفة ومتعددة في هذه الحياة، كطبيعة التعامل مع الناس، وما يحصل فيها من التغيرات الكثيرة في نوعية التعامل، وبسبب تعدد الثقافات والعادات والتقاليد، إلى طريقة الحصول على المال وصعوبته، وزيادة متطلبات الحياة المادية اليومية، وما يتبعه من عدم قدرة الإنسان على التكيف مع هذه الظروف المتغيرة والمتبدلة، وما يلحق به من سوء في الحياة الاجتماعية التي يعيشها الإنسان، ابتداء من أسرته وطريقة تعاملها معه، وظهور ملامح الخوف وال فشل لدى الإنسان في حياته، مروراً بالدراسة والرسوب والوظيفة، أو الفشل في الحياة الزوجية، أو ما يلحق الإنسان من الاعتداء على كرامته مع عجزه عن الدفاع عنها، فيصاب بالاضطرابات النفسية، ويكون عاجزاً عن الملائمة بين واقعه وما بين ما يريد. ويمكن أن نحدد بعض هذه الأسباب، منها: نسيان الإنسان لكثير من مقاصد، وغايات تحقيق حاجاته.<sup>(٢)</sup>

الإعراض عن ذكر الله، إن الذين أعرضوا عن ذكر الله وتناسوا آياته ولم يصغوا إليها، يحرمهم الله من الانتفاع بقدراتهم الطبيعية، ولا يهديهم إلى سبل الرشاد. قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ نَدَعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ (الكهف) <sup>(٣)</sup>

الصراع بين حالات النفس الثلاث، التي ذكرها القرآن الكريم (١). النفس الأمارة بالسوء التي تدفع صاحبها إلى الانحراف، عن طريق الهداية، واتباع طريق الضلالة، وارتكاب الفواحش، والإضرار بالنفس (٢). النفس اللوامة، التي تشعر الفرد بمشاعر الذنب، ولوم الذات على الأفعال، التي تتناقض مع المعايير الاجتماعية، فهذا الصراع بين الجانب العقلاني (النفس اللوامة) والجانب الغرائزي النفس الأمارة، من أخطر أنواع الصراع الذي يمكن أن يؤدي إلى الاضطراب

١- صحيح مسلم ت البر والصلة. تفسير البر ٤/١٩٨٠ (٢٥٥٣)

٢- المدخل إلى علم الصحة النفسية. د. كمال إبراهيم مرسى ١٦٧ ص-١٦٨) دار القلم الكويت ١٤٠٩ هـ-١٩٨٨ م

٣- إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان ٢/١، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ٦٩١-٧٥١ دار المعرفة بيروت ١٣٩٥ هـ-١٩٧٥ ط٢ تحقيق محمد الفقي

لدى الإنسان ، وتتأثر به النفس المطمئنة، ويحيلها إلى نفس مضطربة. (١)

كثرة الذنوب وارتكاب المعاصي ، فالذنوب إذا كثرت تُعمي القلب ، وتميته ، وتجعله لا يتأثر بعلاج ، أو موعظة ، ولا يخشع لذكر ، أو دعاء ، أو تلاوة قرآن ، والمعاصي تجعل القلب مظلماً مسوداً ، وتحجبه عن التأثر بالذكر والدعاء ، وهذا ما أوضحه الحديث النبوي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : إن المؤمن ، إذا أذنب ، كانت نكتة سوداء في قلبه . فإن تاب ونزع واستغفر ، صقل قلبه ، فإن زاد زادت . فذلك الران الذي ذكره الله في كتابه ، قال تعالى:

﴿رَانَ كَلْبًا بَلَّ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٤) ﴿المطففين﴾: (٢)

عدم قدرة الإنسان على التوفيق بين دوافعه وحل الصراعات التي بينها ، وعدم قدرته على تنظيم عملها ، وضبطها ، وتهذيبها ، وبالتالي انحرافها عن اتجاهها الطبيعي ، وجعل إشباعها غاية في حد ذاتها ، وإشباع بعضها على حساب الآخر ، وبالتالي انحرافها عن أداء دورها ، وإخفاق النفس في تحقيق الغاية من وجودها ، وهذا يفسر حال أولئك الذين ينغمسون في شهواتهم ، ويسعون وراء ملذاتهم ، على حساب طاعة الله وعبادته ، ويففلون الجانب الروحي ، فأصبحوا كالأنعام يأكلون ولا يولون الجانب الروحي أي اهتمام .. ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَسْمَعُونَ وَّيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ (١٢) ﴿محمد﴾: (٣)

مخالفة الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، وهي عبادة الله وحده ، وإتباع طريق الهدى ، ومخالفة أهواء النفس .

عجز الإنسانية عن تعريف الإنسان على طرائق مواجهة مشاكله ، وأزماته النفسية التي لحقت به من جراء ما عايشه من تسارع إيقاع الحياة ، ومن غزو إعلامي وفكري ، وبروز النظام العالمي الجديد بما فيه من مشكلات .

تعدد وتباين المعايير التي يتبعها الإنسان في الأيدلوجيات المختلفة ، واعتماده عليها بالرغم من فشلها في بيان العلاج .

مجموعة من الآفات التي تصيب الإنسان مثل ، الرياء ، العقد ، الحسد ، الغرور ، العُجْب ، الكِبَر ، الوَسْوَسة ، سوء الظن ، الغيْبَة ، النفاق ... (٤)

١- الإنسان بين المادية والإسلام ، محمد قطب دار الشروق .

٢- علم النفس في الإسلام ، رمضان القذافي ص ١٦٤

٣- القرآن وعلم النفس مفتاح عبد العزيز ص ٢٢ .

٤- سنن ابن ماجة - ٢٧٥ هـ الزهد - ذكر الذنوب ١٤١٦/٢ (٤٢٤٤) حديث صحيح ، الترمذي . تفسير القرآن باب ٧٤ وقال: حديث حسن صحيح .

المغالاة في الانفعالات وعدم ضبطها عند الشدائد.<sup>(١)</sup>

مجموعة من المظاهر التي تنشأ من اعتلال الصحة النفسية عند الإنسان، وهناك أمثلة كثيرة في القرآن منها: اليأس، النفاق، الخداع، الإحباط، سوء الظن، البغضاء، الغضب، العداوة، المكر، السلبية، الإكتئاب، الخوف.<sup>(٢)</sup>

---

١- علم النفس التربوي في الإسلام د. شادية التل، ص ١٨١.

٢- المدخل إلى علم الصحة النفسية د. كمال إبراهيم مرسى ٢٠٠-٢٠٩.

## الفصل الثالث:

### حتمية العلاج النفسي.. مصادره، وخصائصه

#### المبحث الأول:

#### ضرورة العلاج النفسي وفق التصور الإسلامي

المقصود بالعلاج النفسي: استخدام الطرق النفسية لمن يعانون من اضطرابات شخصياتهم اضطراباً ملحوظاً يقتضي إحداث تغييرات أساسية عميقة في عادات المريض، وطريقة تفكيره، وأسلوب حياته وفكرته عن نفسه ونظرته إلى الناس.<sup>(١)</sup>

ويعرف العلاج النفسي: بالنشاط المخطط الذي يعتمد أساساً على الأساليب النفسية الذي يقوم به عالم النفس، أو الطبيب النفسي لإحداث التعديل، أو التغيير في شخصية الفرد وفي سلوكه، بحيث يجعل حياته أكثر سعادة.<sup>(٢)</sup>

ويعرف: بأنه نوع من العلاج تستخدم فيه أية طريقة نفسية لعلاج مشكلات، أو اضطرابات ذات صيغة انفعالية يعاني منها المريض، وتؤثر في سلوكه، حيث يتم العمل على إزالة الأعراض المرضية الموجودة، مع مساعدة المريض على حل مشكلاته الخاصة، والتوافق مع بيئته، واستغلال إمكانياته، وتنمية شخصيته ودعمها في طريق النمو السوي.<sup>(٣)</sup>

تنتشر الأمراض النفسية الكثيرة في العالم اليوم، رغم تقدمه التقني والتكنولوجي، وعدم قدرته على معالجة المشكلات والصعوبات الكثيرة والمتنوعة، وتتعدد وتتوسع الدراسات والنظريات، إلا أن الاضطرابات النفسية التي يعاني منها العالم اليوم، لم تجد طريقاً لحلها، ولم تستطع هذه العلوم أن تساعد الإنسان في حل مشكلاته النفسية، أو الوقاية منها، ولم تصل نتائج هذه النظريات إلى أدنى درجات القبول والرضا والشفاء. لذا كان لا بد من ظهور نوع من العلاج، يساعد الفرد على التعامل مع كل هذه الضغوط، ويساعده على حل مشكلاته الخاصة، والتوافق مع بيئته، واستغلال إمكانياته على خير وجه، ومساعدته على تنمية شخصيته، ودفعا في طريق النمو النفسي الصحي.

أن جهوداً كثيرة قد بذلت في هذا المجال، وظهرت في هذا الميدان أساليب ونظريات مختلفة

١- التوجيه والإرشاد النفسي في القرآن والسنة، مسفر الزهراني ٢٣٠.

٢- علم النفس في الإسلام، د. رمضان القضاة في ٩٦.

٣- علم النفس المعاصر، محمد محمود ٤٠٢

تهدف كلها إلى علاج المريض نفسياً بطرق تتفق مع مبادئها وتفسيرها للسلوك الإنساني<sup>(١)</sup>. غير أنها لم تحقق النجاح المرجو في القضاء على الأمراض النفسية، أو الوقاية منها. وإن معدلات الشفاء نتيجة للعلاج المبني على هذه النظريات لم تصل بعد حتى الآن إلى درجة تبعث على الرضا.<sup>(٢)</sup>

لذا كان لا بد أن يكون هناك منهج علاجي، يحقق للنفس أمنها المفقود، ويقوم على فهم حقيقي للنفس البشرية، وبالتالي يقدم لها ما يناسبها، ويقدم منها علاجاً يحقق التوازن بين الجانب المادي، والجانب الروحي في شخصية الإنسان، مما يؤدي إلى تحقيق الصحة النفسية، والذي عجزت عنه نظريات علم النفس الحديث، إذ قامت بالفصل بين الجانب الروحي، والجانب المادي من شخصية الإنسان، وبالتالي لم تقدم له العلاج الشافي منه في المئة. وهذا المنهج العلاجي يقوم على مبادئ الدين الإسلامي الذي يركز على القرآن والسنة النبوية، يعالج السلوك الإنساني من جانبية المادي والذي يتمثل في دوافعه الفطرية الجسمية والروحي الذي يتمثل في قيمه، وأخلاقه وصلته بربه<sup>(٣)</sup>

فالقرآن الكريم يحقق أفضل نمو نفسي للإنسان، ويوفر للفرد سيكولوجية التوافق بمعناه الواسع، وهو يحفل بكل ما يحفظ النفس استقرارها وسعادتها فكان لازماً أن يبحث العالم اليوم عن طرق أخرى، لمعالجة الأمراض النفسية المزمنة، هذا العلاج يعيد للإنسان سعادته وفرحه وطمأنينته، ويخلصه من شقاء وتعس الحياة، علاجاً شافياً يوازن فيه بين جوانب تكوين النفسية البشرية بين الروح، والعقل، والجسد، الذي يتوصل به إلى الشفاء التام بإذن الله تعالى، والذي عجزت عنه كل النظريات الدنيوية والفلسفية، ولعل هذا العلاج المنشود نجده في التصور الإسلامي للنفس البشرية الذي ثبت قدرته على معالجة هذه الاضطرابات، فمصدر العلاج الوحي (القرآن والسنة)، قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ (الإسراء: ٨٢) ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَآيَاتٍ مُّجْمَعَةٍ وَعَرَبِيًّا قُلٌ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ (٤٤) (فصلت)

إن الدارس لآيات القرآن ليجد فيه طاقة روحية هائلة ذات تأثير بالغ الشأن في نفس الإنسان

١- علم النفس الاكلينيكي، جوليان روتر، ترجمة عطية محمود، ومراجعة د. محمد عثمان نجاتي، ص ١٢٧، دار الشروق، بيروت ١٩٨٤م

٢- الصحة النفسية، حامد عبدالسلام زهران ومحمد حلمي.

٣- التوجيه والإرشاد النفسي في القرآن الكريم والسنة النبوية، مسفر الزهراني، ص ٢٨٢.

فهو يهز وجدانه ، ويرهف أحاسيسه ومشاعره ، ويصقل روحه ، ويوظف إدراكه وتفكيره ، ويجلي بصيرته ، فإذا بالإنسان بعد أن يتعرض لتأثير القرآن، يصبح إنساناً جديداً كأنه خلق خلقاً جديداً.<sup>(١)</sup>

ولا بد من الإشارة إلى أن العلاج النفسي لا يكون بحال من الأحوال البديل عن استخدام الأدوية والعقاقير ، فقد جاءت الأحاديث بوجوب التداوي<sup>(٢)</sup>

ويرى د. محمد محمود محمود: أن على المعالجين النفسيين أن يستفيدوا الفائدة الكبرى من الدين في عمليات العلاج النفسي ، وذلك لأن الدين يوفر من الأمن والاطمئنان والاتزان والاعتدال، ما لم يستطع علم النفس أن يقدمه للمريض ، فهو يخلصه من الإثم والخطيئة.<sup>(٣)</sup>

ويرى د. محمد عز الدين توفيق: أن العلاج بالدين يهدف إلى إزالة الاضطراب النفسي الطارئ بإزالة الأسباب التي أحدثتها والأعراض التي رافقتها ، فإن لم يتحقق الإزالة فالتخفيف منه.<sup>(٤)</sup>

كما ذكر د. يوسف القرضاوي : أن بعض المفكرين الغربيين في العصر الحديث أشاروا إلى أن الأزمة التي يعاني منها الأوروبيين هي نتيجة الفقر الروحي ، وأن أزمة الإنسان المعاصر هي افتقاره إلى الدين والقيم الروحية وأنه لا علاج إلا بالرجوع إلى الدين.<sup>(٥)</sup>

إن الحاجة ماسة لعودة الإنسان إلى العلاج النفسي الديني الذي يعتمد على الكتاب والسنة الصحيحة ليجد المرء فيها علاجه وذلك من خلال إزالة الاضطرابات النفسية ، ورجوعه إلى الدين.

## المبحث الثاني :

### مصادر العلاج النفسي في التصور الإسلامي.

إن العلاج النفسي في القرآن يقوم على مصادر الإسلام الأصلية الوحي (الكتاب، والسنة الصحيحة الثابتة) ، إذ إن الوحي منهج شامل جاء ليحقق السعادة والطمأنينة للبشرية ، بعيداً عن تعقيدات وأمراض العصر المختلفة، التي لم تزد الإنسان ببعده عن هذه المصادر إلا شقاء ، وأمراضاً نفسية معقدة ، ومن خلال مصادر التصور الإسلامي جاءت الآيات والأحاديث الصحيحة

١- القرآن وعلم النفس ، د. محمد عثمان نجاتي.

٢- التوجيه والإرشاد النفسي في القرآن الكريم والسنة النبوية ، مسفر الزهراني ص ٣٩٠.

٣- القرآن وعلم النفس ، د. محمد عثمان نجاتي ص ٣٤٥.

٤- تقدم ص ٧

٥- علم النفس المعاصر، د. محمد محمود محمود ص ٤٠٦.

تحت الإنسان وتأمره على وجوب الإيمان، والتحلي بالأخلاق والقيم والآداب، التي ترسم للإنسان حياته وسعادته، وتهديه إلى الطريق المستقيم، بل جعلت هذه الأمور عبادة يتقرب بها الإنسان إلى الله فقد جاء اقتران الأخلاق، والقيم، والآداب في آيات القرآن الكريم في أكثر من آية وحديث عن الإيمان والصلاح والاستقامة على منهج الله الذي يحقق السعادة والطمأنينة، وكان لهذه المصادر الأثر الواضح في تهذيب وتنمية النفس الإنسانية وعلاجها من أمراضها.

### المبحث الثالث:

#### أسس العلاج النفسي:

- ١- التوحيد والإيمان إذ إن جميع الرسل بعثوا بعقيدة التوحيد ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ﴾ (النحل): فالتوحيد له الأثر الفعال والقوي في النفس الإنسانية في اطمئنانها وسعادتها، أما الشرك والكفر فله آثاره السيئة السلبية على النفس من حيث الاضطراب، ولأسماء الله وصفاته معان عدة لها تأثيرها الإيجابي والفعال في النفس.
- ٢- التمسك بكتاب الله وسنة رسوله. صلى الله عليه وسلم..، إن تمسك الإنسان بكتاب الله سبحانه وتعالى هو القادر على ضبط أنواع النفس المختلفة.
- ٣- الإيمان والتسليم لقضاء الله وقدره، فهو الذي يمنح النفس الإنسانية الطمأنينة والبعد عن الخوف من المجهول، والقلق، والاضطراب، والاكتئاب، ففي الحديث قوله ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له»<sup>(١)</sup>
- ٤- الإيمان باليوم الآخر من خلال الإيمان بالعدالة المطلقة لله سبحانه وتعالى.
- ٥- مبدأ التوازن بين جانبي الحياة الروحي والمادي.
- ٦- العبادة والتعاون.<sup>(٢)</sup>

### المبحث الرابع:

#### خصائص العلاج النفسي في التصور الإسلامي

إن مصادر العلاج النفسي في التصور الإسلامي، تعطي الإنسان القدرة والمعرفة على تفهم حقيقة نفسه وحياته، فهذه المصادر توضح المنهج الشامل للحياة الذي يعيشها الإنسان، وتحقق

١ - التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية محمد عز الدين توفيق، ص ٢٩٦.

٢- الحلال والحرام، يوسف القرضاوي، ص ٣٤٢.

له السعادة والطمأنينة ، وتمنحه التوافق النفسي مع مشكلات الحياة ، مما تجعله قادراً على معالجة أمراضه بما تحمله من خصائص ومميزات ، ومن أبرزها :

١- اعتماده على ترسيخ الأسس والدعائم الإيمانية في نفسية الفرد... فالإيمان قيمة علاجية ووقائية فعالة ذات تأثير واضح. تساعد على تقوية المناعة مما يعطي الشعور بالأمن والأمان والاطمئنان والسكينة، والرضا والشعور بالصحة النفسية قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (٢٨) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَبْرَأَهُمُ اللَّهُ مِنَ الْعَالَمِينَ (٢٩) (الرعدي):

٢- الدعوة إلى حث الإنسان على التفكير بخلقه وبنفسه، للوصول إلى معرفة حقيقة هذه النفس، وحقيقة وجودها في هذا الكون ليضبط سلوكه بهذه المعرفة.

٣- النظرة الشمولية الصحيحة والمتكاملة للنفس البشرية في التصور الإسلامي، مما يمنحه القدرة على وصف العلاج السليم .

٤- تحقيق التوازن الإيماني في النفس البشرية، وذلك من خلال حاجتها للإيمان وما يتبعه من سلوك سوي .

٥- تضمين مصادر العلاج النفسي بيان طبيعة النفس البشرية ، ووصف أحوالها، وبيان أسباب انحرافها ، وتوضيح طرق علاجها.

٦- قدرة العلاج النفسي في التصور الإسلامي على تقديم مختلف أنواع العلاج لمشاكل النفس الإنسانية، مقارنة بالنظريات والفلسفات الوضعية، التي فشلت في بيان وتوضيح العلاج المناسب.

٧- أثر العبادات المفروضة المتنوعة في السلوك الإنساني، في توجيه الصراع القائم بين الدوافع البدنية والدوافع الروحية، وخلق توازن بين الجانبين .

٨- الدعوة إلى التركيز على أهمية النمو الخلقي لدى الإنسان من خلال الآيات والأحاديث التي تأمر بالالتزام بالقيم والأخلاق ، ويرسم الإنسان من خلالها طريقه المستقيم في هذه الحياة. ،من خلال مكارم الأخلاق، وما تشمله من الفضائل الحميدة، إذ إن الانحراف في السلوك الأخلاقي، له ارتباط وثيق بالمشكلات والاضطرابات، والأمراض النفسية والعقلية.

٩- حفظ كرامة الإنسان واحترامه، من خلال اعتماده على بث المبادئ الخلقية، ودعوة الفرد إلى القيم والمبادئ السامية، والتزامه بالضوابط الشرعية، لتشمل علاقاته مع الله ومع الناس ومع النفس .

١٠- تقديم المساعدة للفرد بتنمية ثقته بنفسه، وإعادة تكييفه مع نفسه، ومع البيئة التي يعيش فيها، مما يساعده على مواجهة الأزمات، والتوترات، والعقد والأمراض كالقلق والاكتئاب، أو توهم المرض، وإفتاعه بالحلول المنطقية العقلية. فهو علاج شمولي يشمل جميع جوانب الشخصية الإنسانية في جميع مراحلها وأحوالها. قال تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ ﴾ (الشعراء)

١١- عدم اعتماده على الأساليب الفلسفية أو الوهمية بل علاج واقعي ومنطقي لا يقوم على الأسس الفلسفية أو المظاهر الخرافية كالشعوذة والعرافة والسحر لعلاج المشكلات، فالله سبحانه لم يجعل الشفاء فيما حرم وفي ذلك استقرار روحي ونفسي وفكري ..

١٢- يستهدف شفاء النفوس والقلوب مما يصيبها من علل أو أمراض. من خلال اعتماده على الإفتاع، وتقديم الحلول المنطقية عقلياً وانفعالياً .

١٣- تعويد الإنسان على تحمل المرض ودعوته للتخلي بالصبر واحتساب مرضه عند الله ، وإبعاده عن النظرة التشاؤمية، وبيان أن الصبر على المرض تكفير للذنوب.<sup>(١)</sup>

١- صحيح مسلم الزهد والرفائق - المومن أمره كله خير ٤/٢٢٩٥ (٢٩٩٩).

## الفصل الرابع

لكل داء علاج ، ولكل علاج وسائل متعددة ومتنوعة يسلكها الإنسان للوصول إلى أفضل وسائل وطرق العلاج ، ويتبع من خلال هذه الوسائل خطوات مختلفة للوصول إلى العلاج الشافي بإذن الله ، وهذا ما سنحاول ذكره على سبيل المثال لا على سبيل الحصر .

### المبحث الأول: وسائل التصور الإسلامي للعلاج النفسي

أما الوسائل التي يمكن للإنسان أن يسلكها فمنها :

#### المطلب الأول: الإيمان

##### أولاً : أثر الإيمان في العلاج:

إن للإيمان تأثيراً عظيماً في نفس الإنسان ، فهو يزيد من ثقته بنفسه، ويزيد قدرته على الصبر، وتحمل مشاق الحياة، ويبعث الطمأنينة ،والأمن في النفس، ويبعث على راحة البال، ويفرم الإنسان بالشعور بالسعادة ،وتمدنا دراستنا لتاريخ الأديان، وخاصة تاريخ الدين الإسلامي، بأدلة على نجاح الإيمان بالله في شفاء النفس من أمراضها، وتحقيق الشعور بالأمن و الطمأنينة ، و الوقاية من الشعور بالقلق و ما قد ينشا عنه من أمراض نفسية. و مما تجدر ملاحظته إن العلاج يتدخل عادة بعد حدوث الإصابة بالمرض النفسي، أما الإيمان بالله إذا ما بث في نفس الإنسان منذ الصغر . فإنه يكسبه مناعة ووقاية من الإصابة بالأمراض النفسية . وقد وصف القرآن ما يحدثه الإيمان من أمن وطمأنينة في نفس المؤمن، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (الرعد): قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ (الأنعام): (١)

##### ثانياً: دور الإيمان في العلاج ، وارتباطه بالصحة النفسية

أما عن دور الإيمان في العلاج من الأمراض النفسية، واكتساب الفرد الوقاية منه يتبين من خلال الآتي:

تقوية المناعة عند الإنسان من خلال صبره على الضراء والبلاء، واحتساب ذلك عند الله، ومن خلال شكره على النعم التي أنعم الله بها عليه.

ففي حديث صهيب رضي الله عنه قوله ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذلك

١- أنظر: القرآن وعلم النفس، مفتاح عبدالعزيز ص٤٧، أثر القرآن الكريم في الأمن النفسي ناهد خراشي ص٤٥.

لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له»<sup>(١)</sup> وترسخ من ذلك القناعة لدى الإنسان، فيقاوم الأمراض النفسية التي تعتريه<sup>(٢)</sup>

٢- يمد الإنسان من خلال التوازن بين الجانب الروحي والمادي بمقاومة الاضطرابات النفسية، التي تنشأ من خلال الاختلال في التوازن بين الجانبين بما يمنع الأمراض. كما يحدد للفرد النظرة الصحية الثابتة إلى الكون والإنسان والحياة.

٣- إشاعة التفاؤل في حياته، وابتعاده عن التشاؤم فيما يلاقه من متاعب الحياة، فهما المصدران الأساسيان في حماية الإنسان من الأمراض، فهو يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، فلا يندم، ولا يتحسر، ولا يقنط، ويبقى الرجاء برحمة الله قوياً،

٤- يربي النفس على مواجهة المصاعب والمتاعب، وينمي لدى الفرد القناعة والرضى بقضاء الله وقدره، ويكون بإيمانه على يقين أن الرزق، والأجل بيد الله، ويعلم أنه قد يكره شيئاً وهو خير له، ويمكنه أن يحب شيئاً وهو شر له، والقناعة بمثل ذلك من أكبر عوامل سعادة الإنسان، قال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة): قال تعالى: ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ (٢٢) ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنْتُمْ نَنْطِقُونَ ﴾ (٢٣) ﴿ (الذاريات):<sup>(٣)</sup>

٥ - بعث الطمأنينة، وإبعاد الهم، والقلق، والاضطراب، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (الرعد):

٦- وينقل الدكتور القرضاوي قولين، أحدهما لوليم جيمس، الذي أكد أن الإيمان بالله يجلب الأمان والسلامة والاطمئنان قوله: إن أعظم علاج للقلق - ولا شك - هو الإيمان، ويقول «دليل كاربنجي»: إن أطباء النفس يدركون أن الإيمان القوي، والاستمسك بالدين، والصلاة، كفيلة بأن تقهر القلق والمخاوف<sup>(٤)</sup>.

١- حول هذه الخصائص أنظر: التوجيه والإرشاد الطلابي للمرشدين والمعلمين، د. حمدي محمود شاكر، ٢٢، ٢٩، دار الأندلس للنشر والتوزيع، حائل السعودية ط ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م، التوجيه والإرشاد النفسي من القرآن والسنة النبوية، مسفر بن سعيد الزهراني ٤٢-٤٥.

٢- القرآن وعلم النفس، د. محمد عثمان نجاتي ٢٤٩.

٣- صحيح مسلم - الزهد والرقائق - المؤمن أمره كله له خير ٤/٢٢٩٤

٤- أنظر: التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية، محمد عز الدين توفيق ٢٣٦، المدخل إلى علم الصحة النفسية، كمال إبراهيم مرسى، ص. ٢٠٠.

ولذا فإن علماء النفس يقررون أن الإيمان بالله سبحانه أهم عامل من عوامل شفاء المرضى النفسيين، كما أنه خير وقاية من الأمراض.<sup>(١)</sup>

كما تبين الدراسات أن هناك ارتباطاً بين الصحة النفسية والإيمان. ومن هنا فإن جميع المخاوف التي تساور النفس الإنسانية وتصيبها بالأمراض والاضطرابات يحورها الإيمان بالله تعالى، وفي ظل الإيمان بالله تعالى يتحقق السكون للنفس البشرية، مما يزيد مناعتها في مواجهة الأمراض والاضطرابات النفسية المعقدة في الحياة المعاصرة.

## المطلب الثاني: التقوى

### أولاً: مفهوم التقوى:

هناك تلازم بين الإيمان والتقوى، و تقوى الله تصاحب الإيمان بالله وتتبعه، وللتقوى مفاهيم متعددة منها:

١- هي أن يقي الإنسان نفسه من غضب الله وعذابه، بالابتعاد عن ارتكاب المعاصي، والالتزام بمنهج الله تعالى

٢- تحكم الإنسان بدوافعه وانفعالاته، وسيطرته على ميوله وأهوائه، فيقوم بإشباع دوافعه في الحدود التي يسمح بها الشرع فقط. ولا يتضمن مفهوم التقوى كبت الدوافع الفطرية، بل يتضمن فقط ضبطها، والتحكم فيها، وإشباعها في الحدود المسموح بها شرعاً.<sup>(٢)</sup>

### ثانياً: أثر التقوى على سلوك الإنسان:

إن التقوى بهذه المفاهيم تصبح طاقة موجهة للإنسان نحو السلوك الأفضل والأحسن، ونحو نمو الذات ورقيها، وتجنب السلوك السيئ، والمنحرف، والشاذ. وهذا يتطلب من الإنسان مجاهدة نفسه والتحكم في أهوائه وشهواته، فيصبح هو المسيطر عليها والموجه لها. وهي تؤدي إلى نضوج الشخصية وتكاملها واتزانها، وتدفع بالإنسان إلى الارتقاء بذاته متطوعاً إلى بلوغ الكمال الإنساني.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَفُؤُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ (الأحزاب): قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ (الرعد).

١- المدخل إلى علم الصحة النفسية، كمال إبراهيم مرسى ٢٠٠-٢١٠.

٢- الإيمان والحياة، يوسف القرضاوي، بيروت ٢٥٩ وانظر: التوجيه والإرشاد النفسي من القرآن والسنة النبوية، مسفر بن سعيد الزهراني ٢٤٦، منهج الإسلام في تزكية النفوس، د أنس أحمد كرزون ج٢-٢٨٣.

### المطلب الثالث: محاسبة النفس، ومراقبتها، ومجاهدتها

أولاً: محاسبة النفس، النظر والتأمل فيما يعمل الفرد من أعمال، وما يُقدم على خير، أو شر، مع النظر في النية والقصد، وحساب الريج، والخسائر، فيما كان منه، وليكون إعدادا لما يستقبل من أيامه بعزم جديد على الاستقامة، وبهذا تشمل المحاسبة الماضي، والحاضر، والمستقبل. ولا بد لكل مسلم أن يكون له موقف مع نفسه يحاسبها، ويعاتبها، ليأمن شرها، ويتحكم في قيادتها. وقد وردت آيات قرآنية، وأحاديث نبوية شريفة، تدل على أهمية محاسبة النفس، وبيان أهميتها في معالجتها، والتخلص من الأمراض، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُنْتُمْ نَفْسًا مَّا قَدَّمْتُمْ لِعَدِّهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ (الحشر). قال الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية (ولتتظر نفس ما قدمت لغد...) إي حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وانظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم، وعرضكم على ربكم، واعلموا أنه عالم بجميع أعمالكم، والمحاسبة تشمل حياة المسلم وكل صغيرة يعلمها، أو يتركها، أو يعزم عليها في قلبه، وكلما أحكم العبد رقبته على نفسه، كان أكثر سلامه من شرورها. وطريقة المسلم على محاسبة نفسه للمعاصي هي: أن يذكرها بأخطارها المهلكة، وعواقبها الخطرة في الدنيا والآخرة. وليعلم أن جوارحه، وأعضاءه، هي أمانة لديه سيسأل عنها يوم القيامة، فإن لم يحفظها أهلكته ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾﴾ (الإسراء)<sup>(١)</sup>

ويمكن تلخيص فوائد المحاسبة في أنها: تعرف الإنسان بحق الله، ويتدارك العبد التقصير، ويطلع على عيوب نفسه، ويعالج أمراضها، ويكشف خداعها.

ثانياً: مراقبة النفس، إن مراقبه النفس تسد على النفس كثيراً من العوامل التي يمكن أن تسبب الاضطراب، وهذا ما يساعد الفرد على ضبط ذاته عن كثير من المعاصي. وتكون هذه المراقبة والمداومة في جميع أوقات وأحوال الإنسان. ليلقى الدواء الفعال، ذا التأثير المستمر.

ثالثاً: مرحلة مجاهدة النفس، وقد وردت آيات، وأحاديث متعددة على ضرورة أن يجاهد الإنسان نفسه، ليستقيم على منهج الله، وهذه المجاهدة فيها ضبط للنفس، لتصل إلى سعادتها، واطمئنانها، وحمايتها من أمراضها، وبالمجاهدة يتعود الإنسان على الطاعة، والثبات، والاستقامة، حول هذه المعاني:<sup>(٢)</sup>

١- الله والعلم الحديث، د. عبدالرزاق نوفل، ص ١٩٦، إصدارات مكتبة الأسرة ١٩٩٨ م.

٢- القرآن وعلم النفس، د. محمد عثمان نجاتي ٢٥٢ والإرشاد النفسي من القرآن والسنة النبوية مسفر بن سعيد الزهراني ٢٥٠ أثر القرآن الكريم في الأمن النفسي، ناهد خراشي

## المطلب الرابع: العبادات وأثرها

فرض الله سبحانه وتعالى العبادات المختلفة ( الصلاة، الصيام، الزكاة، الحج) إن القيام بهذه العبادات في أوقات معينة بانتظام، يعلم المؤمن الطاعة لله تعالى، والامتثال لأوامره، والتوجه الدائم إليه في عبودية تامة، كما يعلمه الصبر. وتحمل المشاق، ومجاهدة النفس، والتحكم في أهوائها وشهواتها، كما يعلمه حب الناس، والإحسان إليهم، وينمي في نفسه روح التعاون والتكافل الاجتماعي. وكل هذه خصال حميدة تتميز بها الشخصية السوية الناضجة المتكاملة. ولا شك أن قيام المؤمن بهذه العبادات بإخلاص وانتظام، إنما يؤدي إلى اكتسابه هذه الخصال الحميدة، التي توفر له مقومات الصحة النفسية السليمة، كما يمدّه بوقاية من الأمراض النفسية.<sup>(١)</sup> وللعبادات المتنوعة التي فرضها المولى - سبحانه وتعالى - أثر واضح وفعال في شخصية الإنسان تمنحه الطمأنينة، والسعادة، والسكون، والاستقرار النفسي، وسنبين ذلك من خلال ذكر بعض آثار هذه العبادات :

### أولاً : الصلاة :

﴿ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ (البقرة: ٤٥)

إن وقوف الإنسان في الصلاة أمام الله سبحانه وتعالى في خشوع وتضرع، يمدّه بطاقة روحية تبعث فيه الشعور بالصفاء الروحي، والاطمئنان القلبي، والأمن النفسي. ففي الصلاة إذا ما أداها الإنسان كما ينبغي أن تؤدي، يتوجه بكل جوارحه وحواسه إلى الله تعالى، وينصرف عن كل مشاغل الدنيا ومشكلاتها، ولا يفكر في شيء إلا في الله سبحانه وتعالى، وما يردده من آيات القرآن. إن هذا الانصراف التام عن مشكلات الحياة وهمومها، وعدم التفكير فيها أثناء الصلاة، ووقوفه أمام ربه في خشوع تام من شأنه أن يبعث في الإنسان حالة من الاسترخاء التام، وهُدوء النفس، وراحة العقل والبال. ولهذه الحالة من الاسترخاء، والهدوء النفسي التي تحدثها الصلاة أثرها العلاجي الهام في تخفيف حدة التوترات العصبية الناشئة عن ضغوط الحياة اليومية، وفي خفض القلق الذي يعاني منه بعض الناس.<sup>(٢)</sup>

وقد جاءت الأحاديث الكثيرة حول أثر الصلاة وفي الراحة النفسية للإنسان، فقد كان الرسول ﷺ يقول لبلال رضي الله عنه حينما تحين أوقات الصلاة: «يا بلال أقم الصلاة أرحنا

١- تفسير ابن كثير ٤/٣٦٥.

٢- التوجيه والإرشاد النفسي من القرآن والسنة النبوية، مسفر بن سعيد الزهراني ص ٢٤٣، منهج الإسلام في تزكية النفوس، د. أنس أحمد كرزون/١، ٢٧٧، ٢٨٥، ٢٣٦/٢، ٣٦٠، علم النفس المعاصر، محمد محمود، ص ٢٣-٢٥، أثر القرآن الكريم في الأمن النفسي، ناهد خراشي ص ٣١.

بها»<sup>(١)</sup> وفي الحديث عن حذيفة قال: «كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر صلى»<sup>(٢)</sup>. وفي الحديث عن أنس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «حب إلي من دنياكم، النساء، والطيب، وجعل قرّة عيني في الصلاة»<sup>(٣)</sup>

يقول ابن قيم الجوزية: وأما الصلاة في تفرّج القلب، وتقوية، وشرحه، وابتهاجه، ولذته، فلها أكبر شأن، ومن ذلك اتصال القلب والروح بالله، وقربه والتعمم بذكره، والابتهاج بمناجاته، والوقوف بين يديه، واستعمال جميع البدن ووقوفه في عبوديته، وإعطاء كل عضو حظه منها واشتغاله عن التعلق بالمخلوق، وملاستهم ومجاورتهم، وانجذاب قوى قلبه إلى ربه وفطره، وراحته من عدوه حالة الصلاة، وما صارت به من الأدوية، والمفرحات، والأغذية التي لا تلائم إلا القلوب الصحيحة، وأما القلوب العليّة، فهي كالأبدان العليّة التي لا تناسبها الأغذية الفاسدة، فالصلاة من أكبر العون على تحصيل مصالح الدنيا والآخرة، ودفع مفسد الدنيا والآخرة، وهي منهاة عن الإثم، ودافعة لإرواء القلب، ومطرّدة للداء، والحسد، ومنورة للقلوب، ومبيضة الوجه، ومنشطة للجوارح، وجالبة للرزق، ودافعة للظلم، وناصرّة للمظلوم، وقامعة لأخلاق الشهوات، وحافظة للنعمة، ودافعة للنقمة ومنزلة للرحمة وكاشفة للغمّة.<sup>(٤)</sup>

يقول الطبيب توماس هايسلوب: أن أهم مقومات النوم التي عرفتها في خلال سنين طويلة قضيتها في الخبرة والتجارب هو الصلاة. وأنا التي هذا القول بوصفي طبيباً، إن الصلاة أهم أداة عرفت حتى الآن لبث الطمأنينة في النفوس، وبث الهدوء في الأعصاب.<sup>(٥)</sup>

بالإضافة إلى كل ذلك، فإن لصلاة الجماعة أثراً علاجياً هاماً. فتزداد الفرد على المسجد لصلاة الجماعة يتيح له فرصة التعرف بجيرانه وبكثير من الأفراد الآخرين ممن يسكنون في الحي نفسه الذي يسكن فيه، مما يساعد على تفاعله مع الناس الآخرين، وعلى تكوين علاقات اجتماعية سليمة، وعلاقات صداقة ومودة معهم. وتؤدي صلاة الجمعة دوراً علاجياً هاماً، حيث يستمع فيها المصلون إلى خطبة الجمعة التي يناقش فيها الإمام عادة بعض المشكلات الاجتماعية والحياتية التي يعاني منها الناس، وي طرح أسبابها وطرق علاجها. وقد يتناول بعض أنواع السلوك

١- أنظر: القرآن وعلم النفس، د. محمد عثمان نجاتي ص ٢٦٤، أثر القرآن الكريم في الأمن النفسي، ناهد خراشي ١٧١، منهج الإسلام في تزكية النفوس، د أنس أحمد كرزون ١٧٧١.

٢- القرآن وعلم النفس، محمد عثمان نجاتي ٢٦٥.

٣- سنن أبي داود. الأدب. صلاة العتمة ٢٩٦/٤ (٤٩٨٥). حديث صحيح.

٤- سنن أبي داود الصلاة وقت قيام النبي صلى الله عليه وسلم من الليل ٣٥/٢ (١٢١٩)، مسند أحمد ٢٨٨/٥، حديث حسن.

٥- سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي، وحاشية الإمام السندي ٦١/٧ (٢٩٤٠، ٢٩٣٩). مسند أحمد ١٩٩/٢. حديث صحيح.

الشاذ والمنحرف ، ويشرح أسبابها ، ويبين وسائل التغلب عليها . ولا شك أن المصلين يفيدون كثيراً من الاستماع إلى مثل هذه الخطب التي تتناول مشكلاتهم الاجتماعية ، والشخصية بالشرح ، والتي تمدهم بكثير من النصائح والإرشادات عن كيفية مواجهة مشكلاتهم ، والتغلب عليها ، وعن أساليب السلوك السوي السليم الذي يحقق للفرد الأمن النفسي ، وراحة البال .<sup>(١)</sup> وعن دورها العلاجي فيرجع إلى التأثير الذي تحدثه خطب صلاة الجمعة في زيادة استبصار الفرد لذاته ، ولما يعانیه من بعض مشكلات الحياة . إن الدور الذي تقوم به صلاة الجماعة عامة ، وصلاة الجمعة خاصة ، في تقويم شخصية الأفراد وعلاجها إنما يشبه إلى حد ما الدور الذي يقوم به العلاج النفسي الجماعي .<sup>(٢)</sup>

إن للوضوء ، تأثيراً فسيولوجياً أشار إليه من قبل بعض الكتاب والأطباء ، إذ تبين أن الغسل بالماء خمس مرات يومياً وعلى فترات معينة من العمل اليومي إنما يساعد على استرخاء العضلات ، وتخفيف حدة التوتر البدني ، والنفسي . ولذلك أوصى النبي عليه الصلاة والسلام بالوضوء إذا غضب الإنسان ، فقد قال عليه الصلاة والسلام : «إن الغضب من الشيطان ، وإن الشيطان خلق من النار ، وإنما تطفأ النار بالماء ، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ»<sup>(٣)</sup>

## ثانياً الصيام :

أما الصيام ففيه فوائد نفسية كثيرة ، فهو تربية وتهذيب للنفس ، وعلاج لكثير من أمراض النفس والجسم ، وتدريب للإنسان على مقاومة شهواته ، والسيطرة عليها ، ويؤدي ذلك إلى بث روح التقوى فيه ، قال تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لِمَلَكُم تَنْفُونَ ﴾ (١٨٣) ﴿ البقرة ﴾

إن استمرار هذا التدريب على ضبط الشهوات والسيطرة عليها مدة شهر في كل عام ، لا شك سيؤدي إلى تعليم الإنسان قوة الإرادة ، وصلابة العزيمة ، لا في التحكم في شهواته فقط ، وإنما في سلوكه العام في الحياة ، وفي الصيام أيضاً تدريب للإنسان على الصبر على الجوع ، والعطش ، والامتناع عن الشهوات ، ومن الفوائد النفسية للصيام أيضاً ، أنه يشعر الغني بالآم الجوع ، ويبعث في نفسه عواطف الرحمة ، والشفقة على الفقراء ، والمساكين ، فيدفعه ذلك إلى البر بهم ، والإحسان إليهم مما يقوي في المجتمع روح التعاون ، والتضامن ، والتكافل الاجتماعي .<sup>(٤)</sup>

١- الطب النبوي ، للعلامة الإمام أبي الفرج عبدالرحمن الشهير بابن قيم الجوزية

٢- القرآن وعلم النفس ، د. محمد عثمان نجاتي ٢٦٥ .

٣- أنظر : التوجيه والإرشاد النفسي من القرآن والسنة النبوية مسفر الزهراني ص ٢٥٤ القرآن وعلم النفس ، د. محمد عثمان نجاتي ص ٢٧٠ .

٤- التوجيه والإرشاد النفسي من القرآن والسنة النبوية مسفر الزهراني ص ٢٥٤ . علم النفس في الإسلام د. رمضان القذافي ٥٥٦ .

## ثالثاً: الزكاة

أما الزكاة : هي تدريب للمسلم على العطف على المحتاجين من الناس ، ومد يد العون إليهم ومساعدتهم على سد حاجاتهم الضرورية . إنها تقوي في المسلم الشعور بالمشاركة الوجدانية مع الفقراء والمساكين ، وتبث فيه الشعور بالمسؤولية نحوهم ، وتدفعه إلى العمل على إسعادهم والترفيه عنهم . إنها تعلم المسلم حب الآخرين ، وتخلصه من الأنانية ، وحب الذات ، والبخل ، والطمع. (١)

## رابعاً: الحج

وللحج أيضاً فوائد نفسية عظيمة الشأن:

فإن في الحج تدريباً للإنسان على تحمل المشاق والتعب ، وعلى التواضع حيث يخلع الإنسان ملابس الفاخرة ويرتدي ملابس الحج البسيطة التي يتساوى فيها جميع الناس الغني فيها والفقير ، والسيد والمسود ، والحاكم والمحكوم .

وفي الحج أيضاً تدريب للإنسان على ضبط النفس ، والتحكم في شهواتها ، واندفاعاتها ، إذ ينتزه الحاج وهو محرم عن مباشرة النساء ، وعن الجدل ، والخصام ، والشحناء ، والسباب ، وعن المعاصي وكل ما نهى الله تعالى عنه ، وفي ذلك تدريب للإنسان على ضبط النفس ، وعلى السلوك المهذب ، وعلى معاملة الناس بالحسنى ، وعلى فعل الخير. (٢)

## خامساً: الدعاء

وللدعاء أثر نفسي في حياة المسلم بحيث بفضي المسلم بمشكلاته لله سبحانه وتعالى ، حيث يقوم بعد كل صلاة بمناجاة ربه ، ودعائه ، والاستعانة به ، وطلب العون منه . أضف إلى ذلك أن مجرد الدعاء إلى الله تعالى والتضرع إليه يؤدي إلى تخفيف حدة القلق من ناحية أخرى. وذلك لأن المؤمن يعلم أن الله سبحانه وتعالى ، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (البقرة: ١٨٦) ولذلك كان الدعاء لله تعالى يساعد على تخفيف حدة القلق ، حيث يأمل المؤمن إستجابة الله تعالى له في حل مشكلاته ، وقضاء حاجاته ، ورفع الهم والقلق عنه . وبصرف النظر عن كون الله تعالى قد استجاب فعلاً لدعاء الإنسان أو لم يستجب ، فإن مجرد التوجه إلى الله تعالى بالدعاء ، وأمل الإنسان في إستجابة الله تعالى له ، يؤدي عن طريق الإيحاء الذاتي باحتمال إستجابة الله

١- سنن أبي داود - الأدب. ما يقال عند الغضب ٤/٢٤٩ (٤٧٨٤) حديث حسن.

٢- أنظر : القرآن وعلم النفس محمد عثمان نجاتي ٢٧٢ ، منهج الإسلام في تزكية النفوس ، د أنس أحمد كرزون ص ٢٥١- ٢٧٠ التوجيه والإرشاد النفسي من القرآن والسنة النبوية ، مسفر بن سعيد الزهراني، ص ٣٥٨ .

تعالى لدعائه إلى تخفيف حدة قلقه، ومن المعروف أن القلق ينشأ عن عجز الإنسان عن حل صراعاته النفسية. والصراع النفسي يستهلك جزءاً كبيراً من الطاقة النفسية للإنسان.<sup>(١)</sup>

وللدعاء أهمية في علاج الإنسان من أمراضه النفسية من خلال فتاة المسلم واعتقاده باستجابة الله لدعائه المحققة لشروط الدعاء المعروفة، وفي الحديث: «أن امرأة أتت النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالت: إنني أصرع، وإني أتكشف، فأدع الله لي، قال: «إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك»، فقالت: أصبر، فقالت: أني أتكشف، فادع الله أن لا أتكشف، فدعا لها»<sup>(٢)</sup> قال ابن حجر: وفيه أن علاج الأمراض كلها بالدعاء والالتجاء إلى الله أنجع وأنفع من العلاج بالعقاقير ولكن إنما ينجع بأمرين: صدق القصد، وقوة توجهه وقوة قلبه بالتقوى والتوكل والله أعلم.<sup>(٣)</sup>

## المطلب الخامس: وسائل أخرى متعددة لها تأثيرها الفعال بإذن الله سبحانه وتعالى منها

### أولاً: الرقية الشرعية :

يضاف إلى ذلك الرقية الشرعية الصحيحة، والتداوي بالقرآن<sup>(٤)</sup>: وتشمل، الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، والمحافظة على قراءة آيات القرآن، منها: آية الكرسي، ففي الحديث قوله ﷺ: «إذا أويت إلى فراشك فأقرأ آية الكرسي، ينزل عليك من الله حافظ، ولا يقربك الشيطان حتى تصبح»<sup>(٥)</sup>، وأخر سورة البقرة، ففي الحديث عن ابن مسعود - رضي الله عنه قوله ﷺ: «من قرأ الآيتين من سورة البقرة في ليلة كفتاه»<sup>(٦)</sup> وفيه قال ابن حجر رحمه الله: كفتاه كل سوء، وقيل: كفتاه كل شر، وقيل: دفعتا عنه شر الأنس والجن.<sup>(٧)</sup> وفضل المعوذتين، ففي الحديث عن عقبه بن عامر رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ أنزل أو أنزلت على آيات لم ير مثلهن قط: المعوذتين»<sup>(٨)</sup> وما أخرجه الإمام البخاري رحمه الله من حديث عائشة رضي الله عنها «أن النبي ﷺ كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات، فلما ثقل كنت

- ١- أنظر: منهج الإسلام في تزكية النفوس، د أنس أحمد كرزون ٢٧٠-٢٨٠، القرآن وعلم النفس محمد عثمان نجاتي ص ٢٦٦
- ٢- أنظر: علم النفس المعاصر، د. محمد محمود ص ٦٢، التوجيه والإرشاد النفسي من القرآن والسنة النبوية مسفر الزهراني ص ٦٢، أثر القرآن في الأمن النفسي، ناهد خراشي ص ٧٨١.
- ٣- التوجيه والإرشاد النفسي في القرآن والسنة، مسفر الزهراني ص ٩٦٢، أثر القرآن في الأمن النفسي، ناهد خراشي ص ٢٧١
- ٤- صحيح البخاري مع الفتح - المرضى - فضل من يصرع ١٤١/٠١ (٢٥٦٥) صحيح مسلم - البر والصلة - تحريم الظلم ٤/ ٤٩٩١
- ٥- فتح البارئ ٠١/٢٠٢.
- ٦- صحيح البخاري مع الفتح - الطب - الرقى بالقرآن والمعوذات. ١٠ / ٢٢٦.٢٠٨ .
- ٧- صحيح البخاري مع الفتح - بدء الخلق - صفة ابليس وجوده ١٢/ ٦٧ .
- ٨- صحيح البخاري مع الفتح - فضائل القرآن - فضل سورة البقرة. ٨/ ٦٧٢ .

أنفث عليه بهنّ ، وأمّسح بيده نفسه لبركتها»<sup>(١)</sup> قال ابن بطال : في المعوذات جوامع من الدعاء ، تعم أكثر المكروهات من السحر والحسد وشر الشيطان ووسوسته وغير ذلك ، فلهذا كان النبي ﷺ يكتفي بها. <sup>(٢)</sup> وهناك أدعية مخصوصة منها قوله ﷺ «اللهم ربّ الناس أذهب البأس واشف أنت الشافي لا شفاء إلاّ شفاءك ، شفاء لا يغادر سقماً»<sup>(٣)</sup> وقوله ﷺ: «بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك ، من كل شر نفس أو عين حاسد الله يشفيك بسم الله أرقيك»<sup>(٤)</sup> ، وفي حديث عائشة رضي الله عنها ، كان النبي ﷺ يقول : في الرقية : « بسم الله تربة أرضنا ، وريقة بعضنا ، يشفي سقيمنا ، بإذن ربنا»<sup>(٥)</sup> وهناك آيات القرآن الكريم في جميع سورته كما ذكر العلامة الآلوسي : وما من آية في القرآن إلا وهي مستقلة ، أو لها دخل في الشفاء من ذلك الداء لما فيها من الإعجاز ، وكذا ما من آية إلا وفيها نفع من جهة أخرى ، فكل آية رحمة ، كما أن كلها شفاء. <sup>(٦)</sup> الأحاديث الكثيرة في كتب السنة المشرفة لا يمكن حصرها في هذا البحث المتواضع ، فقد بوب البخاري ومسلم في صحيحهما كتاب الطب والرقية ، وأخرجا من الأحاديث الكثير .

### ثانياً: الذكر وتلاوة القرآن :

إن مواظبة المؤمن على ذكر الله تعالى بالتسبيح ، والتهليل ، والتكبير ، والاستغفار ، والدعاء ، وتلاوة القرآن ، تؤدي إلى تركية نفسه ، وصفائها وشعورها بالأمن والطمأنينة. قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ (يونس) : وفي الحديث قوله ﷺ: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله ، يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكروهم الله فيمن عنده»<sup>(٧)</sup> إن كتاب الله يهدي لأقوم الطرق وأوضح السبل ، ففيه شفاء النفوس ، وهدى الأرواح ، والاطمئنان والرضا بحكم الله وقضائه وقدره ، إنه شفاء ورحمة للمؤمنين لأنه يذهب ما في القلوب من أمراض وعلل ، وحقد وضغائن ، وشك ونفاق وزيف وميل عن الاعتدال ، وفوق ذلك كله فهو رحمة يحصل فيها الإيمان والحكمة وطلب الخير والرغبة فيه<sup>(٨)</sup> .

١- فتح البارئ ٦٧٣/٨ .

٢- صحيح مسلم صلاة المسافرين وقصرها فضل قراءة المعوذتين ٥٥٨/١ (٢٦٤) .

٣- صحيح البخاري مع الفتح . الطب . الرقى بالقرآن والمعوذات . ٢٠٥/١٠ ( ٥٧٢٥ )

٤- فتح الباري ٢٠٨/١٠ .

٥- صحيح البخاري مع الفتح الطب رقية النبي ﷺ ٢١٦/١٠ ( ٥٧٤٢ ) ( ٥٧٤٢ ) ، المرضي . دعاء العائد للمريض . ١٢٧/١٠ ( ٥٦٧٥ ) ،

صحيح مسلم السلام استحباب رقية المريض ١٧٢١/٤ ( ٢١٩١ )

٦- صحيح مسلم السلام الطب والمرضى والرقى ١٧١٨/٤ .

٧- صحيح البخاري مع الفتح الطب . رقية النبي صلى الله عليه وسلم . ١٠ / ٢١٧ ( ٥٧٤٥ ، ٥٧٤٦ ) . علم النفس

٨- علم النفس في الإسلام ، د. رمضان القذافي ص ١٤٧ .

## ثالثاً: الأخلاق ودورها

إن الإسلام وما جاء به من أوامر ونواهٍ، وقيم ومثل، ومدح لمحاسن الأخلاق الفاضلة، وذم لمساوئ الأخلاق السيئة، كل ذلك يؤثر في سلوك النفس البشرية، ويهذبها، ويظهر آثارها في كل أفعاله وأقواله وحركاته، وفي كل سكناته فيضبطها وينظمها ليسيرها على منهج الخير العام، وكذا يكون إحساس الإنسان، فترى فيه الملكات الفاضلة، وتظهر نفسه عن الرذائل والأخلاق السيئة.<sup>(١)</sup> كما يؤكد الإسلام اهتمامه بتربية النفس والمحافظة على مشاعرها وأحاسيسها وتوجيهها للتوجيه السليم، ورياضتها على محاسن الأخلاق، ومن مجموعة هذه الأخلاق نذكر منها: لصبر:

يدعو القرآن المؤمنين إلى التحلي بالصبر لما فيه من فائدة عظيمة في تربية النفس، وتقوية الشخصية، وزيادة قدرة الإنسان على تحمل المشاق، وتجديد طاقته لمواجهة مشكلات الحياة وأعبائها، ونكبات الدهر ومصائبه، ولتعبئة قدراته لمواصلة الجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (البقرة)، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة)، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران)

والصبر والمثابرة مرتبطان بقوة الإرادة، فالشخص الصابر قوي الإرادة لا تضعف عزيمته ولا تثبط همته مهما لقي من مصاعب وعقبات وبقوة الإرادة يتمكن الإنسان من انجاز الأعمال العظيمة وتحقيق الأهداف العالية<sup>(٢)</sup>

ومنها العفو، الصفح، المسامحة، الإيثار، التواضع المحبة، الاستقامة، حفظ اللسان، الحياء الصدق، والأمانة، وسلامة الصدر من الأحقاد، وكظم الغيظ، وعدم الغضب.<sup>(٣)</sup>

رابعاً: المداومة على الأعمال الصالحة والإكثار منها وتزكية النفس والابتعاد عن المعاصي إن العمل الصالح هو الذي ينمي لدى الإنسان الهمة العالية في حياته، ويمنحه القدرة على استدامة العلاقة بينه وبين الله سبحانه وتعالى.

فالعمل الصالح وإن كان قليلاً له تأثيره الإيجابي على شخصية الفرد المسلم، ولأن انقطاعه يعني الضعف والإستكانه والأمراض، فالمعاصي خطرها عظيم وضررها كبير، وأمراضها عليلة

١- صحيح مسلم. الذكر والدعاء والتوبة. فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر. ٤/٢٠٧٤ (٢٦٩٦)

٢- علم النفس في الإسلام، د. رمضان القذافي ص ١٤٧.

٣- علم النفس المعاصر، د. محمد محمود محمد ص ٨٧.

تفتك بقلب الإنسان وعقله وتكون سبباً فعالاً للنفس الإمارة بالسوء التي توقع صاحبها بالذنوب وتبعده عن الإيمان والتقوى ، وبالتالي إلى الأمراض النفسية ، وعلى الإنسان أن يزر نفسه عن المعاصي ، ويربها على العمل الصالح ، ويعاقب النفس حين رفضها لذلك ، ويمكن أن نشبه معاقبة الإنسان على المعصية كمن يتجرع دواء مرّاً لكنه شافياً<sup>(١)</sup>

إن الإكثار من العمل الصالح هو الذي يحمي الإنسان من طغيان الهوى ، وفيه وقاية وحصانه من الأمراض النفسية التي تحصل للإنسان .

## المبحث الثاني :

### خطوات العلاج النفسي في التصور الإسلامي<sup>(٢)</sup>

للعلاج النفسي في القرآن خطوات يسير عليها الإنسان ليصل إلى الشفاء بإذن الله من جميع أمراضه النفسية وما يصاحب هذه النفس من اضطرابات ، وهذه الخطوات تقوم على منهج واضح يقوم وفقاً لهذا المنهج على إتباع مجموعة من المبادئ ، والأسس العلاجية التي يتكون منها أسلوب تنظيم علاجي متكامل ، يهدف نحو تحرير الشخص المضطرب من مشاعر الخطيئة التي تهدد أمنه وتجعله يعيش دائماً في دوامة من الخطر ، ويعتبر هذا الشعور من أسوأ ما ابتليت به النفس البشرية ، إن نقطة البداية في العلاج الديني الذي يعتبر محور الاضطراب النفسي هو الإثم والشعور بالخطيئة والعمل على تخفيف حدة مشاعر الخطيئة التي تنجم عن ارتكاب خطأ انتهك الشخص فيه مبادئ الخلق والدين عن طريق الخطوات الآتية :

### الخطوة الأولى : الاعتراف بالذنب

يتضمن الاعتراف بالذنب شكوى النفس من النفس طلباً للخلاص والمغفرة ، فهو إفضاء الإنسان بما في نفسه إلى الله .

إن اعتراف الفرد بذنبه يحول دون محاولة إبعاد فكرة الذنب عن تفكيره الشعوري تخلصاً مما تسببه له من ألم نفسي . ولهذا كان تذكّر المؤمن لذنوبه ، واعترافه بها ، واستغفاره الله سبحانه وتعالى عن ارتكابه لها . وتوبته إليه إنما يعمل على وقايتها من الكبت اللاشعوري للإحساس بالذنب ، وهو ما يسبب القلق ونشوء أعراض الأمراض النفسية<sup>(٣)</sup> إن أهم ما يعتمد عليه العلاج النفسي وفق الأسلوب الديني هو مساعدة الفرد على الاعتراف بخطاياها ، ذلك إن هذا الاعتراف يعيد إلى

١- انظر: الصحة النفسية محمد محمود ٢٤٠ ، أهمية الصبر في الصحة النفسية ، زهران ٣٦٠

٢- حول مجموعة هذه الأخلاق وتأثيرها أنظر :منهج الإسلام في تزكية النفوس ، أنس أحمد كرزون ٢٨٠ - ٢٨٦ .

٣- منهج الإسلام في تزكية النفوس ، أنس أحمد كرزون ١/٢٨٥ ، ٤٠٠ ، ٢/٢٢٨ .

النفس المضطربة اتزانها وطمأنينتها ،وفي اعتقادنا أن هذه الخطوة العلاجية تتشابه إلى حد كبير بما هو معروف في العلاج النفسي بصفة عامة باسم التفرغ الانفعالي، وهو بهذه الخطوة يتحرر من مشاعر الإثم والخطيئة ، ويخفف من عذاب الضمير وتأنيبه ، وبذلك يعيد إلى نفسه مشاعر الطمأنينة ، ويفضي بما في نفسه إلى الله سبحانه وتعالى.

### الخطوة الثانية : التوبة

إن الشعور بالذنب يسبب للإنسان الشعور بالنقص، والقلق ، مما يؤدي إلى نشوء أعراض الأمراض النفسية، ويمدنا القرآن بأسلوب فريد وناجح ،في علاج الشعور بالذنب ألا وهو: التوبة. فالتوبة إلى الله سبحانه وتعالى تغفر الذنوب ، وتقوي في الإنسان الأمل في رضوان الله ، فتخفف حدة قلقه ، ثم إن التوبة تدفع الإنسان عادة إلى إصلاح الذات وتقويمها ، حتى لا يقع مرة أخرى في الأخطاء والمعاصي، ويساعد ذلك على زيادة تقدير الإنسان لنفسه وزيادة ثقته فيها، ورضاه عنها، ويؤدي ذلك إلى بث الشعور بالأمن والطمأنينة في نفسه.

إن إيمان المسلم بأن الله - جل شأنه - يقبل التوبة، ويغفر الذنوب وأنه - سبحانه وتعالى - لا يخلف وعده، إنما يدفعه إلى الاستغفار، والتوبة . والابتعاد عن ارتكاب المعاصي أملاً في مغفرة الله ورضوانه ، وإذا تاب المسلم توبة نصوحا ، والتزم بطاعة الله وعبادته، وبالعمل الصالح، ارتاح باله، واطمأنت نفسه، وزال عنه الشعور بالذنب الذي يسبب القلق، واضطراب الشخصية.<sup>(١)</sup>

فالتوبة دواء ناجح لكل أمراض النفس والقلب ، لأنها عودة بالعبد العاصي، وتلعب التوبة دوراً هاماً في تنظيم وتقوية العلاقة بين الله والإنسان ،وفي حين تكون عملية التكفير عن الذنب من العوامل التي تغير نظرة الغير إلى الفرد المذنب أو الإثم، وبالتالي تدعو هذه النظرة الجديدة الفرد إلى أن يغير فكرته عن نفسه وبذلك تصبح ذاتاً اجتماعية جديدة تجعله يحس بالأمن، واحترام الذات وهذه المشاعر تصل به إلى الطريق السليم للصحة النفسية الجيدة.

والتوبة بشروطها: هي أسلوب من أساليب تطهير النفس من الآثام والذنوب ، وهي مدخل إلى المغفرة و تحرر الفرد من مشاعر الذنب التي أوجدها العمل أو الفعل ،الذي يتنافى مع القيم الأخلاقية والقيم الاجتماعية والروحية

إن الاعتراف كخطوة علاجية أولى تشعر المذنب برحمة الله ومغفرته، وتمنح للإنسان الراحة النفسية تريخ النفس، وتبعد الخطر والتهديد عن الذات، ومشاعر الراحة النفسية للفرد لا تكون

١- أنظر: التوجيه والإرشاد الطلابي للمرشدين والمعلمين. حمدي شاكر ١٤٤ ، القرآن وعلم النفس مفتاح محمد عبدالعزيز ١٨٢ ،علم النفس المعاصر محمد محمود محمد ٤٠٧.

كاملة ودائمة إلا عن طريق التوبة ،وهذه تتضمن جوانب كثيرة تساعد على إعادة بناء الشخصية

### الخطوة الثالثة : الاستبصار

الاستبصار: هو إدراك الفرد لمعان جديدة في خبرة الفرد الشخصية وإدراك علاقات جديدة بين الأسباب والنتائج والحصول على فهم جديد للمعاني التي كانت تدل عليها مظاهر السلوك وأن يفهم الأسس التي كان يقوم عليها سلوكه<sup>(1)</sup>

وفيه فهم الإنسان لنفسه ، ومعرفة أسباب شقائه والتعرف على الدوافع الكامنة وراء ارتكاب الذنوب والخطايا ، وذلك من أجل نمو الذات وتحمل المسؤولية . ﴿ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۗ ﴾ (القيامة) :

### الخطوة الرابعة : تكوين ذات اجتماعية جديدة

يقصد بالذات الاجتماعية الذات التي يعتقد الشخص إن الآخرين يرونها إن الإحساس بالأمن واحترام الذات مرتبط تماما بالذات الاجتماعية ، إن احترام الذات هي أساسا عملية اجتماعية ، تكسب عادة من العلاقات المتبادلة بين الفرد والآخرين ، فيكون شعورا إيجابيا نحو الذات ويكتسب ثقة بنفسه .

### الخطوة الخامسة : تكوين مجموعة من الاتجاهات والقيم لدى المتعالج :

هناك خطوة علاجية هامة لتحقيق التكيف السليم لدى المتعالج تتمثل في تكوين مجموعة من الاتجاهات والقيم لديه وهي ما تسمى بمجموعة الصحة النفسية وهي : الراحة النفسية ، القدرة على مواجهة المشكلات ، والصمود ، والعمل ، والإنتاج .

### الخطوة السادسة : منهج تشخيص المرض النفسي ومعرفة الداء

يعتمد العلاج الديني على التوجيه والاستبصار ، وعلى معرفة الفرد لنفسه ، ولربه ، ولدينه ، وللقيم والمبادئ الروحية والخلقية ، إن هذه المعرفة غير الدنيوية المتعددة الجوانب والأركان ، تعتبر مشعلا يوجه الفرد في دنياه ويزيده استبصارا بنفسه وبأعماله وذنوبه وأثامه وطرائق تكيفه في حاضره ومستقبله .

إن العملية العلاجية عملية توجيه ، وتربية وتعليم وأن العلاج النفسي يهدف إلى تنمية القوى البناءة في نفس الإنسان وإعادة التلقائية إليه وتقوية ثقته بذاته ونفسه بعد تعريفه بحقيقة وجوده وتبصره بما ينتج عن التصور الإسلامي للعلاج النفسي إن الطريق الذي يتبعه التصور الإسلامي

١ القرآن وعلم النفس ، د محمد عثمان نجاتي

للعلاج النفسي وهو طريق الإيمان والتقوى هذه الطريق التي تؤدي في النهاية إلى الفوز بالسعادة في الدنيا والآخرة سعادة تتبع من القلب وتتوحد أركانها بالتركيم الإلهي وخيرية الدنيا وخيرية المصير وبهذا تزداد النفس شعورا بالسكينة والأمن والرضا.<sup>(١)</sup> ومن أهم مهام العلاج النفسي زيادة وعي ومعرفة المريض لطبيعة مرضه ليصل إلى إدراكه ، وتبصير المذنب بذنبه ليعرف مساوئ تصرفه وما ترتب عليه من أمراض واضطرابات نفسية . فيسعى لعلاجها .

## الخاتمة

وبعد.....

فقد واجه الإنسان في الحياة المعاصرة الكثير من الصعاب والمشاكل والأمراض ببعده عن منهج الله القويم وصراطه المستقيم ، وعجز في أن يجد العلاج الشافي لبعض أمراضه واضطراباته النفسية ، لعجزه عن معرفة مكونات النفس البشرية ، وعدم إدراكه لأهمية التوازن بين جوانب الحياة الإنسانية المادية والروحية ، وافتقاره إلى الإيمان بالله ، وما يحدثه من أمن وطمأنينة في النفس البشرية ، مما ترتب عليه أزمة عند الإنسان المعاصر بعدم معرفته لأهمية الدين في العلاج ، فعجز عن أن يجد الطريق السليم لعلاج ما ألم به ، فكانت هذه الدراسة المتواضعة لبيان التصور الإسلامي للعلاج النفسي عند الإنسان ، وأهميته وآثاره الشافية بإذن الله تعالى ، من خلال التزامه بمنهج الله في حياته ، وإيمانه الصادق العميق ، ومعرفة الذخائر الكثيرة من الآيات والأحاديث الصحيحة التي وجد فيها المسلم العلاج فسلك طريق الحق ، وسلك نهج الإيمان والتقوى والعبادات ، وداوم على الأعمال الصالحة ، فخلص نفسه مما علق بها من أمراض واضطرابات نفسية أثرت على حياته ، وقد توصلنا في الدراسة المتواضعة إلى عدة نتائج منها :

١- ضرورة الاعتماد على مصادر التصور الإسلامي، لإشباع الحاجات النفسية عند الفرد والجماعة في مختلف المراحل العمرية .

٢- ضرورة عودة الإنسانية إلى التصور الإسلامي في علاجه للنفس ، بعد ثبوت فشل غيرها من الأيدولوجيات .

٣- اهتمام مصادر التصور الإسلامي للعلاج النفسي بالإنسان ، كوحدة متكاملة في نظرتها له في جميع مراحلها .

٤- التعرف على دور التصور الإسلامي في تعريف النفس البشرية مواجهة المشاكل النفسية التي تعترضها ، وبيان علاجها .

١- أنظر: القرآن وعلم النفس ، محمد عثمان نجاتي ص ٢٨٠ ، اثر القرآن الكريم في الأمن النفسي، ناهد عبدالعال الخراشي ١٦٦ .

- ٥- ضرورة فهم العاملين في مناهج التربية والتعليم في العالم الإسلامي وغيره لمصادر التصور الإسلامي للعلاج النفسي، فهماً صحيحاً بعيداً عن الخرافات، والأساطير، والشعوذة، والسحر.
  - ٦- انخداع البشرية بوسائل العلاج النفسي التي أغفلت الجانب الروحي في الإنسان، وركزت على الجانب المادي، وفشلت في بيان علاج أمراض الإنسان النفسية.
  - ٧- رعاية وحماية الصحة الإسلامية التي يعيشها العالم، واستغلالها في توجيه النفس الإنسانية نحو العلاج الصحيح الذي يخلص النفس من اضطراباتها.
  - ٨- بيان أن العلاج النفسي في التصور الإسلامي يتفق مع الفطرة البشرية في مكنوناتها ونوازعها.
  - ٩- عناية الإسلام بعناية فائقة بالوقاية الصحية في الجانب النفسي.
  - ١٠- حث الإسلام على وجوب التداوي، غذى فيه الأخذ بالأسباب.
  - ١١- تلازم العلاج النفسي والعلاج البدني، وتأثر كل واحدٍ منهما بالآخر.
- والحمد لله رب العالمين

## التوصيات

ويوصي الباحثان بضرورة تدريس أساليب العلاج النفسي المعتمدة على الكتاب والسنة ليكون ضمن برامج ومناهج إعداد الاختصاصيين النفسيين

د. رمزي رسمي جابر

أستاذ علم النفس الرياضي المشارك بكلية التربية البدنية والرياضة  
جامعة الأقصى

## أسباب الضغوط النفسية لدى لاعبي كرة السلة في فلسطين

أسباب الضغوط النفسية التي تعترى لاعبي كرة السلة في فلسطين

ملخص الدراسة :

هدفت الدراسة التعرف إلى أسباب الضغوط النفسية لدى لاعبي كرة السلة في فلسطين تبعاً إلى متغيرات الدرجة في اللعب، والمشاركات الدولية، ومركز اللعب. ولتحقيق ذلك أجريت الدراسة على عينة قوامها ( ١٨٠ ) لاعباً تمثل ما نسبته ( ١ ، ٨٣٪ ) من مجتمع الدراسة الأصلي البالغ عدده ( ٢١٥ ) لاعباً. ولجمع بيانات الدراسة وتحقيق أهدافها تم استخدام المنهج الوصفي، ومقياس أسباب الضغوط النفسية من تصميم بدر (٢٠٠٦). بعد أن قام الباحث بتوزيعه على السادة الخبراء للتعرف على مدى ملاءمته للبيئة الفلسطينية ولرياضة كرة السلة. وأسفرت نتائج الدراسة عن أن الضغوط النفسية لدى لاعبي كرة السلة في فلسطين جاءت متوسطة بوزن نسبي قدره ( ١ ، ٦٤٪). وكذلك يتضح من نتائج الدراسة أن البعد المرتبط بالجهاز الفني والإداري احتل المرتبة الأولى بوزن نسبي وقدره ( ٣ ، ٩٠٪ ) ، تلا ذلك في المرتبة الثانية البعد المرتبط بالمنافسة واللاعبين والجمهور بوزن نسبي وقدره ( ٧ ، ٧٣٪ ) ثم جاء البعد المرتبط بالسمات الشخصية للاعبين في المرتبة الثالثة بوزن نسبي وقدره ( ٥ ، ٧٣٪ ) ، تلا ذلك البعد المرتبط بالمستوى البدني والمهاري في المرتبة الرابعة بوزن نسبي وقدره ( ٦ ، ٤٩٪ ) ، وجاء البعد المرتبط

بالمستوى الاجتماعي والاقتصادي في المرتبة الخامسة بوزن نسبي وقدره (٧, ٣٣٪). وكذلك أظهرت النتائج بأنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في أسباب الضغوط النفسية لدى لاعبي كرة السلة في فلسطين تعزى إلى متغيرات الدرجة، والمشاركات الدولية، ومركز اللعب.

### المقدمة :

تعد الضغوط النفسية أحد الظواهر النفسية التي تؤثر على الصحة النفسية للفرد، فقد تؤدي شدة الضغوط النفسية والتعرض المتكرر لها إلى آثار وتأثيرات سلبية في شخصية الفرد وإلى خلل في الصحة النفسية، وقد يصل الأمر إلى الإنهاك العضلي والإجهاد النفسي والذهني وبعض المشكلات النفسية السلبية التي لا يستطيع الفرد تجاهلها أو التكيف معها بسهولة وبالتالي فهي مواقف ضاغطة قادرة على تعجير اضطرابات سلوكية حادة، وقد تدوم لفترة طويلة وتختلف تلك المواقف اختلافات التركيب النفسي للفرد. وقد تؤدي المواقف الضاغطة إلى تغيرات فسيولوجية سلبية، ومنها انخفاض الكفاءة الصحية للفرد، وزيادة التعب، وصعوبة التنفس، وآلام الظهر، التشنج العضلي، وكذلك قد يؤدي الموقف الضاغط إلى مظاهر انفعالية منها انفعالات غير سارة (القلق - الغضب - عدم التحكم في الانفعال - العدوان - الغيرة).

ورياضة كرة السلة من أكثر الألعاب الرياضية الجماعية التي تعاني من ظاهرة الضغوط النفسية، وذلك لاعتمادها على التوافق العضلي العصبي بشكل كبير جداً، وكلما كانت الضغوط النفسية كبيرة كلما كان له الأثر السلبي على التوافق العضلي العصبي وبالتالي على مهارتي التصويب والتمرير.

ويعرف الضغط النفسي بمعان متعددة فقد يعرف كمتغير بيئي مثل زيادة ضغط الجمهور، وقد يعرف كاستجابة انفعالية لموقف معين مثل الضغط النفسي بعد خبرة فشل في مسابقة أو مباراة هامة. ويتوقع اختلاف الأفراد في إدراكهم وتفسيرهم لنفس الموقف (راتب، ٢٠٠٤، ص ٢١٠).

وظاهرة الضغوط النفسية لها آثارها السلبية المتمثلة بصورة رئيسية في ظاهرة الإنهاك النفسي، فقد ينتاب اللاعب حالات من التشاؤم واللامبالاة وقلة الدافعية وفقدان القدرة على الابتكار، والتغيب بدون مبرر وغير ذلك من الظواهر السلبية (عوض، ١٩٩٥، ص ٩).

والضغوط تحدث في حالة عدم إدراك الفرد لعدم قدرته على الوفاء بالمتطلبات التي ينبغي عليه الوفاء بها مثل إدراك اللاعب الرياضي بعدم وجود توازن بين ما هو مطلوب منه إنجازته وبين قدرته على الاستجابة بنجاح لتحقيق هذه المطالب (علاوي، ٢٠٠٢، ص ١٨١).

ويضيف (راتب وآخرون، ٢٠٠٦، ص ١٨١) في هذا الصدد أن الضغوط النفسية عبارة عن مجموعة من المصادر الخارجية والداخلية الضاغطة ، والتي يتعرض لها اللاعب خلال حياته الرياضية ، وينتج عنها ضعف قدرته على إحداث الاستجابة المناسبة للموقف ، وما يصاحب ذلك من اضطرابات انفعالية وفسولوجية تؤثر على جوانب الشخصية الأخرى للاعب.

وقد أصبح كسب البطولات وتحقيق الفوز غير مقتصر على تطوير الإعداد البدني والفني والخططي، بل للعامل النفسي دورا في غاية الأهمية لتحقيق أفضل الأداء من خلال التحكم في الضغوط (هدايت، ٢٠١٠، ص ١١٧).

ويعرف (شمعون وإسماعيل، ٢٠٠٢، ص ١٩١) الضغط النفسي بأنه الارتباك في الأفكار التي تدخل إلى العقل عند القيام بأداء الواجبات الحركية ، وغالبا تحدث عند إعطاء الموقف أكثر مما يستحق، أو تتبع من قوى خارجة عن الإدارة.

ويعرفه (Marinoni, 1997, p77) بأنه المواقف الحياتية التي يتعرض لها الفرد والتي تؤثر في الصحة النفسية والجسمية.

ويتفق كلا من (السنتريس، ١٩٨٥، ص ١٩٦) و (راتب، ٢٠٠٤، ص ٢٣) على أن الضغوط النفسية

المرتبطة بالمنافسة تبدأ عندما يدرك الرياضي أن متطلبات المنافسة أو الموقف التنافسي تزيد عن مقدراته وإمكانياته الذاتية سواء البدنية أو النفسية ، فينتج عدم التوازن الواضح بين متطلبات موقف المنافسة والمقدرة على الاستجابة .

وهناك العديد من المثيرات الضاغطة التي يصادفها اللاعب الرياضي نظرا لتنوع المطالب التي ينبغي عليه الوفاء بها مثل الإنجاز العالي واكتساب المهارات الحركية والقدرات الخططية والاستعداد البدني والنفسي للمنافسة الرياضية والتحكم الانفعالي وإدراك وتذكر المسئوليات الملقاة على عاتقه والتفاعل الجيد مع الآخرين ، وما يرتبط بذلك كله من الخوف من الفشل أو الهزيمة والخوف من الإصابة والقلق والتوتر والاستثارة التي ترتبط بالمنافسة الرياضية وغير ذلك من العوامل التي تسهم في رفع مستوى الضغط لدى اللاعب الرياضي (علاوي، ١٩٩٨، ص ١٣-١٥).

ويرى كلا من (راتب، ١٩٩٧، ص ٢٠)، و(علاوي، ١٩٩٨، ص ٢٨٧) و(العربي شمعون، ٢٠٠٢، ص ٤٥) أن تحدي المنافسة هو المصدر الأول للضغوط النفسية حيث يتطلب الأمر أداء المهارات الأساسية المختلفة، والالتزام بقواعد اللعب، وتطبيق الاستراتيجيات الموضوعة من قبل

الجهاز الفني، والتغلب على التعب والتوتر العضلي والقلق، وهذه التحديات لا تشكل عائقاً كبيراً أمام اللاعب صاحب الانجازات، والمصدر الثاني لضغوط المنافسة هو المنافس الذي يجب أن يتم التعامل معه بحذر شديد، من حيث أسلوبه في اللعب، خططه، مهاراته المميزة، كيفية السيطرة عليه، في الوقت الذي يحاول فيه المنافس منع اللاعب من الوصول إلى أفضل ما لديه. ويشير (راتب، ١٩٩٧، ص١٨١) إن ضغوط التدريب الرياضي المكثف وأحمال التدريب ذات الشدة العالية وضغوط المنافسات قد تظهر على السلوك بشكل ظاهر وواضح ومباشر في صورة مؤشرات سلوكية، يمكن للمدرب والجهاز الفني المعاون ملاحظتها وتقييم مستوى الضغط النفسي الواقع على اللاعب، وعليه يمكن للمدرب تقديم التوجيهات والإرشادات واتخاذ القرارات على الوجه الصحيح.

ويؤكد كل ذلك (Scanlan, Lewth Waite, 1988,p41) بان اللاعبين الذين يدركون أن مدربيهم غير راضٍ عن مستوى أدائهم يكونون تحت ضغوط عالية واقل استمتاعا ويكون تأثيره سلبيا على الأداء.

ويمكن تقسيم أسباب ومصادر الضغوط النفسية إلى أسباب ومصادر داخلية مرتبطة بشخصية اللاعب

واستعداداته النفسية، وأسباب ومصادر خارجية مرتبطة بالمناخ النفسي للبيئة المحيطة باللاعب: التدريب، والأسرة، المنافس، المدرب، الحكم، الجمهور (راتب وآخرون، ٢٠٠٦، ص١٨٥).

ويستنتج الباحث من خلال نتائج الدراسات السابقة أن الضغوط النفسية لدى عينات البحث كبيرة، مما ينعكس بالسلب على الإبداع والاستمتاع الرياضي، والتفكير الخططي السليم بالمنافسات الرياضية.

### مشكلة الدراسة :

تعد ظاهرة الضغوط من الظواهر السلبية التي يعاني اللاعبون في جميع الألعاب الرياضية عامةً ورياضة كرة السلة خاصةً، حيث أثبتت خلاصة الأبحاث العلمية والمؤتمرات العلمية في المجال الرياضي أن لاعبي العالم الثالث تتسجم ضغوطهم النفسية مع بيئتهم المجتمعية. ومن هذه الخلاصة يستنتج الباحث أن لاعبي كرة السلة يتأثرون بالمحيط الذي يعيشون فيه من حيث قلة الإمكانيات الرياضية الذي تساعدهم على تطوير مستواهم، وكذلك إلى الحوافز المادية التي تدفع الفرد الرياضي إلى تطوير أدائه الرياضي.

وتتميز رياضة كرة السلة بنسبة ضغوط عالية، ومرتفعة كون هذه الرياضة تعتمد على دقة التصويب على الحلقة لتسجيل النقاط وبالتالي يعتبر نسبة التصويب الصحيحة قليلة مقارنة بنسبة التصويبات بشكل عام.

لذا يرى الباحث من خلال خبراته الأكاديمية والعملية في مجال علم النفس الرياضي أن لاعبي فلسطين من أكثر اللاعبين المطالبين بالفوز بالرغم من قلة الأدوات المستخدمة لممارسة رياضة كرة السلة. مما ينتج من كل ذلك ضغوط نفسية، ومن هنا تتحدد مشكلة الدراسة في التعرف على أسباب الضغوط النفسية لدى لاعبي كرة السلة في فلسطين.

ويرجع الباحث أثر حدوث الضغوط النفسية لدى لاعب كرة السلة متمثلاً في مدى قدرته على التعامل مع مواقف اللعب المختلفة التي قد تكون بعيدة إلى حد بعيد عن قدراته الخاصة.

ويرى (السامرائي، ٢٠١٠) إن للضغوط النفسية تأثيراً في الأداء المهاري للاعبين وفي نتائج المباريات سلباً أو إيجاباً، إذ إن أعداد الرياضيين نفسياً يعد احد العوامل المهمة التي تتضمنها العملية التدريبية فضلاً عن المتطلبات التدريبية الأخرى، ويظهر عدم اهتمام بعض المدربين للضغوط النفسية في العملية التدريبية

وهذا يتفق ما ذكره (علاوي، ١٩٩٨، ص٤٠٣) من أن اللاعب عندما يكون واقفاً تحت ضغط انفعالي أو عصبي فإن تفكيره يكون مشتتاً ما بين العمل الذي يؤديه وما بين الأحداث والظروف المسببة للضغط الانفعالي أو العصبي.

### أهمية الدراسة :

١- معرفة الأسباب أو المصادر التي تؤدي إلى الضغوط النفسية لدى لاعبي كرة السلة في فلسطين.

٢- تزويد مدربي كرة السلة بالأسباب التي من شأنها زيادة الضغوط النفسية لدى لاعبي كرة السلة.

٣- تناول موضوع مهد له باحثون آخرون، ولم يتقدموا فيه بعد بالرغم من أهميته على الأقل في فلسطين.

٤- تفيد الدراسة في تقديم التوجيه والإرشاد النفسي لكل من المدربين واللاعبين من أجل مد يد العون للاعبين الذين يعانون من الضغوط النفسية من أجل خفضه أو التخلص منه.

## أهداف الدراسة :

### هدفت الدراسة الحالية التعرف إلى :

- ١- أسباب الضغوط النفسية لدى لاعبي كرة السلة في فلسطين بشكل عام.
- ٢- الفروق في أسباب الضغوط النفسية لدى لاعبي كرة السلة في فلسطين يعزى إلى متغيرات الدرجة في اللعب ، والمشاركة الدولية ، ومركز اللعب.

## أسئلة الدراسة :

في ضوء أهداف الدراسة يضع الباحث الأسئلة الآتية:

- ١- ما أسباب الضغوط النفسية لدى لاعبي كرة السلة في فلسطين.
- ٢- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ( $\alpha = 0,05$ ) في أسباب الضغوط النفسية لدى لاعبي كرة السلة في فلسطين تعزى إلى متغير الدرجة في اللعب ( الممتازة الأولى).
- ٣- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ( $\alpha = 0,05$ ) في أسباب الضغوط النفسية لدى لاعبي كرة السلة في فلسطين تعزى إلى متغير المشاركة الدولية ( مشارك - غير مشارك).
- ٤- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ( $\alpha = 0,05$ ) في أسباب الضغوط النفسية لدى لاعبي كرة السلة في فلسطين تعزى إلى متغير مركز اللعب (لاعبي الأجنحة-لاعبي الوسط-لاعبي الارتكاز).

## المصطلحات المستخدمة في الدراسة :

الضغوط النفسية : هو إدراك الرياضي عدم التوازن بين ما هو مطلوب عمله وقدرته على إنجاز هذا العمل (راتب وآخرون ، ٢٠٠٦، ص ١٨١).

ويعرفه الباحث إجرائياً: بأنها أعباء نفسية ، وبدنية تفوق قدرة اللاعب على تنفيذ الواجبات الملقاة عليه.

رياضة كرة السلة : هي لعبة رياضية، يلعب في مبارياتها فريقان يحاول كل منهما إحراز أكبر عدد من النقاط، ويحرز اللاعبون نقاطاً بقذف كرة كبيرة داخل السلة عند أحد طرفي ملعب كرة السلة. يستطيع اللاعب أن يتقدم بالكرة نحو السلة عن طريقة المحاورة، أو بتمرير الكرة إلى زميل من فريقه. ويحاول كل فريق أن يمنع الفريق الآخر من إحراز النقاط ( تعريف إجرائي).

اللاعب الرياضي : هو الشخص الذي يواظب على التدريبات الرياضية تحت إشراف مدرب

بهدف تنفيذ الواجبات الملقاة عليه في المباريات الرياضية (تعريف إجرائي).

## مجالات الدراسة :

- ١- المجال الجغرافي: أجريت الدراسة في محافظات قطاع غزة - فلسطين .
- ٢-المجال البشري: أجريت الدراسة على لاعبي كرة السلة المسجلين في الاتحاد الفلسطيني لكرة السلة.
- ٣- المجال الزمني: أجريت الدراسة في الفترة الزمنية الواقعة بين ٥/٨/٢٠١١ إلى ٩/١١/٢٠١١.

## الدراسات السابقة المرتبطة :

قام الباحث بإجراء دراسة مسحية للدراسات السابقة المرتبطة بمجال هذا البحث، وقد توصل الباحث إلى (١٢) دراسة، منها (٩) دراسات عربية، (٤) دراسات أجنبية، وقام الباحث بعرض تلك الدراسات وفقاً لتاريخ إجرائها من الأحدث إلى الأقدم على النحو التالي.

دراسة جابر (٢٠١١) بعنوان «الضغوط النفسية لدى لاعبي كرة القدم في محافظات قطاع غزة في ضوء بعض المتغيرات» هدفت الدراسة إلى التعرف على الضغوط النفسية لدى لاعبي كرة القدم في محافظات قطاع غزة ، ولتحقيق ذلك أجريت الدراسة على عينة قوامها (٢٤٠) لاعباً . تم استخدام المنهج الوصفي، ومقياس مقياس الضغوط النفسية من إعداد الباحث. وأظهرت نتائج أن الضغوط النفسية لدى لاعبي كرة القدم في محافظات قطاع غزة كانت سلبية وبدرجة كبيرة. - ويتضح من نتائج الدراسة أن الضغوط الاقتصادية لدى عينة البحث احتلت المرتبة الأولى ، وجاءت على التوالي الضغوط السياسية - الضغوط المرتبطة بالإدارة والتنظيم - الضغوط المرتبطة بالإعلام والجمهور - الضغوط الاجتماعية في المرتبة الخامسة - لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الضغوط النفسية تعزى لمتغير الدرجة - المركز.

دراسة السامرائي (٢٠١٠) بعنوان «تقييم الضغوط النفسية للاعبين المتقدمين في الدوري الممتاز لكرة القدم هدفت الدراسة إلى تقييم الضغوط النفسية للاعبين المتقدمين في الدوري الممتاز لكرة القدم، استخدم الباحث مقياس الضغوط النفسية ، والمنهج الوصفي ، واختار الباحث العينة بالطريقة العمرية المؤلفة من أربعة عشر فريقاً .في ضوء النتائج تم التوصل إلى مصادر رئيسة للضغوط التي يواجهها اللاعبون في الدوري العراقي: ضغوط نفسية مرتبطة بواجبات وأحمال التدريب. ضغوط نفسية مرتبطة بالجمهور وأعضاء الفريق. ضغوط نفسية مرتبطة بالجهاز الفني والإداري. ضغوط نفسية مرتبطة بمتطلبات اللاعبين، إدارة الوقت، متطلبات الحياة. - ضغوط نفسية مرتبطة بالحالة المادية للاعبين.

دراسة ديبراش وآخرون Deborah,all 2009 بعنوان «الضغوط النفسية لدى لاعبي التنس خلال أولى جولات البطولة» هدفت الدراسة إلى التعرف على الضغوط النفسية لدى لاعبي التنس خلال أولى جولات البطولة وعلاقتها بالأداء على عينة مكونة من ١٦ لاعبا موزعين على (٨ لاعبين و٨ لاعبات). وتم استخدام المنهج الوصفي ، ومقياس الضغوط النفسية والثقة بالنفس من إعدادهم .وأظهرت النتائج أن اللاعبين واللاعبات يتميزون بالضغوط النفسية المرتفعة على حساب الضغوط الجسدية، في حين أن الثقة بالنفس كانت نسبتها أكثر عند اللاعبين عنها عند اللاعبات ، وكانت الضغوط المعرفية أقل بكثير وأعلى من الثقة بالنفس عند الخاسرين. وكذلك أوضحت النتائج أن الخاسرين يتميزون بالضغوط الجسدية العالية .

دراسة أبو شادي (٢٠٠٧) بعنوان «الضغوط ( النفس فسيولوجية ) للاعبي الكرة الطائرة قبل المباراة» هدفت الدراسة إلى التعرف على الضغوط النفس فسيولوجية لمباريات ذات مستويات مختلفة في الكرة الطائرة بالدوري الممتاز (رجال). استخدم الباحث المنهج الوصفي، والميزان الطبي، الرستاميتير، سماعة طبية لقياس معدل سرعة القلب، جهاز قياس ضغط الدم الزئبقي، جهاز لقياس وظائف الرئة، جهاز لقياس المتغيرات النفس فسيولوجي، وأسفرت النتائج عن وجود فروق دالة بين كل من سرعة رد الفعل في الراحة مع كل من عدد مرات الرعشة على زمن الرعشة ، معدل ضربات القلب والتنفس، توجد فروق دالة إحصائيا بين كل من سرعة رد الفعل مع الاستقبال المؤثر ومع عدد مرات الرعشة مع الفرق بين أقصر موجه وأطول موجه ، وضغط الدم المتوسط، توجد فروق دالة إحصائيا بين كل من طول الموجة وعدد مرات التنفس ، ضربات القلب ، قوة الموجه، والسعة الحيوية القصوى ، الإرسال المؤثر.

دراسة بدر (٢٠٠٦) بعنوان «بناء مقياس للتعرف على أسباب الضغوط النفسية للاعبي كرة اليد» هدفت الدراسة إلى التعرف على أهم أسباب الضغوط النفسية للاعبي كرة اليد. وكذلك الفروق بين لاعبي كرة اليد على عينة قوامها (٤٨) لاعبا. واستخدم الباحث المنهج الوصفي، وقام بتصميم أداة الدراسة. وتوصلت الدراسة إلى وجود فروق دالة بين لاعبي الدرجة الأولى والممتازة في الضغوط النفسية بالنسبة للمحور الجهازي الفني والإداري لصالح لاعبي الممتاز. - وكذلك توجد فروق دالة بين لاعبي الدرجة الأولى والممتاز في الضغوط النفسية بالنسبة للمحور المرتبط بمستوى المنافسة واللاعبين والجمهور لصالح لاعبي الممتاز. - كذلك لا توجد فروق دالة بين لاعبي الدرجة الأولى والممتاز في الضغوط النفسية بالنسبة للمحور المرتبط بالسمات الشخصية للاعبين. - وكذلك توجد فروق دالة بين لاعبي الدرجة الأولى والممتاز في الضغوط النفسية بالنسبة للمحور المرتبط بالمستوى البدني والمهاري لصالح لاعبي الدرجة الأولى.

دراسة السعيد (٢٠٠٥) بعنوان «بناء مقياس الضغوط النفسية لناشئ قطاعات كرة القدم تحت ١٨ سنة» هدفت الدراسة إلى بناء مقياس الضغوط النفسية لناشئ قطاعات كرة القدم تحت ١٨ سنة ، ودراسة الفروق في مصادر الضغوط النفسية، واستخدم الباحث المنهج الوصفي ، وتكونت العينة من (٤٠٠) ناشئ كرة قدم، وأظهرت النتائج أنه تم التوصل إلى خمسة مصادر للضغوط النفسية لناشئ قطاعات كرة القدم وهي أسلوب تعامل الجهاز الفني مع الناشئ- واجبات وأحمال التدريب الرياضي- قبل وأثناء وبعد المنافسة- اتجاهات المجتمع نحو الرياضة- أعضاء الفريق والجمهور و الإعلام.

دراسة اندريو وآخرون ANDREW,ed 2002 بعنوان «مصادر الضغوط النفسية لدى لاعبي كرة القدم المحترفين في استراليا» هدفت الدراسة إلى تحديد مصادر الضغوط النفسية التي يعاني منها لاعبو كرة القدم المحترفين في استراليا على عينة قوامها لاعبان من كل فريق من الفرق المشاركة في دوري المحترفين ، واستخدم الباحثون المنهج الوصفي ، وقاموا بتصميم أداة الدراسة ، وأسفرت نتائج الدراسة عن أن مصادر الضغوط النفسية ارتبطت ارتباطاً قوياً بالعروض السيئة من قبل اللاعبين، وكذلك عدم التوازن بين التزامات التدريب والدراسة.

دراسة شحاتة (٢٠٠٢) بعنوان «الضغوط النفسية وعلاقتها ببعض الجوانب الدافعية والانفعالية لدى ناشئ كرة القدم بمحافظة المنيا» هدفت الدراسة إلى التعرف على العلاقة بين الضغوط النفسية وبعض الجوانب الدافعية متمثلة في الدافعية للإنجاز، والعلاقة بين الضغوط النفسية وبعض الجوانب الانفعالية متمثلة في القلق كحالة السلوك العدواني لدى ناشئ كرة القدم، على عينة قوامها (١٠٠) ناشئ، وقام الباحث باستخدام المنهج الوصفي ومقياس للضغوط النفسية للرياضيين ومقياس دافعية الانجاز الرياضي ومقياس القلق كحالة، وأظهرت النتائج عن وجود علاقة ارتباطيه سالبة ودالة بين الضغوط النفسية والدافع للإنجاز لدى ناشئ كرة القدم، وتوجد علاقة ارتباطيه سالبة ودالة بين الضغوط النفسية ومستوى الطموح لدى الناشئين، وتوجد علاقة ارتباطيه موجبة ودالة بين الضغوط النفسية والقلق كحالة لدى ناشئ كرة القدم، وتوجد علاقة ارتباطيه موجبة ودالة بين الضغوط النفسية والسلوك العدواني.

دراسة صلاح (٢٠٠٢) بعنوان «النشاط الكهربائي للمخ كدالة لفاعلية إستراتيجية التفكير لتطوير مستوى الأداء وخفض الضغوط لدى الرياضيين» هدفت الدراسة إلى التعرف على النشاط الكهربائي للمخ كدالة لفاعلية إستراتيجية التفكير لتطوير مستوى الأداء وخفض الضغوط لدى الرياضيين، وقد استخدم الباحث المنهج التجريبي للمجموعة الواحدة عن طريق القياس القبلي والبعدي، وطبق أربع استراتيجيات للتفكير، وذلك على عينة من (٣) لاعبين (مستوى

دولي في الاسكواش) ، وأسفرت النتائج على أن الاستراتيجيات العقلية ذات تأثير فعال في تطوير مستوى الأداء وخفض الضغوط ، وكذلك نشاط المخ بين العمل من واقع نشاط المخ الكهربائي واستراتيجيات التفكير ذو تأثير فعال على تطوير الأداء.

دراسة بدر الدين (٢٠٠٢) بعنوان «شدة مصادر الضغوط النفسية لدى ناشئات بعض الأنشطة الرياضية» هدفت الدراسة إلى تحديد شدة مصادر الضغوط النفسية لدى ناشئات الأنشطة الرياضية المختارة. وكذلك تحديد شدة مصادر الضغوط النفسية لدى ناشئات الأنشطة الرياضية المختارة لكل نشاط على حدة. واستخدم الباحث المنهج الوصفي وقائمة مصادر الضغوط للناشئين. وبلغت عينة الدراسة (٩٢) ناشئة. وجاءت النتائج على النحو التالي من الأكثر إلى الأقل: الضغوط النفسية المرتبطة بالمنافسة الرياضية. - الضغوط النفسية المرتبطة بالجهاز الفني والجمهور وأعضاء الفريق. - الضغوط النفسية المرتبطة باتجاهات الأسرة نحو الرياضة. - الضغوط النفسية المرتبطة بواجبات وأحمال التدريب الرياضي. - الضغوط النفسية المرتبطة بمتطلبات الناشئ. أما نتائج التساؤل الثاني مرتبة ترتيباً تنازلياً: الضغوط النفسية المرتبطة بالمنافسة الرياضية. - الضغوط النفسية المرتبطة بالجهاز الفني والجمهور وأعضاء الفريق. - الضغوط النفسية المرتبطة بواجبات وأحمال التدريب الرياضي. - الضغوط النفسية المرتبطة بمتطلبات الناشئ. - الضغوط النفسية المرتبطة باتجاهات الأسرة نحو الرياضة. ولا توجد فروق دالة بين ناشئات السباحة وكل من ناشئات كرة اليد وألعاب القوى.

دراسة محمد (٢٠٠١) بعنوان «الضغوط النفسية المرتبطة بالمنافسات الرياضية لدى الناشئين الرياضيين» هدفت الدراسة إلى بناء مقياس للتعرف على الضغوط النفسية ، والمقارنة بين الرياضيين الناشئين الممارسين للأنشطة الرياضية الفردية والجماعية في الضغوط النفسية بالمنافسة ، والتعرف على الفروق في الضغوط النفسية المرتبطة بالمنافسة مع اختلاف نوع النشاط الرياضي، واستخدم الباحث المنهج الوصفي، وتكونت العينة من (٣٠٠) لاعبا ، وقام الباحث باستخدام مقياس للضغوط النفسية ، وأظهرت النتائج أنه يوجد اختلاف في الضغوط النفسية بين الناشئين الممارسين للأنشطة الرياضية الفردية والجماعية . ويوجد اختلاف في الضغوط النفسية مع اختلاف نوع النشاط . يوجد اختلاف في الضغوط النفسية المرتبطة بالمنافسة الرياضية بين الناشئين ولاعبى الدرجة الأولى.

دراسة سيجار Seggar 1997 بعنوان «قياس الضغط والأداء الرياضي» هدفت الدراسة التعرف على قياس الضغط والأداء الرياضي، واشتملت العينة على (١٤٨) لاعبة من طالبات الجامعة، واستخدم قائمة الضغط الرياضي، وأسفرت النتائج على أن هناك أربعة عوامل للضغط

لدى الرياضيين وهي الحالة المزاجية السلبية، وتجانس الفريق، والصحة البدنية، والكفاية الأكاديمية، وأظهرت النتائج أن هناك علاقة دالة بين عوامل الضغوط المستخلصة ما عدا الحالة المزاجية والأداء الرياضي للعبات الألعاب الفردية ( التنس والجمباز ) بينما لا توجد علاقة دالة بالنسبة للعبات الرياضة الجماعية مثل كرة اليد

دراسة بنجامين وديفيد David & Benjamin 1997 بعنوان «مصادر الضغوط المرتبطة بالأداء أثناء المنافسة» هدفت الدراسة إلى التعرف على مصادر الضغوط المرتبطة بالأداء أثناء المنافسة، واستخدم الباحث المنهج الوصفي، وقام ببناء مقياس الدراسة، واشتملت العينة على (٢١٧) لاعبا وكانت أهم النتائج وجود ثمان مصادرا للضغوط مرتبطة بالأداء أثناء المنافسة وهي على التوالي ضغوط مرتبطة بأهمية الآخرين، وبالتقييم الاجتماعي، وبالقلق والشك، وبالإثارة، وبطبيعة المنافسة، وبمتطلبات البيئة، وبعدم تحقيق المستوى المطلوب للأداء وعوامل متنوعة مثل توقع حدوث الإصابات، كما أظهرت النتائج أن الرياضيين بالرغم من تباين مستوياتهم وتنوع أنشطتهم فإنهم يتأثرون بانطباعاتهم وتقدير الآخرين لهم أثناء أدائهم المنافسة .

### **التعليق على الدراسات السابقة :**

من خلال الاطلاع على الدراسات السابقة تبين أن جميعها تحدثت عن الضغوط النفسية لدى اللاعبين، ولكنها كانت في بلاد أخرى، ولم نعث على دراسة واحدة في فلسطين تناولت هذا الموضوع حسب اطلاع الباحث، كما أن هذه الدراسة تميزت عن غيرها من الدراسات في متغيراتها فتختلف عما قدمته الدراسات السابقة. ويتضح لنا من العرض السابق أن الدراسات السابقة تميزت بما يلي:

- ١- أهتم عدد من هذه الدراسات بدراسة الضغوط لدى اللاعبين والمدربين .
  - ٢- تعدد البيئات التي أجريت فيها الدراسات فمنها العربية والأجنبية .
  - ٣- معظم الدراسات حديثة.
- وقد تم الاستفادة من الدراسة السابقة في : -تحديد مشكلة الدراسة- صياغة تساؤل الدراسة- تحديد مفاهيم الدراسة- تحديد أداة الدراسة- تحديد المعالجات الإحصائية منها المتوسطات الحسابية-تساعد نتائج هذه الدراسات في تفسير نتائج الدراسة الحالية والاسترشاد بها في مناقشة هذه النتائج .

## الطريقة والإجراءات:

### منهج الدراسة:

استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي لدراسته وذلك لكونه أنسب مناهج البحث العلمي دراسة، ولأن الباحث يقدم وصفاً وتفسيراً للبيانات التي توفرت له، وذلك من خلال دراسة موضوع الدراسة أسباب الضغوط النفسية لدى لاعبي كرة السلة في فلسطين .

### مجتمع الدراسة:

تكون مجتمع الدراسة من جميع لاعبي كرة السلة وعددهم (٢١٥) لاعباً للعام ٢٠١١ .

### عينة الدراسة:

أجريت الدراسة على عينة بلغ عدد أفرادها (١٨٠) لاعباً ، مثلت ما نسبته (٨٣,١%) تقريباً من مجتمع الدراسة ، حيث تم اختيارها بالطريقة العشوائية من الأندية التي شملتها عينة الدراسة . وتم اختيار عينة الدراسة بناءً على الأسباب التالية:

- ١- أن يكون من اللاعبين المسجلين في الاتحاد الفلسطيني لكرة السلة.
  - ٢- أن يكون من اللاعبين الذين يمارسون رياضة كرة السلة في الدرجة الممتازة والأولى.
  - ٣- أن يكون من اللاعبين الذين يشاركون في المباريات بشكل أساسي.
- وجدول رقم (١) يبين توزيع أفراد عينة الدراسة تبعاً للمتغيرات المستقلة.

جدول رقم (١)

توزيع عينة الدراسة تبعاً لمتغير الدرجة

المتغيرات	التكرار	النسبة المئوية
درجة اللعب	ممتازة	106 ٪58.9
	أولى	74 ٪41.1
المشاركات الدولية	مشارك	22 ٪12.2
	غير مشارك	158 ٪87.8
مركز اللعب	لاعبي الارتكاز	71 ٪39.4
	لاعبي الوسط	30 ٪16.7
	لاعبي الأجنحة	79 ٪43.9
المجموع	180	٪100

### أداة الدراسة :

اعتمد الباحث مقياس أسباب الضغوط النفسية للاعبي كرة اليد من تصميم بدر (٢٠٠٦) . بعد أن قام الباحث بعرضه على السادة الخبراء الحاصلين على درجة الدكتوراه والذين يعملون في

جامعة الأقصى للتعرف على مدى ملاءمته للبيئة الفلسطينية ولرياضة كرة السلة . كما وأراد الباحث الكشف عن أسباب الضغوط النفسية من ناحية الدرجة ، أو مركز اللعب ، ويتكون المقياس من (٣٥) عبارة . و (٤) مجالات وهي كالآتي : أسباب ترتبط بالجهاز الفني والإداري .- أسباب ترتبط بالمستوى البدني والمهاري .- أسباب ترتبط بالمنافسة واللاعبين والجمهور .- أسباب ترتبط بالمستوى الاجتماعي والاقتصادي .- أسباب ترتبط بالسمات الشخصية للاعبين .

ويقوم اللاعب بالإجابة على عبارات المقياس على مقياس رباعي التدرج كالآتي:

- موافق بدرجة كبيرة (٤) درجات.
- موافق بدرجة متوسطة (٣) درجات.
- موافق بدرجة قليلة (٢) درجة.
- غير موافق (١) درجة.

وفي الدراسة الحالية حسبت الباحث صدق المقياس وثباته على النحو الآتي :

أ- صدق المحتوى:

عرض المقياس على ثمانية محكمين من أعضاء هيئة التدريس في كلية التربية البدنية و الرياضة في جامعة الأقصى، واتفقوا على صلاحية المقياس للبيئة الفلسطينية ، ولرياضة كرة السلة من دون أي تعديل في أي بعد ، أو أية فقرة بنسبة ١٠٠٪. والجدول رقم (٢) ، (٣) يوضحان ذلك .

جدول رقم (٢)

يوضح آراء المحكمين في مدى مناسبة أبعاد المقياس لتحقيق هدف الدراسة (ن=٨)

م.	البعد	التكرار	النسبة المئوية
1	أسباب ترتبط بالجهاز الفني والإداري	8	100%
2	أسباب ترتبط بالمستوى البدني والمهاري	8	100%
3	أسباب ترتبط بالمنافسة واللاعبين والجمهور	8	100%
4	أسباب ترتبط بالمستوى الاجتماعي والاقتصادي	8	100%
5	أسباب ترتبط بالسمات الشخصية للاعبين	8	100%

يتضح من جدول رقم (٢) حصول جميع الإبعاد على نسبة ١٠٠٪ في مدى مناسبتها لهدف الدراسة.

جدول رقم ( ٣ )

يوضح آراء المحكمين في مدى مناسبة فقرات المقياس للأبعاد المقترحة (ن=٨)

أسباب ترتبط بالمنافسة واللاعبين والجمهور				أسباب ترتبط بالمستوى البدني والمهاري				أسباب ترتبط بالجهاز الفني والإداري			
النسبة المئوية	آراء الخبراء		م	النسبة المئوية	آراء الخبراء		م	النسبة المئوية	آراء الخبراء		م
	موافق	غير موافق			موافق	غير موافق			موافق	غير موافق	
٪١٠٠	-	٨	١	٪١٠٠	-	٨	١	٪١٠٠	-	٨	١
٪١٠٠	-	٨	٢	٪١٠٠	-	٨	٢	٪١٠٠	-	٨	٢
٪١٠٠	-	٨	٣	٪١٠٠	-	٨	٣	٪١٠٠	-	٨	٣
٪١٠٠	-	٨	٤	٪١٠٠	-	٨	٤	٪١٠٠	-	٨	٤
٪١٠٠	-	٨	٥	٪١٠٠	-	٨	٥	٪١٠٠	-	٨	٥
٪١٠٠	-	٨	٦	٪١٠٠	-	٨	٦	٪١٠٠	-	٨	٦
٪١٠٠	-	٨	٧	٪١٠٠	-	٨	٧	٪١٠٠	-	٨	٧
				أسباب ترتبط بالسمات الشخصية للاعبين				أسباب ترتبط بالمستوى الاجتماعي والاقتصادي			
				٪١٠٠	-	٨	١	٪١٠٠	-	٨	١
				٪١٠٠	-	٨	٢	٪١٠٠	-	٨	٢
				٪١٠٠	-	٨	٣	٪١٠٠	-	٨	٣
				٪١٠٠	-	٨	٤	٪١٠٠	-	٨	٤
				٪١٠٠	-	٨	٥	٪١٠٠	-	٨	٥
				٪١٠٠	-	٨	٦	٪١٠٠	-	٨	٦
				٪١٠٠	-	٨	٧	٪١٠٠	-	٨	٧

يتضح من جدول رقم (٣) قبول جميع الفقرات بنسبة ٪١٠٠ في مدى مناسبتها لأبعاد المقياس.

ب - صدق الاتساق الداخلي :

جرى التحقق من صدق الاتساق الداخلي للمقياس بتطبيق المقياس على عينة استطلاعية مكونة من (٢٠) لاعباً من خارج أفراد عينة الدراسة، وتم حساب معامل ارتباط (بيرسون) بين معامل ارتباط كل بعد من أبعاد المقياس مع الدرجة الكلية للمقياس ، والجدول التالي يوضح ذلك:

جدول رقم ( ٤ )

معاملات الارتباط ( بيرسون ) بين أبعاد المقياس بالدرجة الكلية للمقياس (ن=٢٠)

م.	البعد	معامل الارتباط	مستوى الدلالة
1	أسباب ترتبط بالجهاز الفني والإداري	0.375	دالة عند 0.05
2	أسباب ترتبط بالمستوى البدني والمهاري	0.412	دالة عند 0.05
3	أسباب ترتبط بالمنافسة واللاعبين والجمهور	0.367	دالة عند 0.05
4	أسباب ترتبط بالمستوى الاجتماعي والاقتصادي	0.439	دالة عند 0.05
5	أسباب ترتبط بالسمات الشخصية للاعبين	0.361	دالة عند 0.05

قيمة «ر» الجدولية عند درجة حرية (٢٨) وعند مستوى دلالة (٠,٠٥) = ٠,٣٦١ ،

قيمة «ر» الجدولية عند درجة حرية (٢٨) وعند مستوى دلالة (٠,٠١) = ٠,٤٦٣ ،

ثبات المقياس:

للتحقق من الثبات استخدم الباحث طريقة إعادة الاختبار وذلك بإعادة تطبيق المقياس على عينة قوامها (٢٠) لاعباً من خارج عينة الدراسة في الفترة الزمنية الواقعة ما بين ٢٠١١/٨/١٥ إلى ٢٠١١/٨/٣٠ أي بعد أسبوعين من التطبيق الأول ، وقد تبلغ معامل الارتباط بين التطبيق الأول والتطبيق الثاني ما نسبته (٠,٨٥٢) مما يدل على أن المقياس ذو معامل ثبات عالٍ.

تطبيق المقياس :

قام الباحث بتطبيق المقياس على أفراد عينة الدراسة خلال الفترة من ٢٠١١/٨/٧ إلى ٢٠١١/٨/١٤ م.

للإجابة عن أسئلة الدراسة استخدمت المعالجات الأساليب الإحصائية الآتية:

١- المتوسطات الحسابية والأوزان النسبية لها.

٢- اختبار (ت) لمجموعتين مستقلتين.

٣- تحليل التباين الأحادي.

#### النتائج المتعلقة بالسؤال الأول:

ما أسباب الضغوط النفسية لدى لاعبي كرة السلة في فلسطين؟

للإجابة على السؤال تم استخدام المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والأوزان النسبية والترتيب لكل فقرة ولكل بعد من أبعاد مقياس أسباب الضغوط النفسية.

البعد الأول: أسباب ترتبط بالجهاز الفني والإداري:

جدول رقم (٥)

يوضح المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والأوزان النسبية والترتيب (ن = ١٨٠)

م	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوزن النسبي	الترتيب
1	3.3	0.864	%82.5	4
2	4	0.000	%100	1
3	3.8	0.523	%95	3
4	3.85	0.489	%96.2	2
5	4	0.000	%100	1
6	2.5	1.147	%62.5	5
7	3.85	0.366	%96.2	2
المجموع	3.61	1.694	%90.3	

يتضح من الجدول (٥) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات عينة الدراسة

على كل فقرة من فقرات البعد الأول ، تبين أن متوسط الأوزان النسبية قد تراوح بين (١٠٠٪ - ٦٢,٥٪).

البعد الثاني : أسباب ترتبط بالمستوى البدني والمهاري :

جدول رقم ( ٦ )

يوضح المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والأوزان النسبية والترتيب (ن=١٨٠)

الترتيب	الوزن النسبي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	م
3	%62.5	0.688	2.5	1
7	%26.2	0.223	1.05	2
5	%35	0.820	1.4	3
6	%30	0.410	1.2	4
1	%82.5	0.801	3.3	5
4	%37.5	0.827	1.5	6
2	%73.7	0.825	2.95	7
	%49.6	2.297	1.98	المجموع

يتضح من الجدول (٦) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات العينة على كل فقرة

من فقرات البعد الثاني ، تبين أن متوسط الأوزان النسبية قد تراوح بين (٨٢,٥٪ - ٢٦,٢٪) .

البعد الثالث : أسباب ترتبط بالمنافسة واللاعبين والجمهور:

جدول رقم ( ٧ )

يوضح المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والأوزان النسبية والترتيب (ن=١٨٠)

الترتيب	الوزن النسبي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	م
4	%68.7	0.850	2.75	1
1	%100	0.000	4	2
3	%93.7	0.444	3.75	3
2	%98.7	0.223	3.95	4
6	%62.5	1.051	2.5	5
5	%67.5	0.923	2.7	6
7	%25	0.000	1	7
	%73.7	1.745	2.95	المجموع

يتضح من الجدول (٧) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات العينة على كل

فقرة من فقرات البعد الثالث ، تبين أن متوسط الأوزان النسبية قد تراوح بين (١٠٠٪-٢٥٪) .  
 البعد الرابع : أسباب ترتبط بالمستوى الاجتماعي والاقتصادي:

جدول رقم ( ٨ )

يوضح المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والأوزان النسبية والترتيب (ن=١٨٠)

الترتيب	الوزن النسبي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	م
5	%28.7	0.489	1.15	1
6	%27.5	0.307	1.1	2
4	%35	0.598	1.4	3
7	%25	0.000	1	4
2	%40	0.820	1.6	5
3	%38.7	1.050	1.55	6
1	%41.2	0.812	1.65	7
	%33.7	3.038	1.35	المجموع

يتضح من الجدول ( ٨ ) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات العينة على كل  
 فقرة من فقرات البعد الرابع، وتبين أن متوسط الأوزان النسبية قد تراوح بين (٤١٪-٢٥٪) .  
 البعد الخامس : أسباب ترتبط بالسمات الشخصية للاعبين:

جدول رقم ( ٩ )

يوضح المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والأوزان النسبية والترتيب (ن=١٨٠)

الترتيب	الوزن النسبي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	م
5	%75	0.917	3	1
2	%82.5	0.801	3.3	2
1	%83.7	0.875	3.35	3
6	%70	1.005	2.8	4
3	%81.2	0.850	3.25	5
4	%77.5	0.967	3.1	6
7	%45	0.951	1.8	7
	%73.5	3.183	2.94	المجموع

يتضح من الجدول (٩) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات العينة على كل  
 فقرة من فقرات البعد الخامس، وتبين أن متوسط الأوزان النسبية قد تراوح بين (٨٣٪-٤٥٪) .  
 الأبعاد الكلية للمقياس :

جدول رقم ( ١٠ )

يوضح المتوسطات والانحرافات المعيارية والأوزان النسبية والترتيب في أبعاد المقياس (ن=١٨٠)

الترتيب	الوزن النسبي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	البعد
1	%90.3	1.694	25.3	أسباب ترتبط بالجهاز الفني والإداري
4	%49.6	2.297	13.9	أسباب ترتبط بالمستوى البدني والمهاري
2	%73.7	1.745	20.65	أسباب ترتبط بالمنافسة واللاعبين والجمهور
5	%33.7	3.038	9.45	أسباب ترتبط بالمستوى الاجتماعي والاقتصادي
3	%73.5	3.183	20.6	أسباب ترتبط بالسمات الشخصية للاعبين
	%64.1	5.978	89.9	الدرجة الكلية للأبعاد

يتضح من الجدول ( ١٠ ) ما يلي :

- احتل البعد المرتبط بالجهاز الفني والإداري المرتبة الأولى بوزن نسبي قدره ( ٣ , ٩٠ )٪ .
- احتل البعد المرتبط بالمنافسة واللاعبين والجمهور المرتبة الثانية بوزن نسبي قدره ( ٧ , ٧٣ )٪ .
- احتل البعد المرتبط بالسمات الشخصية للاعبين المرتبة الثالثة بوزن نسبي قدره ( ٥ , ٧٣ )٪ .
- احتل البعد المرتبط بالمستوى البدني والمهاري المرتبة الرابعة بوزن نسبي قدره ( ٦ , ٤٩ )٪ .
- احتل البعد المرتبط بالمستوى الاجتماعي والاقتصادي المرتبة الخامسة بوزن نسبي قدره ( ٧ , ٣٣ )٪ .
- أما المقياس ككل فجاءت النسبة المئوية قدرها ( ١ , ٦٤ )٪ .

يشير جدول رقم (١٠) إلى أن بعد «الجهاز الفني والإداري» يمثل أعلى أسباب الضغوط النفسية لدى عينة البحث بوزن نسبي (٣, ٩٠)٪ وهذا يعني أن درجة الضغوط المرتبطة بالجهاز الفني والإداري كبيرة جدا ، ويعزو الباحث تلك النسبة العالية إلى أن اللاعب مطالب برفع مستواه بشكل دوري ، فلذلك يقوم المدرب الرياضي بزيادة الجرعات التدريبية وزيادة شدة الحمل التدريبي على اللاعب بشكل يتميز بالاستمرارية مما يؤدي إلى زيادة في بذل مجهود بدني يفوق قدرات اللاعب البدنية ، مما يؤدي إلى زيادة الضغوط النفسية عليه . بالإضافة إلى أن المدرب الرياضي دائم الانتقاد للاعب بشكل دوري بالرغم من تنفيذ الواجبات البدنية أو مهارية بشكل ايجابي ، مما يساهم في زيادة الضغوط النفسية على اللاعب .

ويرى الباحث أن زيادة شدة الحمل التدريبي على اللاعب أكثر من مستواه الحقيقي يؤدي

إلى نتائج ايجابية أما المبالغة في زيادة شدة الحمل التدريبي يؤدي إلى نتائج عكسية سلبية. وتتفق نتائج الدراسة الحالية مع نتائج دراسة كل من دراسة (السامرائي، ٢٠١٠)، ودراسة (بدر، ٢٠٠٦)، ودراسة (السيد، ٢٠٠٥)، ودراسة (بدر الدين، ٢٠٠٢)، ودراسة (David & Benjamin 1997) في أن اللاعب في العصر الحالي، عصر الاحتراف يعاني بشكل كبير جداً من زيادة الضغوط النفسية عالية وخاصةً فيما يتعلق بالجهاز الفني والإداري الذي يعتمد على زيادة الحصص والجرعات التدريبية التي تزيد عن قدراته.

ومن بين أهم الضغوط على اللاعب الرياضي والمرتبطة بالمدرّب والإداري الرياضي ما يلي (علاوي، ١٩٩٨، ص٢٦):

- مطالبة المدرّب الرياضي للاعب بتحقيق متطلبات تفوق قدراته والتركيز الدائم على الفوز.
- دكتاتورية المدرّب الرياضي أو الإداري الرياضي بالنسبة للاعب، واتخاذ بعض القرارات القاسية في حالة خطأ اللاعب التي قد تكون لأسباب خارجة عن إرادته .
- شعور اللاعب الرياضي بتحيز المدرّب أو الإداري الرياضي للاعبين آخرين.
- بينما جاء بعد «الأسباب المرتبط بالمنافسة واللاعبين والجمهور» في المرتبة الثانية لدى عينة البحث بوزن نسبي (٧٢,٧٪) وهذا يعني أن درجة الضغوط المرتبطة بالمنافسة واللاعبين والجمهور لدى عينة البحث كبيرة . ويرى الباحث أن أهمية المنافسة، واللاعب المنافس، والجمهور من أكثر عناصر اللعبة تأثيراً على اللاعب سلباً، وذلك من حيث قوة وأهمية المنافسة، وما يتميز به المنافس من عناصر قوة، بالإضافة إلى عصبية الجمهور الرياضي التي قد يتجاوز الأخلاق الرياضية في بعض المواقف. ويتفق الباحث مع هذه النتائج في أن الضغوط النفسية المرتبطة بالمنافسة واللاعبين والجمهور جاءت كبيرة.

وتتفق نتائج الدراسة الحالية مع نتائج دراسة كل من (جابر، ٢٠١١)، دراسة (السامرائي، ٢٠١٠)، ودراسة (بدر، ٢٠٠٦)، ودراسة (السيد، ٢٠٠٥)، ودراسة (بدر الدين، ٢٠٠٢)، ودراسة (Seggar, 1997)، ودراسة (David & Benjamin, 1997) في أن قوة اللاعب المنافس، وقوة حماس الجمهور الذي يحضر المباراة داخل أرض الميدان من أكثر الأسباب التي تؤدي إلى زيادة الضغوط النفسية على اللاعب الرياضي .

وهناك بعض العوامل التي تزيد من الضغوط النفسية على اللاعب الرياضي في هذا المجال (راتب وآخرون، ٢٠٠٦، ص١٨٦):

- الاهتمام الزائد بالفوز في جميع المنافسات الرياضية، يعتبر مصدراً للضغوط النفسية بسبب

الخوف من الفشل مما قد يؤثر سلباً على اللاعب ، وشعوره بالتوتر والإحباط وعدم الثقة في النجاح.

- التعصب العنيف من قبل الجمهور مع لاعب ضد آخر ، والسلوك العدواني السلبي من الجمهور ضد اللاعب ، ومطالبة الجمهور بنتائج قد تفوق قدراته ، والخوف الشديد من الحشد الجماهيري .  
- مطالبة اللاعب بالفوز على منافس قوي ولديه قدرات فنية وبدنية أفضل قد يلقي المزيد من الضغوط على اللاعب في مواجهة المنافس لأن الفوز مرتبط بقدرات المنافس.

- بينما جاء بعد « السمات الشخصية للاعبين» في المرتبة الثالثة لدى عينة البحث بوزن نسبي ( ٧٣ ، ٥ %) وهذا يعني أن درجة الضغوط المرتبطة بالسمات الشخصية للاعبين لدى عينة البحث كبيرة ويعزو ذلك الباحث إلى أن غالبية عينة الدراسة يعانون من الاحباطات والقلق والخوف ، وكذلك على عدم السيطرة على انفعالاتهم داخل الملعب لافتقارهم للأساليب والمهارات النفسية للتغلب على هذه السمات الانفعالية .

ويؤكد الباحث على أن زيادة القلق يرجع سببها الأساسي إلى نقص في منسوب اللياقة البدنية للاعب.

وتتفق نتائج الدراسة الحالية مع نتائج دراسة كل من دراسة ( بدر، ٢٠٠٦ ) ، ودراسة ( السيد، ٢٠٠٥ ) ، ودراسة ( صلاح ، ٢٠٠٢ ) في أن هناك علاقة وطيدة بين ما يملك اللاعب من قدرات وما يتميز به من سمات شخصية و بين سيطرته على الضغوط النفسية الناتجة عن المباريات .

ويرى (راتب ، وآخرون ، ٢٠٠٦ ، ص ١٨٥ ) إن قدرة اللاعب على مواجهة أسباب ومصادر الضغوط تتوقف على السمات الشخصية للاعب ، ومدى إدراك اللاعب للمواقف الضاغطة ، واستجابته للضغط النفسي، ويضيف أن إدراك اللاعب للضغوط تختلف حسب الفروق الفردية في سمات الشخصية من لاعب لآخر ، فهناك لاعب لا يسيطر على انفعالاته ، ولاعب آخر لديه عدوانية سلبية ، فالعلاقة بين سمات الشخصية والضغوط علاقة تأثير وتأثر.

- بينما جاء البعد «المرتبط بالمستوى البدني والمهاري» في المرتبة الرابعة لدى عينة البحث بوزن نسبي ( ٤٩ ، ٦ %) وهذا يعني أن درجة الضغوط المرتبطة بالمستوى البدني والمهاري لدى عينة البحث قليلة جداً ، ويعزو ذلك الباحث إلى أن اللاعب وما يملك من قدرات بدنيه ومهاريه كافية للعب في الدوري الفلسطيني لكرة السلة. هذا من جانب ، ومن جانب آخر أغلب اللاعبين في فلسطين يتكافؤون في المستويات البدنية أو المهارية وبالتالي يفتقدون إلى حد كبير إلى سمة

دافعية الإنجاز الرياضي ، ومن خلال التحليل السابق يتبين بأنه لا يوجد ضغوط نفسية على لاعبي كرة السلة في فلسطين من خلال المستوى البدني والمهاري.

وتتفق نتائج الدراسة الحالية مع نتائج دراسة كل من دراسة (السامرائي، ٢٠١٠)، ودراسة (بدر، ٢٠٠٦)، ودراسة (السيد، ٢٠٠٥)، ودراسة (بدر الدين، ٢٠٠٢)، ودراسة (محمد، ٢٠٠١)، ودراسة (Seggar, 1997)، ودراسة (David & Benjamin 1997) في أن اللاعبين في جميع الدراسات السابقة وعينة الدراسة الحالية يتميزون بمستوى بدني ومهاري يتناسب مع نوع الرياضة التي يمارسونها .

فالضغوط النفسية المرتبطة بالمستوى البدني والمهاري لا يوجد لها أيه تأثير على أداء اللاعب الرياضي.

ويؤكد (علاوي، ١٩٩٨، ص ١٥) على ما سبق من تحليل في هذا المحور: أن إدراك اللاعب الرياضي بأن ما هو مطلوب منه يزيد عن قدراته واستطالاته ففي هذه الحالة يشعر اللاعب الرياضي بالضغط . وكلما ازداد شعور اللاعب الرياضي بأهمية النتائج المترتبة على عدم قدرته على تحقيق هذه المطالب ، كلما زادت شدة الضغط الذي يشعر به.

- بينما جاء البعد «المرتبط بالمستوى الاجتماعي والاقتصادي» في المرتبة الخامسة لدى عينة البحث بوزن نسبي (٢٣,٧٪) وهذا يعني أن درجة الضغوط المرتبطة بالمستوى الاجتماعي والاقتصادي لدى عينة البحث قليلة جدا ، ويعزو الباحث ذلك إلى أن اللاعبين يعيشون ويمارسون رياضة كرة السلة كنوع من الهواية ، وبالتالي يذهبون إلى الجامعات للدراسة وممارسة حياتهم اليومية بشكل طبيعي ويذهبون إلى المناسبات لزيارة الأقارب من دون أي تصريح من المدرب الرياضي كما هو معمول به في رياضة المحترفين ، لذلك جاءت النسبة المئوية للضغوط النفسية قليلة جدا.

وتتفق نتائج الدراسة الحالية مع نتائج دراسة كل من (جابر، ٢٠١١)، ودراسة (بدر، ٢٠٠٦) ، ودراسة (السيد، ٢٠٠٥)، ودراسة (بدر الدين، ٢٠٠٢)، ودراسة (DAVID & BENJAMIN 1997) في أن اللاعب الرياضي لدى عينات الدراسات السابقة والحالية يحصلون على دعم كبير من المجتمعات المحلية من حيث الاحترام والتقدير.

### النتائج المتعلقة بالسؤال الثاني:

هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (  $\alpha = 0,05$  ) بين المتوسطات الحسابية لاستجابات أفراد عينة الدراسة على مقياس أسباب الضغوط النفسية لدى لاعبي كرة السلة في

فلسطين تعزى إلى متغير الدرجة في اللعب ( الممتازة - الأولى ) ؟

وللإجابة على هذا السؤال تم حساب الفروق وذلك باستخدام اختبار ( T . test ) .

جدول رقم ( ١١ )

يوضح المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وقيمة "ت" ( ن=١٨٠ )

الأبعاد	الدرجة	العدد	المتوسط	الانحراف المعياري	قيمة «ت»	قيمة الدلالة	مستوى الدلالة
أسباب ترتبط بالجهاز الفني والإداري	ممتازة	106	25.2	1.953	1.1	0.664	غير دال إحصائياً
	أولى	74	24.1	1.125			
أسباب ترتبط بالمستوى البدني والمهاري	ممتازة	106	14.5	2.275	1.4	0.221	غير دال إحصائياً
	أولى	74	13.1	2.564			
أسباب ترتبط بالمنافسة واللاعبين والجمهور	ممتازة	106	21.15	1.486	1	0.864	غير دال إحصائياً
	أولى	74	20.15	1.953			
أسباب ترتبط بالمستوى الاجتماعي والاقتصادي	ممتازة	106	10.25	3.126	0.27	0.813	غير دال إحصائياً
	أولى	74	9.98	2.135			
أسباب ترتبط بالسمات الشخصية للاعبين	ممتازة	106	20.1	2.523	1.5	0.200	غير دال إحصائياً
	أولى	74	21.6	3.985			
الدرجة الكلية	ممتازة	106	91.2	11.363	1.054	0.897	غير دال إحصائياً
	أولى	74	88.84	11.762			

قيمة «ت» الجدولية عند مستوى دلالة (  $\alpha = 0,01$  ) ودرجة حرية ( ٤٥ ) تساوي ٢,٧٠

يتضح من الجدول السابق أن قيمة «ت» المحسوبة أقل من قيمة «ت» الجدولية في جميع الأبعاد وفي الدرجة الكلية ، وهذا يدل على عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير الدرجة. ويعزو ذلك الباحث إلى أن المدرب هو المسبب الرئيسي لزيادة الضغوط النفسية لدى اللاعبين ، وكذلك يرى الباحث أن توقف وعدم انتظام الدوري يزيد من هذه الضغوط النفسية على اللاعبين بغض النظر عن الدرجة التي يلعب فيها وخاصةً عندما يكون مستوى الفريق ، أو اللاعب يسير بشكل تصاعدي.

وتتنفق نتائج الدراسة الحالية مع نتائج دراسة كل من ( جابر، ٢٠١١ ) ، ودراسة ( صلاح، ٢٠٠٢ ) ، في أنه لا توجد فروق لدى عينات الدراسات ( Seggar, 1997 ) ودراسة ( محمد، ٢٠٠١ ) ، ودراسة

النتائج المتعلقة بالسؤال الثالث:

هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (  $\alpha = 0,05$  ) بين المتوسطات الحسابية لاستجابات أفراد عينة الدراسة على أسباب الضغوط النفسية لدى لاعبي كرة السلة في فلسطين

تعزى إلى متغير المشاركات الدولية (مشارك - غير مشارك) ؟  
وللإجابة عن السؤال تم حساب الفروق وذلك باستخدام اختبار (T . test) .

جدول رقم (١٢)

يوضح المتوسطات والانحرافات المعيارية وقيمة «ت» (ن = ١٨٠)

الأبعاد	المشاركات الدولية	العدد	المتوسط	الانحراف المعياري	قيمة «ت»	قيمة الدلالة	مستوى الدلالة
أسباب ترتبط بالجهاز الفني والإداري	مشارك	22	25.9	1.236	-0.2	0.219	غير دال إحصائياً
	غير مشارك	158	26.1	1.985			
أسباب ترتبط بالمستوى البدني والمهاري	مشارك	22	13.6	2.862	-0.69	0.119	غير دال إحصائياً
	غير مشارك	158	14.29	1.213			
أسباب ترتبط بالمنافسة واللاعبين والجمهور	مشارك	22	21.65	1.523	1.0	0.691	غير دال إحصائياً
	غير مشارك	158	20.65	2.621			
أسباب ترتبط بالمستوى الاجتماعي والاقتصادي	مشارك	22	10.85	2.023	-0.38	0.264	غير دال إحصائياً
	غير مشارك	158	11.23	2.183			
أسباب ترتبط بالسمات الشخصية للاعبين	مشارك	22	21.4	2.968	1.3	0.135	غير دال إحصائياً
	غير مشارك	158	20.1	3.231			
الدرجة الكلية	مشارك	22	93.4	10.612	0.714	0.793	غير دال إحصائياً
	غير مشارك	158	92.37	11.233			

قيمة «ت» الجدولية عند مستوى دلالة (  $\alpha \geq 0,01$  ) ودرجة حرية (٤٥) تساوي ٢,٧٠  
يتضح من الجدول السابق أن قيمة «ت» المحسوبة أقل من قيمة «ت» الجدولية في جميع الأبعاد وفي الدرجة الكلية ، وهذا يدل على عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير المشاركات الدولية. ويعزو الباحث ذلك إلى أن رياضة كرة السلة من الرياضات الضاغطة على اللاعب لكونها تتميز بالسرعة في الأداء ، والتصويب على محيط صغير بشكل كبير عن الرياضات الأخرى.  
ويرى الباحث بأنه كلما قل محيط الهدف (التصويب) كلما زادت الضغوط على اللاعب بغض النظر عن عدد المشاركات أن كانت محلية ، أو دولية .

النتائج المتعلقة بالسؤال الرابع:

هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (  $\alpha = 0,05$  ) بين المتوسطات الحسابية لاستجابات أفراد عينة الدراسة على أسباب الضغوط النفسية لدى لاعبي كرة السلة في فلسطين تعزى إلى متغير مركز اللعب (لاعب ارتكاز، لاعب الوسط، لاعب أجنحة)؟

وللإجابة عن السؤال تم حساب الفروق، وذلك باستخدام التحليل التباين الأحادي.

جدول رقم (١٣)

نتائج تحليل التباين الأحادي لدلالة الفروق تبعاً إلى متغير مركز اللعب (ن = ١٨٠)

الأسباب المرتبطة بـ	مصدر التباين	درجات الحرية	مجموع مربعات الانحراف	متوسط المربعات	«ف»	مستوى الدلالة	قيمة الدلالة
بالجهاز الفني والإداري	بين المجموعات	2	2.69	0.753	0.735	0.884	غير دالة إحصائياً
	داخل المجموعات	181	176.64	1.024			
	المجموع	183	179.33				
بالمستوى البدني والمهاري	بين المجموعات	2	2.43	0.823	1.009	0.710	غير دالة إحصائياً
	داخل المجموعات	181	221.92	0.815			
	المجموع	183	224.53				
بالمنافسة واللاعبين والجمهور	بين المجموعات	2	3.54	0.564	1.023	0.704	غير دالة إحصائياً
	داخل المجموعات	181	328.42	0.551			
	المجموع	183	331.96				
بالمستوى الاجتماعي والاقتصادي	بين المجموعات	2	7.99	0.250	1.459	0.812	غير دالة إحصائياً
	داخل المجموعات	181	332.49	0.544			
	المجموع	183	340.48				
بالسمات الشخصية للاعبين	بين المجموعات	2	3.87	0.516	0.851	0.591	غير دالة إحصائياً
	داخل المجموعات	181	298.23	0.606			
	المجموع	183	302.1				
الدرجة الكلية	بين المجموعات	2	20.52	0.097	0.727	0.551	غير دالة إحصائياً
	داخل المجموعات	181	1357.7	0.1333			
	المجموع	183	1378.22				

دال إحصائياً دلالة عند مستوى الدلالة (  $\alpha \geq 0,05$  ) ( ف ) الجدولية (٢٧، ٢).

يتضح من الجدول رقم (١٣) أن قيمة «ف» المحسوبة أقل من قيمة «ف» الجدولية في جميع الأبعاد وفي الدرجة الكلية، وهذا يدل على عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى إلى متغير مركز اللعب. ويعزو ذلك الباحث إلى أن الفريق الرياضي يعيش بنفس الظروف من حيث الضغوط المرتبطة بالجهاز الفني والإداري والضغوط المرتبطة بالمنافسة واللاعبين والجمهور، ولا سيما ظاهرة الانتقاد لمستوى اللاعبين الدائم. فمن هنا يتضح بعدم وجود فروق لدى عينة الدراسة.

وتتنفق نتائج الدراسة الحالية مع نتائج دراسة (جابر، ٢٠١١)، ودراسة (صلاح، ٢٠٠٢)، ودراسة (محمد، ٢٠٠١)، ودراسة (Seggar, 1997) في أن جميع مراكز اللعب تتميز بالضغوط بالنسبة للاعب.

## النتائج والتوصيات :

### أولاً : نتائج الدراسة :

في ضوء النتائج التي أسفرت عنها الدراسة يمكن استنتاج التالي :

١- يتضح من نتائج الدراسة أن الضغوط النفسية لدى لاعبي كرة السلة في فلسطين كانت متوسطة حيث حصلت على نسبة مئوية وقدرها ( ٦٤ , ١ ) .

٢- يتضح من نتائج الدراسة أن البعد المرتبط بالجهاز الفني والإداري احتل المرتبة الأولى، تلا ذلك وفي المرتبة الثانية البعد المرتبط بالمنافسة واللاعبين والجمهور، ثم جاء البعد المرتبط بالسجلات الشخصية للاعبين في المرتبة الثالثة، تلا ذلك البعد المرتبط بالمستوى البدني والمهاري في المرتبة الرابعة ، وجاء البعد المرتبط بالمستوى الاجتماعي والاقتصادي في المرتبة الخامسة .

٣- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في أسباب الضغوط النفسية لدى لاعبي كرة السلة في فلسطين تعزى إلى متغير الدرجة في اللعب ( الممتازة - الأولى ) .

٤- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في أسباب الضغوط النفسية لدى لاعبي كرة السلة في فلسطين تعزى إلى متغير المشاركات الدولية ( مشارك - غير مشارك ) .

٥- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في أسباب الضغوط النفسية لدى لاعبي كرة السلة في فلسطين تعزى إلى متغير الخبرة في اللعب ( لاعبي الأجنحة - لاعبي الوسط - لاعبي الارتكاز ) .

### ثانياً : التوصيات :

في ضوء ما توصل إليه البحث من نتائج فإن الباحث يوصي بالتالي :

١- زيادة الحمل التدريبي بشكل تدريجي وبصورة علمية حتى يتناسب مع قدرات اللاعبين النفسية .

٢- الاهتمام بإعداد دورات تدريبية نفسية لصقل اللاعبين من الجانب النفسي وذلك لمواجهة ما يتعرض له اللاعب من ضغوط نفسية .

٣- ضرورة العمل على تجهيز اللاعبين نفسياً للتعامل مع جميع مواقف اللعب أثناء المباريات .

٤- ضرورة الاهتمام بالجانب النفسي لدى اللاعب الرياضي وخاصة الضغوط النفسية لدى اللاعب لما له من تأثير على سلوكه في التدريب والمباريات .

مرفق رقم (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزي اللاعب

يقوم الباحث بدراسة علمية حول « أسباب الضغوط النفسية لدى لاعبي كرة السلة في فلسطين » لذا نرجو من سيادتكم التكرم بمساعدتنا بملء الاستمارة المرفقة والتي تتضمن عدد من العبارات التي تعكس رأيك الشخصي .

م	العبارات	موافق بدرجة كبيرة	موافق بدرجة متوسطة	موافق بدرجة قليلة	غير موافق
١	اشعر بالملل الشديد عند تكرار التدريب العالي				
٢	الواجبات المطلوبة في المباراة تفوق قدرتي				
٣	ليس لدي وقت للقيام بمسؤوليات أخرى لانتظامي في التدريب				
٤	ينتقدني المدرب أكثر من أن يتني علي				
٥	اشعر بهبوط مستوى أدائي بالرغم من الاستمرار في التدريب				
٦	اشعر بالقلق كلما اقتربت المنافسة				
٧	ليس لدي وقت للشعور بالراحة و الاستمتاع				
٨	اشعر بان المدرب دائما على قدر غير كاف لتحقيق طموحاتي في التدريب				
٩	أجد صعوبة في السيطرة على انفعالاتي في المنافسات الهامة				
١٠	اشعر بعدم الارتياح و التوفيق بين التدريب و الدراسة				
١١	ضعف شخصية المدرب في أسلوب التعامل مع اللاعبين				
١٢	اشعر بفقدان الرغبة بالتدريب				
١٣	أغيب عن حضور التدريب حتى احصل على الراحة و التدريب				
١٤	عدم العدالة أو المساواة بين اللاعبين				
١٥	أدائي بالتدريب أفضل من أدائي في المنافسة				
١٦	ضغوط المباريات تفوق مقدرتي على تحملها				
١٧	التدريب الرياضي يأخذ كل وقتي				
١٨	لا تشارك المدرب في وضع الأهداف و الواجبات				

				أشعر بعدم التمتع والاستمتاع بالتدريب	١٩
				لا أجد ما يشجيني على الفوز بالمباريات	٢٠
				أجد أن الوقت غير كاف لاستعادة الشفاء و استجماع قواي بعد التدريب والمنافسة	٢١
				أشعر بالإحباط عندما يتحسن زملائي عني	٢٢
				أشعر بحجم كبير من التدريب مع شدة عالية مما يسبب إنهاك بدني	٢٣
				أشعر بالإحباط عندما افضل	٢٤
				تواجهني ضغوط مختلفة وصعوبات بسبب مواعيد التدريب	٢٥
				أضايق بسرعة من زملائي	٢٦
				أشعر بعدم الحماس للتدريب أو الاشتراك في المهارة	٢٧
				أشعر بعدم السيطرة على اضطراباتي قبل المباراة	٢٨
				طول فترة التدريب تشعرني بالملل	٢٩
				أعذب نفسي بسبب المباريات في الملاعب المفتوحة	٣٠
				الضغوط المرتبطة بالمنافسة تشعرني بعدم الأمان	٣١
				اشعر بالآم و تقلصات في المعدة قبل المباراة	٣٢
				أناثر بالنشجن الإعلامي بدرجة كبيرة قبل المباراة	٣٣
				أعتقد أن الضغوط التي تواجهني في حياتي سببها الانتظام في عملية التدريب	٣٤
				عدم التأكد من الأداء الجيد في التدريب	٣٥

د. ربي شعراي

عميدة كلية التربية

جامعة الجنان

## السعادة في مساعدة الغير

### الفصل الأول: تعريف السعادة وفنونها

مفهوم السعادة

فنون السعادة ومفاتيحها

### الفصل الثاني: فن مساعدة الغير

خطوات مساعدة الغير .

سمات المساعد لغيره .

العطاء وجه آخر للمساعدة .

العضو وجه من أوجه المساعدة .

السعادة مطلب إنساني عام يتزاحم الناس على بابها، يبتغي كل منهم الحصول على حصة ولو يسيرة منه، ولكن كثيراً منهم يفشلون في إدراك مبتغاهم ونيل مقصدهم، فهو أشبه بالسراب كلما أرادوا الوصول إليه أضاعوا السبيل وأضلوا الطريق...

أهي صعبة المنال حقاً؟ أم أنه قد غمَّ عليها فلم تعد تُدرك؟ أم أن البشر لم يفقهوا كنهها ويتعرفوا إلى فنونها وأسرارها، فضاعوا وأضاعوها معهم !! ..

حاروا في تعريفها وفي مصادرها، قالوا هي في جمع المال<sup>(١)</sup>... فإذا بالأخبار تتوالى عن آلاف من الأثرياء حاروا في التخلص من الكآبة والتعاسة التي تأصلت في حياتهم فلم يجدوا لهم بداً من الانتحار، لوضع حدٍّ للغمّ الذي لم يستطيعوا التقلت منه... يقول تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾<sup>(٢)</sup>. قالوا هي في السلطة والجاه ولكن أصحاب السلطة لم يكونوا أوفر حظاً من أصحاب المال... قالوا هي في الصحة والعافية ولكن كم من صحيح لم يفقه هاتين النعمتين حتى غدا سقيماً... قالوا وقالوا وذكروا عوامل وعناصر عديدة متفرقة كانت أم متضافرة، ولكن أحداً منهم لم يستطع تحديد مقادير هذه الوصفة السحرية بغية البشرية جمعاء.

لا ريب بأن سر هذه الوصفة هو بيد من بيده الخلق جميعاً، فالبارئ عز وجل أعلم بخلقه، أعلم بكافة شؤونهم، صغيرها وكبيرها ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾<sup>(٣)</sup>. وقد دلّهم في آثار خالدة إلى معطيات السعادة الإنسانية... ولكن الغشاوة التي على قلوب العباد تحول دون تتبع هذه الآثار والتمعن في دلالاتها.

إن هذه الدراسة لم تكن لتبحث في دلالات السعادة كلها فهي شاملة والغوص فيها يتطلب مناقشة مواضيع واسعة حار فيها كبار الفلاسفة والعلماء، فاقصرت فقط على تناول مؤثر واحد أرشد إليه الله عز وجل وفقه سرّه كبار الرجال عبر التاريخ، هو فن المساعدة وخدمة الغير. ولكن لا بد بداية من تقديم تعريف للسعادة، للعيش في أجوائها واستنشاق عبيرها...

١- نشر أمير في قطر في مقال له في مجلة الهلال ١٩٥٧ «ومن الغريب أن أولئك الأثرياء الذين يقصدون فلوريدا في أمريكا والريفيرا وفرنسا وغيرها من البلدان لا يكتفون بما في تلك البقاع من جمال ودفء... فيقصدون الأطباء والصيادلة هناك طلباً لحبوب السعادة (المهدئات) واستهلاك عدة زجاجات منها في خلال الموسم».

٢- سورة التوبة آية ٥٥.

٣- سورة الملك آية ١٤.

## الفصل الأول

### تعريف السعادة وفنونها

#### ١ - مفهوم السعادة:

السعادة لغةً ترد بعدة معانٍ منها : السعد واليمن والتوفيق والمساعدة... يقال سَعِدَ يومك أي يمن وبورك فيه، ونقيضه النحس. والسعد بمعنى التوفيق والمساعدة<sup>(١)</sup>، والإسعاد هو المعونة، المساعدة، المعاونة. وأسعده أعانه<sup>(٢)</sup>، وساعده في قضاء حوائجه، وقالوا أسعدت النائحة الثكلى أي أعانتها على البكاء والنوح<sup>(٣)</sup>. والسعادة ضد الشقاوة... سعد الرجل فهو سعيد، ويقال أسعد الله فلاناً أي أعانه ووقفه إلى ما يحب ويرضى، فيسعد في الدنيا ويكون مسعداً ومسعوداً<sup>(٤)</sup>. إذ أن الله قد وقفه لما يرضيه عنه فيسعد بذلك سعادة. وفي قوله تعالى وأما الذين سَعُدُوا وهذا لا يكون إلا لمن سَعده الله وأسعده، ومعنى قوله لبيك وسعديك أي أسعدني الله إسعاداً بعد إسعاد، وأصل الإسعاد والمساعدة متابعة العبد أمر ربه ورضاه، أي ساعدت طاعتك مساعدة بعد مساعدة وإسعاداً بعد إسعاد.

يقال إنما سميت المساعدة المعاونة من وضع الرجل يده على ساعد صاحبه إذا تماشيا في حاجة وتعاونوا على أمر<sup>(٥)</sup>. والسعيد النهر الذي يسقي الأرض<sup>(٦)</sup>.

يستشف من هذه المعاني والدلالات اللغوية للسعادة أن الإنسان يستشعر السعادة عندما يسلك درب الله عز وجل فيسعد في حياته ساعياً في طاعة الله عز وجل قاصداً رضاه، ذلك أن من يبع رضاه الله عز وجل يعجل له الله مقصده في الدنيا ويؤتته سؤله ويسعده، فتكون طاعة الله عز وجل السبيل الأول للسعادة... يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾<sup>(١٢٦)</sup> قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا<sup>(١٢٧)</sup> قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَيْتَنَا فَتَبْنَا بِهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى<sup>(٧)</sup>.

والأمر المثير في هذه الدلالات أن الإنسان يسعد بمساعدة أخيه له، ففي معنى خاص أن

- ١- الأزهرى ، أبو منصور محمد بن أحمد ، تهذيب اللغة ، ج٢، الدار المصرية ، القاهرة ، ص٢٢٠ ، بتصرف .
- ٢- الرازي ، محمد بن أبي بكر ، مختار الصحاح ، مكتبة لبنان ، بيروت ١٩٨٨ ، ص ٣١٤ بتصرف .
- ٣- الأزهرى ، أبو منصور ، تهذيب اللغة ، مرجع سابق ، ص ٢٢١ ، بتصرف .
- ٤- الرازي ، محمد بن أبي بكر ، مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ٣١٥ ، بتصرف .
- ٥- ابن منظور ، لسان العرب ، ج٣ ، دار صادر ، بيروت ، ص ٢١٤ - ٢١٦ ، بتصرف .
- ٦- المرجع نفسه ، ص ٢١٦ .
- ٧- سورة طه آية: ١٢ .

النائحة الثكلى تسعد إذا جاء من يعينها على البكاء والنوح<sup>(١)</sup>. وفي معنى ذي دلالة أوسع يدرك الإنسان السعادة عندما يشد عضده بإنسان آخر يعاونه في أمور حياته، يساعده في تحقيق أهدافه، في مواجهة المصاعب، يخفف عنه الويلات والآلام ويسكن له الجراح، وفي ذلك فوز عظيم...

الأجمل من تلقي المساعدة أن يبادر الإنسان إلى مد يد المساعدة، في الحديث النبوي الكريم «اليد العليا خير من اليد السفلى»، فكما أن السعيد لغوياً هو النهر الذي يسقي الأرض، فهو على أرض الواقع الإنسان المعطاء الذي يسعى في حاجة أخيه، يعينه على عثرات هذه الحياة لتهون عليه عثراته، فما أجمل أن يحيا الإنسان لغيره فتتسع الدائرة من حوله وينظر إلى العالم بعينين مليئتين بالحب، فيسعد لإسعاد الغير وينعم بروح المساعدة، ولا يغم كالذي أحاط نفسه بقيود ذاتية تحول دون إطلائته على العالم من حوله، ليجد نفسه وحيداً يدور في رحى الفردية لا يعرف للعطاء معنى فينصهر في ذاتيته وأنانيته معانياً السأم والملل والإحباط.

ولو تم الجمع بين الدلالات اللغوية لمعنى السعادة في هذا السياق أي بين إرضاء الله عز وجل وبين المساعدة لكان المراد أدق وأشمل، أي لانصرفت السعادة إلى حيث يلتقي الإثنان، حيث تحقيق المساعدة في سبيل إرضاء الخالق عز وجل، فيسعى الإنسان إلى مساعدة أخيه قاصداً بذلك وجه الله عز وجل، فيدرك درجة الإخلاص في عمله هذا محققاً السعادة المنشودة.

#### السعادة عند فلاسفة الإغريق وعلماء المسلمين :

فطن فلاسفة الإغريق منذ مئات السنين إلى أن جوهر السعادة يكمن في أعمال الفضيلة والخير وحسن الخلق، فركزوا في فلسفتهم على المجتمع الفاضل لتتعم البشرية بالسعادة ودعوا إلى التمسك بفضائل الأعمال والقيم والمبادئ العليا والحث على تقديم الخير للإنسانية جمعاء. يقول سقراط : «فإذا عرف الإنسان نفسه فسوف يكتشف فيها الحق والخير والجمال والسعادة ويدفعها إلى السير في طريق الفضيلة فيسعد في الدنيا»<sup>(٢)</sup>.

فالإنسان الفاضل هو من يحسن استثمار معاني الخير والجمال في نفسه من حوله<sup>(٣)</sup>، ويسعى في الأرض سالكاً درب الأعمال والفضائل الحسنة مقدماً خدماته للبشرية جمعاء.

ويأتي أرسطو بعد أن حار في تعريف دقيق للسعادة فيتساءل : «ما هو أرقى خير يمكن أن

١- يذكر ان هذا النوع من المساعدة غير جائز في الإسلام وإنما نشير إليه هنا للدلالة اللغوية .

٢- ابن مسكويه، علي أحمد بن أحمد ، السعادة في فلسفة الأخلاق ، مكتبة السيد الطنجي ، القاهرة، ص ٢٢ .

٣- في الحديث النبوي الكريم يقول عليه الصلاة والسلام «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» ربط الرسول الكريم بين الإيمان وحب الغير فتفى إيمان من لا يحب لغيره ما يحب لنفسه، وهذا ذروة في معاني الحب الإنسانية ، فالإيمان الذي هو أسمى منزلة يرتقي بها الإنسان في علاقته مع بارئته عز وجل ، يهتز ويتزعزع ويفقد مصداقيته ما لم يسر فيه شعور بتمني الخير لغيره مواز ومساوٍ لما يتمناه لنفسه...

يبلغه المرء بجهد؟ يتفق عامة الناس وصفوتهم على أنه السعادة، ولكنهم يختلفون في كنهها»<sup>(١)</sup> ويهتدي فيما بعد لتحديد مراتب السعادة ليجعل أعلاها أي في رتبها الرابعة: «سعادة النفس في عمل الخير والسير في طريق الفضائل»<sup>(٢)</sup>.

وتتوالى جماعات البشرية لتؤكد هذه المعاني الأخلاقية والإنسانية وأهميتها لتكريس السعادة، فيأتي علماء المسلمين بدورهم ليستقيضوا في معاني السعادة وأوجهها، مستدين إلى الأصول الدينية، مفندين آراءهم داعمين حججهم بالآيات والأحاديث النبوية وشماثل نبهم الكريم المصطفى عليه السلام.

يقول الكندي «فمن أراد أن يكون سعيداً فليكن قنوعاً راضياً...»<sup>(٣)</sup>، فكانت البداية القناعة والرضا بالله عز وجل، الرضا بواقع الحال، فيعرف نفسه ويعمل على تهذيبها ومن ثم ينطلق إلى عمل الحسنات ليقوم بترويض نفسه على الخير و«إلزامها بالسير في طريق الفضيلة فتسعد في الدارين»<sup>(٤)</sup>.

ويؤكد ابن سينا هذا المعنى من السعادة فتتواتر الألفاظ في تعريفها وتحشد لتبرهن أنها تقوم في الدنيا على فهمه لنفسه ومعرفته بأخلاقها... وإلزامها بالسير في طريق الفضائل»<sup>(٥)</sup>.

ويتناول ابن مسكويه بدوره مفهوم السعادة ومصدرها ليشير إلى أن الحصول عليها يتطلب العيش في خير دائم مطلق، وهي تبدأ كما أفاد أترابه من مجاهدة النفس وتهذيبها «حتى تحب الخير الخالص حباً صادقاً دائماً وتشمل حب الله.. وحب الأهل.. والناس جميعاً فيسعد الإنسان في الدنيا والآخرة»<sup>(٦)</sup>. فكان حب الخير مطلباً أساسياً لتوفير السعادة، وهو حب شامل ينطلق من حب الله عز وجل ليعم الأهل والناس جميعاً محققاً السعادة ولكن ليست الدنيوية فقط وإنما الأخروية أيضاً فالأولى لا تكتمل إلا بالسعي للثانية، فالإنسان لا يسعد وهو قلق على حياته من الموت وما بعده فيعيش هواجس الخوف من الموت والمصير المجهول الذي ينتظره.

لذا كان مفهوم السعادة عند علماء المسلمين أشمل وأعم فقد اكتمل بالسعادة فيما بعد الموت، وهذا ما انضرد به المسلمون فسعوا إلى سعادتني الدنيا والآخرة وكان يقينهم راسخاً أن سعادة الدنيا تستلزم السعي الدؤوب لرديفها في الآخرة... وفي الحديث الشريف: «من كانت

١- ارجايل ، مايكل ، سيكولوجية السعادة ، عالم المعرفة ، الكويت ، ٣٩٩١ ، ص ٩ .

٢- ابن مسكويه ، علي أحمد بن محمد ، السعادة في فلسفة الأخلاق ، مرجع سابق ، ص ٤٣ .

٣- ربيع ، شحاتة ، التراث النفسي عند علماء المسلمين ، المطبعة الجامعية ، الإسكندرية ١٩٩٥ ، ص ٤٥ .

٤- المرجع نفسه ، ص ٦٤ .

٥- المرجع نفسه ، ص ٤٨ .

٦- ابن مسكويه ، علي أحمد بن محمد ، السعادة في فلسفة الأخلاق ، مرجع سابق ، ص ٣٦ .

الآخرة همّه جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة ومن كانت الدنيا همّه جعل الله فقره بين عينيه وفرّق عليه شمله ولم يأت من الدنيا إلا ما قدر له»<sup>(١)</sup>.

وقد استفاض ابن القيم في مبحث السعادة فقسمها من حيث المستوى ثلاثاً: «الأول سعادة في الحصول على لذة الرضا... الثاني سعادة في الحصول على لذتي الرضا والفرح... الثالث سعادة في الحصول على لذات الرضا والفرح والسرور»<sup>(٢)</sup>. فبحث في هذه المراتب الثلاثة مؤكداً على أن السعيد يكون «بحسن خلقه ومشاعره الطيبة نحو الناس»<sup>(٣)</sup>.

يؤخذ مما تقدم اتفاق الجميع على أن السعادة تكمن في عمل الخير مع الآخرين، وفي هذا سعادة للبشرية جمعاء...

ولكن قبل الغوص في هذا المجال موضع الدراسة، من الأجدى إلقاء الضوء بشكل عام على فنون السعادة ومفاتيحها.

## ٢ - فنون السعادة ومفاتيحها:

### الرضا

### التفاعل الإيجابي مع الحياة:

### الحب

### تفهم الآخرين والاستماع إليهم

## لماذا الناجحون أشخاص سعداء؟

السعداء هم أشخاص ناجحون؟ إنهم سعداء لأنهم يقومون بتغذية عقولهم بشكل متعمد بأفكار ذهنية إيجابية للتحويل إلى عقائد راسخة تجسد الأحلام وتقوى على التحديات.

يقول الكاتب المبشر العالم النفسي المعروف د. نورمان فنسنت بيل «فكر بالنجاح واعتقده وستطلق الأمنية القابلة للتحقق من عقالها. وعندما تصبح الصورة الذهنية -أو السلوك الذهني- راسخة بما فيه الكفاية فإنها على ما يبدو تصبح قادرة على التحكم بالأحوال والظروف»<sup>(٤)</sup>.

فالفكرة في ذهنك سرعان ما تصبح حقيقة إذا ما تواترت واشتد عودها، فليحذر المرء إذن من أفكاره وليختر أجودها وأميزها، يقول ماركوس أنطونيوس: «إن سعادتك في الحياة مرهونة

١- صححه الألباني: صحيح، انظر حديث رقم ٦٥١٠ في صحيح الجامع.

٢- ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين، تحقيق عماد عامر، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٦، ص ١١٣.

٣- مرسي، كمال إبراهيم، السعادة وتنمية الصحة النفسية، ج ١، دار النشر، مصر، ط ١، ٢٠٠٠، ص ٣٦.

٤- كويماير، أدب النجاح، ترجمة حليم نصر، شركة المطبوعات، بيروت، ط ٢٠٠٥ ص ١٤.

بجودة أفكارك»<sup>(١)</sup>. ويؤيده لينكولن في قوله: «يحوز المرء من السعادة بالقدر الذي يوطد ذهنه على الحصول منها»<sup>(٢)</sup>.

والحديث القدسي «أنا عند ظن عبدي بي»<sup>(٣)</sup> يكرّس هذه الحقيقة، فالكون كله رسم على هذا المنوال منوال حسن الظن بالله، منوال التفاؤل بالخير والحث على تملك الأفكار الإيجابية للتمكن من قولبتها وصياغتها فعلياً، إذ أن من تفاعل بحصول أمر ما فإن حصوله واقع لا محال إذا استطاع أن يهيء نفسه له، فهذا هو جواب الأمر الرباني بالتفاؤل، وهذا قانون عام للبشرية جمعاء.

فكل فكرة تدخل العقل تترك بصماتها واضحة جليّة سلباً أو إيجاباً. فعلى سبيل المثال تشر الأبحاث المكثفة عن مرض الإصابة بالبرد عن أية بيانات صحيحة يعتمد عليها. ومع ذلك أثبتت الأبحاث بما لا يدع مجالاً للشك أنه يكون من المرجح بشدة أن تلتقط عدوى البرد عندما تكون في حالة عاطفية سيئة، إن الفكر الفاسد يسبب المشكلات حقاً<sup>(٤) (٥)</sup>.

وفي المقابل يشكل الفكر الإيجابي حصناً منيعاً للإنسان في مواجهة الملمات وضغوطات الحياة، فيدفعه إلى القوة والعطاء في العمل محققاً طموحاته متجاوزاً السدود المنيعه، يقول الكاتب الشهير بروس بارتون Bruce Barton «ما من شيء عظيم أمكن تحقيقه إلا على أيدي أولئك الذين تجرأوا على الاعتقاد أن شيئاً ما في داخلهم هو أقوى من الظروف المحيطة بهم»<sup>(٦)</sup>.

ولعل الإيمان بالله عز وجل يشكل أول رافد للتفكير الإيجابي ولا يمكن تعويضه في حال من الأحوال، يقول الشاعر أيمرسون: «لا الإنجاز ولا المساعدة ولا التدريب تستطيع أن تعوّض عن ضعف الإيمان»<sup>(٧)</sup>. فأَي مَر يَقْوَى عَلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْإِسْتِعَانَةَ بِهِ وَالنَّهْلَ مِنْ مَعِينِهِ ؟؟

يقول الكاتب زيجلار: «لست أعرف ما سيأتي به الغد لكنني أعرف من سيأتي بالغد، لذا فإنني أنتظره بثقة ويقين وشكر. إن الكتب السماوية تؤكد أن أخطاء الماضي أن يمكن أن تمحي وتغفر. وهذا يطمئنتنا بشأن الماضي. كما أنها تؤكد أن الله خلق الحياة من أجل ما فيه الخير

١- المرجع نفسه، ص ١٥.

٢- المرجع نفسه، ص ٦٢.

٣- رياض الصالحين، باب فضل الرجاء، رواه مسلم، رقم الحديث ٤٤١/٢.

٤- زيجلار، زيغ، أراك على القمة، جرير، السعودية، ط١، ٢٠٠٦، ص ١٤ بتصرف.

٥- للسعادة هرمون خاص يدعى السيروتونين Cerotone وهو ناقل عصبي لمشاعر السعادة. وإذا انخفض إنتاجه يصاب الإنسان بالكآبة وهو موجود في التمر والشوكولا وغيرها، والكورتيزون بدوره هرمون يمنح الجسم الطاقة والحيوية. طالب، هشام، السيادة على النفس والجسد، دار النهضة العربية، بيروت ط١ ٢٠١٠، ص ١٠٧ بتصرف.

٦- كويمير، أدب النجاح، مرجع سابق، ص ٢٤٩.

٧- المرجع نفسه، ص ٢٤٩.

والصلاح لنا. وهذا يطمئنا بشأن الماضي. كما أنها تؤكد أن الله خلق الحياة من أجل ما فيه الخير والصلاح لنا وهذا يطمئنا على الحاضر، ومع ماضٍ... وحاضر... لماذا لا أكون متفائلاً بكل هذا الحماس؟<sup>(١)</sup>.

وهكذا فإن التفكير الإيجابي البناء يشحن الإنسان بالطاقة ويلهب حماسه واندفاعه إلى العمل ويشدُّ من تركيزه ويحرر طاقاته الإبداعية الدفينة ويكسوه برداء من البهجة والتفاؤل ويمنحه باختصار السعادة الحقَّة والهمَّة العالية<sup>(٢)</sup>، فيتحقق التناغم السحري بين التفكير والإرادة، وتتساقب الأمور تلقائياً وتطرح الهموم ثقلها جانباً ويخفف الزمن وطأته ويبلغ العزم أقصى درجاته ويذوق الإنسان حلاوة النجاح فيسعد بها ويتفنن في عيشها.

فمن رام المعالي في حياته وعمله فليتسلح بالإيمان والتفكير الإيجابي وليباشر طريقه، حينئذ يكون قد وضع قدمه على أول الطريق، طريق السعادة والإبداع.

إن ضغط الحياة ثقيل الوطأة وقد يشتد ويشتد لتصبح الأفراح والنجاحات أقرب إلى قوالب تقليدية جامدة لا تحمل للسعادة معنى، «عندئذ قد ينتهي بنا سعينا وراء السعادة إلى جملة من الآمال الخائبة ومشاعر اليأس والإحباط والملل والضيق والإرهاق النفسي قبل الجسدي»<sup>(٣)</sup>.

فكان لا بد من تزويد العقل الإنساني بكمٍّ من الأفكار الإيجابية، بل وربما إكراه نفسه عليها لفترة من الوقت لتستحوذ عليه وتصبح جزءاً منه وتترجم سلوكاً على الأرض، كأن يكره نفسه على الابتسام حتى تغدو عادة متأصلة لديه، وبذلك يصح عكس المعادلة، فالإنسان يبتسم لأنه يشعر بالسعادة ويشعر بالسعادة لأنه يبتسم.

ومن المثير أن كل عادة طيبة تستأصل لدى الإنسان تشد معها عادة أخرى مرافقة لها... فربما كان عليه في البداية بعض الجهد لكسب تلك العادات ولكن بعد حين لن يكون مضطراً لبذل هذا الجهد بل ستأتي العادات طائعة لتعمل على خدمته فتكون هي مصدر السعادة والبهجة.

وفي ذلك يقول قائل: «إننا نبني شخصياتنا من أحجار العادات التي نضعها فوق بعضها يوماً بعد يوم»<sup>(٤)</sup>.

بعد أن تنهيا النفس للسعادة، تسعى جاهدة للنيل من مفاتيحها، فالحياة مشيرة تستحق العيش

١- زيجلار، زيج، أراك على القمة، مرجع سابق، ص ١٤.

٢- يقول عمر بن عبد العزيز: «إن لي نفساً تواقفة إلى المعالي، فكلما حصلت على مكانة طلبت أعلى منها. حصلت على الإمارة فتقت إلى الخلافة وحصلت على الخلافة فتاقت نفسي إلى ما هو أكبر من ذلك وهي الجنة».

٣- سايقرت، لوثر، إذا كنت على عجلة من أمرك فتمهل، دار البيكان، السعودية، ط١، ٢٠٠٧، ص ٢٦٣.

٤- زيجلار، زيج، أراك على القمة، مرجع سابق، ص ٣٠٦.

فليكن العيش هنيئاً بهيجاً...

وليبدأ رحلته مع الرضا السر الخفي للسعادة...

### أ- الرضا:

إن معايير السعادة يغلب عليها الطابع الانفعالي مثل البهجة الممزوجة بالتفاؤل وغيرها من المشاعر الإيجابية. وقد توصلت «عدد من الدراسات الأوسع نطاقاً إلى وجود عامل واضح هو عامل الرضا الشامل»، فنصّف البعض السعادة إضافة إلى كونها شعوراً بالبهجة والاستمتاع شعوراً بالرضا والاشباع وطمأنينة النفس وتحقيق الذات. وهي بالتالي انعكاس لمعدلات تكرار حدوث الانفعالات السارة وانعكاس لدرجة الرضا عن الحياة.

في قول مأثور: إن فن العيش السعيد يقوم قبل كل شيء على القناعة، فمتى رضي الإنسان عن نفسه وشاع هذا الرضا من حوله أصبح العالم من حوله امتداداً له.

يلهث كثيرون سعياً وراء السعادة، ينتابهم الشك في الحصول عليها، فهم بكل بساطة يطالبون بمقايير عالية من السعادة، يفنون حياتهم سعياً وراءها، فمثل هؤلاء لن يدركوا السعادة المنشودة أبداً، فالسعادة لم تكن يوماً غاية ترتجى في حد ذاتها وإنما هي وسيلة للعيش يحيا الإنسان وفقها. «إننا إذا ما أصغينا إلى صوت ذاتنا الذي ينادينا من أعماق أنفسنا أمكننا التعرف على حاجاتنا الحقيقية وغالباً ما سنكتشف أنها أدنى بكثير مما كنا نعتقد في بادئ الأمر»<sup>(١)</sup>.

إذن الرضا هو الحل، فليرض الإنسان ليسعد ويهنأ وهذا هو الناموس الإلهي الذي يحكم الكون. يقول معلم البشرية الرسول الكريم محمد ﷺ: «إن الله بحكمته جعل الروح والفرح في الرضا واليقين وجعل الهم والحزن في الشك والسخط»<sup>(٢)</sup>. فالإنسان يحيا هذه الحياة شاء أم أبى فإن رضي بها سعد وإن أبى واستعلا عاش حياته مهموماً مكروباً.

وفي الحديث النبوي الكريم: «فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط»<sup>(٣)</sup>. «ارض ما قسمه الله تكن أغنى الناس»<sup>(٤)</sup>، فبالرضا وحده يبلغ الإنسان أعلى مراتب الغنى التي يتعثر في الوصول إليها أعداد هائلة من البشرية.

وبالرضا يبلغ الإنسان درجة السعادة «من سعادة ابن آدم رضاه بما يقضي الله»<sup>(٥)</sup>، هذا وعد

١- سايقرت، لوثر، إذا كنت على عجلة من أمرك فتمهل، دار العبيكان، السعودية، ط١، ٢٠٠٧، ص ٢٦٤.

٢- رواه أبو نعيم عن ابن القيم في مدارج السالكين، ج٢، ص ٢١٤.

٣- رواه الترمذي في صحيحه رقم ٦٩٣٢، حسن.

٤- رواه الترمذي وحسنه الألباني.

٥- رواه أحمد، حديث رقم ١٨٧٠٣ في كتاب كنز الأعمال في سنن الأقوال والأفعال.

قطعه الله لمن يرضى وحق على الله الإيفاء بوعوده، وتفصيل ذلك حديث نبوي آخر يلخص قانون العيش بأسره: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»<sup>(١)</sup>. فما بال الإنسان يركض وراء الدنيا ولا ينال منها إلا النصب، فليرض فهذا هو مفتاح السعادة الأول..

دعا أبو يوسف الكندي إلى الرضا في جميع الأحوال قائلاً: «... فمن أراد أن يكون سعيداً فليكن قنوعاً راضياً ولا يتألم لما فاته من متع الدنيا لأنها أمور أتته من أن نحزن عليها أو نتألم بفقدها»<sup>(٢)</sup>. إن الدعوة للرضا لم تكن عبثاً فهي لم تنحصر في مجموعة من المشاعر تدلي على الإنسان بجو من الطمأنينة والفرح وإنما باتت تترجم سلوكياً على الأرض لتشكّل مجتمعاً معافياً قوياً معطاءً. فهي تحيل الملل والفتور إلى همة وقوة إنتاجية...

في دراسة لأشخاص فرحين بالحياة وجد زيادة في إفراز اللعاب ومواد أخرى تساعد على الشعور بالارتياح. ودراسة أخرى أشير إلى علاقة قوية بين الرضا والمعافة في البدن وأرجع الباحثون هذه العلاقة إلى ما يتولد عن الرضا بالحياة من أفكار تفاعلية ومشاعر إيجابية تقوي المناعة النفسية<sup>(٣)</sup> وتعطي الجسم مناعة إضافية في مقاومة الأمراض<sup>(٤)</sup>.

وفي دراسة لبارماك Parmak على طلبة من الجامعة، طلب منهم عمل أشياء مملة لا يرغبون بها، لاحظ عليهم السأم والتعب وشكا بعضهم من الصداع وآلام العيون والمعدة. وعند فحصهم طبياً وجد ارتفاع في ضغط الدم وانخفاض في استهلاك الأكسجين في خلايا الجسم. وأعيدت التجربة على الطلاب أنفسهم ولكن في عمل أشياء يحبونها فتغيرت حالتهم النفسية والجسمية...<sup>(٥)</sup>

والباحث في آثار الرضا<sup>(٦)</sup> النفسية والسلوكية يحتاج إلى مجلدات ضخمة، فهو وإن صغر

١- رواه مسلم في صحيحه.

٢- مرسى، كمال إبراهيم، السعادة وتنمية الصحة النفسية، مرجع سابق، ص ١٠٠.

٣- المناعة النفسية مفهوم فرضي يقصد به قدرة الشخص على مواجهة الأزمات والكروب وتحمل الصعوبات ومقاومة ما ينتج عنها من أفكار ومشاعر غضب وسخط وعداوة وانتقام وأفكار ومشاعر يأس وعجز وانهازامية وتشاؤم. مرسى، كمال إبراهيم، السعادة وتنمية الصحة النفسية، مرجع سابق، ص ٩٦.

4- Pearsall, The Power of the family, Dell. Publ., New York 1990, P. 278.

٥- كارينجي، دابل، دع القلق وابدأ الحياة، دار مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٧، ص ١١٩.

٦- يمثل الزوج أهم مصادر الرضا بلبه الأقارب المقربون ثم الأصدقاء، فالمتزوجون أكثر سعادة بوجه عام من العزاب أو الأرمال، والزوجات يوفرن للأزواج دعماً اجتماعياً أكثر مما يوفره لهن الأزواج، وتشير نتائج كثير من البحوث إلى أن من لهم عدد أكبر من الأصدقاء يميلون إلى أن يكونوا أكثر سعادة. ويعتبر الرضا عن العمل من أهم جوانب الشعور العام بالرضا. ارجايل، مايكل، سيكولوجية السعادة، مرجع سابق، ص ٢٨ - ٣٨ بتصرف.

لفظه فقد عظم أثره في الحياة الإنسانية... ولعله المفتاح الأول والأساس للسعادة، وهو مدعاة لخطوات أخرى متتالية مثل التفاعل الإيجابي مع الحياة والذي يضم في شقيه حب الآخرين، تفهمهم والاستماع إليهم. فبعد أن يحظى الإنسان بقبول الذات والرضى ينتقل يعتلي السلم خطوة أخرى فيقبل الغير ويحبهم وينشر الحب على من حوله...

### ب- التفاعل الإيجابي مع الحياة :

لما كانت العداوة بين الناس تنصدر أسباب الوهن النفسي المؤدية للانحرافات والأمراض النفسية حارمة إياهم أهم مصادر المساندة الاجتماعية التي تقوم عليها الصحة النفسية، كان التفاعل الإيجابي معهم دليل خير وصحة سوية، فهو يبعث على الفرح والسرور والمودة والمحبة والرضا والقبول. فالإنسان مهما كبر يحتاج إلى أن يحب ويحب، يحتاج إلى الاستحسان والتقدير<sup>(١)</sup>، الصحة والانتماء، ويسعد بمرافقة السعداء، بالمداعبة والمعانقة، بالنشاطات التفاعلية الإيجابية...

والتفاعل الإيجابي شريك الاستقرار النفسي حيثما حلّ حلّ معه، «لأن هذا الاستقرار هو الدعامة الباعثة على التفاعل الإيجابي والحيوية والإبداع في الحياة واستثمار الطاقة الناشئة من التفاعل بين الذات والتوافق مع الكون والتناغم مع الطبيعة»<sup>(٢)</sup>. فعندما يقوم الإنسان بعمل صدقات في عالمه الخارجي فهو بالتالي ينشئ صدقات في عالمه الداخلي وداخل عقله وفكره مما يجعله دوماً يقظ الفكر والوجدان.

في دراسة قامت بها د. ليزا بيركمان في كلية هارفارد لعلوم الصحة، أثبتت أن الناس الذين يفتقرون إلى الروابط الاجتماعية يكونون أكثر عرضة ٣ مرات للإصابة بالأمراض والموت بسببها عن أولئك الذين يتمتعون بعلاقات اجتماعية واسعة<sup>(٣)</sup>. فقد أكدت الأبحاث أن الدعم الاجتماعي الفعّال مفيد في التعامل مع الضغط. أذ أن الأشخاص الذين يعتمدون على أصدقائهم أو أسرهم عادة ما يكونون أكثر سعادة ويسجلون مستوىً صحياً أفضل<sup>(٤)</sup>، يقول الفريد أولد الطبيب النفسي أن الفرد الذي لا يهتم بأصدقائه هو الذي يواجه أضخم صعوبات في الحياة ويلحق أكبر أذى

١- يقول البروفسور الأميركي جون ديوي: «إن أعمق دافع في طبيعة الإنسان هو الرغبة في أن يكون مهماً» ويقول ويليام جيمس إن أعمق مبدأ في طبيعة الإنسان هو اللهفة في أن يتم تقديره. كارنيجي، ديل، كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الناس، ترجمة بهاء الدين خطا بالأهلية، بيروت ٢٠٠٨، ص ٣٠.

٢- سعيد، سعاد، الذكاء الانعفالي وسيكولوجية الطاقة اللامحدودة، جدارا، عمان، ١٢ ٢٠٠٨، ص ١.

٣- بوثمان، نيكولاس، كيف تجعل الناس تحبك، جريد السعودية، ط٢، ٢٠٠٢، ص ٥، بتصرف.

٤- لوسكين، فريد، العفو خير لكم، وصفة سحرية للحصول على الصحة والسعادة، جريد، السعودية، ط١ ٢٠٠٦، ص ٤١، بتصرف.

بالآخرين»<sup>(١)</sup>. وفشله في الحياة ذريع... فالصداقة عامل حاسم في تخفيف العناء عن الإنسان، فهي توفر له من يحدثه عن نفسه وعن مشاكله فيشعر بالاهتمام والتقدير والاندماج الشديد مع الغير.

فحاجة الأنا عند الإنسان أساس لديه وتليبيتها تتجلى بالإستماع له، ومن المعلوم أن ٨٠٪ من دور الطبيب النفسي ينحصر في الاستماع إلى مريضه، فمن يرد أن يترك بصماته على من حوله لا بد أن يكون مهتماً بهم مستمعاً لهم مشجعاً إياهم على الحديث عن أنفسهم وليتذكر إن «اسم الشخص بالنسبة له هو أحلى وأهم صوت يسمعه»<sup>(٢)</sup>. وفي هذا السياق يذكر إن «شركة تليفونات نيويورك أجرت دراسة مفصلة عن المحادثات التلفونية لاكتشاف أي الكلام أكثر استخداماً، إنه ضمير المخاطب أنا أنا أنا»<sup>(٣)</sup>. وقد ذكر العالم النفسي الأميركي ويليام جيمس «إن أعمق عنصر مميز لطبيعة البشر هو التوق لاجتذاب الثناء والإعجاب»<sup>(٤)</sup>.

وفي دراسة عن الاكتئاب وجد أن العلاقة الحميمة التي يكثر فيها البوح يمكنون النفس تؤدي إلى التقليل من تأثيرات المشقة التي يعانها الفرد من احتكاكه اليومي بالأبناء ومن الأعمال المنزلية ومن المشكلات الاقتصادية»<sup>(٥)</sup>.

فالعلاقات الإنسانية المتبادلة حاجة نفسية راقية وثقافة التعارف بين الناس أمر عظيم ذو شأن، وقد أشار إليه البارئ عز وجل في كتابه الكريم ﴿يَتَأَيَّمُوا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾<sup>(٦)</sup> فالتعارف بين الشعوب والقبائل والثقافات المتعددة أمر لازم، إذ أن التواصل بين كل منهم يفتح المجال للتفاهم ومراعاة وجهات النظر وتلمس آلام بعضهم البعض واحترام مشاعرهم والاستماع المتبادل باهتمام وشفقة ورأفة، وبذلك تتجلي كثير من مشاعر الحقد والضغينة. والإنسان عامة حين يبدي اهتماماً بالآخرين يمر بخبرات شاقّة أقل وتنخفض حدة القلق والمشاعر السلبية لديه ويبذل جهداً أكثر إيجابية لمواجهة مشاكله.

وفي المقابل يعاني الأفراد الذين يفتقرون إلى الأصدقاء من مضنيات الحياة ويموتون في عمر مبكر، أثبتت دراسة واسعة «أن هؤلاء الذين يعيشون في عزلة اجتماعية معرضون للموت

١- كارنيجي، ديل، كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الناس، مرجع سابق، ص ٥٤.

٢- كارنيجي، ديل، كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الناس، مرجع سابق، ص ٧٦.

٣- المرجع نفسه ص ٥٤.

٤- كويماير، م.ر، أدب النجاح، ترجمة حليم نصر، شركة المطبوعات بيروت ط٤، ٢٠٠٥ ص ٥٦.

٥- أرجايل، مايكل، سيكولوجية السعادة، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٢، ص ٤٦.

٦- سورة الحجرات، آية ١٣.

المبكر»<sup>(١)</sup>. فهم يحصرون تفكيرهم في أنفسهم ، يجسمون متاعبهم ويضاعفون آلامهم جاعلين أنفسهم موطناً للحقد والكراهية.

ولا يخفى على أحد تأثير المشاعر السلبية وتدني مستوى الطاقة لدى الفرد الذي تتلاعب به الانفعالات الحادة التي تدفع به نحو التوتر والانفعال بحدوث الذات السلبية، ليحظى في النهاية بالاكْتئاب وأمراض لا تعد ولا تحصى. كان وليم أوسلر يقول : «إن الرجل يبدأ في الشيخوخة عندما يعجز عن اكتساب أصدقاء جدد لأن مداومة الاختلاط بالناس دليل على الاستعداد للتطور واستيعاب الأفكار الجديدة والحيوية وحب الحياة»<sup>(٢)</sup>. وإلا كان ضيق الأفق الفكرية والجمود الذهني الذي يبعث على السأم والملل فاسحاً المجال أمام مزيد من العقد والنقائص.

وأول خطوة لكسب الأصدقاء تتمثل في حسن الاستماع والتفاعل مع مشاعر المتحدث فأنت «تصبح مستمعاً بارعاً يكسبك من الأصدقاء وحب الآخرين أكثر من أن تكون متحدثاً بارعاً»<sup>(٣)</sup>.

والذكي عاطفياً هو الأقدر على ملامسة الجانب العاطفي الشعوري لدى الغير، الأقدر على تخفيف حدة المشاعر السلبية، الأقدر على نشر جوقة من المشاعر الإيجابية في نفوس من حوله... وهو الأقدر على تحقيق النجاح في حياته، يقول أودين دي ياتج «الرجل الذي يستطيع وضع نفسه في مكان الآخرين والذي يمكنه فهم كيف تعمل أذهانهم لا يحتاج أبداً أن يقلق على مستقبله وما يدخره له»<sup>(٤)</sup>.

إن التفاعل والتواصل الإيجابي بين الناس يفتح أمام الفرد آفاقاً لا حصر لها، فترتفع أسهم السعادة بتوليد البهجة وتأمين المساعدة من خلال الأنشطة المشتركة، ويدفع عنه المشقات والهموم بارتضاع تقدير الذات<sup>(٥)</sup> وتدني حجم الانفعالات السلبية وتوفير التكاتف والتعاقد لحل المشاكل.

ولعل عاطفة الحب تمثل المضخة الرئيسية في تفاعل الإنسان مع أخيه الإنسان، إذ أنه يستهلك من المخزون العاطفي ما يستهلك من الهواء الذي يستشقه والطعام الذي يتناوله، وهو

١- لوسكين ، فريد ، العفو خير لكم ، مرجع سابق ، ص ٤٢ .

٢- كارنيجي ، ديل ، كيف تكسب النجاح والثروة في حياتك ، الأهلية ، عمان ، ط٢ ٢٠٠٨ ، ص ٤٢ .

٣- بكار ، ياسر عبد الكريم ، القوة في يديك ، العبيكان ، الرياض ، ط٢ ٢٠٠٩ ، ص ١٨٨ .

٤- كارنيجي ، ديل ، كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الناس ، مرجع سابق ، ص ٤٤ .

٥- تشارلز سكواب كان يتقاضى أكثر من ٣٠٠٠ دولار أميركي يومياً لمقدرته العالية على التعامل مع الناس ، يقول : «أعظم ميزة امتلكتها هي إثارة الحماس بين الرجال ، والطريق إلى إبراز أفضل ما لدى الإنسان لا يأتي إلا بالتقدير والتشجيع . ما من شيء يقتل طموحات الإنسان مثل الانتقادات ممن هم أعلى منه ولو أحببت شيئاً فإني مبالغ في الاستحسان سخي في المدح المرجع نفسه ، ص ٣٥ .

أشد العلاقات حرارة وأكثرها وهجة وأقدر على إضفاء جو من البهجة والاستمتاع.

### الحب:

كلمة واحدة تحرر الإنسان من هموم وآلام الحياة، يستشعر بالفعل سرَّ النشوة في كونه من الأحياء، هي الحب...

كثيرون من البشر يعيشون حياة لا معنى لها، لم يفقهوا سر الحياة، لم يفقهوا معنى العمل لحب من حولهم، لخير مجتمعتهم، لوضع بصمتهم على العالم...

إن العزم على الحياة في ضوء هذا الحب يشد ويقوى، فعندما تدرك «أنك محبوب وتقبل قبول الآخرين لك، فأنت تعلم أنك على وفاق مع مغزى الحياة كلها، والقبول غير المشروط من الآخرين يعطيك المبرر والحرية والبهجة التي تحتاجها لكي تكون سليماً من الحياة النفسية»<sup>(١)</sup>. إذ لا حاجة للإنسان أكبر من أن يكون محبوباً ليحب نفسه ثم يحب الآخرين، فالبهجة بهذا الحب تتبع من القلب لتصل ذروة لا يقوى على التعبير عنها...

كونه محبوباً يمنحه صورة ذات قوية وإيجابية عن نفسه، فيقبل ذاته قبل أن يتمكن من قبول حقيقة أنه يستحق النجاح والسعادة، وهذا هو أفضل إعداد ممكن للنجاح في الحياة. فالثقة بالنفس وبمحببة الناس يجعله غير آبه بالأحداث الخارجية التي قد تهدد قدراته وإمكاناته وتحد من تكيفه مع الأوضاع المحيطة به.

يلي ذلك أن يحب الآخرين، فإذا لم يستطع الإنسان أن يحب نفسه في البداية فمن أين يستمد الحب الذي يمنحه للآخر، إن فاقد الشيء لا يعطيه، ومن اليقين أنه لن يقوى على إعطاء شيء لا يمتلكه. إذن لا بد أن يكون بحوزته ليمارسه ويتمكن منه ليصبح أقوى وأسهل في العثور عليه وإهدائه للغير، ليشبع بدوره حاجة الآخرين بإشباع أعمق حاجاتهم للقبول<sup>(٢)</sup>...

عندما نقول أنا أحبك لشخص ما فما نعنيه هو أننا أشبهك، ففي هذه العلاقة لا تنتظر على أمل أن يكون هناك أشياء نشترك فيها مع الطرف الآخر ولكننا نبدأ مباشرة في التآلف مع لغة الجسد ونبرة الصوت ومع الكلمات التي يستخدمها الشخص الذي تقابله. فنحن نعرف إن كنا نتآلف طوال حياتنا وبدون وعي منا مع ردود الفعل العاطفية الصادرة من الناس الذين يؤثرون علينا، آباءنا وأمهاتنا... لذا فمن السهل ومن الطبيعي أن نتآلف مع الناس الآخرين لكي نجعلهم

١- روبنسون، ديوك، لا تكن لطيفاً أكثر من اللازم، جرير، السعودية، ط١ ٢٠٠٢، ص ١٨.

٢- إذا حرم الإنسان من التفاعل الجسدي والعاطفي (المعانقة أو حتى الابتسامة...) فسوف يذبل ويموت وهذا يوضح إصابة الأطفال اليتامي في الملاجئ بالقصور الفكري والأمراض المختلفة والضعف العام.

يشعرون بالراحة»<sup>(١)</sup> (٢).

والحب أينما حلّ يضيء شعوراً إيجابياً وراحة نفسية عميقة، والشخص المحب لعمله هو خير من يؤدي هذا العمل. هذا ما أكدته التجارب والاختبارات النفسية، بل إن الحسّ الإنساني أقدر على تلمس هذا الشعور والتيقن منه. فالمشاعر الإيجابية التي يضيئها حب الإنسان لعمله تعزز لديه الطاقة والحماس فينجز مهامه بهمة وإنتاجية كبرى.

إن الحب أساس في إسعاد الغير فإن لم يسع الإنسان أخاه بماله فليسعه بقلبه...

---

١- بوثمان ، نيكولاس ، كيف تجعل الناس تحبك ، جرير ، السعودية ، ط٢ ، ٢٠٠٣ ، ص ١٥٩ .

٢- الآيات والأحاديث التي تحث على الحب في الله كثيرة بل وتدعو إلى إشهار هذا الحب أمام الشخص المحبوب لمزيد من الراحة والألفة . حتى أن الله سبحانه وتعالى أهدى حبه للمتحابين والمتواصلين فيه ، في الحديث القدسي : حقت محبتي للمتحابين في حقت محبتي للمتواصلين في...» (حديث في الجامع الصغير رواه الترمذي) .

## الفصل الثاني فن مساعدة الغير

«سعادتي أن أمنح السعادة للآخرين» هذا الشعار كان موضع دراسة من قبل «المعهد الوطني للصحة» في واشنطن خلال أيار ٢٠٠٧... تشير الدراسة التي أجراها العالمان في علم الأعصاب جورج ملو وجوردان غرافمان أن التجارب التي قاما بها أظهرت أن الإنسان ليس أنانياً بطبعه بل يشعر بالسعادة عندما يقوم بمساعدة الآخرين. والإيتار أي تفضيل الغير عن النفس ليس مسألة اجتماعية أو أخلاقية بحتة بل نابعة من قيم الإنسان نفسه<sup>(١)</sup>...

يذكر أن «نفرأ من الباحثين الجامعيين المتخصصين في دراسة الدماغ البشري اكتشفوا أن خدمة الآخرين جزء لا ينفصم من بصمتنا الجينية شأن حب الذات»<sup>(٢)</sup>، وترى أستاذة علم النفس السياسي في جامعة كاليفورنيا، إيرفين كريستين مونرو «أن الناس بطبعهم يتصرفون بغيرية أي بروح الإيتار وحب الخير للآخرين»<sup>(٣)</sup>...

والإيتار يمنح السعادة لصاحبه، بأن يجعله أقل تركيزاً على نفسه وأكثر حباً للآخرين وهو حين يسلط الأضواء عليهم يرتد عليه وهج مضيء بطريقة أفضل مما لو حاول أن يسلط عليه الضوء مباشرة.

أوصى الطبيب النفسي د. أدلر بعض مرضاه قائلاً «يمكنكم الشفاء في أسبوعين فقط: شرط أن تفكروا خلال هذه المدة على الدوام كيف يمكنكم إسعاد شخص ما»<sup>(٤)</sup>.

إن سعي الإنسان لأن يكون الأول هو إحدى إشارات الحزن وليس السعادة، فهو إن ركز على احتياجاته بصورة كلية انطوى على نفسه وبات محبطاً، بل تعرض للآفات القلبية، وقد أكد ذلك الطبيب كتلر حين أشار إلى أن الذين يستحوذ عليهم مرضهم على مصالحتهم الذاتية هم أكثر الناس قابلية للإصابة بآفات قلبية، وإن صلحت نوازعهم السلوكية الأخرى<sup>(٥)</sup>.

وفي الأحاديث النبوية الكريمة حض على مساعدة الغير وبيان بعظمة هذا العمل، «أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس وأحب الأعمال إلى الله تعالى سرور تدخله على مسلم تكشف عنه كربة أو تقضي عنه ديناً أو تطرد عنه جوعاً ولئن أمشي مع أخٍ إلي أحب من أن أعتكف في هذا

١- طالب ، هشام ، السيادة على النفس والجسد ، مرجع سابق ، ص ٢٥٧ ، بتصرف ص ٥٦ .

٢- مورش ، غاري ونلسن ، دين ، فن خدمة الآخرين ، العبيكان ، السعودية ، ط١ ٢٠٠٨ ص ١٦ .

٣- المرجع نفسه ص ١٦ .

٤- كويماير ، م.ر ، أدب النجاح ، مرجع سابق .

٥- المرجع نفسه ص ١٧ .

المسجد شهراً»<sup>(١)</sup>. فقال رتبة حب الله تعالى له من يعمل على مساعدة الآخرين، وجعلت أولى الأعمال عند الله عز وجل وأحبها إسعاد الغير، بل وإن السعي في حاجتهم أولى من الاعتكاف في المسجد شهراً.

وفي حديث آخر دلالة على أن مساعدة الآخرين شرط أساسي في بقاء النعم وحفظها، «إن لله عند أقوام نعماً يقرها عندهم ما كانوا في حوائج المسلمين ما لم يملوهم فإذا ملوهم نقلها إلى غيرهم»<sup>(٢)</sup>.

والله قد غفر لمن سقى كلباً عطشاً، فما بال من سقى إنساناً أو يسر له أمراً أو فرّج له همّاً؟ إن أكبر جائزة ينالها مكافأة الله عز وجل له بالمثل وهل أجمل من كسب معيته عز وجل؟ «من نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ... والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»<sup>(٣) (٤)</sup>.

### ١ - خطوات مساعدة الغير:

تتجلى الخطوة الأولى بادئ ذي بدء في مساعدة النفس، فيحذف الإنسان أية برمجة سلبية لعقله وينعزل عن المشاعر والأفكار والتجارب التي ترديه مشلول الاحساس. فيُبرمجها في مرآة خلفية لتغدو دروساً قيّمة ينال منها في نجاحاته. ليجمع الفرد الساعات التي يقضيها في التركيز على الأمور التافهة، يضربها بمائة. إن كل ساعة يتلقى فيها معلومات تافهة سلبية تتطلب على الأقل ١٠٠ ساعة من البرمجة الإيجابية حتى تلغي الأثر السلبي السابق، فهل لديه الوقت الكافي من الساعات ليحضر الندوات التحفيزية أو يقرأ كتب تنمية الذات أو يستمع إلى المواد التحفيزية؟<sup>(٥)</sup>.

١- رواه الأصبهاني في الترغيب والترهيب، متفق عليه.

٢- رواه الطبراني في المعجم الأوسط باب الميم، رقم الحديث ٨٥٧٢.

٣- رواه مسلم في مسند الإمام أحمد بن حنبل ١٠٢٧٦/١٠١١٨.

٤- يقول تعالى: «من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون» (سورة النحل آية ٩٧). الحياة الطيبة فسرها ابن كثير السعادة، فالعمل الصالح ومساعدة الغير جزاؤه السعادة في الدنيا والآخرة فضلاً عن عظيم الأجر. فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟

وفي الحديث «ألا أنبئكم بما يشرف الله به النبيان ويرفع الدرجات؟ قالوا نعم يا رسول الله، قال تحلم عن جهل عليك وتعفو عن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك» (رواه الطبراني).

«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» (متفق عليه) فالمؤمن لا يستقل في حياته إلا بمساعدة أخيه ومؤازرته. «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» (متفق عليه).

«وإذا أراد الله بعبد خيراً استعمله في قضاء حوائج الناس» فخير الناس من يساعد الناس. «الله يحب إغاثة اللهفان» (أخرجه الدارقطني في المستجد ح ٣ ص ٢٦١). وفي الحديث القدسي «إن هذا دين ارتضيته لنفسي ولن يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق فأكرموه بهما ما استطعتما» (أخرجه الدارقطني في المستجد - الغزالي، أبي حامد، إحياء علوم الدين ح ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة جديدة، ص ٢٥٨).

٥- كلايوف، وين، كن لطيفاً وإلا، مكتبة جريير، السعودية، ط ١، ٢٠٠٥، ص ٤٢ - ٤٤، بتصرف.

بعد الحذف ينبغي السير وفق هيكلية جديدة ليتخير ما يسعده، فحياته اليوم هي نتاج خيارات الأمس يلي ذلك التعرف على طبيعة شعوره وترجمته بصدق الانسجام بينه وبين القول والفعل ويفهم شعور الغير على نحو أفضل.

• الخطوة التالية تكمن في رؤية حاجة الغير والتعرف إلى الفرص المتاحة للمساعدة، والوعي بها يستلزم عدم التركيز على الذات وتحويل الاهتمام عن النفس ليصبح أقل وعياً لها «عندما تكون نافذة فإننا نرى من خلالها جمال الآخرين وفرصتهم وحاجاتهم، وعندما تكون الحياة مرآة فإننا لا نرى فيها سوى أنفسنا»<sup>(١)</sup>. وتعدو الحياة في ميزان المرء حسابات ربح أو خسارة، وتعدو المقولة التقليدية حقيقة واقعية: «من ينشغل في ذاته يغد كياناً صغيراً جداً».

• الاهتمام بالغير يأتي تلقائياً بعد هذه الخطوات، وذلك حين يكتسب المرء القدرة على التعرف على مشاعر الذين من حوله إلى الحد الذي يجعله يشعر كما يشعرون. يقول أرشيبا لدروتلج العالم النفسي «واحد من أكثر أفراح الحياة معقولة وموثوقية ووفرة يأتي من إحساسك بالسعادة لحس طالع الآخرين»<sup>(٢)</sup>.

إن الاهتمام بالغير يجعل الفرد أقل وعياً لذاته، أكثر وعياً للغير، أقل اهتماماً باستحسان الرفاق، أكثر اهتماماً بتفرده الذاتي وثقته بنفسه، يرى نفسه بدقة أكبر طالما يقلل من تفكيره بنفسه ويمسي أكثر ميلاً للمساعدة والمشاركة المتبادلة مع الآخرين وأكثر وعياً لطبيعتهم. يقال في عالم إدارة الموارد البشرية: «لكي يحصل أي فرد في طاقم السفينة على المديح فلن يكفي أن يجدف بقوة وإنما يجب أن ينسجم تجديفه مع بقية الطاقم»<sup>(٣)</sup>.

إن الاهتمام بالغير يوسع أفق العيش عند الإنسان فينشغل عن نفسه ويبتعد عن ذاته لينسى جراحه وغمّه وحزنه ويكسب اثنين: إسعاد النفس وإسعاد الغير، فضيق الأفق يتلاءم والاهتمام بالنفس ونسيان العالم وما فيه، وقد ذمّ الله عز وجل هذه الصفة ذكراً «أهمتهم أنفسهم» فكأن هؤلاء يرون الكون في أنفسهم فلا يعيشون لغيرهم ولا يهتمون لسواهم.

### تقديم المساعدة:

شعوران يحضران الإنسان: المتعة والألم، فهو يقوم بالأمر حباً بالمتعة أو اجتناباً للألم.

١- آير، ريتشارد، كيف تعلمون أطفالكم مراعاة الآخرين، دار علماء الدين، سوريا، ط١ ٢٠٠٢ ص ٢٥.

٢- كريفين، جاك، كيف تتحدث من القلب، العبيكان، السعودية، ط٢ ٢٠٠٦، ص ٨٠.

٣- طالب، هشام، السيادة على النفس والجسد، مرجع سابق، ص ١٢٢.

ماذا يعني ذلك؟ إذا ما اعتقد أن مساعدة الغير ترتبط بالألم، لأنها مدعاة للضعف أو الخضوع للغير، لسوف يرفض أية فكرة للمساعدة، فلا بد للمضي في هذا الركب من ربط المتعة بالمساعدة، ومن الإيمان بأنها تساعد على تحقيق مبتغاه، وأن المضي فيها يترك عظيم الأثر لديه، ولكن أتى لهذه الخصلة أن تصبح سجيّة عنده؟ هولن يتمكن من إنقاذ العالم، فليس عليه مساعدة العالم أجمع، ليبدأ مع من حوله، يلقي السلام، يهدي الابتسامات<sup>(١)</sup>، يتودد، يقوم ببعض أعمال المعروف... ثم ليتفحص أثر هذه السلوكيات في قلبه، إنه ولا شك سيجد حلاوتها ويلقى احترام نفسه وحبها وإكرامها بقدر حبه للآخرين وإكرامهم.

إن المثل الصيني يقول: إن أريج الزهور يلتصق دائماً باليد التي تقدمها<sup>(٢)</sup>. يقول عالم النفس البرت شفيتر «الناس الوحيدون الذين يعرفون السعادة هم الذين يسعون إلى مساعدة الآخرين وينجحون في ذلك»<sup>(٣)</sup>. فطلب المساعدة يعزز طاقة المساعدة، إنه إطرأ ومظهر من مظاهر الثقة. إنه فرصة لتأمين إحساس مريح بذات المرء، إن عالم الأعمال يعمل وفقاً لمعتقد مشترك إن ما تقوم به يعود عليك في النهاية<sup>(٤)</sup>. ومن يعتل سلم النجاح يدرك أن من يساعد الآخرين على تحقيق النجاح يحقق أعظم نجاح، إذ من المحال أن يؤثر فيهم إيجابياً ويمنحهم وثبة دون أن تجني نفسه من ذلك الخير الكثير. بل ليوثق أنه يستطيع تحقيق الفلاح في كل حياته ما دام قائماً على مساعدة الآخرين في الوصول إلى مرتجاهم.

يقول أرسطو «إن الرجل المثالي يجد متعة في تقديم المعروف وخدمة الآخرين، ولكنه يخجل أن يتلقى عوناً من أحد ويرى من النبل والرفعة أن يصنع المعروف للناس لوجه الله، ومن مظاهر النقص والخسة أن ينتظر منهم المعروف».

فالإنسان حين يقدم على الخير تجاه الآخرين ليضع نصب عينيه عدم تلقي مقابل، فهو عاجلاً أم آجلاً سوف يحصل على جزاء أوفر من عطائه، فشعور المرء عند العطاء ينشي الفؤاد شاكراً الله عز وجل على منحه يداً علياً تقوى على المساعدة، وتخفيف آلام الغير.

ومن متع الحياة أن يحظى الإنسان بقبول لدى الآخرين، أن يشعر بمكانته عندهم، أن تصبح

---

١- في الحديث النبوي الكريم «خيرهم من بدأ بالسلام» (رواه البخاري). في كتابه الكريم يقول الله عز وجل: «وإذا حييتم فحيوا بأحسن منها أو ردوها» (سورة النساء آية ٨٦). «لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق».

«أمرنا بعبادة المريض واتباع الجنائز وتشميت العاطس وإبراء المقسم ونصرة المظلوم وإجابة الداعي وإفشاء السلام» (متفق عليه).

٢- يقول فولتير «من تسبب في سعادة إنسان تحققت سعادته» ويقول ايمرسون «السعادة عطر لا تستطيع أن تعطر به غيرك دون أن تنهال منه قطرات عليك».

٣- آير، ريتشارد وليندا، كيف تعلمون أطفالكم مراعاة الآخرين، مرجع سابق، ص ١٨١.

٤- كريفين، جاك كيف تتحدث من القلب، العبيكان، ط ٢٠٠٦، بتصرف.

حياتهم أجمل بلقائه ومعاشيته، إن أي نجاح لا يلقي بظلاله الوفيرة على الناس من حوله هو نجاح أبتّر، فالشمعة لا تخسر شيئاً إذا أضاءت شمعة أخرى، وكذلك الإنسان يعبر حياته يومياً أناس كثيرون، فالأولى به عدم تركهم يمرون دون وضع بصمته ودون إشعارهم أن الحياة رائعة، «قد لا يتذكر الناس ما فعلت أو ما قلت ولكنهم دائماً سيتذكرون كيف جعلتهم يشعرون»<sup>(١)</sup>.

وحين يفكر الإنسان فيما مضى من حياته يجد أن أمتع اللحظات وأدومها تلك التي قدّم فيها للآخرين.

إن أكثر الأمراض النفسية بل والجسدية تعود عللها إلى الإحساس بالفراغ وتفاهة الحياة، ولو اعتنى الإنسان بالتفكير في مساعدة الغير لبرئ من مرضه، وقد أكدت الأبحاث «أن المساعدة المناسبة التي يمكن أن نتلقاها من أصدقائنا وأسرتنا يمكن أن تعمل على حمايتنا من المرض، كما يمكن أن تساعدنا في التغلب على الضغوط التي نواجهها»<sup>(٢)</sup>.

فلا داعي لأن يكون الإنسان غنياً ليساعد، ففي وسعه العمل الكثير، يكفي إشعار الغير بقيمته ورسالته في الحياة وتبيان قدرته على تحقيقها، فكم من امرئ حقق التوقع الذي رسمه له إنسان آخر، فأهم خدمة يمكن تقديمها للغير هي مساعدته على مساعدة نفسه، فأن تساعد على القيام من كبوته أمر جيد ولكن الأفضل منه مساعدته على أن ينهض بنفسه... ومن الأمور التي يجب عدم إغفالها أن الإنسان يحب من يساعد ولكن ليس بالضرورة أن يحب من يساعده، ينجم عن ذلك أن من يساعد يمتلئ حباً وأكبر مثال على ذلك حب الوالدة لولدها.

## ٢- سمات المساعد لغيره:

سمات أساسية يجدر بالشخص المساعد الإتصاف بها ليقوى على المتابعة في طريق الخير والدعم:

١- الإخلاص: أي إخلاص النية لله عز وجل في عمله فلا ينتظر المكافأة من الإنسان وإنما يبغي في ذلك رضا الله عز وجل، ولا يرى في عطائه يده التي تمتد وإنما نعمة الله في تسخيره لمساعدة غيره.

٢- الصبر: بكل ما يحمله من معانٍ، فمن ارتضى التشارك في الحياة واجب عليه أن يرتضى الصبر في رحلته، والصبر أنواع معدودة إلا أن الصبر على أذى البشر من أثنى أنواعه وأجودها.

١- بكار، ياسر عبد الكريم، القوة في يديك كيف تنمي ذكاءك العاطفي، مرجع سابق، ص ١١١.

٢- لوسكين، فريد، العفو خير لكم، مرجع سابق، ص ٤٢.

٣- الضحك : بدلاً من التوتر الذي يؤدي إلى التهلكة بإمكان الفرد استخدام الضحك وسيلة للعلاج، فبالضحك يفرز الجسد «دواءً طبيعياً يسمى الأندروفين... مسكنات طبيعية في الجسم»<sup>(١)</sup>، تساعد على الاسترخاء وتخفف من وطأة الموقف.

٤- الحب : إن الاستعانة بقاموس الحب في التعامل مع البشر يدلُّ كثيراً من المواجهات والصعاب، فلفظ أحبك يحمل دلالات سحرية<sup>(٢)</sup> تنقل المرء إلى عالم آخر، وهو أقرب وسيلة للتأثير في البشر.

٥- التسامح : إن مساعدة الغير تستلزم في كثير من الأحيان التجاوز عن هفواته والتغاضي عن بعض صفاته حتى يغدو مقبولاً مشوّقاً للتعامل معه.

٦- التواصل : «غلاف الشخصية يزيد من جاذبية الأشخاص الجذابين، لا يمكن أن يكون مظهرًا زائغاً فهو طبع أصيل ويمكن اكتسابه»<sup>(٣)</sup>، ومن يفتقده يفقد الثقة، فتبدو خطوط الكبر والغرور ترتسم على وجهه قالباً وقولياً، وينصرف عنه الأحبة والرفاق ويحيا منفرداً يجر وراءه ثوب الخيلاء والخبية<sup>(٤)</sup>...

### ٣- العطاء وجه آخر للسعادة :

هو الوجه الآخر للمساعدة، به تتكامل صورة التكافل الاجتماعي بكافة أبعاده، والكلام هنا يتجلى في أعلى مستويات العطاء: الإيثار، «ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيمماً وأسيراً إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً»<sup>(٥)</sup>. قمة في العطاء، لوحة اجتماعية تصور عطاء الإنسان لأخيه رغم حاجته الشديدة للطعام دون أي مقابل، إنما فقط ابتغاء مرضاة رب العالمين. فأبي عطاء هذا وأية رحمة هذه؟ «هي الرحمة الفائضة من القلوب الرقيقة الرفيعة... قد تتغير بحسب البيئات... إلا أن الذي يجب الإحتفاظ به هو حساسية القلوب وحيوية العاطفة والرغبة في الخير ابتغاء وجه الله»<sup>(٦)</sup>، بعيداً عن أية منفعة أرضية.

إن هذه الرحمة هي التي تكسب الإنسان السعادة، في الآية الكريمة «سيجنبها الأنقى الذي

١- كلايوف، وين، كن لطيفاً وإلا، مكتبة جرير، السعودية، ط١ ٢٠٠٥، ص ١٦.

٢- يشار هنا إلى ضرورة إشباع الأهل ولولدهم حباً صغيراً كان أم كبيراً للاكتفاء العاطفي وإلا بحث عن هذا الاكتفاء خارج البيت، وفي هذا خطر كبير.

٣- كلايوف، وين، كن لطيفاً وإلا، مرجع سابق ص ١٧.

٤- حتى الجنة تأتي أن يطأ أرضها المتكبرون «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر».

٥- سورة الإنسان الآية (٨-٩).

٦- قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ط٢٤، ص ٣٧٨١ - ٣٧٨٢.

يؤتي ماله يتزكى وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى...»<sup>(١)</sup> هو الأسعد في مقابل الأشقى، فمن هو الأتقى؟ الذي ينفق ماله ليتطهر بإنفاقه، ينفقه طوعاً لا رداً لجميل أحد ولا طلباً لشكران أحد وإنما ابتغاء وجه ربه خالصاً، ربه الأعلى<sup>(٢)</sup>.

ثم ماذا ينتظر هذا الأتقى؟ إن الجزاء كريم ومفاجئ «ولسوف يرضى» إنه الرضا يفيض عليه يغمر روحه يملأ قلبه، يرضى بربه، يرضى بقضائه فلا ينصب ولا يقلق ولا يمل بل يرضى ويسعد<sup>(٣)</sup>...

يقول فريق من الباحثين في جامعة بريتيش كولومبيا إن إنفاق أي مبلغ على الآخرين ولو كان ٥ دولارات فقط يبعث السعادة في النفس. وفي دراسات على ٦٣٠ شخص طلب منهم أن يقدروا مبلغ سعادتهم ودخلهم السنوي، تقول البروفسورة أليزابيث دان التي ترأست الفريق: بغض النظر عن حجم الدخل الذي يحصل عليه الفرد فإن أولئك الذين أنفقوا أموالاً على آخرين كانوا أكثر سعادة من أولئك الذين أنفقوا أكثر على أنفسهم<sup>(٤)</sup>.

#### ٤- العفو وجه من أوجه المساعدة:

«إن إلحاق الضرر بخصمك يجعلك أقل منه، والانتقام منه يجعلك منشغلاً به لكن العفو عنه يجعلك أفضل منه»<sup>(٥)</sup>، فإن من لا يعفو عن غيره ينسف الجسر الذي يمر عليه، فكل امرئ خطأ ويحتاج إلى من يعفو عنه.

إن من لا يقوى على العفو والغفران يدفع الثمن غالباً من راحته وسعادته لأنه منع الحياة أن تمر من خلاله بسلام، فأى ألم يشعر به الإنسان لا يقدر بحجمه وإنما بتقدير الإنسان له، إذن هو يمتلك القدرة على تحجيمه والتغلب عليه، فكل شيء مؤلم هو تحدٍ للسعادة ولن تعوق الجراح سعادة أحد سوى الذين لا يعلمون كيفية التكيف والعفو.

#### فما هو العفو؟

هو شعور بالطمأنينة يحصل عندما يتعامل المرء مع ألمه بدرجة أقل شخصية، ويصبح في

١- سورة الليل، آية ١٧.

٢- قطب، سيد، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ص ٣٩٢٣، بتصرف.

٣- «الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منأ ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون» (سورة البقرة ٢٦٢). وفي الصدقة علاج للمرض مصداقاً للحديث «داووا مرضاكم بالصدقة». وفي الحديث «ما نقص مال من صدقة» فالصدقة تبعث في النفس بهجة وسعادة تحفره على تفكير أفضل ليحصل على مال أكثر.

٤- عن الانترنت، شاهين، أحمد، مقال رحلة البحث عن أسرار السعادة الحقيقية، ١٠-٧-٢٠١٠.

٥- لوسكين، فريد، العفو خير لكم، مرجع سابق، ص ١٧٩.

القصة التي يرويها بطلاً بدلاً من كونه الضحية، فالعفو لا يغير الماضي ولكنه يغير الحاضر، وهو يعني أن يختار الإنسان أن يتألم ويعاني بدرجة أقل حتى لو كان مجروحاً، فالعفو ملك له وليس لأحد آخر<sup>(١)</sup>.

وقد سجلت الأبحاث الحديثة نتائج رائعة عن قدرة العلاج الرائعة التي يتمتع بها العفو. فأشارت إلى أنه «يقلل من درجة الإكتئاب ويزيد من التفاؤل ويقلل الغضب ويقوي علاقة العبد بربه كما ينمي الثقة الوجدانية بالنفس ويساعد على تحسين العلاقات»<sup>(٢)</sup>.

### كيف يحدث ذلك ؟

حين يمر الإنسان بأمر عصيب يفكر فيه كثيراً وبالتالي فإنه يأخذ خيراً كبيراً من عقله لحلّه. وهكذا فالاهتمام به يجعله عادة يصعب التخلص منها، والانشغال به يجعله يسيطر عليه، وحين يقع اللوم على الغير فإن الإنسان بذلك يمنحه قوة التحكم في عواطفه، إلا أن العفو يأتي ليمنحه من استرداد هذه القوة.

إن أعظم فائدة للعفو هي تأكيد الإنسان على أنه ليس ضحية للماضي فهو أكثر قوة، كما أنه يساهم في مساعدة الآخرين في كونه نموذجاً يحتذى في التصدي للجراح.

إن العفو هو مصدر القوة والمشاعر الإيجابية عند الفرد، فالحياة جميلة، ومن الغباء أن يضيقها الإنسان في التفكير بالألام والجراح القديمة. فمن يعجز عن العفو ويحفظ شعوره بالاستياء يكون «كمن يشرب سمّاً ويتنظر من عدوه أن يموت»<sup>(٣) (٤)</sup>.

والتاريخ الإسلامي مليء بصفحات شتى من الصفح والعفو من أبرزها عفو النبي الكريم لما دخل فاتحاً إلى مكة عن المشركين بعد أن ذاق منهم ألواناً لا توصف من العذاب، إلا أنه أطلق كلمة دوت في التاريخ «أذهبوا فأنتم الطلقاء»، قوة عجيبة فبعد أن تمكن من أعدائه وسهل عليه الانتقام ورد الاعتبار، كان القرار بالعفو والذهاب لتذهب معهم كل الذكريات المؤلمة التي افتعوها على مدى عشرين عاماً...

إن القرار بالعفو يحيل المجتمع إلى مجتمع متماسك نابض بالحب، فالعفو حين يقره الإنسان يمحو صفحات مضت من الأسى والحقد والكرهية، ويخط صفحات من الود والألفة، في الآية

١- المرجع نفسه، ص ٦٨، بتصرف.

٢- المرجع نفسه، ص (المقدمة ط).

٣- بكار، ياسر عبد الكريم، القوة في يديك، مرجع سابق، ص ١٥٢.

٤- قول الصحابي لا أبيت وفي قلبي غل على مسلم.

الكريمة: «ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليّ حميم»<sup>(١)</sup> علاج فعّال به  
يمسي العدو صديقاً حميماً وتمسي العلاقات عامرة بين البشر...

إن مساعدة الغير تضي سحراً براقاً على المجتمع الإنساني «تقلب مسار حياتنا رأساً على  
عقب، إن أداءك واجباتك والانخراط المتكرر في سلوك إيجابي قد يفضي في آخر المطاف إلى  
تغير داخلي...»<sup>(٢)</sup> فالرافد الحقيقي للقوة في هذه الحياة لتغيير العالم يكون متاحاً حين يسعى  
الإنسان لمساعدة أخيه الإنسان.

---

١- فصلت: ٣٤.

2- His Holiness the Dalai Lama @ Horward Cutler, the Art of happiness, Riverhead, New York , 1998,  
P. 246 .

رياض مصطفى عثمان<sup>(١)</sup>

## صناعة المصطلح العلمي بين التورث والتحديث إحياء اللغة أم اضطراب المفاهيم

نقاط البحث:

إشكالية البحث

أولاً: عودة إلى جذور القضية

ثانياً: المصطلح والمفهوم: تمثلت في محورين: الأول في المفاهيم النحوية والثاني

في غيرها من مفاهيم المصطلحات

أ - نموذج من اختلاط مفاهيم المصطلحات في النحو

ب - وحدة المفهوم وتغير التسمية: مفهوم مصطلح الحرف - مفهوم المسند والمسند إليه -

مفهوم مصطلح تأكيد الفعل

إشكالية نقل مفاهيم المصطلحات النحوية

ثالثاً: المصطلح والمفهوم في المصطلحات العلمية (مصطلحات الانترنت ،

مصطلحات وهب أعضاء الإنسان)

عودة عكسية: الاطلاع على المصطلحات العربية وتغريبها (كتاب العلوم والهندسة في الحضارة

الإسلامية نموذجاً)

---

١- باحث في علم المصطلح النحوي والبلاغي في جامعة ليون الثانية - فرنسا والجامعة اللبنانية. مُحاضر في قسم الترجمة والتعريب - جامعة الجنان.

## رابعاً المصطلح العلمي والتنمية اللغوية

في الجانب التطبيقي: قرأنا المصطلح المعجز وآفاق البحث العلمي (ابتكار المصطلح العربي من القرآن الكريم) ( كتاب إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام لكريم الأغر)

خلاصة البحث

توصيات

مراجع البحث

### إشكالية البحث

هل تتجسد مشاكل الأمة المعاصرة في لغة أبنائها؟ حتى نرى مؤتمرا هنا تحت عنوان اللغة العربية أمام تحديات العولمة<sup>(١)</sup>، ومؤتمرا آخر اللغة العربية إلى أين<sup>(٢)</sup>؟ أوليست الإشكالية كامنة في الرافد الحضاري والصناعي الذي يدهمنا في كل يوم؟ أوليست هذه سياسة المغلوب في تقليد الغالب؟ يقول ابن خلدون في مقدمته: «المغلوب مولع أبدا بالافتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده»<sup>(٣)</sup>. إذا كان المطلوب انتفاضة علمية، لذا علينا ألا نصنف أمتنا في ثلة الغالب أو المغلوب.

وإذا أردنا أن نوجه السؤال إلى اللغة هذا يعني أن نوجهه إلى الأمة العربية. لنجد أن اللغة تساوي الأمة، فهي مرآة نشاطها ودليل وجودها، وهي مرآة أحوالها. فازدهار مصطلحات اللغة العربية في عصر الازدهار العربي، ما اقتصر على العرب وحدهم، فالذين اشتغلوا في مصطلحات النحو ليسوا كلهم من العرب، وإلا لما سمعنا بسيبويه ونفطويه وابن خالويه والزمخشري والخوارزمي، والفراسي، والأندلسي وفي غير مجال هناك البيروني وجابر بن حيان وغيره وغيره...، فيتوجه هذا البحث، بعيدا عن الاتكالية، وجهة متفائلة.

تبرز آنئذ إشكالية تفاعل اللغات لتنشأ عنها إشكالية أكبر هي إشكالية نقل المفاهيم الاصطلاحية؟ لأن ذلك مرتبط بالأفهام والثقافات المختلفة عند الأفراد، وهذا سر تباين الآراء، وتعدد الترجمات للنصوص والألفاظ، فضلا عن اقتراض ألفاظ ومفردات بين اللغات بشكل عام. فلا ضير إذا وجدنا مئات الكلمات العربية في الفرنسية مثلا، ولا تضر الألفاظ الفرنسية

١- كلية الدعوة الإسلامية بيروت في العام ٢٠٠٢ والعام ٢٠٠٣

٢- في جامعة سيدة اللويزة بعنوان اللغة العربية إلى أين؟ وفي اليوم الأول والثاني والثالث من شهر تشرين الثاني من العام ٢٠٠٢ أقيم في الرباط المملكة المغربية مؤتمر يحمل العنوان نفسه بالتعاون مع البنك الإسلامي للتنمية، طبع المؤتمر في كتاب في سنة ٢٠٠٥

٣- ابن خلدون: المقدمة، دار الأرقم بن أبي الأرقم، تحقيق أحمد الزعبي، بيروت تاريخ مقدمة المحقق ٢٠٠١ ص ١٧٦

إذا دخلت بالعربية ، في عملية اقتراض وتقارض . وهل يعيق العملية العلمية اختلاف المفاهيم واضطراب المصطلحات ؟ بدءاً من المصطلحات النحوية التي تشكل إشكاليةً مفهوميةً قائمة في مجال الفهم والتعليم ، ومثلها غيرها من المصطلحات العلمية ؛ لأن في ذلك دلالةً على حيوية اللغات وعلى أنها كائن حي يتفاعل ، فيؤثر ويتأثر ، إلا أن ما يجب أن نراعيه مسألة حفظ الكيان ، فكيف يتم ذلك ؟ ثم كيف تتضافر الجهود البحثية ضمن خطة عامة ، وهدف واحد ، داخل البلاد التي ننمي إليها ونتمي إليها؟ أهي العودة إلى الأصول، بجسر العبور إلى المعاصرة؟

### أولاً : عودة إلى جذور القضية

عندما كانت مكة المكرمة (أم القرى) قبل مجيء الإسلام ، مركز التجارة العالمية تحت رعاية قريشية . بحيث كانت تستقبل وفود التجار المحملين ببضائعهم ومنتجاتهم مع تسمياتهما ومسمياتها كانت تستقطب وفود التجار من كل الأقطار ، يحملون ثقافتهم ولغاتهم معهم ، كانت لغة العرب مجتمعا لاستيعاب لغات عالمية متعددة . فالتاجر الفارسي كان يحمل معه الديباج والحريير والاستبرق، والهندي حمل معه الزنجبيل و السلسبيل والتوابل ، والسرياني من بلاد الشام حمل ألفاظا وألفاظا كالطور وغيرها ، وكذلك اليمني الذي حمل مسميات مثل الكنيسة والناقوس .

فضلا عن أن لغات العرب وتعدد لهجاتهم كالحميرية والمضرية ولغة تميم وقيس وطيء وغيرها ، كانت عاميات شائعة رغم كل الفصاحة و السليقة التي يحملها العرب في جاهليتهم ، وأبرزها لغة قريش التي قويت بقوة التجارة والاقتصاد ، وقوة نفوذها أولا ، ثم بعد ذلك تأييد القرآن الكريم لها .

حفظ التجار القرشيون، لضرورة التبادل التجاري والتفاهم فيما بين الشعوب المتلاقية ، أسماء السلع المتجر بها ، بحيث صارت جزءا من حياتهم اليومية ولغاتهم الشائعة المتداولة ، فرغم كل ذلك ، حافظت لغتهم على تسميتها اللغة العربية أو لغة قريش ولهجتهم .

وبعد نزول القرآن الكريم بلغة قريش ، أبقى على مفردات كثيرة اقتضتها تجارتهم فزخرت بها لغتهم ، ولم يؤثر ذلك على العربية . ثم بعد انتشار الدعوة تقاطرت الأمم بلغاتها إلى الدين الحنيف ، بكل حضارات أبنائها وثقافتاتهم ، إلى أن أصبح أكثرهم أبواب اللغة والعلم بفضل الترجمات وتناقل المعارف وتلاقحها؛ فزكا العلم ، وشعّت الحضارة .

ثم حَفِظَ القرآن اللغة ، فجعل منها قبلة الداخلين في الدين ، وكان من ثمار ذلك نشوء العصر الذهبي للعلم وابتكار المصطلحات ، وارتقى العلم أوجّه ؛ وذلك راجع برأي ابن خلدون إلى: «أن

العلوم إنما تكثر حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة»<sup>(١)</sup>.

جدير ذكره أن التداخل اللغوي في ذلك العصر الذهبي من اللغة الفارسية إلى العربية ما انتقص من قيمة اللغة بل زاد في حيويتها . فنجد من اللغويين من تبني الدخيل ومنهم تصدى له . نشأت طائفة من المؤلفات والكتب ليس فقط للتصدي للدخيل ، لكن للعاميات كذلك التي كانوا يشكون منها ، ثم استمرت اللغة بفضل جهودهم من جهة ، وبفضل الخصائص الداخلية للغة ، التي جعلها تدافع عن نفسها بنفسها ، أعني خصائصها التركيبية والنغمية والوزنية ، وفصاحة اللفظ .

إلا أنه يجب أن نبحت في آفاق المنهج الذي اعتمده السابقون في الذود عن لغتهم فنفيد منه ، ونعمد إلى إيجاد منهج مقارن يتلاءم وثقافتنا المعاصرة ، وبخاصة في علم المصطلح بتعزيز منهج التقابلات اللغوية المقارنة، والتدقيق بالمفاهيم من اللغة المنقول منها وإليها . أقصد بالتقابلات رصد عملية الترجمة والنقل للمفردات والمصطلحات من وإلى العربية بالاهتمام بالأصول ودراسة تشكّل المصطلح بسوابقه ولواحقه (préfixes , suffixes) ، وبالتالي نقل المتصورات والمفاهيم بطريقة حرفية ، أو بطريقة معنوية .

نعثر في التراث على مؤلفات في هذا الصدد ، وفيها دخول ألفاظ غير عربية إليها كان من لحن العوام ، ولهجاتهم ، وثقافتهم . من هذه الكتب حسب ما أوردها قصي الحسين ، محقق كتاب<sup>(٢)</sup> : «معجم الألفاظ والتركيب المولدة في شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل» لقاضي القضاة شهاب الدين أحمد الخفاجي المصري ( م ٩٧٧ خ - ت ١٠٦٩ هـ ) ، بحسب تسلسلها التاريخي :

ما تلحن فيه العوام : لأبي حسن علي بن حمزة الكسائي ت ١٨٠ هـ

إصلاح المنطق : لأبي يوسف يعقوب بن اسحاق المعروف بابن السكيت

لحن العوام : لأبي بكر محمد بن حسن بن مذحج ( ت ٣٧٩ هـ )

تثقيف اللسان وتلقيح الجنان : لعلي بن جعفر المعروف بابن مكّي الصقلي ( ت ٥١٥ هـ )

درة الغواص في أوهام الخواص : لأبي محمد القاسم بن علي الحريري ، ( ت ٥١٦ هـ )

المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم : لأبي منصور موهوب بن أبي طاهر أحمد

١- ابن خلدون : المقدمة ، دار الأرقم بن أبي الأرقم ، تحقيق أحمد الزعبي ، بيروت تاريخ مقدمة المحقق ٢٠٠١ ص ٤٧٣  
٢- شهاب الدين أحمد الخفاجي المصري : معجم الألفاظ والتركيب المولدة في شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل . تحقيق قصي الحسين ، دار الشمال ، طرابلس لبنان ط ١ ، ١٩٨٧ ، ص ٤٢

الجواليقي (ت ٥٤٠هـ)

تقويم اللسان : لابن الجوزي أبي الفرج عبد الرحمن (ت ٥٩٧هـ)

بحر العوام فيما أصاب فيه العوام لابن الحنبلي الحنفي (ت ٩٧١هـ)

الجمانة في إزالة الرطانة لابن الإمام

وشفاء الغليل فيما في ألفاظ العرب من الدخيل لشهاب الدين أحمد الخفاجي (ت ١٠٦٩هـ)

لعل وجود كم هائل من الكتب المتعلقة بتقويم اللسان وتقوية اللغة من الدخيل في تواريخ متقاربة بين ٥١٥ هـ و ٥٩٧ هـ خير دليل على هجمة كثير من الألفاظ إلى لغتنا ، وانتشار العاميات واللغات غير العربية ، ودليل آخر على غير الباحثين في اللغة ، إما بقصد توضيح تلك الألفاظ الغريبة وتبيين مفاهيمها للتداول بها ، وإما لأخذ الحيطة والابتعاد عنها . غير أن اللغة تغربل نفسها بنفسها ، والغلبة للحاجة إلى السلعة التي ما تخلت عن لفظها الأجنبي والمولد ، وتتخل مفرديات تألفها الأنفس بالسمع والاشتهار . فكيف نجد ذلك في المصطلحات العلمية بدءاً من النحوية والطبية ، والهندسية والفلكية ...

### ثانياً : المصطلح والمفهوم

في نظرة عجلية إلى اضطراب المفاهيم وتداخلها في المصطلحات عامة ، والمصطلحات النحوية بشكل أخص يظهر جلياً ذلك التداخل ، لأن «وجود مصطلح ما في التراث النحوي العربي عند متقدمي النحاة ومتأخريهم لا يعني حتماً أن المفهوم الذي جاء هذا المصطلح أو ذاك تعبيراً عنه مفهوم واحد لدى الفريقين»<sup>(١)</sup> ، ما جعل فرصة متاحة للتداول العلمي والاهتمام البحثي ، بحيث فتح آفاقاً جديدة للبحث ، من هنا فائدة الاختلاف في وجهات النظر ، لعله مرتبط بتنوع الأفهام والثقافات والميول . من ذلك ما سنعرض له في متن هذا البحث :

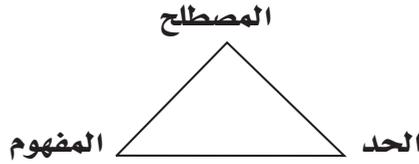
### ١ - نموذج من اختلاط مفاهيم المصطلحات في النحو

إذا حصل اختلاط في المفاهيم وفي المصطلحات ، فالأولى أن لا ننسف ما وصل إلينا من مصطلحات ، وبخاصة النحوية منها ، لتضارب الآراء في ذلك بين أبناء المصير الواحد ، والأمصار المتعددة ، وذلك أن يتبنى كل باحث وجهة النظر التي يراها أنسب وأقوم . فيجب أن لا يخشى كثير من الفيورين على اللغة العربية من تراجع اهتمام المناهج التعليمية بالإعراب وعلومه ، وبالتالي مصطلحات النحو ومفاهيمها ؛ لأن البحث في المصطلحات النحوية لو استوفى حقه من الدراسة

١- أحمد التيجاني جالو : إشكالية ترجمة مصطلحات النحو العربي مجلة ترجمان مجلد ١٢ عدد ١ ، طنجة - المغرب ، سنة ٢٠٠٢

وكذلك النحو بعامة ، لصح القول فيه إنه العلم الذي نضح واحترق ولا مجال لاجتهادات الباحثين. وأقول للذين يخشون ذلك ، إن مسائل الإعراب من شغل المتخصصين لأن اللغة شيء والإعراب شيء آخر: «إن العلم بقوانين الإعراب إنما هو علم بكيفية العمل وليس هو نفس العمل . وكذلك تجد كثيرا من جهابذة النحاة ، والمهرة في صناعة العربية المحيطين علما بتلك القوانين ، إذا سئل في كتابة سطرين إلى أخيه أو ذوي ظلامه أو قصد من مقصوده أخطأ فيها الصواب وأكثر من اللحن ، ولم يجد تأليف الكلام لذلك»<sup>(١)</sup>.

لا يمكن أن نضمن أن المصطلح واحد عند النحاة القدامى. فالرفع والنصب ، والوقف ، والسكون، والجزم ، قد يتخذ المصطلح الواحد منها عند سيبويه و عند غيره من سابقيه أو لاحقيه اللفظ نفسه ، وذلك قد لا يعني أن المصطلح واحد: لا بمفهومه ولا بحدّه ؛ وإن اتفق بلفظه عند بعضهم ، مع اقتناعي بأن المصطلح مرتبط بثلاثية لا انفصام لإحدى حلقاتها عنيت : المصطلح ، الحدّ ، المفهوم الذي يخضع للتغيّر المقولي من الاسمية إلى الاصطلاحية ، ولتغيّره بين النحوي والصرفي والصوتي :



فإذا تغيرت إحدى زوايا هذا المثلث ، يؤدي ذلك بالضرورة إلى تغيّر في الزاويتين الباقيتين. لأن « المتكلم المتخصص بعد أن يتكون لديه تصور ذهني (مفهوم) لشيء ما موجود في الواقع قد يحدّه أو يعرفه أولا ، وهي خطوة أولى ومبكرة ، توحى بفهم ذلك الشيء الخارجي، وتكوين تصور ذهني له؛ لكن المتخصص لم يتمكن من ربط ذلك المفهوم بمجموعة مفاهيم مجانسة أو مقارنة، ثم اختيار رمز دالّ عليها ، وعندي أن هذه المرحلة هي المرحلة الأولى السابقة لمرحلة النضج والتمثيل التام لذلك المفهوم، ثم تأتي مرحلة النضج الفكري ، فيطلق عليه مصطلحا - رمزا خاصا»<sup>(٢)</sup>.

يمكن لنا ، أن نشير إلى أن النحاة القدامى بنوا نظريتهم الاصطلاحية في النحو ليس على أساس مفهومي محدد ، بل على أساس اعتباريّ الشكل والمعنى ، نجم عنهما صفتا التمام والنقصان ، بحيث إن اعتبار الشكل مثل اعتبار المعنى ينقسم إلى التمام أو النقصان ، فتقتصر

١- ابن خلدون : المقدمة ، دار الأرقم بن أبي الأرقم ، تحقيق أحمد الزعبي ، بيروت تاريخ مقدمة المحقق ٢٠٠١ ص ٦٢٩  
٢- علي توفيق الحمد: قراءة في مصطلح سيبويه دورية علوم اللغة في القاهرة ، عدد خاص بالمصطلح تحت الطبع ، ص ٥.

تسمية المصطلح شكليا على عدد حروف الكلمة (الثلاثي، أو الرباعي) ونقص عدد الحروف ما دون الثلاثي، والأسماء الخمسة، وذوات الأربعة، ثم ألحقوا بذلك ألفاظا غاصت مفاهيمها بالنقصان، فقالوا: ملحق، معتل، ناب مناب، سد مسد، قام مقام.

أما تمام المعنى ونقصانه، فعائد إلى أصول لغوية، ومجازية مأخوذة من البيئة، والحياة اليومية والاجتماعية، والفقهية والفلسفية... «ولاريب في أن المصطلح النحوي في كتب النحاة المتأخرين قد لا يطابق المصطلح في كتب المتقدمين»<sup>(١)</sup>، انطلاقا من التقسيمين: الشكلي والمعنوي، وبالتالي من قضيتي التمام والنقصان، ما جعل الفرق في إطلاق التسميات من وجهة نظر الباحث الذي أطلق التسمية سواء الشكلية أو المعنوية، بارزا في التسمية متقلبا في المفاهيم.

#### أ- وحدة التسمية وتغير المفاهيم

قد تتغير المفاهيم للتسمية الواحدة في المصطلحات النحوية، وذلك موجود بكثرة في التراث النحوي، بين القرن الثاني الهجري حتى السادس الهجري منها:

#### - مفهوم مصطلح الحرف في النحو

مثل ذلك مصطلح الحرف الذي لاحظت سلام بزي حمزة أنه ورد في كتاب سيبويه أول ما ورد عبارة مركبة هي «حرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل»<sup>(٢)</sup>. وتوقعت أن سيبويه استخدم ذلك «لتمييز مصطلح الحرف»<sup>(٣)</sup> الذي يحيل كمصطلح نحوي إلى مفهوم حروف المعاني، من مصطلح الحرف<sup>(٤)</sup> الذي يحيل - كمصطلح صرفي - إلى حروف المعجم. وانتقت الباحثة عبارات مشابهة من الكتاب تحمل تسمية المصطلح في تشكّله الأول «الحروف التي ليست بأسماء ولا أفعال ولم تجئ إلا لمعنى»<sup>(٥)</sup>... إلى أن وصل إلينا بسيطا هو الحرف<sup>(٦)</sup>، أحد أقسام الكلام.

لعل في مصطلح سيبويه شمولا عاما لمفهوم الحرف، ربما زادت حدته في القرن الرابع الهجري وما بعده؛ لأن معظم مصطلحات النحو البسيطة أخذت طريقها إلى البساطة في تلك الفترة. يتمحور التبسيط حول جنس المصطلح وشكله، فأدى هذا الشمول إلى اختلاط المفاهيم في تشكّله نحو البسيط، والانتقال به من المعنى اللغوي إلى المعنى الاصطلاحي. فالحرف:

١- حسن حمزة: بنك المصطلح التاريخي للنحو العربي، مركز البحث في المصطلح والترجمة تحت الطبع

٢- الكتاب ١/١٢

٣- انظر بحثنا في الدكتوراة: المصطلح النحوي عند الزمخشري

٤- يسميه الزمخشري اسم حرف الكشاف

٥- (الكتاب ١/١٧)

٦- (تشكل المصطلح في كتاب سيبويه ص ٥)

مصطلح نحوي، ومصطلح صرفي، مصطلح صوتي.

### - مفهوم المسند والمسند إليه

ففي عودة إلى المسند والمسند إليه في كتاب سيبويه نجد أنهما: «هما ما لا يعني واحد منهما عن الآخر ولا يجد المتكلم منه بدا، فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه، وهو قولك: عبد الله أخوك، وهذا أخوك ومثل ذلك يذهب عبد الله، فلا بد للفعل من الاسم كما لم يكن للاسم الأول بد من الآخر في الابتداء»<sup>(١)</sup>. ذلك يعني أن التعاطف يشكّل وحدة مرجعية مفهومية، إلا أن تطور الدرس النحوي والبلاغي جعل المصطلح المتعاطف الواحد الذي يحمل مفهوم الجملة «المسند والمسند إليه» مصطلحين مستقلين الواحد عن الآخر في المرجع «المسند» و«المسند إليه» حيث بات حرف العطف حرفاً محورياً تناظرياً لا حرفاً رابطاً للتركيب الواحد.

والطريف ذكره أن مصطلح «المسند والمسند إليه» ورد أربع مرات، على هذه الصورة بحسب الثبت الذي أعده جيرار تروبو (Gérard TROUPEAU) ولم يرد ذكر أحدهما منفصلاً عن الآخر<sup>(٢)</sup>، ما يؤكد ضرورة اتحادهما، كما يرى حسن حمزة أن في هذا التعاطف اتحاداً علائقياً يربط المسند والمسند إليه بحيث «يشير نص سيبويه إلى علاقة الاقتضاء المتبادل التي تحكم المسند والمسند إليه، فهما ما لا يعني أحدهما عن الآخر، وفي هذا دلالة واضحة على أنهما يشكّلان زوجين لا يوجد أحدهما إلا بوجود صاحبه»<sup>(٣)</sup>، في عملية إشراك، نجمت عن الواو التي كان يسميها سيبويه حرف إشراك<sup>(٤)</sup>.

وفي هذا الإشراك مساواة بين العاطف والمعطوف «ويقتضي كل زوج منهما زوجه دون مفاضلة أو ترتيب. فهما موضوعان على قدم المساواة في أن كل واحد منهما يقتضي الآخر ولا يجد المتكلم منه بدا، ذلك أنه لا يمكن لنظام من الأنظمة أن يبني على عنصر واحد فلا بد له إذاً، من عنصرين على الأقل يمكنان من تصور وجود علاقة بينهما»<sup>(٥)</sup>. فالواحد المسند غير الآخر المسند إليه في المصطلح الجامع «المسند والمسند إليه» الذي يعني: المسند «١» والمسند «٢» إلى المسند «١». فالمسند الثالث في الرتبة هنا هو الأول نفسه.

١- الكتاب ١-٢٣

2- Gérard Troupeau : lexique – index du kitab de sibawyhi, klinksieck, paris 1976, p

٣- حسن حمزة عودة المسند والمسند إليه في كتاب سيبويه . مجادلة السائد في اللغة والأدب والفكر السلسلة ٧ المجلد ٧ ندوة دولية نظمها قسم اللغة العربية ٢٣-٢٤ نوفمبر ١٩٩٦ كلية العلوم الإنسانية تونس ٢٠٠٢ ص ٢٤.

٤- عدنان محمد سلمان : التوابع في كتاب سيبويه ص ٤٩ ولم يستمر المصطلح بعده

٥- حسن حمزة عودة المسند والمسند إليه في كتاب سيبويه . مجادلة السائد في اللغة والأدب والفكر السلسلة ٧ المجلد ٧ ندوة دولية نظمها قسم اللغة العربية ٢٣-٢٤ نوفمبر ١٩٩٦ كلية العلوم الإنسانية تونس ٢٠٠٢ ص ٢٤

ولعل في هذا الاقتضاء ما ينطبق على العمل التركيبي في الجملة المؤلفة من مسند ومسند إليه، وذلك ينطبق على المبتدأ والخبر، أو على الفعل والفاعل... ليصح نظام البناء الآخر في الأول، على أساس أن الآخر قد يحذف ويسد مسده الجار والمجرور، وشبه الجملة. ولا يجوز للأول ذلك في التركيب الاسمي، أو ما ينوب عنه في الفعلي.

إذاً، فوجود المصطلح «المسند» أولاً أساس في بنية التركيب الاصطلاحي المعطوف، مع وجود «المسند إليه» الثاني الذي يكمل الأول. فالأشهر أن يكون المسند أولاً، والمسند إليه ثانياً. وإذا ما حصل تقديم المسند والمسند إليه في التركيب الاسمي، كما في قول أحدنا: في الصف كتاب، ينقلب الترتيب، ولم يشر أحد إليه: «مسند إليه ومسند!».

ولا تخرج عن إطار الجملة التي تحتمل التقديم أو التأخير ولا تتأثر التسمية (الجملة) بذلك مثل ما حصل للمسند والمسند إليه، ما جعله ينصرف من مصطلح نحوي في ذهن النحاة إلى مصطلح بلاغي؛ لأن ذلك جوازٌ نحويٌّ، حدث لأغراض بلاغية؛ إذ لا يدخل النحوي مضمار البلاغة إلا فيما يجوز عند النحويين. فعلة الجواز عند النحاة هي المصطلح المفتاح لاهتمام البلاغيين.

بيد أن إشكالا قد يثيره عود الضمير (الهاء) في تعاطف «المسند والمسند إليه» يكمن في عدم القدرة على استخدام لفظ «المسند إليه» مصطلحاً مستقلاً لأنه لا ينفك من لفظ المسند الأول الذي يعود الضمير إليه<sup>(١)</sup>. لذلك يجد الباحث أن استخدام المسند إليه مسبقاً بالمسند أقرب إلى المعنى العام للغموي منه إلى المصطلح<sup>(٢)</sup>؛ «فالمضمر لا بد من وجود عائد إليه حتى يتم التعريف والتوضيح؛ لأن الضمير يصير معرفة برجوعه إلى مفسره»<sup>(٣)</sup>.

وأغلب الظن أن التماسك العطفية عند سبويه في هذا المصطلح عائد في تفكيره إلى معنى الترابط الذي يحيل إلى مفهوم الجملة التي نجد المسند والمسند إليه نواتها، وبدونها لما تكون هناك جملة. وبكلمة إن تركيب «المسند والمسند إليه» في تعاطفهما يعبران عن الوظيفة في تأليف الجملة، ويرجع مفهوم المعطوف عليه على العاطف، بحيث يكون محور الكلام، لوجود الضمير العائد في المعطوف إلى المعطوف عليه، وإذا عدنا إلى تعريف سبويه للكلام «نرى أن شرطه في استقامة الكلام هو أن يعمل بعض أجزائه في بعض فيستغني، أي أن يتم الإسناد بين المسند

١- حسن حمزة: عودة المسند والمسند إليه في كتاب سبويه م، ن ص ٢٥

٢- حسن حمزة: عودة المسند والمسند إليه في كتاب سبويه م، ن ص ٢٨

٣- الاسترادي: شرح الكافية ٢/٢٣٥

والمسند إليه. وبناء على ذلك فالمسند والمسند إليه يعبران عن وظيفة»<sup>(١)</sup>.

وعلى العكس، إن ذلك التعاطف يعقبه انفصال عند الزمخشري بحيث ورد «المسند إليه» أربع مرات منفردا ومرة واحدة صيغة «أسند إليه»<sup>(٢)</sup>، ما خفف من وطأة هذه الحدة بحيث ورد التركيب المعطوف «المسند والمسند إليه» مرة واحدة. أما ذكر الإسناد، فللدلالة على المعنى اللغوي لا الاصطلاحي، فانفصل هذا التعاطف وأصبح كل منهما مستقلا، له مرجعه. بالإضافة إلى تبدل الدلالة والمفهوم لهذا المصطلح فهو عند سيبويه: المسند = المبتدأ والمسند إليه = الخبر<sup>(٣)</sup>، «فيعكس التسمية فيسمى المبتدأ مسندا والمبني عليه مسندا إليه»<sup>(٤)</sup>.

ويعلل حسن حمزة ذلك بقوله: «ربما أطلق سيبويه مصطلحات وأراد بها مفهوما معينا ثم اشتهر هو ونفسه دالا على مفهوم مناقض كما حدث في إطلاقه مصطلح المسند على المبتدأ والمسند إليه على الخبر ثم شاع تقيض ما أراده سيبويه فأطلقوا المسند على الخبر والمسند إليه على المبتدأ»<sup>(٥)</sup>، «فيعكس التسمية فيسمى المبتدأ مسندا والمبني عليه مسندا إليه»<sup>(٦)</sup>. وللمصطلح البلاغي (المسند والمسند إليه) الذي يعني أنه «أصبح كل واحد منهما جزءا من أجزاء الجملة فهما ركنا الجملة الأساسيان»<sup>(٧)</sup>.

هذا التفكير في التراخي العطفى أدى إلى استقلال كل من المصطلحين، بحيث أدى ذلك إلى تراجعهما عند النحاة، وتوجيههما الوجهة السليمة في تركيب الجملة عند البلاغيين، بحيث استقل كل منهما مصطلحا بلاغيا. في استخدامهم. أكثر منه نحويا، يغلب عليهما التعبير عن الوظيفة أكثر من الموقع، لأن الاختلاف بين مفهومي المصطلحين عند سيبويه الزمخشري نشأ من أصل الموقع التركيبيكما سبق.

١- أحمد التيجاني جالو: إشكالية ترجمة مصطلحات النحو العربي مجلة ترجمان مجلد ١٢ عدد ١ سنة ٢٠٠٢ ص ٢٢

٢- أجريت هذا الإحصاء على الفصل للزمخشري، تقيق علي بوملحم دار ومكتبة الهلال لبنان ط ١، ١٩٩٢

٣- حسن حمزة: عودة المسند والمسند إليه في كتاب سيبويه: م. س ص ٢٠، (والمعروف أن المسند إليه = المبتدأ، والمسند = الخبر). ويضيف حسن حمزة في بحث بعنوان: «في التاريخ للمصطلح النحوي» (دورية علوم اللغة بالقاهرة: «ربما أطلق سيبويه مصطلحات وأراد بها مفهوما معينا ثم اشتهر هو نفسه دالا على مفهوم مناقض كما حدث في إطلاقه مصطلح المسند على المبتدأ والمسند إليه على الخبر ثم شاع تقيض ما أراده سيبويه فأطلقوا المسند على الخبر والمسند إليه على المبتدأ» (دورية علوم اللغة القاهرة، تحت الطبع عدد خاص بالمصطلح النحوي بإشراف حسن حمزة ص ٢٢) وللمصطلح البلاغي الذي يعني أصبح كل واحد منهما جزءا من أجزاء الجملة فهما ركنا الجملة الأساسيان راجع علم المعاني عبد العزيز عتيق. دار النهضة العربية بيروت ١٩٨٥ ص ١١٩، ١٢٠، ١٢١.

٤- فاضل صالح السامرائي: الجملة العربية تأليفها وأقسامها. منشورات المجمع العلمي، بغداد، ١٩٩٨، لا ط، ص ٦

٥- حسن حمزة: عودة المسند والمسند إليه في كتاب سيبويه: م. س ص ٣٠، والمعروف أن المسند إليه = المبتدأ، والمسند = الخبر

٦- فاضل صالح السامرائي: الجملة العربية تأليفها وأقسامها. منشورات المجمع العلمي، بغداد، ١٩٩٨، لا ط، ص ٦

٧- عبد العزيز عتيق: علم المعاني، دار النهضة العربية بيروت، ١٩٨٥: ص ١١٩، ١٢٠، ١٢١

## - مفهوم مصطلح «تأكيد الفعل»

بمعنى أن دراسة مصطلح كمصطلح «تأكيد الفعل» تستوجب النظر في خاصية الفعل «أكد» المتعدي؛ لمعرفة ما إذا كان أصل المضاف إليه فاعلاً أم مفعولاً؟: «تأكيد الفعل»، ألفظة «الفعل» هي فاعل أم مفعول في المعنى؟ أمؤكّد أم مؤكّد؟. ومثله «تكرير العامل» و«إسقاط الراجع». إن تعدد احتمالات المعنى تضع المصطلح في لبس مفهومي ناجم عن إضافة المصدر إلى فاعله أو مفعوله .

ففي ذلك اتجاهاً يتماثلان بالمعنى المجازي في اسمي الفاعل والمفعول في مصطلح «تأكيد الفعل»، في العودة إلى أصل المصطلح التركيبي من الجملة الحاملة لمفهومه: أكد الحرفُ الفعلُ، في صيغة المعلوم ، و أكد الفعلُ، في صيغة المجهول في معنيين متقاربين حُذف فاعلُ ثانيها الحقيقي، فناب منابه المفعول به للعلم بالفاعل الحقيقي أو لشهرته أو ربما لعدم العلم به كما في إسقاط الراجع وتكرير العامل.

ذلك لأن اشتقاق اسم الفعل من الفعل فوق الثلاثي يتطلب تعدية بحرف جر لتظهر دلالة عمله (مؤكّد ل أو ب ) ، وليكتمل معناه ويعمل في غيره، على خلاف اسم المفعول المشتق من الفعل المجهول؛ بسبب أن ذلك مرتبط بدلالات بلاغية ودلالات وظيفية في إبراز الغرض الكلامي. فالوجهة في تشكل المصطلح المركب من مصدر ومضاف إليه تميل إلى اسم المفعول ، وذلك أرجح ، ليقع الحكم على المضاف، في نفسه، من معنى الفعل «أكد»: مؤكّد، لا معنى في غيره مؤكّد ل . وبعدها قد تبقى المسألة مُلبسة من عبور اللفظ إلى المعنى يحددها اقتران المصطلح في سياقه المأخوذ منه.

## ب وحدة المفهوم وتغير التسمية

ومنه مصطلح النائب عن الفاعل ، فقد «عبّر نحاة القرن الرابع عن مفهومه: ما لم يسم فاعله، ما لم يذكر فاعله، اسم ما لم يسم فاعله ، اسم لم يسم فاعله، المفعول القائم مقام الفعل المبني للمفعول ، مفعول لم يسم فاعله ، مفعول ما لم يسم فاعله ، المفعول الذي لا يذكر فاعله ، المفعول المقام مقام الفاعل ، المفعول الذي جعل حديثاً عنه، اسم الفاعل المبني للمفعول»<sup>(١)</sup>. يلحظ أن التركيب الاصطلاحي يتخذ أشكالاً متغيرة ، ضمن التركيب الوصفي، والموصولي الذي يكثر في التراكمات الاصطلاحية يحمل معنى الوصف ، إلا أن التعقيد في استخدام الاسم الموصول هو الذي حال بين المصطلحات وتأويلها ، ما جعل المصطلح يميل إلى التبسيط ، ليبقى في إطار تركيب آخر ، في التركيب الإضافي : نائب الفاعل.

١- حسني محمد ليد: المصطلح النحوي في القرن الرابع الهجري . أطروحة دكتوراة في الآداب جامعة القاهرة كلية الآداب قسم اللغة العربية ، بإشراف محمود فهمي حجازي ١٩٩٧ م . ص ١٩٤

## ٢- إشكالية نقل مفاهيم المصطلحات النحوية إلى غير العربية

إذا لم يكن المفهوم واضحاً في اللغة المنقول منها ، فكيف للمترجم أن ينقله إلى اللغة المنقول إليها ؟ وهنا نلاحظ أن ثمة مفردات في الثقافة قد تستعصي على الترجمة. وكثير من المفردات الاصطلاحية استعمالها بعض المستشرقين بغير مفاهيمها الأصل التي وضعت لها ، إذ لكلٍ من تلك المصطلحات تاريخ طويل ضمن الثقافة المنقول منها ، ومن غير الممكن فصلها عن ذلك التاريخ الذي يتمثل في تاريخ استعمالها السابقة. زعم المستشرق الفرنسي هنري فلش (H. FLEISCH) في كتابه «Traité de philologie arabe»، حسب ما لاحظ أحمد التيجاني جالو، أن «مفهوم الجملة (عند فلش) غائب غياباً تاماً في التراث النحوي بناء على غياب مصطلح جامع وشامل يجمع مفهوم نواة الجملة بشقيها»<sup>(١)</sup>. يردّ جالو «إن ترجمة فلش لمفهوم نواة الجملة عند العرب قد انطلق - على ما يبدو - على نظرية الإخبار ، لأنه يصف النحاة بأنهم لم يدرسوا مسائل اللغة مقارنة بما ورد عند الفلاسفة اليونان»<sup>(٢)</sup>. نلاحظ أن هذا الاضطراب هو اضطراب مفهوميّ أدى إلى خلل في الترجمة ونقل المفاهيم ، راعى هنري فلش ما توافق مع المعطيات اليونانية وليس معطيات الثقافة العربية .

إنّ ما يغيب عن تناول مسألة ترجمة المصطلحات هو البعد المفهومي المتمثل في ما يمكن أن نطلق عليه الثوابت والمصالح الثقافية سواء للفرد أو للجماعة التي تقوم بالترجمة والنقل، من خلال الموقع الحضاري والثقافي، شرط أن لا يحيد عن أمانة الهدف والوجهة ، أو الأهواء .

### ثالثاً : المفهوم في المصطلحات العلمية

لا خوف على العربية من هجمة المصطلحات وخصوصاً أن الاهتمام متزايد بهذه العلوم المتعلقة بالعربية ، وخير مثال يقدمه مركز المصطلح و الترجمة<sup>(٣)</sup> في جامعة ليون الثانية فرنسا فيليب توارون وحسن حمزة واكزويه لوليبير وغيرهم بتوجيه طلابهم إلى البحث في المصطلحات وبخاصة العربية منها ، كموضوع مصطلح البصريّات عند ابن سيرين والمصطلحات النحوية القديمة والمصطلح الطبي القديم ، ثم المصطلحات الحديثة كمصطلحات وهب الأعضاء<sup>(٤)</sup> ، ومصطلحات الانترنت<sup>(٥)</sup> والمصطلحات السياحية ، ومصطلحات الكمبيوتر ، والمصطلحات

١- أحمد التيجاني جالو : إشكالية ترجمة مصطلحات النحو العربي مجلة ترجمان مجلد ١٢ عدد ١ سنة ٢٠٠٢ ص ٢٠

٢- أحمد التيجاني جالو : إشكالية ترجمة مصطلحات النحو العربي مجلة ترجمان مجلد ١٢ عدد ١ سنة ٢٠٠٢ ص ٢٣

3- Centre de recherche en terminologie et traduction CRTT)

4- Tatiana EL\_KHOURY : La terminologie arabe de la greffe d'organes DEA sous la direction de M. X. LELUBRE univ. Lyon 2 2003

5- André AFFEICH : La formation et le fonctionnement en discours des termes arabes d' internet DEA sous la direction de M. X. LELUBRE et M. Hassan HAMZÉ univ. Lyon 2 2002

الاقتصادية والقضائية واللغوية ، فضلا عن الاهتمام بترجمة المصطلحات من الفرنسية إلى العربية<sup>(١)</sup> .

واللافت في هذا الصدد إفساح المجال في الجامعة المذكورة لتنسيب أخصائين متخرجين، في مجالات العلم كافة إلى قسم اللغات، كالطبيب، والصيدلاني والمحامي والتقني، ثم ليتابع دراسته في اللغويات بإشرافهم ؛ ليفيد من مفهوماتهم العلمية للمادة التي يتعاملون معها ومن خبراتهم وتوجيهاتهم في المجال الاصطلاحي؛ وذلك لإمكانية خدمة المفاهيم الاصطلاحية فيصير بعد ذلك إلى وضع معجم المصطلحات المختص، فاسأل بها خبيراً.

#### أ- عودة عكسية : الاطلاع على المصطلحات العربية وتغريبها ثم تعريبها

ما أثار انتباهي من هذه العودة المعاكسة إلى النهل من المصطلحات العلمية العربية ، التي تطالعنا الوسائل الاعلامية بإنجازات كثير من الباحثين بسبقهم العلمي هنا وهناك في جامعات العالم ، مصدرها عربي في كتب التراث. ووفق الباحث التركي الأصل محمد فؤاد سيزكين في معهد الدراسات الشرقية في جامعة إرلانجن في ألمانيا ، المتقن للعربية ، بالتعرف إلى كثير من الاختراعات العربية من خلال عودته إلى الكتب التراثية منها كتاب لأبي القاسم زهراوي ( توفي نحو ١٠١٣ م)<sup>(٢)</sup> ، الذي ذكر فيه مؤلفه تفاصيل هذه الاختراعات وكيفية عملها ووجهة استخدامها ، كدليل للتشغيل ، ما نسميه بالفرنسية (catalogue) ، ثم أعاد سيزكين قراءتها مستعينا بخبراء في شتى الميادين وبمهندسين صناعيين للعمل على إعادة تصنيع تلك الاختراعات وإحيائها ، فأخرج منها ثمان مئة صنفا ، وبقي مئتان منها مازال يعمل على فهمها وفكِّ إلغازها .

هذا مهم لأن « جذور كل حضارة جديدة لا بد أن تكون قد غُذيت بإنجازات أسلافها»<sup>(٣)</sup> ، إلا أن المهم في ذلك ، انتزاع التسمية العربية وإطلاق تسمية جديدة ، على كل اختراع ، بحرف لاتيني وبلغة غير عربية تتوافق مع معطيات العلم المعاصر ، ما يثبت ، من جهة ، أن اللغة العربية تستطيع أن تستوعب العلوم وبإمكانها أن تكون لغة العلم . وما يؤدي من جهة ثانية إلى إفساح المجال للتعرف على اختراع عربي بلغة غير عربية وتشتهر التسمية باللغة المنقول إليها ، إذا توفرت لها الظروف البحثية الملائمة :لأن سبل العلم في الغرب أوفر منها في الشرق ، فبذلك قد يذيع المصطلح الأجنبي الجديد المبتكر، ويندثر الأصيل ، فالأزمة أزمة مراكز للأبحاث في

1- ODEH, Akram : la traduction et le terminologie linguistique du francais vers l'arabe. sous la direction de m. Hassan HAMZE.univ .lyon 2

٢- وذلك في مقابلة على تلفزيون الجزيرة ( القطرية ) أقامها معه الصحافي أحمد منصور

٣- دونالد ر . هيل : العلوم والهندسة في الحضارة الإسلامية ، ترجمة أحمد فؤاد باشا سلسلة عالم المعرفة مطابع السياسة الكويت

العدد ٢٥ سنة ٢٠٠٤ ص ١٥

وطننا العربي ، أزمة دعم البحث العلمي واستثمار الأموال في دعم البحث ، وليست الأزمة ، إذأ ، أزمة باحثين .

لتبقى ، بعد ذلك ، مسألة نقل المفاهيم هي الثابتة ، في وضع تتنافس فيه اللغات ، وتبأرى المصطلحات تأثراً وتأثيراً ، عبر وضع الاختراعات في الواجهة الأستخدامية ، حسب متطلبات الحياة اليومية لدى البشر ؛ لأن «ترجمة المصطلح ليست البحث عن معادل لساني في اللغة الهدف المنقول إليها ، إنما اختيارُ دالٍّ مناسبٍ لمُدلوله الحقيقي»<sup>(١)</sup> . من هنا توسعَ باب الاختصاصات العلمية الدقيقة ، التي تتطلب مصطلحاتٍ كذلك دقيقة ، وإنشاء المجلات العلمية المتخصصة واستخدام الشبكة العالمية للاتصالات (الانترنت ) في الكثير من جامعات العالم ، وإقامة المؤتمرات العلمية في الترجمة إلى العربية ودقة نقل المفاهيم .

إن مسألة نقل المفاهيم تتطلب دراية وعلماء وافيين في فهم الصناعات العربية القديمة ، وفق المنهج العلمي السليم الذي وضعه علماء العصور الذهبية للغة العربية ، وإعادة صوغه وإحيائه وفق المفاهيم العصرية ، وأسلوب العصر . لأن كل فكر في جوهره تعبير عن قراءة خاصة لقضاياها قراءة تتبع من الثقافة وترتبط بها ، أعني الثقافة التي ينتسب إليها الفكر المعين ، إننا لا نستطيع إعادة إنتاج ( المفاهيم ) بحذافيرها في كل ثقافة ... أقول جانباً منه لأن ثمة جانباً آخر يتعامل مع المشترك الإنساني المتجاوز لخصوصية الثقافة .

علماً أن رواج لفظ المصطلح غير مرتبط لنقبل به أن يكون نابعا من مكان دون آخر ، أو أن يكون صادرا من مصدر ذي نفوذ ، إنما النفوذ للحاجة إليه مع السلعة التي يحمل اسمها ، «ففي عالمنا العربي لا أظننا سنختلف في أن مفردة أو نظرية تأتي من الغرب تعني شيئا مختلفا وتحتل مكانة مختلفة عما تحتله مفردة أو نظرية قادمة من الهند أو من الصين أو من جزء آخر من العالم العربي نفسه على ندرة ما يأتيها من غير الغرب»<sup>(٢)</sup> . وأراني أميل إلى الثقة بالأمانة العلمية في عملية النقل والترجمة عند كثير من الغربيين الموسومين بالمنهج العلمي ، لتصديق ما جاء به سعد البازعي في هذا المجال «ونحن على أي حال لا نتصرف كما لو ان بإمكان احد غير المفكرين والعلماء والنقاد الغربيين ان يبعثوا لنا شيئا نتعلمه ونفيد منه لنوظفه توظيفا دقيقا أميناً ومن هنا كان الملاحظ على كثير من المترجمين والباحثين العرب تغليب قيمتي الصحة والدقة بعيداً عن المساءلة الناقدة فيما يبحث ويتلقى عن الثقافة الغربية إجلالاً واحتراماً لذلك المصدر الذي يبدو كأنه لا يجوز التصرف فيما يرسل الصحة والدقة تحيل عمليتي الترجمة

1- HAMZE, Hassan : la traduction des affixes vers l'arabe . colloque de traduction Barcelon 29-30-31/10/2001

٢- سعد البازعي: البحث قدم في ندوة الترجمة والثقافة العربية التي اقيمت ضمن فعاليات مهرجان القرين الثقافي السابع بالكويت.

والتواصل المعرفي إلى عملية نقل تراعي الدقة والضبط وتحاول أن تكون زجاجاً شفافاً يمرر المعرفة دون أن يؤثر فيها»<sup>(١)</sup>.

فالمصطلح الموظف في علم من العلوم له خصوصيته في ذلك العلم وفي الثقافة التي أنتج فيها لكن هناك بعداً عالمياً يصعب إغفاله، ولا سيما حين ينتقل ذلك المصطلح إلى ثقافة أخرى، فيستدعي اتخاذ موقف مؤيد أو معارض أو بين بين. فثمة معارف ومصطلحات إنسانية تستدعي التبنّي والافادة إلى جانب معارف ومصطلحات تستدعي الرفض أو الانتقاد الشديد.

وفي جعبة البحث، نموذج آخر من نماذج العودة إلى التراث العربي ثم تحويلها إلى الأجنبية، كتاب «العلوم والهندسة في الحضارة الإسلامية» لدونالد هيل المطلع عن كتب على التراث العربي، هو كتاب كما وصفه مترجمه «انبثق من قلب ثقافة العولمة الغربية ليقدم بعيدة وموضوعية، من واقع الوثائق التراثية المحققة، شهادات إنصاف في حق الحضارة العربية الإسلامية، ودورها الرائد في تأسيس كثير من العلوم والتقنيات التي تجني البشرية ثمارها اليوم»<sup>(٢)</sup>.

استمد دونالد هيل مصادر كتابه من كتاب ابن الرزاز الجزري «الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل» ثم أعقبه بكتاب «الحيل» لبني موسى، بعد أن نشر الكتابين باللغة الانكليزية في العامين ١٩٧٤، والثاني في العام ١٩٧٩<sup>(٣)</sup>. يعرض مترجم الكتاب أنه عاد إلى الأصول العربية في نقل المفاهيم وحاول إيجاد اللفظة العربية الأصل التي نقلها الكاتب إلى الإنكليزية، ثم تعريبها مجدداً، فيقول المترجم إنه أضفى الصبغة العربية على العلوم والتقنيات المختلفة في مواضع عديدة من الكتاب، بما في ذلك عنوان الكتاب نفسه<sup>(٤)</sup> ويتابع: «كنت أرجع مباشرة، وبكثرة، إلى المصادر العربية في أثناء إعداد الفصول المتعلقة بالهندسة في هذا الكتاب»<sup>(٥)</sup>.

من هنا كتب على المترجم أن يقرأ النص العربي ولأجل ترجمته اضطر إجباراً على العودة

---

١- سعد البازعي: البحث قدم في ندوة الترجمة والثقافة العربية التي أقيمت ضمن فعاليات مهرجان القرين الثقافي السابع بالكويت.

٢- دونالد ر. هيل: العلوم والهندسة في الحضارة الإسلامية، ترجمة أحمد فؤاد باشا سلسلة عالم المعرفة مطابع السياسة الكويت العدد ٣٠٥ سنة ٢٠٠٤ مقدمة المترجم ص ٩

٣- دونالد ر. هيل: العلوم والهندسة في الحضارة الإسلامية، ترجمة أحمد فؤاد باشا سلسلة عالم المعرفة مطابع السياسة الكويت العدد ٣٠٥ سنة ٢٠٠٤ مقدمة المترجم ص ٩

٤- أصل تسمية الكتاب بالانكليزية: Islamic science and engineering نقله المترجم إلى العربية باسم: العلوم والهندسة في الحضارة الإسلامية.

٥- دونالد ر. هيل: العلوم والهندسة في الحضارة الإسلامية، ترجمة أحمد فؤاد باشا سلسلة عالم المعرفة مطابع السياسة الكويت العدد ٣٠٥ سنة ٢٠٠٤ ص ١٢

إلى كتب التراث لبحث عن الأصل العربي، ولو عمل هو نفسه على إظهار كتب التراث الأصلية بدل الاتكال على الآخر وانتظاره، ليقراً في تراثنا . ومن هنا أهمية مزدوجة يستفيد منها المترجم لنقل المفاهيم، بأمانة وأصالة.

من المصطلحات التي استخدمها المسلمون على سبيل المثال «حامض الكبريت»، «يمكن الحصول عليه بتقطير الزاب أو الشبّ ، أو باحتراق الكبريت ، وسماه الرازي «ماء الشب المقطّر»<sup>(١)</sup>، وكان يسمى «روح الزّاج»<sup>(٢)</sup>. أما حامض الهيدروكلوريك فكان يعرف باسم «روح الملح»<sup>(٣)</sup>. يبدو أن استخدام لفظة «روح» كسابقة على المصطلح العربي تعني خلاصة المادة المقطرة، والمركبة كيميائياً. أما مصطلح «النطرون» فهو «عبارة عن كربونات الصوديوم الخام ... وكلمة نطرون بالانجليزية مشتقة من الأصل العربي Natron ومن ثم جاء رمز الصوديوم Na<sup>(٤)</sup>. ثم نلاحظ ذلك سارياً على كثير من المصطلحات العلمية في كثير من الأمور الحياتية، كالرياضيات، وعلم الفلك، والفيزياء، والآلات والجسور والسدود، ومصطلحات الري وإمداد المياه والمساحة والتعدين .

يبقى ، إذأ ، على المترجم أن يلمّ باللغتين مراعيًا منطلق الجاحظ في تحديد وظيفة الترجمان: «ولا بد للترجمان من أن يكون بيانه في نفس الترجمة، في وزن علمه في نفس المعرفة، وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها، حتى يكون فيهما سواء وغاية»<sup>(٥)</sup>، ذلك يضمن إحياء التراث، مراعيًا ثقافة اللغتين وعادات أهلها وتقاليدهم، وطباعهم بغية النقل الذي يستميل قلوبهم، إلا أن ذلك لم يسلم بحسب رأي الجاحظ من بعض الزلل والافتراض بين اللغتين المنقول منها والمنقول إليها «ومتى وجدناه أيضاً قد تكلم بلسانين، علمنا أنه قد أدخل الضيم عليهما؛ لأن كل واحدة من اللغتين تجذب الأخرى وتأخذ منها، وتعرض عليها»<sup>(٦)</sup>، وهنا بعض مشاكل لغتنا، نجد أن معظم من يتقن لغة ثانية قد ينتقص من حق اللغة الأولى لعدم تعمقه بأسرارها

١- دونالد ر . هيل: العلوم والهندسة في الحضارة الإسلامية ، ترجمة أحمد فؤادج باشا سلسلة عالم المعرفة مطابع السياسة الكويت العدد ٣٥ سنة ٢٠٠٤ ص ١٢٤

٢- دونالد ر . هيل: العلوم والهندسة في الحضارة الإسلامية ، ترجمة أحمد فؤادج باشا سلسلة عالم المعرفة مطابع السياسة الكويت العدد ٣٥ سنة ٢٠٠٤ ص ١٢٤

٣- دونالد ر . هيل : العلوم والهندسة في الحضارة الإسلامية ، ترجمة أحمد فؤادج باشا سلسلة عالم المعرفة مطابع السياسة الكويت العدد ٣٥ سنة ٢٠٠٤ ص ١٢٥

٤- دونالد ر . هيل: العلوم والهندسة في الحضارة الإسلامية ، ترجمة أحمد فؤادج باشا سلسلة عالم المعرفة مطابع السياسة الكويت العدد ٣٥ سنة ٢٠٠٤ ص ١٢٥

٥- الجاحظ: الحيوان

٦- م . ن

وخفاياها أحيانا ، والعكس كذلك صحيح . إن كثيرا من المترجمين يعرفون لغة أولى ، ولا يتقنون لغات الآخرين إلى هذا الحدّ ، وهنا ندخل في جدل قضيتي المستشرقين والمستعربين أحيانا .

#### رابعا : المصطلح العلمي والتنمية اللغوية

كما أن اللغة تنمو بالشعر وإبداعات أهلها ، كذلك فإن العلم والحاجة إلى التعاطي مع معطيات حضارية تحمل تسميات كثيرة ، في الحياة اليومية يُدخلان المصطلح الذي يعتبر «علمه جزءا من التنمية اللغوية . وله من هذا الجانب أهميته في تنمية اللغات الوطنية الكبرى»<sup>(١)</sup> ، إلى شغل حيّز تنموي في اللغة الاصطلاحية العلمية ، عبر الترجمة والنقل ، والاقتراض ، والتوليد ، والنحت ، والاشتقاق ، والقياس ، وإحياء اللفظ القديم .

من هذا المنطلق نلاحظ أن لكثير من المفردات تاريخا ، وأنها تؤثر في كيفية قراءتنا بالإضافة إلى أنها تستدعي مسائل اجتماعية وتجارية وعلمية . هذا الوعي بتاريخ المفردات وتأثيرها واشتباكها بقضايا المجتمع والتجارة والعلم ، يطرح سؤالاً مهماً على محاولتنا في العالم غير الغربي لترجمة تلك المفردات والتداخل معها بتوظيفها في القراءة والتأليف ، والتكيف معها في اللغة التي نألفها ونؤلف فيها ، فإلى أي حدّ احتملت اللغة العربية هذه المفردات ورؤوسها وانسجمت معها ؟

إن المفردات والمصطلحات تدخل في عملية التفكير والتجانس الاستخدامي والأسلوبي ، بحث نقر بأن هذه: «المصطلحات من أدوات التعبير العلمي ، ولها من هذا الجانب دورها الكبير في تدوين الملاحظات ووضع الاقتراضات وتكوين النظريات ، من هذا الجانب ينبغي في المصطلح العلمي أن يكون دقيقا ، قد تحول الدلالات التاريخية لبعض المفردات دون تحقيقه المنشود»<sup>(٢)</sup> . كما يمكن لهذه الألفاظ الدخيلة والمقترضة أن تدخل مفهوماً ولفظياً في عملية التعبير الشعري ، بحيث يلقيها الشعراء أحاسيسهم وأهواءهم وأحيانا تصبح تلك الألفاظ طيّعة الوزن ، والنغمة الموسيقية للكلام الشعري ، كما استساغتها سعاد الصباح<sup>(٣)</sup> في قولها «آخر اهتماماتي أن يحبني كمبيوتر» .

فاللغة بكل فتونها تخدم التواصل والاتصال كما هو معلوم ، وتعدّ «المصطلحات في المجالات التكنولوجية والعلمية للغة وظيفتها يصطنعها المتخصصون لتلبي الحاجات الاتصالية»<sup>(٤)</sup> ، فلم تعد

١- محمود فهمي حجازي : الأسس اللغوية لعلم المصطلح . دار غريب للطباعة والنشر . لا ط ، لا تا ص ٢٦

٢- محمود فهمي حجازي : الأسس اللغوية لعلم المصطلح . دار غريب للطباعة والنشر . لا ط ، لا تا ص ٢٠٤

٣- شاعرة كويتية ، وردت لفظة كمبيوتر في ديوانها إليك يا ولدي ، قصيدة «كن صديقي»

٤- محمود فهمي حجازي : الأسس اللغوية لعلم المصطلح . دار غريب للطباعة والنشر . لا ط ، لا تا ص ٢٠٤

مقصورة على الباحثين المختصين في أغلب الأحيان ، بل تعدتهم إلى عامة الناس عبر وسائل الإعلام ، والشبكات العالمية للاتصال (الانترنت) .

من جملة تنمية اللغة عبر استقبال المصطلح مواكبة العلوم العصرية والاكتشافات العلمية بالعودة إلى الأصول التراثية ، واللالتفاف حول القرآن الكريم في تأصيل المصطلح العربي المبتكر من الاعجاز العلمي الذي يشيرون إليه في القرآن الكريم ، واستخراج مصطلحات من أصول عربية باشتقاقها من ورود ألفاظها فيه ، ثم توليد هذه الألفاظ ضمن مفاهيم علمية بالاستناد إلى معانيها اللغوية في حنايا المعاجم القديمة . ثم بعد ذلك التسارع إلى نفض الغبار عن الكتب التراثية وخصوصا في العصر العباسي كما أشرت سابقا في هذا البحث.

### - في المجال التطبيقي : قرآنة المصطلح المعجز وأفاق البحث العلمي

#### ١- المقصود بالقرآنة

يعني: ابتكار المصطلح العربي من القرآن الكريم ، والدافع إلى ذلك أننا كثيرا ما نسمع عن اكتشافات متعددة مع تقدم العلم تشير إلى أن هذا الاكتشاف وذاك الاختراع مذكور في القرآن الكريم منذ ما يزيد على ألف وأربعمئة سنة ، ما يثبت الإعجاز العلمي في القرآن وتفتحت العيون على العلم والتماس وجوده في القرآن . إلا أن الذي يثير قلق الباحث الغيور لماذا لم يكتشف علماءنا العرب المسلمون الاختراع من منشئه الأصل السابق قَدَمًا للبحث الحديث ؟ ، ولماذا لم يعمدوا إلى البحث عن المصطلح العلمي الملائم لذلك في لغة القرآن ولغتنا اليومية ؟ ، بدل أن نعيش اتكاليين ننتظر المصطلحات والتسميات معلبة .

لعل ذلك مرده إلى عدم وجود مصطلح عربي أرومته القرآن الكريم أو مذكور في آية من آياته يواكب المفاهيم العلمية المتتالية . فالبحث يدعو إلى قرآنة المصطلحات والتسليم بالواقع ليعتد باحثونا على التأقلم مع المصطلح العلمي التراثي أو المستنبط من التراث وبخاصة القرآن والسنة النبوية الشريفة والمعاجم اللغوية بلغة عربية الأصل والهوية والانتماء ، بالتماس المناسبات بين الألفاظ اللغوية ومفاهيمها الاصطلاحية . وذلك بأخذ الكلمة العربية المذكورة في القرآن الكريم وتشكيل اشتقاقات اصطلاحية منها تدل على حالات المفهوم العلمي وتحديد مراحل ذلك المصطلح المولّد ، بالاستناد إلى تفاصيل عن الاكتشاف العلمي الذي يثبت ذلك مرفقا بالمقابل الأجنبي واسم المكتشف العلمي إن أمكن ، وتاريخ الاكتشاف ، وذكر بعض التفاصيل والصور العلمية الملونة وغيرها مما يثبت صحة المذهب العلمي .

ذلك بهدف توجيه البحث العلمي إلى الاتصال بالقرآن الكريم وحضّ الباحثين العرب على التعمق في خفايا اللغة القرآنية المعجزة ، علّ ذلك يمهّد لمكتشفين من خلال تدارس القرآن

الكريم بالسبق العلمي والتفكير بمصطلحات عربية، وفهم الذهنية العلمية الموائمة لذلك الابتكار أو غيره بذهنية عربية، باستخدام مصطلح واضح موحد ثم ليعمم على باقي الباحثين. أخص بالذكر أبناء الأمة الذين يتخصصون في شتى الميادين العلمية خارج الأقطار العربية أو داخلها بلغة غير العربية.

لأن قضية الإعجاز القرآني شغلت كثيرا من الباحثين، ثم تولوا يعرضونها شرحا وتفصيلا، قوامه أسرار اللغة، وهو جهد ليس باليسير، من هؤلاء محمد زغلول النجار في أبحاثه المتعددة في خلق الأرض والكون في القرآن الكريم، ومحمد علي البار في كتابه (خلق الإنسان بين الطب والقرآن) ومحمد فياض في كتابه (إعجاز آيات القرآن في بيان خلق الإنسان) وغيرهم ...

يحتاج البحث في هذا المضمار إلى مساعدة اللغويين، والعودة إلى معاجم اللغة والبحث عن معنى قد يكون نادرا في سياق ما، بارزا في سياق النص الإعجاز العلمي، في شتى المواضيع القرآنية؛ إلا أننا ما وجدنا كثيرا ممن اتجه إلى إيجاد مصطلح علمي مستمد من القرآن، يعين الباحثين في مجالات العلوم من أبناء الأمة على التفكير العلمي بلغتنا العربية، وبالتالي اكتشاف الإعجاز العلمي أولا، ثم التعميم أو لفت النظر إلى امكانية البحث في ذلك الموضوع أو غيره؛ لأن تشكيل المصطلح المقرآن يتطلب تعمقا في أصول اللغة وحناياها، عند الباحثين في مثل تلك المواضيع، يبرز همهم فقط لإبراز الإعجاز، وما وجدنا من يطمح إلى جعل المصطلحات القرآنية أداة بحث جديدة في الأفاق العلمية، فضلا عن معرفة الأصول العلمية بلغات أجنبية وإعلاء شأن المنهج الاصطلاحي المقارن.

وفي المجال التطبيقي يعتبر «كتاب إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام» لمؤلفه كريم الأغر خير مشير إلى ما أدعو إليه بحيث عمل جاهدا على إبراز المفاهيم العلمية المعجزة بالقرآن الكريم بمقارنتها بسواها من المفاهيم العلمية المكتشفة في مجال المرحلة الجنينية للإنسان وتكوينه، مؤيدا ما يذهب إليه بشواهد من القرآن والسنة والمعاجم اللغوية؛ غير أنه حاول عن غير قصد توليد مصطلحات لم تكن كافية وبإمكان اللغويين وضعها، وحسبه أنه تجشم أعباء كثيرة ومخاطر للتوفيق بين المفاهيم التي رمى إليها، وبين المدلول العلمي، ما جعل أنظاري تتجه إلى الخوض في غمار مصطلح يجسد الحالة الجنينية ومسيرتها الزمنية والتكوينية، بهدف فهم العربية أولا ثم المفاهيم العلمية فيها وبعدها إفساح المجال أمام الدارسين إلى التعامل مع مادة عربية الطابع، والوجود.

ومن الضروري أن نعرض بعضا من هذه المصطلحات التي وجدت مفهوماتها منذ نزل القرآن الكريم، وأشارت إليها الأحاديث النبوية، ليفتح هذا القديم أفاقا جديدة للبحث الحديث في المصطلحات العلمية، إليكم جزءا منها، ولا مجال هنا لإثباتها كاملة، على أن أتابعها إن

وفقت في ذلك لتشمل كافة المصطلحات العلمية التي أشار القرآن الكريم إلى مفاهيمها بدل نقلها من غير العربية ولا استغناء عن ذلك في تلاقح العلوم والثقافات:

جدول: ملاحظة المعلومات الواردة في الجداول مستقاة بأمانة من كتاب إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام لكريم الأعر، ولم أراع ترتيباً ألفبائياً ، إنما ترتيب الأطوار التي يمر بها الجنين، أو ما يمهد لذلك.

الجذر	المصطلح	المقولة	الوزن	ملاحظات
م ا ء	الماء	لفظ يخص الجنسين		راجع مني
السياق القرآني	خلق من ماء دافق (سورة الطارق ٦)			
المعنى اللغوي	وجعلنا من الماء كل شيء حي			
الحديث الداعم	قال (ص) «ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر» أخرجه مسلم			
المعنى المفهومي	ماء يخرج من بين الصلب والترائب يخص المرأة والرجل			

الجذر	المصطلح	المقولة	الوزن	ملاحظات
م ن ي	مني	اسم		
السياق القرآني	ألم يك نطفة من مني يمني (سورة القيامة ٢٧)			
المعنى اللغوي	ماء ينزل من إحليل الرجل الذي يتمنى الشهوة حين ينزل			
الحديث الداعم	ماء الرجل غليظ أبيض وماء المرأة رقيق أصفر فمن أيهما علا يكون الشبه منه أخرجه مسلم			
المعنى المفهومي	ماء الرجل يرافقه شهوة في نزوله لإخصاب البويضة			

الجذر	المصطلح	المقولة	الوزن	ملاحظات
ن ط ف	نطفة	اسم		نطفة الرجل ونطفة المرأة (جزء من ماء مشترك بين الرجل والمرأة)
السياق القرآني	ألم يك نطفة من مني يمني (سورة القيامة ٢٧)			
المعنى اللغوي	النطفة القليل من الماء (لسان العرب) (جعل نسله من سلالة من ماء مهين) السجدة ٨ الماء المهين القليل الضعيف لسان العرب م هن			
الحديث الداعم	ما ممن كل الماء يكون الولد أخرجه مسلم			
المعنى المفهومي	ليست كل مني الرجل (حقيقة علمية اكتشفها سبلانزي ١٧٢٩)			

الجذر	المصطلح	المقولة	الوزن	ملاحظات
ن ط ف ( س ل ل )	سلالة	اسم		
السياق القرآني	ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين (السجدة ٨)			
المعنى اللغوي	تشير إلى البويضة (ومن للتبعيض) ومعنى السمكة الطويلة من هنها يتشابه الحيوان المنوي بالسمكة من حيث المحيط والحركة ومن معاني السلالة الخروج من ضيق ومن معانيها السير السريع			
الحديث الداعم				
المعنى المفهومي	تسمى النطفة سلالة لأنها جزء صغير من السائل المنوي الذي يحتويه ماء التخلق (المني) وشكل هذا الجزء شكل سمكة طويلة وهو يخرج برفق من ماء التخلق بواسطة السباحة ، ويزدحم عند مضيق عنق الرحم فيخرج من الزحام ومن المضيق بواسطة السباحة ويسير بسرعة بغية التلقيح.			

الجذر	المصطلح	المقولة	الوزن	ملاحظات
ن ط ف	مستودع النطف			
السياق القرآني	وهو الذي أشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع (سورة الأنعام ٩٨)			
المعنى اللغوي	المستودع المكان الذي تجعل فيه الوديعة ، يقال استودعته وديعة إذا استحفظته إياها (لسان العرب و د ع) . وفي الآية ( هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً) (سورة الإنسان ١)			
المعنى المفهومي	مكان وجود النطفة قبل التخلق (لم يكن شيئاً مذكوراً) ، واختلف علماء التفسير في تحديد موقع هذا المستودع.			
مواقع المستودعات	عند الرجل الخصية والبربخ هز المستودع على وجه الخصوص. وعند المرأة هو المبيض على وجه العموم والحيصلة على وجه الخصوص			
الحديث الداعم	«إن النطف تتخلق قبل أن تخرج بكثير ، وأنها توضع في مخابئ تحفظها من التلف مع السائل المنوي إلى أن يعين وقت خروجها			

الجذر	المصطلح	المقولة	الوزن	ملاحظات
ن ط ف	نطفة الأمشاج	صفة بصيغة الجمع		
السياق القرآني	إنا خلقناكم من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا (سورة الإنسان ٢)			
المعنى اللغوي	النطفة الأمشاج : ومشجت : خلطت الصحاح للجوهري المختلطة ، قال الفراء : أمشاج أخلاط ماء الرجل والمرأة			
الحديث الداعم	«من كلُّ يخلق : من نطفة الرجل ونطفة المرأة » أخرجه أحمد الواو تقييد الجمع			
المعنى المفهومي	دخول ماء الرجل (النطفة) إلى ماء المرأة (النطفة الصفراء) والاختلاط به.			
توضيح تابع	ورد في الآية : وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا (سورة الفرقان الآية 54) صهر : يعني الاندماج والخلط ووجود هذه اللفظ في سياق لفظة ماء يؤكد اختلاط النطف لتؤلف صفات جديدة			

الجذر	المصطلح			
ن ط ف (ص هـ ر)	الانصهار			
السياق القرآني	وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا (سورة الفرقان الآية ٥٤)			
المعنى اللغوي	الاندماج والاختلاط بتغيير في صفات الماءين ماء الرجل وماء المرأة			
المعنى المفهومي	البويضة المخصبة			
الحديث الداعم	« إن الله تعالى إذا أراد النسمة فجامع الرجل المرأة طار ماؤه في كل عرق وعصب منها ، فإذا كان يوم السابع جمعه الله تعالى ثم أحضر له كل عرق بينه وبين آدم : ثم قرأ لإي أي صورة ماشاء ركبك) أخرجه الطبراني توضيح الطيران بمعنى الانتشار والعرق : هو الصبغيات توضيح			

الجذر	المصطلح	المقولة	الوزن	ملاحظات
ن ط ف ( ع ر ق )	العرق			
السياق القرآني	-			
المعنى اللغوي	نواة النطفة الأنثوية (البويضة) التي تحتوي على عروق مماثلة فتطير وتنتشر عروق هذا السائل المنوي في عروق البويضة.			
المعنى المفهومي	الصبيغيات			
الحديث الداعم	تزوجوا في العرق الصالح فإن العرق دساس أخرجه السخاوي وفي سياق حديث آخر : .. هذا لعله يكون نزعة عرق له.. (أخرجه مسلم)			

الجذر	المصطلح	المقولة	الوزن	ملاحظات
غ ي ض	الغيض			
السياق القرآني	( الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض به الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار ) (سورة الرعد ٨)			
المعنى اللغوي	غاض نبع الردة أي أذهب ما نبع منها وظهر (لسان العرب غ ي ض ) وغاض الماء غيضا ومغلا قل ونقص أو غار فذهب ، أو نزل في الأرض وغاب فيها ( المعجم الوسيط )			
المعنى المفهومي	يغيض وزن الرحم وينقص بعد الدور الشهرية ويكون الحيض وسيلة لهذا الغيض، وهو دخول النطفة الأمشاج ( المخصبة ) إلى داخل الرحم عبر طريقة امتصاص قد تستغرق أسبوعا أو أقل (يتعلق بحسب أيام الدورة) جدير ذكره أن الرحم هو عضو عضلي أجوف ذو جدار ثخين ومتمين سمكه سنتيمتران ونصف، مكون من ثلاث طبقات .			
توضيح	قد يعترض العامة على أن الطب تطور ليعرف جنس الجنين داخل الرحم (الإيكوغرافي: الصورة ) ، ظنا منهم أن ما تغيض به الأرحام هو الجنين المكوّن: وأول رد هو استخدام (ما) التي لغير العاقل ، طور قبل بث الروح . لكن الغيض هو المادة اللزجة المخصبة التي في طور دخولها إلى الرحم قبل أن تُبث فيها الروح ، وهنا التحدي المعجز الذي لن يستطيع أحد أن يعرف جنس الفَيْضَة أثناء وبعد دخولها إلى الرحم ، هذا إن ثبت في الرحم أو سقط (أجهض ) نطفة مخلقة (ثابتة ومستمرة ) وغير مخلقة (مجهضة).			

الجذر	المصطلح	المقولة	الوزن	
غ ي ض	الاجاضة	مصدر	افعاله	
السياق القرآني				
المعنى المفهومي	مرحلة الغيض : الفترة التي تستغرقها فترة الغيض			

الجذر	المصطلح	المقولة	الوزن	
غ ي ض	الغيضة			
المعنى المفهومي	النطفة الأمشاج	(المخصبة) المستعدة للدخول إلى الرحم	حتى إتمام عملية الدخول والاستقرار	

وللحديث بقية

وعليه فإن «صياغة المصطلح لها ثوابت معرفية مطلقة، ولها نواميس لغوية عامة كما لها مسالك نوعية خاصة، وكل ذلك يمثل الآليات التي تقتفيها المصطلحات»<sup>(١)</sup>، ضمن مراحل علمية دقيقة الوظيفة والتسمية، ولا داعي للاقتراض في هذه الحالة، إنما للتوليد واستنباط المصطلح العلمي كما سبق في الجداول من النص القرآني والمعاجم اللغوية مدعّمة بالحديث النبوي الشريف، وفق معطيات العلم الحديث.

### خلاصة البحث:

نخلص إلى أن البحث في المصطلحات العلمية، يشير إلى أن غزو المصطلحات لم يطل العربية فحسب، إنما هي ظاهرة تطال كل اللغات الحية، ضمن تفاعل الثقافات، وتبادل الخبرات. فإذا سيطرت اللغة المصدرّة اللغة المستوردة اجتياحا يستحوذ على تفكير أبنائها وعاداتهم ومسلك حياتهم، يؤدي ذلك بالضرورة إلى طمس الهوية الذاتية للأمة المقلّدة.

فلنستفد من تجربة اليابان، حيث أعطي أبنائها فرصة التفكير العلمي بلغتهم فأصبحوا من رواد صناع الحضارة. ولم يأت ذلك عبثا، بل بفضل إنشاء مجمع لغوي للترجمة يواكب المعطيات اليومية، وينقل المخترعات الحضارية إلى لغتهم بشكل يومي، رغم غزارة الانتاج، وإنّ تعامل أحيانا مع معظم المصطلحات، كذلك باسمها الأصلي الذي أعطي لها من بلد المنشأ. إلا أن كثيرا من التفاصيل والتفرعات كانت باللغة اليابانية. فالعمل على إبراز الهوية الذاتية للأمة هو الكفيل بحفظ الكيان، ليبدد المخاوف ويزيل الهواجس.

إن الأمة بحاجة إلى إعادة منهجية علمية تضبط البحث في المصطلحات العلمية هدفها تحديد المفاهيم، بمعنى إطلاق الحد المناسب لكل مصطلح يضمن مفهومه، كي لا تضطرب المفاهيم وتتعدد التسميات. وذلك ليس غريبا عن تفكير الكثيرين من الذين أغنوا التراث العربي، من العرب ومن غيرهم، والرجوع إلى نفض الغبار عن المصطلح التراثي، وإعادة إحيائه، وبالتالي ملء مضمون مفهومي جديد للمصطلحات والتسميات التي فرغت من مضمونها بالابتعاد عن استخدامها، والتعامل مع ترجمة المصطلحات لا على أساس نقل حرفي، بل نقل المفاهيم وضبط التقابلات اللغوية، الشكلية منها والمعنوية في عملية تشكّل المصطلح العربي وابتكاره.

ولا بد من الإشارة إلى التفاف التاريخ، بالاعتماد على العقول العربية والأفاداة من خبراتهم ومواهبهم الابداعية، كما ساعد غير العرب التراث العربي في كثير من مواضع العلوم بكل

١- عبد السلام المسدي: المصطلح النقدي مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع تونس، لا ط، لا تا. ص ١٠

اصطلاحاتها العربية ، وحتى غير العربية. منها يجب أن يخفت الخوف ، وتعلو الهمم .

### توصيات :

الاهتمام بتعليم القرآن الكريم على ضوء المعطيات العلمية المعاصرة ، وبالتالي التعمق في تراكيبه اللغوية والبلاغية.  
الاطلاع على المناهج القديمة في المصطلحات العلمية وإيجاد سبل تتأسب مع الحياة المعاصرة

إضافة مادة «تقابلات لغوية في علم المصطلح» ( ما يتعلق بالسوابق واللاحق يلحظ أن معظم السوابق في المصطلحات تترجم بترجمة حرفية تثبت فيها السوابق ، على عكس اللواحق التي ما وجدت لها ذكرا في ترجمة المصطلحات (إعادة النظر ) على كل المواد العلمية في كافة الاختصاصات الجامعية ، ومقابلاتها مفهوميًا وافيًا مع المصطلحات الغربية إن وجدت ، وإن لم توجد ، فالعمل على إيجادها وابتكارها للعمل على شهرتها وذيوها بالتعاون ، العلمي والثقافي بين الجامعات ودور النشر والترجمة ووسائل الإعلام ، وذلك بأن تتبنى المسؤولية الجهات الرسمية في الدول العربية .

إعطاء المنح المشجعة على إحياء اللغة عبر الشعراء والمبدعين والمفكرين .

الاهتمام بتعليم تركيب اللغة وثوابتها وتعليم أساسيات النحودون الخوض في التفاصيل الخلافية ، أقصد أن التفاعل بين اللغات يطال المفردات والألفاظ ، ولن يؤثر بتراكيب اللغة العربية.

الاهتمام بالإملاء والخط العربي ، وعدم التعامل مع النص العربي وكتابته بحرف لاتيني؛ لأن الكتابة «تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس ، فهو ثاني رتبة عن الدلالة اللغوية»<sup>(١)</sup>.

الاهتمام بوسائل العولمة ذاتها والتفاعل معها بلغة عربية ميسرة ، والتركيز على وسائل الإعلام الفضائية والمسموعة التي تراعي اللغة الفصيحة.

إقامة مجمع لغوي إلكتروني عبر الشبكة العالمية للاتصالات بحيث توفر لكل باحث ومهتم بأن يقدم مداخلته من بيته ومركز عمله ويوفر الوقت بدل من أن يسافر لحضور اجتماع مجمع لغوي هنا أو هناك وما يترتب عليه من تكاليف باهظة ومضيعة وقت في السفر والإقامة وغير ذلك

١- ابن خلدون : المقدمة ، دار الأرقم بن أبي الأرقم ، تحقيق أحمد الزعبي ، بيروت تاريخ مقدمة المحقق ٢٠٠١ ص ٥٣

إقامة البنك الإلكتروني للمصطلحات العلمية وتكثيف الجهود في ذلك  
توسيع مجال تعليم المصطلحات العلمية بلغة عربية مواكبة للأحداث منها ، أو العمل على  
تعريب بعضها والاعتراف بها ضمن شروط النص العربي، أو اقتراض الألفاظ التي نجد لها  
اصطلاحا في العربية يبين مفهومها.

# الفهرس

الاقتاحية الدكتورة منى حداد	
رئيسة جامعة الجنان	٨
مقدمة العدد الثاني أ. د. علي لاغا	
نائب رئيس جامعة الجنان لشؤون البحث العلمي	١٠
◆ التأسيس الشرعي لعالمية الزكاة	
د. محمود إسماعيل	١٢
◆ أزمة الحكم والحكام قديماً وحديثاً	
رمضان الصيفي	٤٣
◆ الجمال في الإسلام	
د. محمد الترك	٧٦
◆ Location-Based Knowledge Management Spectrum with an Updated Binney's Approach	
Ammar C. Yakan, PhD	٨٧
◆ إمكانيات تطبيق معايير إدارة الجودة الشاملة في قطاع التأمين بالجزائر (دراسة ميدانية)	
أ. خطيب خالد	١١٩
◆ محددات الحوكمة ومعاييرها	
GOVERNANCE Guidance & Objectives	
د. محمد غادر	١٧١

- ◆ نحو تطوير السياسات الزكوية: من سياسة التمويل الاستهلاكي إلى سياسة التمويل الإنتاجي  
د. حسن محمد الرفاعي ..... ١٨٠
- ◆ العلاج النفسي في التَّصوُّر الإسلامي  
د. علي مصطفى القضاة ..... ٢١٧
- ◆ أسباب الضغوط النفسية لدى لاعبي كرة السلة في فلسطين  
د. رمزي رسمي جابر ..... ٢٦٧
- ◆ السعادة في مساعدة الغير  
د. ربي شعراني ..... ٢٩٤
- ◆ صناعة المصطلح العلمي بين التورث والتحديث إحياء اللغة أم اضطراب المفاهيم  
أ. د. رياض مصطفى عثمان ..... ٣١٨
- ◆ الفهرس ..... ٣٤٤





تم بحمد الله